

# تحديات ما بعد الصهيونية



المشروع القومي للترجمة



723

تأليف : إبراهيم نيمى

مراجعة : محمد منار

ترجمة : أحمد ثابت



المشروع القومي للترجمة

# تحديات ما بعد الصهيونية

نحو بدائل لسياسات إسرائيل الأصولية

تحرير : إقرايم نيمنى

ترجمة : أحمد ثابت

مراجعة : محمد هشام







المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

– العدد : ٧٢٣

– تحديات ما بعد الصهيونية

( نحو بدائل لسياسات إسرائيل الأصولية )

– إفرائيم نيمنى

– أحمد ثابت

– محمد هشام

– الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب :

## ***The Challenge of Post-Zionism***

**Alternatives to Israeli Fundamentalist Politics**

**Edited by Ephraim Nimni**

**Zed Books, London, New York, October 2003**

---

**حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة**

شارع الجبلية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084 E-Mail : asfour @ onebox. com

---

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

## المحتويات

7	مقدمة المترجم .....
11	مقدمة ..... إقرايم نيمنى
	<b>الفصل الأول : من دولة قومية إلى دولة من دون أمة : صراعات الأمة والتاريخ</b>
37	والهوية فى إسرائيل اليهودية ..... يورى رام
63	<b>الفصل الثانى : الدائرة المفرغة : الصهيونية التقليدية وصراع البقاء .....</b>
	إيلان بابيه
91	<b>الفصل الثالث : الصهيونية ومناهضة الصهيونية وما بعد الصهيونية .....</b>
	أفيشاي إيرلخ
	<b>الفصل الرابع : الصهيونية وما بعد الصهيونية ومناهضة الصهيونية فى إسرائيل :</b>
141	صراع اليهود والعرب على طبيعة الدولة ..... أسعد غانم
	<b>الفصل الخامس : من المنفى القسرى إلى المنفى الطوعى : ما بعد الصهيونية</b>
167	وانحراف يهود الخارج عن الخط الصهيونى ..... إقرايم نيمنى
217	<b>الفصل السادس : خطاب ما بعد الصهيونية بأصوات بديلة : منظور نسوى ...</b>
	هنا هرتزوج
237	<b>الفصل السابع : "أنت لست مغربية لأنك جميلة جداً" .. هنرييت دهان - كاليف</b>
255	<b>خاتمة : "تأملات حول ما بعد الصهيونية وتشكل المشروع الصهيونى .....</b>
	نيرا يوفال - دافيز
276	<b>ملحق : تاريخ جديد وأفكار قديمة : إيوارد سعيد .....</b>



## مقدمة المترجم

هذا الكتاب يهم القارئ العربي وصانع القرار والمفاوض العربي والفلسطيني مثلما يهم أيضا المقاومة المسلحة المشروعة ضد الاحتلال الصهيوني لأننا ينبغي أن نعرف الكثير عما يدور داخل إسرائيل ومخاطره، وخصوصاً منذ عام ١٩٧٧، ومع صعود اليمين الديني الأصولي المتطرف الذي يستند إلى أساطير ومزاعم دينية تتستر خلف رداء أيديولوجيا عنصرية تقوم على سمو العرق اليهودي وتنادي علناً بالتطهير العرقي والتهجير القسري للشعب الفلسطيني سواء داخل فلسطين ١٩٤٨ أو من الضفة الغربية إلى غزة أو التهجير القسري (الترانسفير) خارج فلسطين، ولأن العالم المتحضر المناهض للنظم العنصرية العرقية تمكن من إلغاء هذه النظم في جنوب إفريقيا ويوجوسلافيا السابقة ورواندا وبوروندي، علينا نحن العرب والفلسطينيين أن نخاطب هذا العالم وهو عالم واسع وكبير وموجود بقوة في وسائل الإعلام والمنظمات غير الحكومية ومؤتمرات الأمم المتحدة وفي الرأي العام الأوروبي الذي أظهر آخر استطلاع أجراه الاتحاد الأوروبي في أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٣ أن ٥٩٪ من الأوروبيين يعتبرون أن إسرائيل تشكل أكبر تهديد للسلام والأمن في العالم.. علينا أن نخاطب هذا العالم باللغة التي يفهمها، وهي لغة الحقوق ومناهضة العنصرية والتطهير العرقي والجرائم ضد الإنسانية.

والواقع أن القليل منا هو الذي تساءل عن بوافع تزايد نقد ممارسات إسرائيل الوحشية ضد الشعب الفلسطيني فيما قنع الكثيرون منا بوجود أسباب عملية صارخة هي الممارسات الإبادة الدموية والمجازر الصهيونية ضد شعبنا الفلسطيني، ولكنني أعتقد أن هذه الممارسات مستمرة منذ ما قبل قيام الكيان الصهيوني وبعده وبعده عدوان الخامس من حزيران/يونيو ١٩٦٧ مما يفرض علينا أن نبحث عن الدوافع وعن تفسير



قوى لذلك التناقض بين الجماهير والمنظمات غير الحكومية الأوروبية وكتاب غربيين وأعضاء برلمانات أوروبية وبين الحكومات في الاتحاد الأوروبي حيث سارعت حكومات مثل إيطاليا وحتى ممثلو الاتحاد الأوروبي إلى إبداء الاعتذار لإسرائيل عن هذا الاستطلاع وغيره. معنى ذلك أن هذه الحكومات والاتحاد الأوروبي ذاته غير ديمقراطيين لأنهم يخالفون إرادة وآراء شعوبهم، ولكنه من جانب آخر يرشدنا إلى أن النضال السياسى والثقافى والإعلامى من قبل المجتمع المدنى العربى لابد له أن ينشط ويركز على الجماهير والمنظمات غير الحكومية ووسائل الإعلام لأنها صارت قوة ضاغطة بقوة على حكوماتها وعلى هيئة الأمم المتحدة وغيرها من المحافل الدولية. وقد ظهرت تجليات النجاح العربى الفلسطينى فى عزل إسرائيل والحكومة الأمريكية فى مؤتمر دربان بجنوب إفريقيا أواخر عام ٢٠٠١ . وللأسف الشديد لا يوجد منا سوى القليل الذى يهتم بهذا الأمر وكان من أبرزهم الراحل العظيم الدكتور إيوارد سعيد.

مؤلفو الكتاب من أبرز مناهضى الصهيونية ومن المؤرخين الجدد الإسرائيليين وهم من اليساريين والليبراليين من خارج ما نعرفه عن اليسار واليمين حسب المفهوم والخبرة الصهيونية، ففى حين يقر من هم يساريون صهاينة ببعض المأسى التى سببتها الحركة الصهيونية وإسرائيل للفلسطينيين، فإنهم يدافعون عن المشروع الصهيونى بزعم "ضرورته التاريخية" وهدفهم تجميل الوجه القبيح لإسرائيل، فى حين يقوم مؤلفو الكتاب وغيرهم من مناهضى الصهيونية بالتشكيك فى أسس وجوهر الأيديولوجيا والمشروع الصهيونيين، من زوايا عدة منها أن الصهيونية احتكرت المعاناة من النازية وحصرتها فى اليهود فقط، ويشككون أيضاً فى زعم الديمقراطية الإسرائيلية لأن المؤسسة الحاكمة وبنية المجتمع نشأت وتحولت بشدة إلى تجمع عرقى دينى أصولى شديد التعصب قومياً ليس فقط ضد الفلسطينيين ولكن أيضاً ضد يهود فلسطين العرب قبل توافد الهجرات الصهيونية وضد يهود البلاد العربية والإسلامية. وهم ينتقدون عملية أوصلو لأنها تكاد تكون انتزعت اعترافاً من السلطة الفلسطينية بأن إسرائيل دولة طابعها يهودى وليست دولة كل مواطنيها. ومن هنا فالحسنة الوحيدة التى حققها هؤلاء، كما يقول إيوارد، سعيد أنهم كشفوا تناقضات الصهيونية ودفعوا بها

إلى واجهة الأحداث وصارت مطروحة على الرأي العام وعلى الوسط الأكاديمي في إسرائيل. ومن هنا نعتقد أن كتابات هؤلاء والوثائق التي كشفوا عنها وتتضمن الكثير عن المذابح الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني أسهمت في توفير قاعدة معلومات مهمة للرأي العام الغربي وللأوساط الأكاديمية والثقافية في الغرب بتأثير كتابات مهمة ومحاوراتهم باللغة الإنجليزية. كما شكك هؤلاء في الذاكرة الجمعية التي رسختها الصهيونية في أذهان غالبية الإسرائيليين، اليهود بل كشفت عن جهود الحركة الصهيونية والصهيونية السياسية العلمانية العمالية وإسرائيل في فبركة أو اصطناع أساطير معينة مثل معاداة السامية والمحركة النازية، ومع أهمية إدانة جرائم النازية ضد اليهود وغيرهم، فإن تحول الأمر على يد الصهيونية وإسرائيل إلى "صناعة خاصة" ترهب وتخوف من ينتقد ممارسات إسرائيل الوحشية ولا يقبل تبرير كل حروبها بزعم أنها للدفاع عن النفس والحيلولة دون حدوث محرقة جديدة بأنه معاد للسامية!!.

ويتضمن الكتاب أيضاً نقداً لأفكار المؤرخين الجدد الإسرائيليين، ويدعو محرر الكتاب إفرام نيمنى إلى تطعيم أفكارهم بمبادئ الديمقراطية الليبرالية القائمة على الاعتراف بالتعدد الثقافي وبمساواة تامة بين عرب ١٩٤٨ واليهود الإسرائيليين، ويحذر من تفاؤل المؤرخين الجدد بتأثيرات العولة الإيجابية التي يعتقدون بها على قبول إسرائيل الاندماج في المنطقة والتعايش وانتهاج خيار السلام مع الفلسطينيين، فهو يرى أن العولة وانهيار الاتحاد السوفييتي والكتلة الشرقية أعطت مزايا عديدة لإسرائيل جعلتها تزداد تعصباً وانغلاقاً على تركيبتها العرقية التمييزية الأصولية الدينية، وينتقد سياسات الغرب التي تعتبر أن من كان حليفاً لها ضد الشيوعية مثل إسرائيل هو بالضرورة ديمقراطي!!.

إن معرفة ما يجري في الكيان الصهيوني من تحول مروع لكيان قائم على التفوق العرقي والتمييز على أساس العرق والقومية وإنكار حق الأقلية العربية فيه في الاعتراف بها كأقلية قومية ينبغي أن تشارك بقوة في تقرير مصيرها وفي كل ما يتعلق بهوية إسرائيل نفسها مهم للغاية، كما أن ما يوضحه الكتاب يكشف عن ضرورة عدم

التسرع بصياغة وثائق تنكر حق العودة للاجئين والتعويض مثل وثيقة جنيف، كما يكشف عن مخاطر خطط اليمين الصهيوني الأصولي الحاكم من تفريغ الوجود العربى لصالح الإبقاء على الطابع اليهودى الصهيونى للدولة ومن تهويد القدس ومن الاحتفاظ بالمستوطنات وضمها إلى إسرائيل ووضعها تحت السيادة الإسرائيلية. ونأمل أن يثير الكتاب اهتماماً عربياً واسع النطاق. ومن الجدير بالذكر أن القارئ سوف يلاحظ أن ما بين القوسين [ ] هو من عند المترجم.

أحمد ثابت



## مقدمة

بقلم إفرايم نيمنى Ephraim Nimni

بقدر ما كان تيار ما بعد الصهيونية دعوة إلى الأمل، فقد استخدم بشكل سيئ فى السياسة الإسرائيلية المعاصرة وفرض نفسه على السجال حول أهداف وطبيعة ومستقبل الدولة الإسرائيلية، إذ تميز الجدل حول أهمية أو ضالة ما بعد الصهيونية بالطابع الصادم للمألوف والشمولى والقاسى والمدمر للمعتقدات السائدة للذاكرة الجماعية والمشاعر، ولم يكن ذلك يخلو من التشهير والهجوم على نوات الأشخاص نون نقد الفكرة<sup>(١)</sup>.

وقد امتد الجدل فى الفترة الأخيرة إلى يهود الخارج (الدياسبورا) ومنظمات الضغط الموالية لإسرائيل هناك، حيث رد بعضها بانتقادات حادة وغير مسبوقة على المعارضين الإسرائيليين والمؤيدى دعوة "ما بعد الصهيونية"<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك أيضاً إقدام وزيرة التعليم فى حكومة شارون "ليمور ليفنات" Livnat على إصدار أوامر للمدارس بحظر تدريس كتاب التاريخ المقرر على الصف التاسع عالم المتغيرات **A world of changes** لأنها اعتبرته "ما بعد صهيونى" ويفتقد إلى الروح الوطنية، وتم تمزيق جميع النسخ لدى المدارس<sup>(٣)</sup>. بل أعلنت "ليفنات" من مكتبها فى وزارة التعليم أنها سوف تشن هجوماً عاتياً لإعادة الفكر ما بعد الصهيونى "إلى حجمه الطبيعى"<sup>(٤)</sup>. إذا وضعنا فى الاعتبار أن من يعلنون عن انتمائهم لما بعد الصهيونية لا زالوا يمثلون أقلية صغيرة (وربما تعاني من التراجع) فى إسرائيل لأنهلنا ذلك السجال الذى خلق صراعاً حاداً، بيد أن اشتداد حمية هذا الصراع لهو دليل واضح على أن الجدل لا ينصب على قضية سياسية تافهة ولا يدل حتى على تغير ملموس فى الاتجاه الأيديولوجى للدولة، ولكنه يرتبط بالدعوة إلى إعادة النظر فى مكانة وطبيعة النخبة السياسية الإسرائيلية ذاتها.

ولا يحظى مصطلح ما بعد الصهيونية نفسه بالتوافق أو الوضوح بين مستخدميهِ أو معارضيه، ونظراً لأن غموضه يولد اضطراباً في التفسير، بما يؤدي أحياناً إلى طمس الحدود، فإن الجدل حول ما بعد الصهيونية كشف رغم ذلك - وبوضوح غير عادي وصارخ - عن التوترات والتعقيدات التي تكتنف مسألة الكيفية التي يجب أن تكون عليها إسرائيل كدولة يهودية أو ديمقراطية، كما كشف عن التناقضات المحتملة والمتولدة عن تحقيق هذين الهدفين. فقد أدى هذا الجدل إلى تقويض - والتشكيك - فيما يمكن أن نسميه علم الاجتماع السائد، وبالتبعية علم السياسة، الذي استقر على إعطاء الدعم الثقافي والأكاديمي للرواية الرسمية للحركة الصهيونية. ونظراً لامتتع الحركة الصهيونية بخصائص غير عادية فيما يتعلق بنمط أو تطور الحركة القومية، وخصوصاً وجود مثقفين عضويين يعملون في خدمتها من خلال ترويج أيديولوجيتها المهيمنة<sup>(٥)</sup>، فقد أبانت أيضاً عن قدرة ملموسة على إخفاء ضعفها مستعينةً في ذلك بآليات فعالة جداً لحشد التأييد والعلاقات العامة *hasbarah* قادرة على تعبئة قطاعات مهمة من الإنتليجنسيا اليهودية وخدمة التغطية القومية في الداخل والخارج.

ينكر دعاة ما بعد الصهيونية أن الإسرائيليين يشكلون مجتمعاً يهودياً ذا طبيعة خاصة، ولا يختلف عن ذلك معظم الصهاينة العلمانيين، فلا يزعم أي منهم أن إسرائيل تتبع معايير سياسية تختلف عن تلك التي توجد لدى يهود الخارج. أما جوهر الادعاء المثير للجدل الذي تطرحه "ما بعد الصهيونية" فهو أن إسرائيل ينبغي أن تطور نموذجاً للهوية المدنية وإطاراً دستورياً يسترشد بالقيم العالمية حول الديمقراطية الليبرالية، وأنه لا يجوز لأية مجموعة إثنية أن تستحوذ على مزايا دستورية أو متعلقة بوجودها على حساب المجموعات الأخرى.

وهذه هي الحجة التي يرفضها الصهاينة حيث يزعمون، على العكس، أن إسرائيل كدولة يهودية عرقية تمكنت من حل مشكلة الوضع القومي غير الطبيعي للشعب اليهودي، بل إنه لا معنى لوجودها ذاته ولا لهدفها إذا ما تخلت عن رسالتها تلك، ويرد دعاة ما بعد الصهيونية على ذلك بتحدى من يعارضهم أن يثبتوا إمكانية جعل ذلك الهدف متناغماً مع الليبرالية الديمقراطية يذهبون إلى القول بأنه عاجلاً قبل أن يكون أجلاً لا بد أن تختار إسرائيل بين الديمقراطية أو اليهودية وأنها لا يمكن أن تكون الاثنتين معاً.

ويجب الصهاينة بالقول إن اليهود سوف يتمتعون بوضع تفضيلي في دولة يهودية، ومع ذلك يمكن لها أن تكون دولة ديمقراطية مع أقلياتها الإثنية. أما الصهاينة العلمانيون فيعتقدون أن الدولة اليهودية ينبغي أن تقدم تنازلات لصالح الحقوق القومية للأقلية العربية. ومن هنا يتركز الاعتراض الصهيوني النمطي على دعوة ما بعد الصهيونية في أن كل الدول القومية تضمنت هويتها القومية مكوناً إثنياً وأن هدف الحركة الصهيونية هو "تطبيع" الشعب اليهودي حتى يتمتع بدولة يستثمر فيها هويتها الإثنية. أما الجواب الذي يقدمه دعاة ما بعد الصهيونية على هذا الاعتراض الصهيوني فيتلخص في أنه مع الإقرار بوجود عنصر إثني متميز في الهوية القومية في القرن التاسع عشر، ووجود ظروف مواتية أفضت إلى خلق الصهيونية في أوروبا خلال القرن التاسع عشر تفسر بشكل مأساوي محنة الأقليات آنذاك، فإن قدوم القرن الحادي والعشرين وبروز ظاهرة التعددية الثقافية وسياسة الاعتراف [بالأقليات] يقتضى تصحيح هذا الظلم الصارخ والبين [الذي لحق بالفلسطينيين في إسرائيل]، ومن هنا يرى دعاة ما بعد الصهيونية بأن معظم الديمقراطيات الليبرالية تحركت بالفعل تجاه أنماط "مدنية" و "ما بعد قومية" لهوية الدولة<sup>(٧)</sup>، وأن انهيار يوجوسلافيا السابقة لا ينفي وجود دول متعددة الإثنيات كوضع طبيعي وليس استثناءً، وأن اليهود والإسرائيليين ينبغي أن يتعلموا من تاريخهم أن محاولات إقامة دولة قومية من تجمعات متعددة الإثنية عادة ما يشعل الصراع أو الأسوأ من ذلك في ظروف كهذه. ونظراً لعدم إمكانية التوفيق بين وجود دولة عرقية في مجتمع متعدد ثقافياً والديمقراطية الليبرالية، يرى دعاة ما بعد الصهيونية أن الفرصة أمام إسرائيل هي الاختيار بين حكم قائم على العرق والنبوءة الأسطورية الدينية (الماشيحانية)<sup>(\*)</sup> والصهيونية الجديدة والديمقراطية الليبرالية ما بعد الصهيونية<sup>(٨)</sup>.

(\*) "ماشيح" كلمة عبرية تعني "المسيح المخلص". والماشيحانية هي نزعة تعتقد بمجيء الماشيح، والذي يُصور باعتباره مرسلاً من الإله، ويتمتع بقداصة خاصة، ويجمع ما بين الصفات الإلهية والإنسانية، ويمثل تجسد الإله في التاريخ. فهو يأتي بعد ظهور النبي إيليا ليعدل مسار التاريخ البشري، وينهي عذاب اليهود ويجمعهم من الشتات ويعود بهم إلى "صهيون"، ويعيد بناء الهيكل، ويتخذ أورشليم (القدس) عاصمة له، ويقيم حكماً يستند إلى الشريحتين المكتوبة والشفوية. ويعقب مجيء الماشيح، حسب هذا التصور، بدء الفردوس الأرضي الذي يدوم ألف عام. ولهذا، يُطلق على هذه النزعة اسم "الأحلام الألفية". (المراجع)

ويمكن القول أيضاً وبمستوى عال من المعقولية إن دعاة ما بعد الصهيونية يستمدون جنورهم الفكرية من تراجع دور الهويات القومية والعرقية في إصلاح الدولة في الديمقراطيات الليبرالية الغربية. ولكن حتى إذا كان ذلك هو النموذج، فإنه يبدو أن السجال ما بعد الصهيوني يثير قضايا الهوية والسياسة المتبعة في الدولة الإسرائيلية مثل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وعلاقة إسرائيل بيهود الخارج<sup>(١٠)</sup>.

ويبدو الجدل حول ما بعد الصهيونية غامضاً في بعض الأحيان، كما سبق القول، ويثير الارتباك بالنسبة للقارئ غير المطلع، ومن الصعب العثور على تعريفات للظاهرة التي لا يوجد في الغالب اتفاق حولها، فكل من المؤيدين والمعارضين لها ينسبون إليها دلالات متضاربة ومتباينة. وفي ذلك يتحدث "حاييم واكسمان" Waxman<sup>(١١)</sup> عن ثلاث مساهمات رئيسية للمفهوم، يتمثل الأول في المقولة المعادية للاستعمار التي قدمتها مجموعة راديكالية مناهضة للصهيونية في إسرائيل، وينبع الثاني من تغير الأجيال في الجامعات الإسرائيلية في ظل تقاعد جيل "الآباء المؤسسين" وحلول جيل آخر يتميز بالبحث في مصادر أخرى للمعرفة والمعلومات ولا يقتصر على الرواية الرسمية للتاريخ حسبما قدمتها الصهيونية السياسية، أما الإسمهم الثالث فقد نتج عن تمحيص "صهيوني"<sup>(١٢)</sup> للقضايا الرئيسية للقومية اليهودية والعقيدة اليهودية والإثنية. وكانت هذه القضايا مصاحبة للمشروع الصهيوني منذ بداياته كما يقول "واكسمان". أما المعارضون لتيار ما بعد الصهيونية فينطلقون من رؤية مغايرة ويستخدمون مفهوم ما بعد الصهيونية على سبيل الذم شأنه شأن أي نقد للصهيونية لا يروق لهم<sup>(١٣)</sup>. لكن أياً من الإسهامات بسالفة الذكر لا يقدم تفسيراً مرضياً تماماً لأن أياً منهم لا يستطيع أن يدخل في الاعتبار الإطار الأوسع للمفهوم بما يتجاوز الأطر الضيقة التي تبدو فيما قدمه واكسمان من تصنيفات، ذلك أن الإطار الأوسع يشخص الظاهرة خارج نواثرها الضيقة. ويميز "كيفين أفروش" Avruch بين الاستخدام الوصفي والاستخدام المعياري لمفهوم "ما بعد الصهيونية"<sup>(١٤)</sup>، لكن ذلك بدوره يثير القضايا المعرفية الأساسية المرتبطة بالعلاقة بين الفئات الوصفية والمعيارية.



وقد سبق القول بأن أحد الملامح بالغة التأثير في تطور نموذج تيار "ما بعد الصهيونية" هو تقليده من أهمية الدور الذي لعبته الرابطة القومية والإثنية في تحليل الدولة القومية في الديمقراطيات الليبرالية الغربية، ولكن هذا التأثير لم يأت من الجدل حول التعدد الثقافي وسياسات الاعتراف [بالأقليات] الذي بادر به "تشارلز تايلور" Taylor ، وإنما جاء من المنظور ذي البعد الاقتصادي والاجتماعي الكلي المرتبط بعملية "العولة". وبينما تهدف سياسة الاعتراف إلى الإقرار بالتنوع الثقافي والإثني كعنصر رئيسي لعملية الانتقال من الدولة القومية إلى الدولة متعددة القوميات، فإن عملية الانتقال من الدولة القومية إلى الدولة متعددة القومية<sup>(١٥)</sup> تقلل من حدة التنوع الثقافي وتضعه في أشكال "مدنية" لهوية الدولة وتدافع عن نماذج من المواطنة أكثر مدنية وغير إثنية<sup>(١٦)</sup>، فالحجة هنا أن شرط الهوية المتجانسة للدولة القومية تم التخلي عنه والتقليل من شأنه عبر تحولات واسعة النطاق خلقتها عملية كبيرة تسمى "العولة". وفي إطار هذه المعادلة يُعد بروز ما بعد الصهيونية أحد آثار العولة على الساحة الإسرائيلية ضيقة الأفق، فما بعد الصهيونية هو بمثابة إعلان مهم عن تحول الصهيونية من مشروع دولة قومية متجانسة عرقياً إلى مشروع أكثر تنوعاً، ومدنى ما بعد حدathi ليبرالي ديمقراطي، فإذا ما قدر للتغيرات المتعلقة بالعولة تقويض العلاقة بين الإقليم والجماعة والانتساب لهما فمن المتوقع أن يبرز توجه ما بعد صهيوني "ليبرالي" يعلى من شأن هذه التغيرات الدافعة إلى الأمام. إذ يلاحظ تحول الجوهر الجمعي الطوعي للمجتمع الإسرائيلي بتأثير قيم الرأسمالية ما بعد الحداثية إلى مجتمع أكثر تركيزاً على الفرد وإلى مجتمع استهلاكي ترفي. ويمكن لهذا التطور حسب هذا الرأي أن يؤدي دور العامل المساعد المهم في إيجاد تسوية سلمية للصراع الإسرائيلي - الفلسطيني. وفي كتابهما الصادر حديثاً، قام "جرشون شافير" Gershon Shafir و "يواف بيليد" Yoav Peled بدفع الحجة إلى الأمام بالقول بأن العولة والليبرالية الاقتصادية من شأنهما تحويل إسرائيل من مجتمع يستند إلى رفاه الحرب إلى مجتمع نموذجي ينحو إلى السلام والربح الخاص<sup>(١٧)</sup>. وهكذا تعبر شعارات مثل "السلام والخصخصة" و "السلام والربح" و "السلام والازدهار" عن أن العولة والسلام مرتبطان ببعضهما سببياً<sup>(١٨)</sup>. ويبدو هذا

التفسير معقولاً في ضوء الأحداث الناجمة عن انتفاضة الأقصى وسياسات إدارة بوش الأمريكية. بيد أن دعوة ما بعد الصهيونية صارت تعبيراً أيديولوجياً لنخب على مستوى عالمي، في حين أصبحت الصهيونية الجديدة رد فعل خلقت التغييرات التي أملتتها السياسات النيوليبرالية، وهو الأمر الذي يستحق ويتطلب مزيداً من النقاش.

وربما تكشف الدراسة عن خيط أمل ينبثق من أن تيار ما بعد الصهيونية يمثل جزءاً من فترة انتقال مهمة تمر بها العلوم الاجتماعية الإسرائيلية وتبرز ميدانياً على مستوى المجتمع الإسرائيلي ككل، فقد شهد العقد الماضي [التسعينات من القرن العشرين] حدوث تحول ملموس في نماذج التفكير والتحليل المؤثرة في الجماعة العلمية الإسرائيلية ويقدم هذا التحول أرضية فكرية لتطور ما بعد الصهيونية<sup>(١٩)</sup>، ذلك أن أحد تداعيات هذه القطيعة أو هذا الانقطاع المعرفي يتمثل في التحول الملحوظ من نموذج تحليلي معد سلفاً إلى تحليل نقدي فكري للمشروع الصهيوني، ذلك أن جيلاً جديداً من الباحثين وأساتذة الجامعات صار يشعر بأن التزامه بتقاليد البحث والحجة الأكاديمية أمر أكثر أهمية من الولاء للصهيونية بكل تبعاتها، فقد حرصوا على اتخاذ مسافة أبعد عنه وتبنى نظرة نقدية منفتحة تجاه "الحقائق" المستقرة للصهيونية وتبنى رؤية أكثر انسجاماً وتوازناً مع نورهم الفكري حتى وإن لم يرغبوا كأفراد في إحداث قطيعة مع الصهيونية على طول الخط. ولعل أحد أطراف النتائج لهذا التغيير في نماذج التفكير وذلك البعد الذي يتعلق بحججه الأساسية وراء إحداث القطيعة مع النمط القديم الاجتماعي الإسرائيلي، يتمثل فيما أثاره "باروخ كيملنج" Kimmerling في نقاشه الحديث لنهاية هيمنة الصهيونية العلمانية وتأثيرها القوي في السياسة الإسرائيلية المعاصرة<sup>(٢١)</sup>، حيث يرى إمكانية حدوث تطور واعد، بدون شك، للمجتمع الإسرائيلي على أعتاب القرن الواحد والعشرين وهو أن تصبح الذاكرة الجماعية في إسرائيل تعبيراً عن تاريخ موضوعي، ففي مثل هذا التغيير المستمر والممتد التأثير في تصور التاريخ لم تعد المقولات التاريخية موضوعاً للتدقيق فحسب، بل لم يعد الجدل يدور في أبراج عاجية. فقد صارت هذه المقولات بصورة حاسمة بمثابة أسلحة أيديولوجية وسياسية استخدمت كعلامات على الاهتمام الجمعي ليس فقط في السجلات الداخلية ولكن أيضاً وبشكل

أكثر حسماً في الصراعات الخارجية مثلما في حالة الصراع الإسرائيلي العربي الهيمنة على قلوب وعقول يهود الخارج، وكانت بمثابة أسس حظيت بالتوافق لتشكيل ولاء المواطنين<sup>(٢٢)</sup>. فإذا كان حشد التأييد وحملات العلاقات العامة *hasbarah* تشكل عنصراً رئيسياً في المشروع الصهيوني، فإن المقولات والمزاعم التاريخية الجذابة والتي حظيت بالقبول وروج لها كبار أباطرة الجماعة العلمية الإسرائيلية كان يجب نشرها على نطاق واسع لإضفاء الشرعية على ذلك المشروع. وعندما حاولت مجموعة من المؤرخين وعلماء الاجتماع والسياسة في العقد ونصف الأخيرين [من القرن العشرين] تحدى المرتكزات الأساسية للتاريخ كذاكرة والذي لم يكن يوجد مجال للمناقشة فيه، صار من الواضح بالنسبة لحراس الوضع القائم أن الحجة لا تتعلق فقط بتفسير جديد للتاريخ، بل تتجه حسب زعمهم إلى هدم منظم لإسرائيل كاستيطان استعماري ومن ثم تدمير شرعيتها وأساس وجودها، فقد اعتبر هؤلاء "المؤرخون الجدد" بمثابة مناهضين لا قيمة لهم يحاولون - عبر مجموعة من المنظورات التحليلية المنشورة في كتابات صادرة على نطاق واسع عن أبرز دور النشر في البلاد الناطقة باللغة الإنجليزية - التشكيك في الأساطير المؤسسة للتاريخ الرسمي الإسرائيلي الذي حفر في الذاكرة<sup>(٢٣)</sup>.

وواقع الأمر أن "المؤرخين الجدد" البارزين مثل "بني موريس" و "زئيف شتيرنهل" *Sternhell* لم يشككوا في المرتكزات الإيديولوجية للصهيونية ولا في حتمية حدوث الاستيطان الصهيوني في ظل ظروف اليهود الأوروبيين في أوائل القرن العشرين، بل قدموا نقداً موثقاً جيداً للتاريخ لصالح تفسير أكثر توازناً واستقلالاً للاستيطان الصهيوني في فلسطين، إنهم يعبرون بصفة خاصة عن الاكتشاف الإسرائيلي لحدث "النكبة" عبر ما قدمه هؤلاء من "كتابات"<sup>(٢٤)</sup>، وعن أهمية وجود رؤى موازية للتصورات السائدة حول الإحلال اليهودي بما يتماشى مع مسألة الاكتشاف الإسرائيلي لحدث "النكبة" والذي دعم الحجج ما بعد الصهيونية حول ضرورة المساواة المدنية بين اليهود والعرب، ورغم أنه لا يمكن النظر إلى المؤرخين الجدد على اعتبار أنهم يشكلون وحدهم قيادة تيار ما بعد الصهيونية، نظراً لوجود عوامل أخرى مثل بروز ظاهرة التعددية الثقافية والتحدى المعاصر لفكرة الدولة القومية أسهمت في بروز الإشكالية التي

طرحتها دعوة ما بعد الصهيونية، فليس ثمة شك في أن إعادة النظر في التاريخ الإسرائيلي - الفلسطيني كما طالب بها ومارسها المؤرخون الجدد خلفت أثراً ملموساً وسريعاً في مجال إعادة تفسير واقع ومستقبل العلاقات الإسرائيلية الفلسطينية. وهذا ما ينطبق أيضاً على الانتفاضة عبر مراحلها المختلفة، فهي لم تشك في الأيديولوجيا الصهيونية وسمو الدولة العرقية فحسب، بل شككت، وهو الأهم، في المفاهيم الغربية ذاتها حول الدولة القومية<sup>(٢٥)</sup>، وشككت على الأخص في تلك الرابطة غير المنطقية بين الدولة والإقليم والسيادة والأمة. إن عجز الدولة الإسرائيلية عن التعامل مع القضية الفلسطينية هو مثال آخر صارخ وأكثر حدة وبروزاً لفشل الدولة القومية في التعامل مع جماعات سكانية ذات هويات عرقية متعددة. وهكذا كشفت دعوة ما بعد الصهيونية نقطة البداية للصهيونية وهي أنه يمكن توفير الأمن للأقليات المضطهدة عن طريق دول قومية فحسب تتحول فيها الأقليات إلى الأغلبية. لقد تمثل التحدي ما بعد الصهيوني في تقويض هذه المسألة الصهيونية المؤسسة، حيث لم تعد الدولة القومية اليهودية حلاً فعالاً لأمن اليهود المنقولين من أوروبا، فمنذ بداية القرن الحادي والعشرين يواجه اليهود كيهود مزيداً من الخطر المادي في إسرائيل أكبر من أي مكان آخر في العالم<sup>(٢٦)</sup>.

وقد وجد المراقبون الدوليون، ممن أعتبتهم مأساة الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني المستمرة بدون نهاية، ضالتهم في دعوة ما بعد الصهيونية و"المؤرخين الجدد"، لكن بروز جماعة أكاديمية تؤمن بدعوة ما بعد الصهيونية وكذلك قطاع صغير من الرأي العام ما بعد الصهيوني يُعتبر - على أية حال - تطوراً لقي ترحيباً فعلياً في السنوات الأخيرة، حيث تمت الإشادة بإنجازات "بني موريس" و "آفي شلايم" Slaim و "جرشون شافير" Gershon Shafir و "باروخ كمرانج" و "توم سيجيف" آخرين. لكن "أندرسون" يرى أن أسلوبهم الشجاع في البحث وأحكامهم التي لا تقبل الحلول الوسط، مما ميز تنقيبهم في الماضي، قد تغافل فجأة عن فترة قصيرة من الحاضر، بل يعتقد أن دعوة ما بعد الصهيونية تتميز بالمزج بين الشجاعة والجهن ويرى أن معظم دعاة هذا التيار هم في شجاعة الأسود عندما يحللون، لكنهم مثل الحملان في استخدام المنهج<sup>(٢٧)</sup>. إن ما يتعرض له دعاة ما بعد الصهيونية من تشهير شخصي يذكرنا بما حدث من قبل



اليسار الجديد. فعلى عكس نظرائهم فى الدول الناطقة بالإنجليزية، يشارك هؤلاء بدأب وإصرار فى وسائل الإعلام والنقاش العام [مع الجمهور] فى إسرائيل، كما يعبرون عن آرائهم بحدة ويتعرضون فى المقابل للهجوم والتشهير. وإلى جانب ذلك، هناك خبرة "بابيه" وآخرين، التى تحلت بشجاعة ملموسة فى صياغة أفكارهم والدفاع عنها فى الجامعات الإسرائيلية والمعارك السياسية والقانونية فى إسرائيل بأكثر من الوضع فى جامعة كاليفورنيا فى لوس أنجلوس. ولكن القضية التحليلية عموماً ليست خاطئة تماماً بل تكشف عن ضعف ظاهر فى النموذج الفكرى لدعوة ما بعد الصهيونية، وهو ما ناقشه بعمق "إيوارد سعيد" فى رؤيته حول السجال مع "المؤرخين الجدد"<sup>(٢٨)</sup>، ففى وصفه للندوة المفتوحة التى ضمته مع مثقفين فلسطينيين آخرين هما "إيلي سامبار" Sambar ، و "نور مصالحة" من جهة و "بنى موريس" و "إيلان بابيه" و "زئيف شتيرنهل" من جهة أخرى فى باريس عام ١٩٩٨، لاحظ سعيد توهج وشجاعة وحماس "بابيه" بينما أعجب بأفكار واستنتاجات كل من شتيرنهل و "موريس"، كما ينتقد زملاءه من الفلسطينيين والعرب لعدم انتباههم للأسلوب الذى يقدم به "موريس" الدليل الدامغ والمؤثر على النكبة وتهجير الفلسطينيين بالقوة<sup>(٢٩)</sup>، هذا فضلاً عن إعجابه الكبير بما يفعله "شتيرنهل" من تقويض علمى ومثاقم للأساطير المؤسسة للاشتراكية الصهيونية<sup>(٣٠)</sup>. وبدعوته إلى ترجمة هذه الكتب إلى اللغة العربية. وبناء على دحض المؤرخين الجدد للرواية التاريخية الصهيونية الكبرى عن فلسطين يرى سعيد ضرورة أن ينخرط الفلسطينيون فى بحث نقدى مشابه عن أساطيرهم وأفكارهم القومية كما يحث زملاءه العرب والفلسطينيين على عمل ذلك. لكن سعيد يبدى دهشته الشديدة وفزعته من أنه ورغم النتائج المهمة للمؤرخين الجدد، فإنهم يبدون مترددين فى صياغة خلاصات من واقع البراهين التى أوردوها وفى إدانة الاستيطان الصهيونى ذاته فى فلسطين، فحسبما يرى سعيد أن "شتيرنهل" ورغم إقراره بأن الدولة اليهودية لم تكن لتقوم من دون التخلص من الفلسطينيين ويعترف بخطأ طرد الفلسطينيين، فإنه ما زال متردداً عن كتابة النتائج الحتمية حول الصهيونية التى تقترب بالضرورة على هذا الدليل، إذ يعتقد سعيد بوجود تناقض عميق يصل إلى حد الفصام "الشيزوفرانىا" فى كتابات "موريس" و "شتيرنهل"، ويخلص من ثم إلى أنه لا يمكن أن يحدث تغيير فى الإدراك

إلا فى ظل مناخ يتحرر فيه المثقفون بما يمكنهم من الإقدام على تفكيك الحقائق التى تقوم عليها إسرائيل الآن. وتكمن الميزة الرئيسية فى دعوة ما بعد الصهيونية فى اكتشاف الحدود التحليلية للنموذج الصهيونى والتى لا تزال غير واضحة لمعظم الإسرائيليين وكثير من الفلسطينيين، ومن هنا يدعو سعيد إلى حوار فلسطينى جاد ومستمر مع دعاة ما بعد الصهيونية والمؤرخين الجدد<sup>(٣١)</sup>.

ومن الضرورى التسليم بأن الاضطراب ومظاهر الخلل فى كتابات معظم - وليس كل - دعاة ما بعد الصهيونية مما يسجله سعيد و "أندرسون" موجود بالفعل، ويذهب سعيد إلى أن مظاهر الخلل هذه يجب أن تطرح فى حوار إسرائيلى - فلسطينى نزيه وكذلك وينفس القدر فى تأمل إسرائيلى حول انعدام أخلاقية الأفعال الناجمة عن الاستيطان الصهيونى فى فلسطين، ومن المهم أيضاً النظر إلى أن مثل هذه الممارسات الكارثية والمثيرة للتساؤل فرضت على اليهود الفلسطينيين وبعض اليهود الناجين من الهولوكوست<sup>(\*)</sup> المذبحة اليهودية بفعل الجوهر القاسى لنموذج الدولة القومية الأوروبية. وقد تكون المقولة الصهيونية بخصوص عدم وجود مكان لليهود سوى فى دولة يهودية فى فلسطين قد ولدت من الناحية التحليلية تحت النفوذ المغرى للقومية والاستعمار الأوربيين، لكن تطبيقها على نطاق واسع نجم مباشرة عن رفض الديمقراطيات الغربية لقبول مزيد من اليهود عندما كانت الفرصة لا تزال سانحة<sup>(٣٢)</sup>. فبدون هذا الرفض كان الحلم الصهيونى قابلاً فى عالم اليوتوبيا. ومن شأن مثل هذا النهج الحوارى والمباشر والفعال بين الفلسطينيين والإسرائيليين أن يخفف حدة ما يسميه إيوارد سعيد الفصام / "الشيزوفرينيا" فى دعوة ما بعد الصهيونية.

(\*) "هولوكوست" كلمة يونانية تعنى "حرف القربان بالكامل"، وهى بالعبرية "شواه" وتُترجم إلى العربية أحياناً بكلمة "المحرقة"، ويستخدم المصطلح فى العصر الحديث للإشارة إلى مذابح إبادة اليهود فى ظل الحكم النازى، قبيل الحرب العالمية الثانية وبعدها. ويلاحظ هنا أن التوظيف الصهيونى للمصطلح يضيف عليه مسحة دينية وأسطورية، فهو يوحى بأن اليهود هم بمثابة القربان الذى يضحي به الشعوب الأخرى وتحرقه دون رحمة، وفى ذلك تأكيد لمفهوم صهيونى آخر على العداء الأزلى الذى يكنه غير اليهود (الأغيار) لليهود، وهو مفهوم يجعل هذا العداء خارج أى سياق تاريخى أو اجتماعى أو ثقافى، ومن ثم لا يمكن فهمه أو تفسيره أو حتى انتقاده، فلا يبقى سوى الخضوع لهيمنته (المراجع) .

على أن الجديد الذى جاء به النموذج ما بعد الصهيونى هو الذى يقدم تفسيراً للغز الذى تحدث عنه إدوارد سعيد، فهذا النموذج مازال فى طور التجريب ويبدو مضطرباً جزئياً رغم جرأته فى تحطيم المقدسات وما شقه من طريق، فهو يورط نفسه فى الدفاع عن بعض المبادئ الصهيونية فيما يرفض الأخرى وهو يشبه فى ذلك ما ذكره "جرامشى" عن "الدفاع العاطفى عن نظام اجتماعى ميت والتألم المفاجئ من ميلاد نظام جديد"<sup>(٢٣)</sup>. ومن المعروف أن الحالة الانتقالية عادة ما تشهد بروز فكر متناقض وغير متناسق، وهذا التحول المضطرب ليس أيديولوجياً فقط، بل يحمل سمات فكرية وديموجرافية<sup>(٢٤)</sup>، فى حين أن النماذج القديمة لم تعد قادرة على تقديم تفسيرات مقنعة لألغاز ومعضلات إسرائيل المعاصرة. ويصف "باروخ كمرلنج" ذلك فى بحثه عن انهيار الهيمنة الإشكنازية<sup>(\*)</sup> و "الاشتراكية" والمؤسسية والعلمانية (والتي تقابلها الكلمة العبرية "ahuselim" المرادفة لثقافة الرجل الأبيض البروتستانتى "إلوااسب" WASP فى الولايات المتحدة)<sup>(٢٥)</sup>. وفى كتابه المهم عن المجتمع الإسرائيلى أوضح "كمربلنج" أيضاً<sup>(٢٦)</sup> أن إسرائيل تحولت إلى مجتمع متعدد الثقافات وتعدى بعكس الواحدية الثقافية التي صورها الحلم الصهيونى المبكر.

ويناقش "إيهود شنهاف" Shenhav فى دراسته الممتعة الجديدة المحاولات الرسمية الصهيونية لاستغلال مطالب تعويض اللاجئين اليهود من العالم العربى (يهود المزارحى)<sup>(\*\*)</sup>

(\*) رغم اختلاف المصادر الدينية والتاريخية واللغوية فى تحديد أصل مصطلح "الإشكناز" ودلالته ، فقد استقر معناه فى العصر الحديث باعتباره مصطلحاً يشير إلى اليهود الغربيين ، وبخاصته ذوى الأصول البولندية والألمانية والفرنسية ، الذين انتشروا فى أوروبا فى القرن السابع عشر وهاجرت أعداد كبيرة منهم إلى الأمريكتين وأستراليا ونيوزيلندا خلال القرن التاسع عشر . ويعتلى اليهود الغربيون قمة الهرم الاجتماعى والسياسى والاقتصادى فى إسرائيل ويتحكمون فى معظم مؤسسات الدولة وفى توجيهها العام (المراجع) .

(\*\*) من الواضح أن ثمة خطأ فى استخدام الكاتب لكلمة "مزارحى" للإشارة إلى يهود البلدان العربية . فالكلمة هى مزج لكلمتين بالعبرية هما "مركز" و "روحانى" ، وتشير إلى حركة صهيونية بدأت بوادرها فى المؤتمر الصهيونى الثانى (١٨٩٨) ، وتبلورت مع عقد أول مؤتمر عالمى مستقل للحركة فى عام ١٩٠٤ . وتطرح الحركة شعار "أرض إسرائيل لشعب إسرائيل حسب شريعة وتواراة إسرائيل" ، الذى يؤكد التمسك بالدور المحورى للدين فى المشروع الصهيونى وعدم اعتباره قضية شخصية ، فضلاً عن السعى لتحقيق التصور الصهيونى ، المستند إلى تفسير خاص للنص التوراتى ، عما يسمى "أرض إسرائيل الكاملة" التى تمتد من النيل إلى الفرات (المراجع) .

كدعوة مضادة للمطلب الفلسطيني بالتعويض، ولكن هذه المحاولات تعد بالونات اختبار أو طلاقات تحذيرية مكررة لأن الخطاب الصهيوني يطالب بهوية يهودية قومية بما يقيد دعوى الهوية العربية - اليهودية المتميزة التي وفرت الأساس لمطالب الوضع المتساوى للاجئين الفلسطينيين، فالصهيونية تنظر إلى الخطاب العرقي للمزרחي بأنه "شأن يهودي داخلي" في إطار المذهب الصهيوني حول الجامعة اليهودية. ولا تزال الصهيونية تصر على فرض الثقافة الصهيونية على اليهود العرب في إطار عملية استيعاب المزרחي كتجمع يهودي - عربي مخترب ومنفصل في التجمع الإسرائيلي<sup>(٣٧)</sup>، لكن اليهود العرب أقدموا في السنوات الأخيرة على صياغة تعريف محدد يؤكد كينونتهم داخل المجتمع الإسرائيلي، بالقدر نفسه الذي يسعى به التجمع الكبير من المهاجرين الجدد من الاتحاد السوفييتي السابق إلى المشاركة في الساحة السياسية والاجتماعية الإسرائيلية ليس كأفراد ولكن كمجموعة متميزة تحافظ على هويتها المنفصلة عبر استخدام اللغة الروسية<sup>(٣٨)</sup>.

مثل هذه الأفكار لا تنطوي في ذاتها على هدم الهوية الصهيونية للدولة، كما حدث في الديمقراطيات الليبرالية الأوروبية حيث تم الحفاظ على الطابع التعددي والمتعدد الثقافات للمجتمع تحت تأثير أيديولوجيا قومية للدولة تحمي الإثنية الرسمية، ولكن التعددية الثقافية وسياسة الاختلاف - أي الأيديولوجيات التي تعطي قيمة معيارية للتنوع الثقافي ومطلب الاعتراف بالأقليات الإثنية في المجال العام - أسهمت وبنفس الطريقة في تقويض ثوابت القومية الأوروبية القديمة التي اشترطت التجانس الثقافي للدولة القومية. وهكذا تواجه الدولة الإسرائيلية موقفاً مشابهاً من انكشاف التصدعات التعددية والمتعددة ثقافياً والتي فرض عليها مذهب الواحدية الثقافية (أي الصهيونية) والذي دافع عن موقفه النمطي الرئيسي وهو فكرة الأمة اليهودية المتفردة العائدة إلى أرض الأجداد. بيد أن "كمرانج" يعترض على ذلك بقوله إن واحداً من أهم التغيرات الجوهرية الطارئة على إسرائيل هو تبخر صورة المجتمع الموحد المتفرد والتراجع الملموس للهوية الإسرائيلية الفريدة، وهو يحدد سبع ثقافات وثقافات مضادة، بما فيها ثقافة عرب إسرائيل، ويعترف بعدم تجانس أي من هذه الثقافات، ويكمل ذلك انقسام فرعي متواصل للذاكرة الجمعية والقومية إلى رؤى عديدة متصارعة<sup>(٣٩)</sup>.



ويتضح من الدلائل المتزايدة التي يوردها عدد كبير من الإصدارات من مجموعة من المنظورات أن ثمة تغيرات ملموسة حدثت في إسرائيل، وأن هذه التغيرات لا يمكن الإحاطة بها عبر أدوات تحليلية تقليدية وأطر أيديولوجية صاحبت تطور الصهيونية، وتوجد في الوقت نفسه أصوات متنوعة من منظورات متصارعة أحياناً ومواقف تحاول تقدير هذه التغيرات الحادة عن طريق أطر تحليلية ومفهومية ترفض النموذج الصهيوني التقليدي. لقد خطت الأدلة المتنوعة وذات القيمة العالية خطوة مهمة نحو إحداث تغيرات منهجية ومعرفية، ومع ذلك وفي إطار الظروف التي ناقشها "إيوارد سعيد"، لا تزال النماذج البديلة غير واضحة بعد ولا يزال التحليل في بعض الحالات يعاني التناقض وعدم الحسم، فالأساتذة الذين طرحوا مناقشات بالغة الأثر وأدلة مؤثرة على هذه التغيرات المنهجية الرئيسية ما زالوا غير مقتنعين بما حدث من عداء لفكرة ما بعد الصهيونية، وقد قطع كمرانج - أكثر من شخص آخر - شوطاً طيباً في الإحاطة بالتغيرات ذات الواقع والحادثة في إسرائيل. ولكنه ورغم ما عرضه للتصنيف (السياسي والأيديولوجي) من قبل المؤيدين والمعارضين لمفهوم ما بعد الصهيونية، لكنه يبقى منتقداً رغم ذلك للمصطلح.

لقد لفتت هذه التغيرات السريعة بخصوص الأوزان النسبية لمجموعات متنوعة داخل الدولة الإسرائيلية نظر كثير من المراقبين المعاصرين، وكذلك تحول هذه الدولة من نسق أحادي الثقافة إلى متعدد الثقافات بما يجسد بداية "العصر ما بعد الصهيوني". لكن هذا المفهوم إشكالي ولا يساعد على التحليل لأن هذا النوع من النهايات على غرار الموضحة مثقل بمشاعر سلبية أو إيجابية قوية (مستند إلى تحليل أيديولوجي) ويفتقر إلى الدقة التفسيرية<sup>(٤٠)</sup>.

وكان "إيهودا شنهاف" قد ذهب في الفترة الأخيرة إلى حد القول بضرورة "التوقف عن استخدام مصطلح ما بعد الصهيونية لأنه يصيب الناس بالاضطراب"<sup>(٤١)</sup>، فهو لم يعتبر "ما بعد الصهيوني" فقط من قبيل المعارضين، بل يكشف عن القيود والغموض والاتجاه السلطوي للصهيونية ناحية اليهود والعرب في إسرائيل.

ويتناول "نيرى ليفنه Neri Livneh من الجدل الذي انتشر في صفوف "جماعة الخضر الديمقراطيون من يهود المزارحي" "the Mizrahi democratic Rainbow"، وهي منظمة تهدف إلى تعريف الرأي العام في إسرائيل بالضرر الذي لحق باليهود العرب والفلسطينيين. ويزعم المعارضون الأشداء لتيار ما بعد الصهيونية أن هذه المنظمة تعمل على إدارة حوار ثرى مع المجتمع الإسرائيلي وتحاول سرد تاريخ المجتمع الإسرائيلي من وجهة نظر يهود المزارحي ولا تقدمه في قالب النمطى / التقليدى للماضى كما طرحه الرجال الأشكناز، وهو الأمر الذى تعكسه هذه العبارة : "أنا أعتقد أننا لسنا ما بعد صهاينة لأننا لسنا جماعة تسعى لتقويض الدولة" (٤٢).

يبدو لى أن الدقة تقتضى - فى ضوء الأسباب سالفة الذكر - ضرورة الاستمرار فى استخدام مصطلح "ما بعد الصهيونية" ولكن مع تطعيمه بمشروع تطفى عليه الديمقراطية بما يمكنه من التغلغل ببطء بمعان واضحة، وفى إطار المرحلة الانتقالية الناجمة عن التغير فى القيم فى إسرائيل صار مصطلح ما بعد الصهيونية "عديم الدلالة" (٤٣) يفتقر إلى عمق المعنى ما سمح للمؤيدين والمعارضين بإدخاله بسهولة فى خطابات متصارعة. وبعبارة أخرى، فقد أصبح المصطلح مجرد تجريد ناتج عن مجموعة متنافرة من العداوات ولم يتطور إلى مشروع مهيمن واضح. وصار سيئ السمعة لأنه لم يتواءم مع المصطلحات الحالية المسيطرة (مثال ذلك قول رواده إن الرواية الصهيونية للتاريخ اليهودى لا تستطيع تفسير انتشار الإثنيات فى إسرائيل)، وكذلك بسبب إساءة استخدامه من قبل المدافعين عن النظام القديم الذى يوجهون إليه الاتهم بخلق مجموعة سلبية من الدلالات، حتى إنهم يروجون أن ما بعد الصهيونية معنى سيئ لا يقرن من قريب أو بعيد بالصهيونية "ذلك المفهوم الجيد أو الخير". ويشرح الأستاذ "دافيد نيومان" ذلك بقوله :

"هناك حملة منظمة للتشهير التام بأى فرد يفكر بأسلوب مختلف بشأن المجتمع الإسرائيلى، وخصوصاً إذا كانت هذه الأفكار تدعو إلى إسرائيل معاصرة كمجتمع تعددى ومدنى أو تتحدث عن شرعية قيام دولة فلسطينية، باختصار، أى شىء يدخل تحت عنوان "ما بعد الصهيونية". رغم حقيقة أن هذا المفهوم لا يخرج عن كونه نسخة رديئة من الجعبة التى يريد أى فرد أن يفكر من خلالها بشكل مختلف" (٤٤).

وهناك أيضاً بعض الناقدين للنظام القديم من غير القادرين أو العازقين عن المشاركة فى حركة واسعة مضادة للهيمنة [هيمنة النموذج الصهيونى] يستخدمون المفهوم بطريقة سلبية، إذ يستعملونه للتدليل على خصوصية مطالبهم ولتأكيد اختلافهم بشأن قضايا كبرى (مثال ذلك القول "نحن نرغب فقط فى تطوير وضعية المزارحى لا أن ننهب إلى القضية الفلسطينية، وهذا ما يفسر كوننا ما بعد صهاينة"). وتتركز المهمة فيما يتلو الصراع الطاغى إبان الفترة الانتقالية فى تطعيم المفهوم بقدرة تفسيرية يفتقدها الآن عبر صياغة عدد من البدائل للنموذج الصهيونى ومحاولة حشد تجمعات متنوعة أضررت من النظام القديم، ومن ثم فإن أفضل وسيلة للتخلص من الاستخدام المضطرب للمفهوم هى فى إدخاله ضمن نقاش فعال حول القضايا التى يعتبرها هذا الاستخدام إشكالية (الديمقراطية، الفلسطينيون، الإسرائيليون، اليهود العرب، التعدد الثقافى، نور الإثنية فى الحياة العامة)، وكذلك محاولة صياغة شبكة معان/دلالات تكمل الاستخدام السلبي للمفهوم وتدعم حجته عبر مشروع إعتاق أكثر عمومية<sup>(٤٥)</sup>.

وربما يكون النقاش حول التعدد الثقافى أفضل المجالات الواعدة فى ضوء الظروف الإسرائيلية الحالية، فحتى وقت قريب لم يكن هذا المفهوم - التعدد الثقافى - مألوفاً فى إسرائيل، إذ ارتبط ببرز مشكلة المزارحى والمهاجرين الروس، حيث يطالب كل منهما بنوع من الاعتراف الجماعى الذى لا تقبله الحدود التى وضعتها الصهيونية. بيد أن فكرة الرابطة القومية المدنية تنطوى بدورها على مخاطر وتناقضات<sup>(٤٦)</sup>، فهى غالباً ما تعيد الإثنية من الباب الخلفى فى صورة معيارية بغیضة. ومن شأن جدل جاد وشامل حول التعدد الثقافى والحقوق الديمقراطية للجماعة ما يوفر الحماية لدعوة ما بعد الصهيونية من الوقوع فى خطر الغواية وهزيمة الذات بخصوص تحديد هوية الدولة سواء بشكل مفردات قومية مدنية - توحيدية أو علمانية<sup>(٤٧)</sup>، فلا يمكن لدولة قومية موحدة أن تكون علمانية خالصة أو "غير إثنية" تماماً. وإذا ما صممت دعوة ما بعد الصهيونية على الدفاع عن قومية علمانية - مدنية فسوف تفسح المجال أمام رواج اتهامين موجهين لها كما يقول "ويليام كونللى" Connelly<sup>(٤٨)</sup> : فهوية هذه الدولة المقترحة سوف تكون خاوية لأن الصورة المدنية للدولة سوف تشتق من الخبرات الثقافية

"المحدودة" و "الإسرائيلية" الصارخة التي سوف تعطىها القابلية للحياة، كما أنها سوف تكون منافقة لأنها تستمد جاذبيتها من الثقافة "الإثنية" الإسرائيلية، أو مما يصفه "كمزلنج" بثقافة الأشكنازى الأبيض ahusel . وبدلاً من ذلك يجب أن يتركز الهدف فى بناء دولة متعددة القومية تتيح حقوقاً مقدسة دستورية لكل جماعة من جماعاتها.

لكن ذلك لا ينفى أن الجدل بدأ بالفعل حتى لو كانت البداية شاقة، ولا يزعم هذا الكتاب طرح نموذج لدعم خطاب ما بعد الصهيونية، فهدفنا هنا أكثر تواضعاً وهو : تعريف الجمهور القارئ بالإنجليزية بالتحدى الذى تطرحه دعوة ما بعد الصهيونية من منظورات مختلفة ومتناقضة فى كثير من الأحيان مع النظام الصهيونى القديم، فالهدف هنا هو بيان الحجة الخالصة من المنبع والاختلاف الذى ولدته من منظور سياسة إسرائيلية راديكالية وديمقراطية. ويلاحظ أن بعض المساهمين فى هذا الكتاب يؤيدون دعوة ما بعد الصهيونية وبعضهم الآخر يوجه انتقادات لها ، وهناك آخرون لا يتبنون موقفاً محدداً بشأنها.

وفى حين يرى "يورى رام" أن غالبية السكان من اليهود المولودين فى إسرائيل صهاينة، فإن منطق الصهيونية تم تجاوزه بقوة بين عقدى السبعينات والثمانينات من القرن الماضى عن طريق تيارى الصهيونية الجديدة وما بعد الصهيونية، وتعتبر الصهيونية الجديدة عن حركة استيعادية ماشيحانية وأصولية دينية تؤمن بأرض إسرائيل الكاملة وقداسة الأرض كمصدر رئيسى للهوية. لكن نزعة ما بعد الصهيونية تقدم منظوراً معارضاً بشكل دائرى، فقد ظهرت بين الطبقات الوسطى فى السهول الساحلية وتنتشر أساساً بين الأفراد ولا تهتم كثيراً بالأساطير التاريخية وتلتزم أكثر بالحقوق المدنية لا بالقومية الإثنية. ويعتقد "يورى رام" أن كلا من الصهيونية الجديدة وما بعد الصهيونية يتعايشان معاً فى إطار جنينى فى ظل الصهيونية الكلاسيكية، ويبدو الجديد فى أن فعالية أحدهما سوف تكون على حساب الآخر.

ويتعرض "إيلان بابيه" للصدام بين التيارات الأيديولوجية الرئيسية الثلاثة داخل الصهيونية، حيث يتمثل التيار القيادى فى الصهيونية التقليدية التى ينتمى إليها حزب



العمل والليكود ويعبر عن المبدأ الرئيسى الموجه لسياسة الحكومة منذ ميلاد الدولة، أما الصهيونية الجديدة فهي تفسير متطرف للصهيونية وهى عبارة عن تحالف قلق بين الحاخامات الأرثوذكس والمستوطنين القوميين المتعصبين ويؤيدهم القادة الروحيون ليهود المزارحى، والتيار الثالث هو ما بعد الصهيونية كظاهرة يهودية - كما يراها بابيه - عن مرحلة انتقالية خارج الصهيونية، ولكنها غير واضحة بسبب حاجتها لتحديد المستقبل فى جدل مشترك مع الفلسطينيين. وهذا ما يعطى الصهاينة الجدد اليد العليا، وإن كان يمكن تحديدهم عبر تقديم تعريف شجاع للأهداف من جانب من يقفون فى المعسكر الديمقراطى عن طريق إرادة الطرف الفلسطينى فى الانضمام لجدل جاد ومفتوح حول حل يقوم على أساس مدنى وديمقراطى وكذلك رغبة الولايات المتحدة والحلفاء الأوروبيين فى ممارسة ضغوط على الحكومة الإسرائيلية.

ويعتقد "أفيشاى إيرلخ" أن المشروع الصهيونى لا يزال يتطور وأنه يمكن فهم دعوة ما بعد الصهيونية كنقد ليبرالى للصهيونية بالتوازي مع الانتقادات الاشتراكية والدينية الأرثوذكسية للصهيونية، وقد ظهرت دعوة ما بعد الصهيونية عقب الحرب الباردة عقب بروز نظريات العولمة، ومن ثم صارت ما بعد الصهيونية بمثابة الرؤية الإسرائيلية المحلية للعولمة. وكانت عملية أوسلو إحدى تداعيات انتهاء الحرب الباردة على الشرق الأوسط ومن الملفت للنظر أن دعاة ما بعد الصهيونية يظنون خطأ أن الصراع الإسرائيلى - الفلسطينى يمكن حله أساساً عبر اندماج أكبر لإسرائيل فى الأسواق العالمية، وعلى العكس من ذلك يعتقد "إيرلخ" أنه بسبب فشل عملية أوسلو سوف تصبح إسرائيل مشدودة أكثر ناحية "اليهودية السياسية" ("الأصولية" اليهودية) على حساب الصهيونية العلمانية.

أما أسعد غانم فيرى أن المواقف العامة التى تتخذها الكتلتان السكانيتان فى إسرائيل : الأغلبية اليهودية والأقلية الفلسطينية، تختلف على الهوية المدنية المشتركة المتوقعة فى الإطار ما بعد الصهيونى، فاليهود يتبنون قيماً صهيونية تقليدية فيما يؤمن الفلسطينيون بمواقف ما بعد الصهيونية حتى لو وافق أفراد المجموعتين شكلاً على

أنهم مواطنون فى الدولة نفسها. ووجودهم الرسمى فى ذاته ليس له مغزى بالنسبة لتطور هوية "إسرائيلية" مشتركة من النوع الموجود فى الدول الديمقراطية. ويخلص غانم، بعد مناقشته لنتائج دراسة ميدانية أجريت على اليهود الإسرائيليين والمواطنين الفلسطينيين فى إسرائيل، إلى أن الفجوة بين الموقفين لا تزال واسعة وسوف يتطلب الأمر تغييرات كبيرة على جانب كبير على جانب الأغلبية المتمركزة حول الإثنية لى تنال الأقلية الفلسطينية الحقوق نفسها على قدم المساواة.

ويتناول "إفرايم نيمنى" ظاهرة ما بعد الصهيونية من منظور يهود الخارج / الدياسبورا، ومن رأيه أن جدل ما بعد الصهيونية فى إسرائيل سوف يؤثر إيجابياً على الأسس العامة والهوية وأسلوب حياة التجمعات اليهودية فى الخارج، فبدلاً من توجيه موارد وطاقات ثمينة لدعم الحكومة الإسرائيلية فى صراعها مع الشعب الفلسطينى - ذلك الصراع الممتد وغير المرتبط بظروفهم الحالية - ينبغى على التجمعات اليهودية العمل على بناء مؤسسات يهودية راسخة فى الخارج وتقديم إسمهم فعال فى ترسيخ أسس التعدد الثقافى الذى يعد شرطاً ضرورياً لبقاء واستمرار يهود الخارج.

أما "هنا هرتزوج" فلا تنظر إلى ما بعد الصهيونية كقطيعة مع الصهيونية ولا كنوع من معاداة الصهيونية ولكن تعتبرها بمثابة مسعى إلى مجتمع أكثر مساواة فى إسرائيل بالقدر نفسه الذى تعمل فيه ما بعد الحداثة على تصحيح وتحسين الحداثة، هذا إلى جانب ما تراه من أهمية التمييز بين ما بعد الصهيونية كوضع اجتماعى وما بعد الصهيونية كمطلب أساسى. فما بعد الصهيونية كشرط اجتماعى تثير الجدل حول تعيين الأطر الاجتماعية وتعريف السمة أو الكينونة الجمعية والدولة. وكأداة سياسية تستعير دعوة ما بعد الصهيونية فكرتين مركزيتين من الخطاب ما بعد الحداثى وهما نهاية الرواية الشمولية / الكبرى للتاريخ ونهاية المنطق التدميرى للفكرة التى تزعم الاستمرارية التاريخية للبشر. فى هذا الإطار ظهرت تصورات متنوعة حول إشكالية وضع المرأة فرضت نفسها فى إطار المواجهة مع الخطاب الصهيونى السائد. وبينما يدعو الخطاب ما بعد الصهيونى إلى تغيير فى وضع الفرد فى علاقته بالمجتمع فإن الخطاب النسوى ما بعد الصهيونى هو فقط الذى يحول هذا المطلب المجرد إلى كلام محدد.

وتتناول "هنرييت دهان - كاليف" موضوع تحدى قضية الفروق بين الجنسين والإثنية للخطاب الصهيونى السائد، ثم تطرح سرداً تاريخياً مدققاً ونابعاً من القلب لمظاهر الإحباط والألم والمعاناة الشديدة التى تعرضت لها فتاة يهودية قادمة من بلد عربى [المزراحى] كبرت فى مجتمع يزدري أو يسخر من خلفيتها التى جاءت بها، إذ اعتبر هذا المجتمع خلفيتها التى جاءت بها غير الأوروبية كمعوق وحاول فرض الصفات الإشكنازية عليها عبر تصوره عن النوع تبعاً للمظهر الجيد أو الطيب وتخلص إلى أن قصتها صورة من القمع أساساً : القمع الأموى الأوروبى الاستعماري الغربى الصهيونى. وقد أحست مثل بقية المزراحى غير المتدينين بالاغتراب المزدوج، أى بصعوبة العودة إلى جذورها وبالألة التى تسحق كل شىء فيها لا ينتمى إلى الهيمنة الأشكنازية الصهيونية الإسرائيلية الأوروبية التى تعتمد إلى التشويه.

ولعل قارئ هذا الكتاب وصل إلى موقف يمكنه من الحكم على دعوة ما بعد الصهيونية فى جدتها وغموضها ووعودها وتناقضها، ولا يمكن القول إن القضايا التى أثارها دعوة ما بعد الصهيونية بحثت بالشكل الكافى، كما أن التساؤلات الرئيسية التى كشفت عنها بخصوص إسرائيل المعاصرة سوف تبقى حاسمة بالتأكيد بخصوص مستقبل الدولة الإسرائيلية، وحتى لو وصل القمع العنيف للمجتمع الفلسطينى إلى مستويات حادة لم يسبق لها مثيل فى السنوات الأخيرة، فإن القضايا المثارة من جانب ظاهرة ما بعد الصهيونية لم تغب تماماً عن الجدال العام . فالحوار مع الفلسطينيين لابد أن يعود عاجلاً وليس آجلاً، إذ تبين فى استطلاعات الرأى أن الأغلبية الكاسحة من الفلسطينيين والإسرائيليين تعتقد بذلك، وأن القضايا التى سوف يثيرها هذا الحوار حتماً سوف تدعم التحدى الذى قدمته دعوة ما بعد الصهيونية، فسواء كنا فى حرب أو سلام فقد انطلقت الكلمة الأخيرة لدعوة ما بعد الصهيونية.

## هوامش المقدمة

(١) مثال ذلك المحاولة التي جرت لإبعاد واحد ممن شاركوا معنا في هذا الكتاب ومن أبرز دعاة تيار ما بعد الصهيونية وهو الأستاذ "إيلان بابيه" من جامعة حيفا بذريعة زائفة هي سلوكه غير المهني، انظر حول خلفية الموضوع :

- John pilger's column in the New Statesmen, 3 June 2002, pp.11-12

ويرى "تيرى ليفنه" Livneh عبر سلسلة المقالات المهمة حول ما بعد الصهيونية التي نشرها في جريدة هآرتس (ومنها مقال بعنوان "ما بعد الصهيونية تدق ناقوس" "Post-Zionism only rings once" ، هآرتس، ٢٢ سبتمبر ٢٠٠١)، "الحقيقة أن "بابيه" وآخرون (من دعاة هذا التيار) نجحوا في تعرية معارضيتهم الأيديولوجيين سواء من داخل أو خارج الوسط الأكاديمي، مما جعلهم يتخذون مواقف عدائية ليس فقط ضد الآراء المخالفة، بل أيضا ضد من يرتبطون بهم".

(٢) See Solomon Socrates "Israel's Academic Extremists" in Middle East quarterly, fall 2001.

والذي يقدم نموذجا على اتجاه شبه تآمري يتركز همه الأساسي في هدم اليسار العامل في المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية.

(٣) See "Classwar", Suzanne Goldenberg's report in the Education Guardian, 31 July 2001

وفي لقاء تم مؤخرا مع الوكالة اليهودية، زعمت الوزيرة "ليفنات" أن دعاة ما بعد الصهيونية أو مناهضي الصهيونية يختلفون الأكاذيب ويشوهون التاريخ : "إن حرية التعبير هي التي سمحت لهؤلاء بالإعلان عن آرائهم، ولكننا لن نسمح لهم بالمشاركة في تأليف المقررات التعليمية، وسوف يسمح فقط لمن يؤيدون الصهيونية بالمشاركة في العملية التعليمية"، انظر :

<http://www.jafi.org.il/agenda/2001/english/wk23/4.asp>.

وأنا أشكر هنا "بنينا فيربنر" Penina Werbner لأنها لغت نظري لذلك الأمر.

(٤) Limor Livant, "A World of Falsehood", in Jerusalem Post, 19 March 2001, p.8

أتوجه بالشكر هنا للسيدة "هيلين برينجل" Pringle لأنها قدمت لي هذا المقال.

(٥) Antonio Gramsci, Selections from the Prison Notebooks , ed. and trans. Quintin Hoare and G. Nowell Smith, Lawrence and Wishart, London 1976, pp. 12 - 17.

(٦) See Charles Taylor, "The Politics of Recognition", in C. Taylor and Amy Guttmann (eds.), Multiculturalism: Examining the Politics of the Recognition, Princeton University Press, 1994.



(٧) مثل هذه المصطلحات تعد مشكلة في ذاتها، انظر تحليلاً نقدياً في مقدمة هذا الكتاب والملاحظات الختامية لها :

J. Couture, K. Nielsen, S. Symour (eds), *Rethinking Nationalism*, University of Calgary Press, 1996; W. Connolly 'Pluralism, Multiculturalism and the Nation-State: Rethinking the Connections', *Journal of Political Ideologies*, vol.1, no.1, 1996, pp. 53-73 and Taras Kuzio, 'Nationalizing States or Nation-Building? A Critical Review of the Theoretical Literature and Empirical Evidence', in *Nations and Nationalism*, vol.7, no.20, April 2001, pp. 135-54.

Oren Yiftachel (1998), 'Nation' Building and the Division of space: Ashkenazi Domination in the Israeli "Ethnocracy", in *Nationalism and Ethnic politics*, vol. 4, no. 3, pp. 33-58

ويشير مفهوم نظام الحكم القائم على العرق ethnocracy إلى نظام سياسي تأسس على قاعدة حقوق استثنائية في مجال المواطنة تمنح على أساس الانتساب لعرق معين كمبدأ حاكم، وذلك لضمان التحكم في معظم المؤسسات المهمة للدولة لصالح تجمع عرقي معين، انظر :

[www.statsvitenskap.uio.no/ansatte/serie/notat/fulltekst/0193/Ethnocr-2.html](http://www.statsvitenskap.uio.no/ansatte/serie/notat/fulltekst/0193/Ethnocr-2.html).

(٩) لا يمكن تناول مثل هذه المناقشة النظرية المعقدة هنا، انظر :

W. Kymliocka and C. Straehle (1999) 'Cosmopolitanism, Nation-States and Minority Nationalism: A Critical Review of Recent Literature', in the *European Journal of Philosophy*, vol. 7, no. 1, April, pp. 65-88; Sasja Templeman (1999) 'Constructions of Cultural Identity: Multiculturalism and Exclusion', in *Political Studies*, vol. 47, no. 1, March, pp. 17-31; E. Nimni (1999) 'Nationalist Multiculturalism in Late Imperial Austria as a Critique of Contemporary Liberalism: the Case of Bauer and Renner', in the *Journal of Political Ideologies*, vol. 4, no. 3, October, pp. 289-314.

(١٠) حول ما بعد الصهيونية والدياسبورا اليهودية انظر :

David M. Gordis, 'Toward a Post-Zionist Model of Jewish Life', in Raphael Patai and Emanuel Goldsmith (eds), (1995) *Events and Movements in Modern Judaism*, New York, Paragon House, pp. 197-218.

في هذا الكتاب ينتقد "جورديس" مرتكزات الصهيونية بعنف ولكن من القطيعة التامة معها بسبب عدم قدرتها على تفهم الطابع الخاص للعلاقة مع يهود الدياسبورا عبر إدراك عزوف اليهود الغربيين في الخارج عن الهجرة لإسرائيل بما يجسد نفى الدولة (اليهودية) shalilat hamedinah ، حيث يعتقد "جورديس" أن هذا النفي يرجع أساساً إلى تجاهل الصهيونية لشرعية حياة اليهود في الخارج shalilat hagolah انظر ص ٢٠٨ .

Chaim Waxman (1997) 'Critical Sociology and the end of Ideology in Israel' in (١١) Israel Studies, vol. 2, no. 1, pp. 194-210.

(١٢) يمثل التمييز بين "مناهضة الصهيونية" و"التعاطف مع الصهيونية" ممارسة قديمة ومثيرة في إطار السياسات الراديكالية الإسرائيلية، حيث يعترض الاتجاه الأول على شرعية الدولة الإسرائيلية كما هي حالياً، في حين يقبل الاتجاه الثاني شرعية وجود إسرائيل كنزلة قومية وإن أثار التساؤل حول ضرورة أن تكون إسرائيل دولة يهودية أم لا، ويمكن القول إن هناك مواقف نبعت من الجدل حول "قانون العودة" تلك الأداة الحقوقية التي تمنح المواطنة لأي يهودي يقبل بالهجرة لإسرائيل، ولكن المجال لا يسمح هنا لمزيد من التحليل.

(١٣) هناك حالة صارخة تدل على ذلك وهي حالة الفيلسوفة السياسية الليبرالية البارزة "يائيل تامير" Yael Tamir في مقال منشور في جريدة هآرتس في ١٤ مايو ٢٠٠٢ بعنوان "تقسيم الأرض أم تقسيم الديمقراطية"، حيث تلقى النظر على الموقف "المعتدل" و"المتسامح بخصوص الأرض" تجاه الدولة القومية اليهودية التي تدافع عنها وهي تعتبرها بمثابة منتصف الطريق بين ما بعد الصهيونية التي ينادى بها "عزى بشارة"، ذلك العضو العربي الإسرائيلي في البرلمان والذي تعرض للاضطهاد، وصهيونية الجنرال (إيفي إيتان) الوزير المتطرف الذي يمثل الحزب القومي الديني المغالي في الصهيونية في حكومة شارون والذي تتهمه تامير بالازدواجية. ومع ذلك تعتقد الأستاذة تامير في كتابها المهم القومية الليبرالية الصادر عن جامعة برنستون، ص ٢، أن "عصر الدول القومية المتجانسة والقبالة للحياة قد ولى"، ومما يساعد حملة تامير ضد ازدواجية الوزير إيتان قدرتها على تفسير ما تقوم به من التوثيق بين تأييدها لدولة يهودية قومية "معتدلة" وما ذكرته آنفاً.

Kevin Avruch (1998) 'Political Judaism and the post-Zionism Era' in Judaism, (١٤) vol. 47, no. 2, spring, pp. 146-59.

See Yasemin Soysal (1994) limits of citizenship: Migrants and Postnational (١٥) membership in Europe, Chicago, University of Chicago Press.

(١٦) انظر بشأن الجدل بين الفكرتين ما بعد القومية ومنهج سياسة الاعتراف السجال بين "تشارلز تايلور" و"يورجن هابرماس":

Charles Taylor (1994) Multiculturalism: Examining the Politics Of Recognition, Edited and introduced by Amy Gutman, Princeton, Princeton University Press.

(١٧) أثارت هذه الحجة عند نشرها تقييماً سلبياً لسوء الحظ من قبل مجموعتين من الأساتذة الجادين، انظر:

Gershon Shafir and Yoav Peled (2002) Being Israeli: The Dynamics of Multiple Citizenship, Cambridge, Cambridge University Press.

See Uri Ram 'the promised land of business opportunity: Liberal Post-Zionism in (١٨) the global age', in Gershon shafir and yoav peled (eds.) (2000) the new Israel peace making and liberalization, Boulder, Colo, Westview.

- (١٩) ناقش "يوري رام" هذا التغير في النموذج الفكري في كتابه الصادر عام ١٩٩٥ .  
The changing Agenda of Israeli Sociology, New York, State University of New York Press.
- ويبدو لي أن هذا التغير يتجاوز علم الاجتماع الإسرائيلي ليشمل مختلف العلوم الاجتماعية في إسرائيل.
- (٢٠) Etienne Balibar (1978) "From Bachelard to Althusser: The Concept of "Epistemological Break", in economy and society vol. 7, no. 3 august, pp.207-337.
- (٢١) Baruch Kimmerling (2001) the invention and decline of Israelis, Berkeley, university of California press.
- (٢٢) For an elaboration of this argument, see the pioneering work of Lawrence J. Silberstein (1999) the Post-Zionism debates, London, Rutledge, pp 110-111.
- (٢٣) هناك أمثلة عديدة على هذه الكتابات غير التقليدية أو التي تصطدم مع الشائع وتعرضت لنقاش ومراجعة على نطاق واسع ويكفي هنا أن نشير إلى ما يلي :
- Simha Flapan (1987) The Birth of Israel : Myth and Realities, New York, Pantheon; Benny Morris Refugee Problem, 1947-1949, Cambridge, Cambridge University Press; Benni Morris (1999) Righteous Victims : a History of the Zionist Arab Conflict , 1981-1999, New York, Knopf; Ilan Pappé (1992) The Making of The Arab Israeli Conflict , 1947-51, New York, St. Martine 's Press ; Ilan Pappé'e (1999) The Israel/Palestine Question, London and New York, Routledge; Michael Shalev (1992) Labour and The Political Economy in Israel, Oxford, Oxford University Press; Zeev Sternhell (1998) The Founding Myths of Israel : Nationalism, Socialism, and the Making of The Jewish State, Princeton, Princeton University Press; Avi Shlaim (2000) The Iron Wall: Israel and The Arab World, W.W. Norton; Eugene Rogan and Avi Shlaim (2001) The War for Palestine, Rewriting the History of 1948, With an afterward by Edward Said, Cambridge, Cambridge university Press, For a caricature of the new historians argument from a Zionist perspective, see Efraim Karsh (1997) Fabricating Israeli History: The 'New Historians', London, Frank Cass.
- (٢٤) يعرف عام ١٩٤٨ بأنه عام النكبة والذي يشير إلى شيء أكثر من مجرد هزيمة عسكرية، ذلك أنه يدل على المأساة والمعاناة الناجمة عن طرد الشعب الفلسطيني وتشتته في كل مكان واختفاء مئات القرى وآلاف المنازل من الأرض وإن ظلت محفورة في الذاكرة الفلسطينية.
- (٢٥) Jonathan boyar in (1992) storm from paradise, the politics of Jewish memory Minneapolis university of Minnesota Press, p. 116.



(٢٦) صارت القضية مثاراً لسخرية قاتلة في الحوار بين الفيلسوفة السياسية الليبرالية الأستاذة "يائيل تامير" والمحرر بجريدة نيويورك تايمز "توماس فريدمان"، فقد زعم فريدمان أن " وزيرة الاستيعاب الإسرائيلية السابقة "يائيل تامير" أو "يولي تامير" أخبرته بالقصة التالية "عقب وقوع عملية انتحارية حديثة في القدس قتل فيها ثلاثة إسرائيليون اتصل بي صديق يسأل عما إذا كانت ابنتها المراهقة بسلام خاصة وأن الحادث وقع بالقرب من مركز شباب تتردد عليه ابنتها. وقالت لي "أخبرت صديقي ما يلي : الحمد لله هي بخير. إنها تعيش في أوشفيتز (المعسكر الذي كان يعتقل فيه بعض اليهود الألمان ويتعرضون للموت في عهد النازية)، وكانت ابنة يولي في بولندا وقامت بزيارة معسكر الموت النازي مع مجموعة من أصدقائها، ولكن السخرية التي بدت في كلماتها لم تكن بلا معنى".

Thomas L. Friedman (2002), Reeling, But Ready, in The New York Times, section 4,p.15,28 April.

وأوجه بالشكر لـ " أفيشاي إيرليخ".

Perry Anderson (2001) "scurrying towards Bethlehem", in new left review (٢٧) second series, no. 10, July - august , pp. 22-5.

Edward said (1998) "new history, old ideas", in al-ashram weekly 22-27 May (٢٨) See appendix to this volume.

Morris (1987) the birth of the Palestinian refugee problem 30 stern hell (1998) (٢٩) the founding myths.

Sternhell (1998) The Founding Myths. (٣٠)

Said (1998) "new history, old ideas". (٣١)

Boyarin (1992) storm from paradise, p.120. (٣٢)

Gramsci (1976) prison notebooks. (٣٣)

(٣٤) يزعم هذا الاتجاه أن إسرائيل سوف تتحول في العقد الأول من القرن الحالى كما سوف تصبح الأغلبية الساحقة من بين يهود العالم خلال الجيل القادم بدون الحاجة إلى مزيد من الهجرة اليهودية، لكن ذلك يتناقض مع واقع السكان غير اليهود في إسرائيل الذين يتزايدون بأعداد كبيرة وخصوصاً من المهاجرين من الاتحاد السوفيتي السابق على إسرائيل طبقاً للتعريف القانوني الإسرائيلي لقضية "من هو اليهودي"، هناك أيضاً عدد لا بأس به من العمال الأجانب، فطبقاً لمعلومات "مركز رابابورت لدراسة الاستيعاب" بجامعة بار إيلان The Rappaport Centre for the Study of Assimilation يوجد ٢٨٪ من الإسرائيليين من غير اليهود تبعاً للتعريف الرسمي لإسرائيل، انظر :

David Weinberg (2002) 'A Jewish State?', in the Jerusalem Post, 23June.

Baruch Kimmerling (2001b) Ketz shilton ha-Ahuselim (translated as 'The End of (٢٥) Ashkenazi Hegemony'), Tel Aviv, Keter (Hebrew).



وتعني كلمة "Ahuselim" المرادف العبري للأشكنازية العلمانية والمؤسسية والاشتراكية والقومية. والواقع أن الترجمة الإنجليزية للعنوان السابق غير دالة إلى حد ما، لأن الإحالة ليست إلى الأشكنازية كجماعة عرقية، بل إلى الكلمة العبرية سالفة الذكر، والتي تشبه إلى حد ما النسخة الإسرائيلية من ثقافة الرجل الأبيض البروتستانتي WASP .

(٢٦) Kimmerling (2001a) The Invention.

(٢٧) Yehouda Shenhav (2002) "ethnicity and national memory: the world organization of Jews from Arab countries (WOJA) in the context of the Palestinian national struggle", in the British journal of Middle Eastern studies, vol. 29 no.1 pp.27-56.

(٢٨) M. El-Hajj (2002) "Ethnic mobilization in an ethno-national state: the case of immigrants from the former soviet union in Israel", in Ethnic and Racial Studies, vol.25 no.2 March, pp.238-57.

(٢٩) Kimmerling (2001a) the invention pp.1-2.

(٤٠) Ibid., p. 7.

(٤١) uoted in livneh (2001) "post-Zionism only rings once".

(٤٢) Ibid.

(٤٣) Ernesto Laclau and Chantal Mouffe (1985) Hegemony and Socialist strategy, London, verso, p. 112; Yanis Stavrakakis (1999) Lacan and the political, London, Routledge pp.77-8 see, in the particular, Ernesto Laclau (1996) "why do empty signifiers matter to politics?", in Emancipation(s), London: Verso.

(٤٤) David Newman (2001) 'Zionist McCarthyism', opinion column in the Jerusalem Post, 14 March, p. 8.

(٤٥) انظر كمثال على الأسلوب الذي تتم به إعادة صياغة خطاب سياسي حول الانعتاق بمصطلحات لا تتعلق بالمسألة الوجودية :

Saul Newman (2001) From Bacunin to Lacan : Anti- authoritaraianism and the Deislocation of Power, Lan Ham , M d., Lexington, pp.173-4.

(٤٦) للتعرف على مزيد من المناقشات حول التفرقة الإشكالية بين القومية المدنية والاثنية، انظر :

Taras Kuzio (2002), the Myth Civic State A Critical Survey Hans Kohn's Frameworke for Understanding Nationalism' in Ethnic and Racial Studies, Vol.25,no.1,20-29 January.

(٤٧) On this topic, See Alain Gagnon and James Tully (eds.) (2001) Multinational Democracies, with a forward by Charles Taylor, Cambridge, Cambridge University Press, 2001; Nimni (1999) 'Nationalist Multiculturalism'.

(٤٨) William Connolly (1999) Why I am not a secularist, Minneapolis, University of Minnesota Press, p. 19.



## الفصل الأول

### من الدولة - القومية إلى دولة بدون أمة : صراعات الأمة والتاريخ والهوية في إسرائيل اليهودية(\*)

يورى رام Uri Ram

#### الجنسية كرابطة و "التاريخانية" :

على مدى القرنين الماضيين، مثلت القومية بالنسبة للحدثة ما كانت تمثله المسيحية للإقطاع في القرون السابقة، فقد غدت عصر تشكل الدولة بتوجه كوني ملائم. فالعالم الذى يسعى سريعا إلى التحرر من موروث الإقطاع وسيطرة الكنيسة ويتحول للرأسمالية وبناء التنظيم البيروقراطى، وحيث قامت آلية السوق بتدمير كل الروابط والمعاني القديمة من جهة، كما هيمنت الدولة على مختلف الانتماءات من جهة أخرى، صارت القومية بمثابة ديانة جديدة للجماهير تدمم بشعور بالتجانس الجماعى وبهدف محدد للوجود. ذلك أن القومية حسبما ذهب "أنتونى سميث" اضطلعت بنور ديانة جديدة تهدف إلى تقويض الإحساس بالعدمية بسبب غياب أية رؤية حول الوجود بعد الموت، وذلك عبر ربط الأفراد بمجتمعات متجددة تتواصل فيها الأجيال من خلال الذاكرة والهوية المشتركة<sup>(١)</sup>. بيد أن القومية لم تصل من التأثير إلى المستوى الذى توسعت به العلمانية وما أثارته من مخاوف. وكان أن حلت "الذاكرة والأمل والتاريخ والمصير"<sup>(٢)</sup>، ومن ثم

(\*) هذا الفصل جزء من دراسة موسعة يجرى إعدادها حول إسرائيل فى عصر العولة، وقام بتمويلها المعهد الأمريكى للسلام بواشنطن والذى يتوجه له الكاتب بالشكر، والآراء والمعطيات والخلاصات الواردة تخص الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن وجهات نظر المعهد.

صار محل الفراغ [الناجم عن تقويض أسس المجتمع القديم]، "التاريخ" صار المعادل الشامل لمفهوم "القدر" المحتوم [الذى كانت تؤكد عليه السلطة الكنسية].

أعلت القومية من شأن التاريخ الدنيوى على حساب التاريخ اللاهوتى، ويؤكد "سميث" أن "التاريخ أصبح المعلم الأخلاقى، والمخلص الزمانى المتعلق بالدنيا"<sup>(٢)</sup>. وبصفة خاصة، أدى المؤرخون دور معلمى الأمة وواعظيها، إذ "صاغوا أشياء كثيرة متناثرة ضمن نمط [تفسيرى منهجى] واضح ومتناغم" و "جسدوا الصور المثالية للتاريخ البشرى فى حقائق ملموسة مستندة إلى معارف حديثة منظمة"<sup>(٤)</sup>. وقام الأكاديميون والمؤرخون بإعادة اكتشاف أو إعادة صياغة التاريخ القومى، ولم يشعروا - كما يرى "سميث" - بالأسى من توظيف أحدث المناهج والأدوات العلمية فى خدمة مجازفة رومانسية. فقد استخدموا "العلم" من أجل "تدقيق" الاستعارات الخاصة بالشعر عن حياة الجماعات، وشيدوا صورا ومنهجية للبحث عن الماضى الدرامى والمنشود"<sup>(٥)</sup>.

هكذا صار التاريخ عبارة عن "تاريخ" للأصول والأسلاف القومية والأبطال الأسطوريين والشخصيات المثالية، وكذا الأحداث الدرامية والعصور الذهبية والأجداد والتقاليد التى تتسم بالاستمرارية<sup>(٦)</sup>. وتحولت الذاكرة والروايات التاريخية إلى شىء "تاريخانى" فى صورة "حالة ذهنية تعتبر الظواهر الفردية والاجتماعية نتاجاً لأحداث متتابعة توضح قوانين تطور مثل هذه الظواهر"، وكذلك بهدف "صياغة جذور وتطور وغايات كيانات محددة، من خلال بحث تاريخى مفصل"<sup>(٧)</sup>.

وشهدت ثمانينات وتسعينات القرن العشرين مراجعات وسجلات تاريخية فى بلاد عديدة من العالم، وتمثلت أبرز الحالات فى ألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة. والواقع أن هذه المراجعات التاريخية التى استعارت الأطر النظرية لفروع علمية قريبة من علم التاريخ أو تبنت الأحاسيس الفنية والأدبية، غدت ظاهرة عالمية وشغلت رأى العام فى كل من اليابان وأستراليا والهند وإفريقيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية وكندا. ويلاحظ أن قضايا الذاكرة الجماعية والروايات التاريخية بزغت فى عقدي الثمانينات والتسعينات من القرن الماضى كشغل شاغل للأدباء والمفكرين فى شتى أنحاء العالم، وخاصة فى أعقاب البحوث الرائدة للباحثين لمن كتبوا عن الأقليات الذين تحدوا المسار السائد للهويات والروايات التاريخية<sup>(٨)</sup>.



لقد بدا واضحاً أن التاريخ صار التاريخ فى ذاته وأنه تم ربطه بقوة بكل من "الأمة" والقومية. حيث تنبع أزمة الذاكرة عن الرواية التاريخية من مناخ الأزمة الذى يلف "هويات قومية" تنتشر تقريباً فى كل مكان حتى إننا نشهد نسخاً مكررة من المراجعات والتعارضات فى ظل انحسار موجة الجنسية القائمة على القومية، ويتبين ذلك من حالة الانتقال من نمط مسيطر للذاكرة و"التاريخية" إلى شكل آخر يمكن أن نطلق عليه التحول من المفهوم التاريخى إلى ما بعد التاريخى حول سبل التشكل الجمعى. وفى عصر صعود القومية تم اعتبار الذاكرة [بعد إعادة تفسيرها فى إطار التاريخ المتخيل وليس الحقيقى] وريثاً لهويات جمعية راسخة أو كعنصر توحيد قومى. غير أن عصر صعود تشكّل اجتماعى عالمى وثقافة ما بعد الحداثة شهد توظيف الذاكرة ما بعد التاريخية كوريث لهذه الهويات الجمعوية التى تتعرض للتفكك والتحلل والانقسام أو لحالة تجزئة الأمم (كما يشير عنوان كتاب آرثر شليزنجر)<sup>(٩)</sup>.

ويُعد التيار ما بعد التاريخانى مناقضاً للتوجه التاريخانى من زاوية إثارة الشك فى أطروحاته التى دمجت الأفراد والظواهر الاجتماعية فى "هويات" و"قوانين للتطور"، حيث يذهب هذا التيار إلى القول بأن هذا الدمج فرض توحيداً قسرياً على أحداث متناثرة ومبعثرة فى صورة كيانات موحدة وثابتة. ووصل التفكيك إلى حد تصوير "الهويات" التاريخية كأجزاء مصطنعة و"القوانين" التاريخية كحوادث عارضة، كما يهدف هذا التيار إلى إعادة تفسير "الجنور" التى تم إخفاء تطورها وأغراضها الفعلية لطرح ما تم فى الواقع من ممارسات للاستغلال والاستبعاد والتلاعب. وهكذا أقدم هذا التيار على تقويض التشكيلات الجمعوية والدول والتشكيك فى بديهياتها وقداستها غير الحقيقية وجعلها مفتوحة أمام التواصل والتفاوض الديمقراطى القائم على الانتساب لروابط حديثة<sup>(١٠)</sup>.

على أن عمليات البناء والتفكيك لم تتم بشكل منفصل عن بعضها البعض، ففى الماضى تضمنت عملية بناء الهويات القومية الحديثة تفكيك أو حتى تدمير الهويات التقليدية السابقة - قبلية، دينية، عرقية، جهوية - إلى حد أن التفكيك الذى يجرى الآن يشتمل على استدعاء الهويات المفقودة أو خلق هويات جديدة. وبعبارة أخرى، فقد صار

التاريخ بساحة ثقافية رئيسية جرى فيها حصر ظاهرة التشكل القومى فى فترة واحدة تمتد من العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر إلى خمسينات القرن العشرين، مع ذكر تجارب سالفة فى بريطانيا وفرنسا وألمانيا، وغير واضحة فى فترة أخرى هى العقود الأخيرة من القرن العشرين.

وبهذا المعنى يمكن تفسير المراجعات والجدالات الحالية كرد فعل على الأزمة التى تمر بها الهويات القومية وخصوصاً فى عصر العولمة. وفى ظروف كهذه تحول التاريخ من كيان توحيدى إلى مسار متنازع عليه حيث أعيد الاعتبار لفئات اجتماعية تشكلت على هامش الأحداث القومية الكبرى أو خارجها، وسعت هذه التشكيلات إلى فرض القبول بها سواء على المستوى الأوسع (العالم ككل)، أو المستوى الأصغر (المحلى) من أجل اكتساب شرعيتها الثقافية ومكانتها الاجتماعية. ولعل هذا ما يفسر تركيز تلك المراجعات ليس فقط على الماضى، بل على الحاضر الذى تعتبره أيضاً مثيراً للتناقض. ففىما مضى استخدمت الهويات القومية كأنوات للتحديث السياسى والاقتصادى، فى حين تعاني الآن من الانحسار تحت ضغوط العولمة وتحولت لأداة تنشيط هويات ما بعد حداثة. وكما يلاحظ كل من "سكوت لاش" و "جون أرى" Lash and Urrey أنها غدت بمثابة "الموضوع المحرك والذات التى تجسد بما ينتج رأسمالية منفصلة تتخلى عن مجتمع المصير القومى"<sup>(١١)</sup>.

## العالمية والمحلية :

من غير الممكن الاعتقاد بأن العولمة تؤدي إلى التجانس، بل إنها - وكما كتب "روبرتسون" - "أفضت إلى توفير غطاء عالمى لهويات معينة"<sup>(١٢)</sup>، حيث كان من أبرز تجلياتها ذلك الانبعاث العنيف أو رد الفعل الدفاعى لهويات محلية جعلت أمما "موحدة" تتحول إلى أمم "منقسمة" بتأثير قوى تقوضها "من أعلى" و"من أسفل". إذ يوجد اتجاهان يعملان بتوازن : أولاً : اتجاه ينحو إلى العولمة المتخفية للقوميات سياسياً واقتصادياً، اتجاه يسعى إلى تعميق التوجه المحلى ما بون القومى من زاوية الثقافة والهوية<sup>(١٣)</sup>.

وتلك العمليتان تجسدان ما اصطلح على تسميته "عولمة الخصائص المحلية" globalization<sup>(١٤)</sup> [يقصد بها تنشيط الانتماءات والثقافات المحلية حتى تنتشر على نطاق عالمي]. هاتان العمليتان تدعمان بالقدر نفسه الخصائص المحلية في مواجهة الإغصار الخطر للكونية منعدمة الملامح أو ما يعرف برأسمالية ثقافة الاستهلاك، حيث تعزز الجذور القومية من المقومات الهامشية أو الطرفية. ومن ثم فإن "عولمة الخصائص المحلية" فهي تبعث "أقليات" قمعت في الماضي (تشكل في بعض الأحيان أغلبية سكانية) وتسمح بتشكيل "سياسات محلية" وهويات جديدة تتجمع حول اهتمامات مثالية مميزة (حقوق الإنسان، قضايا البيئة)، وأنماط الحياة (توجهات متعلقة بالجنس) وغيرها. وعلى الجانب الآخر من المشهد، يستفز تحلل المركز [القومية كظاهرة] جماعات مهمشة اجتماعياً (غالباً من الشريحة الدنيا من الطبقة الوسطى) في اتجاه التعبئة لحماية الأمة (مثل مقولة الأصل الأبيض والمسيحية الأصولية في الولايات المتحدة والجماعات الفاشية الجديدة وجماعات اليمين القومي المتطرف في فرنسا وألمانيا وغيرهما).

ويعمل هذان الاتجاهان معاً على تقويض سيادة واستقلال الدول القومية "من أسفل" و "من أعلى"، فمن أعلى، تتمزق الأمم بتأثير شبكات كثيفة للمال والإعلام وتكتلات نقدية وتجارية على مستوى القارات واحتكارات متعددة الجنسية. وهناك، على المستوى التحتي انقسامات إقليمية/جهوية وعرقية وعلى مستوى أفراد معينين<sup>(١٥)</sup>. ويمكن شرح ما جرى للدولة القومية بشيء مماثل حدث في تجارة التجزئة، حيث كان نمط تجارة التجزئة للمواد الغذائية مسيطراً في خمسينات القرن العشرين ولكن تم تجاوز ذلك وخصوصاً في المجتمعات الصناعية المتقدمة بسلسلة من مجموعات السوبر ماركت (على غرار النموذج الصناعي "الفوردي"، نسبة إلى شركة فورد للسيارات التي قامت بتصنيع كل أجزاء السيارة، كما يذكر التحليل الماركسي الجديد عن العولمة)<sup>(١٦)</sup>، وفي الآونة الأخيرة ألحق بهذه المجمعات محال لترويج أنواع معينة من المأكولات أو الوجبات أو الأطباق الخاصة بشعوب أو أقليات معينة، أو نوعيات أخرى نباتية مثلاً أو عضوية فيما يمكن أن نطلق عليه "تخصص مرحلة ما بعد الفورية" "post-Fordist specialisation".

ولكن ذلك لا يغنى اختفاء تجارة التجزئة وخصوصاً فى مناطق محرومة أو طرفية وإنما يشير إلى تراجع دورها كنمط تجزئة رئيسى فى مجال تقديم المواد الغذائية، فقد تآكل دورها تحت ضغوط آتية من أعلى - سلسلة مجمعات السوبر ماركت، ومن أسفل أى من مطاعم الوجبات الخاصة سالفة الذكر. وقد حدث شىء من ذلك للمقاهى الباريسية الرومانسية، ففى مقابل افتتاح مطعم واحد فقط للوجبات السريعة فى شارع معين، تغلق ثلاث مقاه، وحدث الشىء نفسه لمكتبات أنيقة صغيرة فى حى مانهاتن بنيويورك حيث سيطرت على بيع الكتب سلاسل من المحال الضخمة الواسعة على بيع الكتب وما تبقى من المحال الصغيرة اضطر لبيع كتب متخصصة فى ميدان معين.

وهذا ما حدث للدولة القومية فى العقود الأخيرة من القرن العشرين أى عصر العولمة و"عولمة الخصائص المحلية" وما بعد الحداثة، ولكنها لم تتلاش تماماً مثلها فى ذلك مثل التجزئة والمكتبات والمقاهى الرومانسية، وإن لم تعد - كما يرى "هوبسباوم" و"جلنر" - الفاعل الذى يشكل العصر<sup>(١٩)</sup>. فالقضية ليست الاختفاء البارز للدولة القومية والهويات الوطنية ولكنها تتعلق بانتشار هويات أخرى بجانب القومى. وهكذا نعيش زمن التهجين وتخطى الحدود، والتى يتناولها "بيترس" Pieterse كالتالى : "تظل سلطة الدولة ذات طابع مؤثر لكنها لم تعد اللاعب الوحيد فى الساحة"<sup>(٢٠)</sup>، ومن جانب آخر يتضح من الدراسة التى أجراها "بوندار" Pondar عن الذاكرة الجمعية فى الولايات المتحدة أن "العصر ما بعد الحداثى يشهد بزوغ ثقافات ومصالح متنوعة تندمج بحرية فى الحيز العام - القومية، التوجه التديولى، الطابع الاستهلاكى، الإثنية، العرق، النوع، المشاعر الخاصة، القضايا الرسمية"<sup>(٢١)</sup>.

ويحدث شىء من هذا القبيل بالنسبة للدولة القومية فى إسرائيل، فرغم تشابهها مع ما يجرى فى أماكن أخرى، فإن لديها خصوصيتها التاريخية وتناقضاتها، ففى إطار ظروفها الخاصة بها يلحظ المرء فى الأعوام الخمسين الأخيرة أو طوال القرن العشرين تراجع رؤى الذات المتجانسة وبزوغ تعددية فى صورة روايات بديلة أو مكملية (تشمل رد الفعل المفرط فى القومية، ولكن ذلك ليس موضوع هذه الدراسة)<sup>(٢٢)</sup>. فلا توجد فى إسرائيل كما فى أماكن أخرى عديدة - وخصوصاً تلك الدوائر الاجتماعية



المعرضة لتأييد العولمة الذي يعصف بالتقاليد ويتضمن ثقافة ما بعد حداثة مشوهة للمعنى- "رواية" مبسطة مقبولة حول التاريخ سواء استندت إلى الموضوعية العلمية أو إلى الوحدة القومية، وفي الولايات المتحدة وإسرائيل كذلك "تعد فكرة الموضوعية التاريخية أكثر إشكالية من أى وقت مضى" (٢٣)، و"حيث حل الشك محل اليقين ولم يعد ممكنًا النظر للحاضر كشئ ينبع بموضوعية وأمانة من الماضي مثلما كان عليه الحال مع الرؤية القومية" (٢٤). ترى هذه الدراسة أن هناك تنازعاً مع روايات التاريخ الموضوعية والوحدة القومية ينتشر باستمرار ويعلن عنه علماء اجتماع نقديون ومؤرخون جدد (٢٥)، ولننتقل الآن إلى حالة إسرائيل.

### الصهيونية الجديدة وما بعد الصهيونية :

ما هي الظروف الاجتماعية - التاريخية التي خلقت في الفترة الأخيرة أزمة الهوية القومية ودفعت باتجاه التحول في الوعي التاريخي في إسرائيل؟، لقد شهدت الهوية القومية مع إنشاء إسرائيل عام ١٩٤٨، وقبل ذلك كان يتم التعبير عنها بمصطلح "الدين المدني" "للرواد" كما جسده الحركة العمالية [أى الصهيونية العلمانية العمالية التي قادها زعماء حزب العمل]، ومع قيام الدولة تم دمج أخلاقيات "الريادة" في الدولة، وكانت توجد رؤية ثانوية أيضاً حول الهوية القومية صعوداً متنامياً تستند على الدين، أو المبادئ الليبرالية المدنية، أو اليمين القومى (٢٦). وفي أواخر الستينات حدث مزج بين هذه الرؤى وخصوصاً بعد حرب يونيو ١٩٦٧ .

فقد أدى احتلال الضفة الغربية وأراض أخرى إلى بعث المذهب القديم لليمين أساساً حول إسرائيل الكبرى، حيث برزت فئة اجتماعية جديدة، ثم ضعفت، من طلاب المدارس التلمودية الدينية "اليشيفا" Yeshiva والذين حشدتهم منظمة "جوش إيمونيم" التي أقدمت على إعادة النظر في أخلاقيات الريادة التي ظهرت في أوائل القرن العشرين. هذا بالإضافة إلى أن التوسع الإقليمي حفز نمواً اقتصادياً غير مسبوق نشأ معه الأثرياء الجدد. وفي الوقت نفسه أثار احتجاج الجيل الثانى من السكان المحرومين

المتدينين "مزراحي" [أى الذين يرون أن الصهيونى يجب أن يعمل على تطبيق "الشريعة" اليهودية ولا يعتبرون الدين مسألة شخصية]. وفى السبعينات من القرن العشرين اشتعل الاحتجاج على يد منظمة "الفهود السود"، وإن كانت حركة الاحتجاج قد حولت تأييدها لحزب الليكود فيما بعد، وبهذا زرعت بذور انهيار الحركة العمالية وأخلاقياتها ذلك الذى جاء بعد سنوات على حرب ١٩٦٧ وتحديداً عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣، حيث تمكنت تل أبيب بالكاد من الوقوف فى وجه الهجمة المصرية - السورية المكثفة ما أفضى لتراجع قوة حزب العمل وخسارته أمام الليكود فى عام ١٩٧٧ لأول مرة منذ قيام إسرائيل.

وقد دفع فوز اليمين بالتطورات الثلاثة سائلة الذكر إلى الأمام : توسيع وتعميق المستوطنات اليهودية فى الأراضى المحتلة، طغيان النفوذ الدينى - القومى على السياسات الإسرائيلية، ازدياد قوة الاحتجاج الأصولى وصعود ثقافته ورموزه، وتوسع حجم نشاط الشركات الخاصة وبروز المستثمرين من الليبراليين الجدد [المحافظين] والمديرين المؤمنين بألية السوق. وفى عام ١٩٧٩ حققت حكومة الليكود قفزة رئيسية هى وزعيمها مناحيم بيغن بعد توقيع معاهدة السلام مع مصر، وفى عام ١٩٨١ فاز الليكود مرة أخرى فى الانتخابات فى واحدة من أكثر الحملات الانتخابية إثارة للمشاعر العرقية العدائية. وعموماً فقد شهد عقد الثمانينات نغمة مختلفة، وفى النصف الأول منه عانت إسرائيل بشدة من التضخم الناجم عن التحرير الاقتصادى وكذلك من التكلفة الباهظة للتورط فى لبنان بعد غزوها. فهذه الحرب أحدثت تطوراً غير عادى فى الثقافة السياسية الإسرائيلية، حيث اعتبرت أكثر الحروب إثارة لاحتجاج الرأى العام<sup>(٢٧)</sup>، وفى حين صورت الحروب السابقة بمنطق عدم وجود خيار أى كحروب دفاعية فقد كان غزو لبنان، أعلن رئيس الوزراء صراحة، "خيار الحرب"، أن تبادر إسرائيل بالحرب لإنجاز هدف سياسى هو تدمير منظمة التحرير الفلسطينية التى استقرت فى جنوب لبنان. وكانت المعارضة للحرب نقطة بداية لمجتمع مدنى مستقل فى تل أبيب بعد أن كان المجتمع والدولة متشابكين إلى حد كبير.

وأدى دخول حزب العمل فى حكومة وحدة وطنية فى إطار انتخابات عام ١٩٨٤ إلى تيسير كبح جماح التضخم وانسحاب القوات من لبنان (رغم وجود شريط أمنى وميليشيا موالية لإسرائيل فى الجنوب). وعلى المستوى الاجتماعى استمر تعزيز سياسات التحرير مع الحكومات المتعاقبة. ومنذ منتصف الثمانينات شهدت إسرائيل "ثورتها البرجوازية" الأولى، فى ظل تراجع المؤسسات الجماعية التى أسستها الحركة العمالية وتصاعد وتيرة الخصخصة التى قادتها الطبقة البرجوازية الناشئة. وحققت هذه العملية قفزة رمزية فى عام ١٩٩٤ عندما خسرت الحركة العمالية سيطرتها التاريخية على الهستدروت أو اتحاد العمال الضخم. لم يقف الأمر عند هذا الحد فقط، فقد شهد عام ١٩٨٧ حرباً أخرى مثيرة للجدل تمثلت فى الانتفاضة الفلسطينية الأولى والتى عمقت من "عقدة فيتنام" فى لبنان. وفى عام ١٩٩١ تعرضت ثقة إسرائيل بنفسها لضربة أخرى حينما تعرض مواطنوها لتهديد الصواريخ البالستية [أطلقها العراق إبان حرب الخليج الثانية] حيث تأكدت تبعيتها للولايات المتحدة بوضوح. وفى عام ١٩٩٢ فاز حزب العمل فى الانتخابات بأغلبية ضئيلة وفى سبتمبر ١٩٩٣ تم التوقيع على اتفاق أوسلو مع الفلسطينيين كما وقعت معاهدة سلام مع الأردن فى وقت لاحق واستؤنفت المفاوضات مع سوريا.

وفى نوفمبر عام ١٩٩٥، اغتيل رئيس الوزراء إسحاق رابين على يد طالب متعصب دينياً من جامعة بار إيلان، وأكملت هذه الحادثة فى الواقع عقدين من الشعور بالمرارة بين كتلتين سياسيتين كبيرتين برزتا فى إسرائيل منذ عقد السبعينات من القرن الماضى، وتمثل الأثر السريع فى عودة اليمين إلى السلطة، حيث اتسم عقد التسعينات بتقويض متواصل لاتفاق أوسلو وإصابة الأحزاب الكبيرة بالشلل، بل النظام السياسى ككل. وصارت حكومات إسرائيل تلجأ لرود الأفعال نون المبادرة بالفعل، وأحجمت عن التوصل إلى حلول وسط بشأن الأراضى المحتلة مع الفلسطينيين، وكانت فترة رئاسة باراك القصيرة فى أواخر التسعينات قد بعثت الأمل لدى معسكر السلام الإسرائيلى ولكن الوضع انقلب بشكل كارثى مع مجيء أريئيل شارون فى عام ٢٠٠٠ كنذير لتصاعد جديد للتطرف الصهيونى الجديد. ونجم عن الاضطراب السياسى تغيرات بنيوية حادة فى الثقافة السياسية، وهذا ما سوف نتناوله الآن.

وعلى الرغم من أن الأغلبية الساحقة من اليهود المولودين في إسرائيل يقرون بالولاء للصهيونية، فقد تم تجاوز حدود الخطاب الصهيونى بين عقدى السبعينات والتسعينات من القرن الماضى سواء من قبل اليمين أو اليسار، وأنا أطلق مصطلح "الصهيونية الجديدة" و "ما بعد الصهيونية" على ما يحدث من قبل كل من الجناح اليميني والجناح اليسارى من تجاوز للصهيونية التقليدية. وفى حين أن أيًا منهما لم يعد يمثل اتجاهًا غالبًا فقد أعاد الاثنان تعريف مسارات الهوية الجمعية الإسرائيلية بطريقة حادة. وتجسد المراجعة التاريخية والسجال في إسرائيل تراجع مبادئ الصهيونية التقليدية والمضمون المتجدد للهوية الإسرائيلية وعبر الجدل تتم إعادة توجيه خطوط الخطاب العام.

وقد بزغت الصهيونية الجديدة في عقد السبعينات من القرن الماضى تشكلت أساساً من المستوطنين اليهود في الأراضي المحتلة وكثير من مؤيديهم مما يسمى "المعسكر القومى" على امتداد البلاد، ويعبر عنها مجموعة من أحزاب اليمين المتطرفة مثل الجناح النافذ في الحزب القومى الدينى (المفدال) والليكود<sup>(٢٨)</sup>. وينظر هذا الاتجاه إلى "أرض إسرائيل المقدسة" (أى كل الأراضي الواقعة تحت السيطرة الإسرائيلية) كأمر أساسى للهوية الإسرائيلية أكثر أهمية من دولة إسرائيل (أى تلك المساحة الصغيرة الواقعة خلف حدود "الخط الأخضر" لعام ١٩٤٨). إذ يتصور هؤلاء أن أرض الأجداد هى الهدف النهائى والدولة هى أداة للسيطرة عليها، بينما تعد ثقافة الصهيونية الجديدة خليطاً من الأفكار الصهيونية واليهودية حيث لا تجسد القومية العلمانية أى تناقض بينهما، فهى عبارة عن الصهيونية التقليدية ولكن فى مرحلة إحياء دينى متصاعد<sup>(٢٩)</sup>. ويتجه الولاء السياسى للصهيونية الجديدة إلى "شعب يهودى" مزعوم/متخيل، يتم تصويره كتجمع فريد روحياً وعرقياً بأكثر ما يكون تعبيراً عن جنسية إسرائيلية تعبر عن مجتمع سياسى تحدده المواطنة المشتركة، فالانتماء القانونى والعملى لهذا التجمع لا يخرج عن كونه شيئاً ثانوياً بالنسبة للرابطة الأخوية القومية المتخيلة. ومن هنا تعد الصهيونية الجديدة توجهاً ثقافياً - سياسياً استبعادياً، متطرفاً قومياً وحتى عنصرياً ومعادياً للديمقراطية، يسعى إلى إثارة التوتر مع الإطار المحيط بالهوية الإسرائيلية.



ويغذى هذا الاتجاه، كما يغذى بدوره، عن طريق المستوى المرتفع من الصراع الإقليمي والوتيرة الأقل من الاندماج على المستوى العالمى. وفى حين يدل الصراع على رسائل مفزعة، فإن الاندماج العالمى يقلل من قبضته على العقل القومى.

وأدت الانتفاضة الفلسطينية الثانية التى اندلعت فى سبتمبر ٢٠٠٠ إلى زيادة نفوذ الصهيونية الجديدة التى انتعشت بعد اتفاق أوسلو. وتمثل الأثر قصير الأجل على السكان اليهود فى إسرائيل فى تعزيز التضامن القومى المتطرف وقد يشكك البعض فيما إذا كان ذلك سوف يستمر طويلاً وهو ما سوف نتناوله فيما يلى :

وقد بدأت ظاهرة ما بعد الصهيونية فى عقد الثمانينات من القرن الماضى وتشكلت أساساً من الطبقة الوسطى الجديدة التى توسعت كثيراً حتى انتشرت فى المناطق الساحلية وخصوصاً فى مدينة تل أبيب وضواحيها (حيث يعيش ربع السكان على الأقل). ويركز هذا الاتجاه الجديد أساساً على الحقوق الفردية على حساب الحقوق الجماعية. فعلى العكس من الصهيونية الجديدة يذهب اتجاه ما بعد الصهيونية إلى اعتبار التجمع أو الكيان الجمعى مجرد أداة لتوفير الرفاهية للفرد. ومن الناحية التاريخية يرى هذا الاتجاه أن الحاضر، أى نوعية الحياة، أكثر أهمية من الماضى (أى التاريخ)، وأن المستقبل القريب (أى الأطفال) مغزاه يتجاوز بكثير الماضى البعيد (أى الأجداد). ومن أهم رواد اتجاه ما بعد الصهيونية الحركة التى تطلق على نفسها "هناك حد" والتى برزت كرد فعل على حرب ١٩٨٢ [أى غزو لبنان] ويتشكل أساساً من الضباط وجنود الاحتياط الذين رفضوا الخدمة فى قوات الاحتلال فى الأراضى اللبنانية والفلسطينية المحتلة باعتبار أن دور الجيش هو الدفاع وليس القمع. ورغم أن الحركة تتميز بالصغر فإن مبادئ العصيان المدنى التى طرحتها حظيت بالقبول من جانب قطاع كبير من السكان يعنى أساساً بحقوق الإنسان أكثر من القومية العرقية. وبهذا المعنى تمثل ما بعد الصهيونية اتجاهاً تحررياً منفتحاً يدعو إلى تقليص حدود الهوية الإسرائيلية ويطالب بأن تتضمن "الآخرين" [أى عرب ١٩٤٨]. وهذا الاتجاه يتأثر بالمستوى المنخفض من الصراع الإقليمي ويؤثر فيه أيضاً، وكذلك بالمستوى المرتفع من الاندماج العالمى. وإذا كان الصراع يعبئ المشاعر القومية المتطرفة فإنه يصيب هذا الاتجاه بالعجز،

كما أن الاندماج العالمى يجعل الإسرائيليين يتجهون إلى المنحى الاستهلاكي المسيطر كونياً وهو ما يعد ملائماً له. وفيما يتعلق بالأثر قصير الأمد للانتفاضة الفلسطينية الثانية يمكن القول إنه رغم أنها دعمت اتجاه ما بعد الصهيونية فقد بدا واضحاً أن انتعاش حركة واسعة النطاق عرفت باسم "الرافضين" والتي انبثقت من حركة "هناك حد" والتي اكتسبت تعاطفاً متزايداً من قبل الرأى العام فإنها أسهمت فى انبعاث روح ما بعد الصهيونية فى إسرائيل.

وينبغى التأكيد على أن سمات كل من الصهيونية الجديدة وما بعد الصهيونية لا تبتعد كثيراً عن الصهيونية "الكلاسيكية". والواقع أن وجه الغرابة فى كل منهما يتجلى أساساً فى التركيز على بعد واحد أو النظرة الأحادية، فالصهيونية الجديدة تستند إلى الأبعاد الدينية وتلك التى تؤكد على الخصوصية فى الصهيونية، فى حين تولى نزعة ما بعد الصهيونية من شأن النواحي الكونية والتطبيعية [أى إقامة علاقات طبيعية مع الآخر]، ويدل هذان الاتجاهان على حدوث تحول صوب هوية جمعية إسرائيلية ما بعد قومية. وكانت المرحلة القومية مناسبة لعصر احتلال الأراضى وبناء الأمة وتشكل الدولة ولكن العقود اللاحقة شهدت حدوث ضغوط داخلية وخارجية أدت لتآكل القومية وتسهيل بروز بدائل ما بعد قومية وهذه البدائل تتمثل فى كل من الصهيونية الجديدة وما بعد الصهيونية. حيث تدعو الصهيونية الجديدة إلى استبعاد الآخر والتأكيد على الطابع العرقى للقومية الإسرائيلية فى حين تسعى نزعة ما بعد الصهيونية إلى وضع البعد المدنى فى الهوية الإسرائيلية.

وقد احتلت هذه القضية مكاناً بارزاً فى إسرائيل فى تسعينات القرن العشرين حيث نتج عن المراجعات والسجلات التاريخية ظهور رواية قومية لاهوتية وأحادية النظر غذتها مجموعة من الروايات التوسعية وتتمثل فى الاتجاه ما بعد الصهيونى المنتشر عالمياً فى حين تسارعت معه جماعات أخرى مهمشة أو مستبعدة مثل النساء والفلسطينيين واليهود المتدينين واليهود الأرثوذكس وروايات أخرى من نوع رد الفعل العنيف مثل تلك التى تركز على الصهيونية الجديدة للنقاء العنصرى، إلى جانب روايات فرعية تمثلها البرجوازية الليبرالية فقد برزت شرائح اجتماعية متنوعة كانت صامته

حتى وقت قريب واندفعت إلى الساحة العامة لتعبر عن رؤاها الخاصة للتاريخ وكل منها تقدم "حقائق" خاصة بها تتباين تاريخياً وواقعياً عن الحقيقة المهيمنة.

وأدت السياسات الجديدة حول الهوية والذاكرة إلى تسليط الضوء بحدة على مسألة الهوية الجمعية في إسرائيل، فحتى الهوية القومية ذات المنحى اللاهوتي والأحادى توجد فى داخلها الآن مجموعة من الهويات المتنازعة، ولكن كلا منها ينتقد الرواية القومية وذات المنحى الاشتراكي. ولننتقل إلى حلبة الهويات الجمعية والروايات التاريخية فى إسرائيل.

## الهويات والروايات

سيطرت مسألة الهوية القومية على أوساط السكان اليهود المولودين فى إسرائيل، ومن المعروف أن الصهيونية والقومية اليهودية الحديثة نبعت فى أوروبا الشرقية فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر. وفى إطار تصويرها لنفسها كحركة قومية بدون أرض كان من الطبيعى أن تتبنى الصهيونية النمط الإثنى "العرقى" أو الدمجى للقومية، وحيث كانت الحركة القومية ناشئة آنذاك<sup>(٣٠)</sup>. وفى فلسطين تحولت القومية اليهودية فى الشتات إلى قومية استعمارية استيطانية، ومن هنا ورثت إسرائيل المبدأ العرقى فى الانتماء ولم تأخذ أبداً بالمبدأ الليبرالى البديل. وكان الرمز المسيطر للدولة حينذاك هو المنحى اليهودى القومى الصهيونى. ورغم وجود مساواة قانونية بين العرب واليهود فى إسرائيل، فإنه يوجد تمييز واقعى بين الأقلية المسيطر عليها والغالبية المسيطرة المتحكمة فى الدولة<sup>(٣١)</sup>.

وتمكنت الحركة الصهيونية ثم الجماعة اليهودية فى فلسطين ثم دولة إسرائيل من نشر وزرع مسألة الإيمان بالقومية بين السكان اليهود، وقد مارست خبرتان تاريخيتان أثراً كبيراً فى تشكيل الهوية اليهودية الإسرائيلية المعاصرة<sup>(٣٢)</sup> :

\* إبادة اليهود (الهولوكست)

\* حالة الحرب الممتدة بين إسرائيل والدول العربية.

وكان من شأن هاتين الخبرتين الدراميتين تضخيم وتدعيم الهوية القومية العرقية. وقد احتاجت الأمة الجديدة المقيمة في إسرائيل والمشكلة من الشتات اليهودي إلى إعادة تخيل ذاتها<sup>(٣٢)</sup>، وإعادة اختراع تقاليد خاصة بها<sup>(٣٤)</sup> وإعادة تفسير أو خلق رواية جديدة حول الهوية التاريخية<sup>(٣٥)</sup>. وفي ظل المعارضة والعداء من الجانب العربي، تمت استعادة مقولات : المشروع السياسى والاجتماعى لتهجير اليهود إلى فلسطين، استيطان واحتلال الأراضي وبناء دولة ومجتمع يهوديين فوقها. وتمثلت ثقافياً في مفاهيم مثل "الإحياء" القومى و"استرداد الأرض" و"الخلاص التاريخى". وقد ساهم المؤرخون جنباً إلى جنب مع الكتاب والشعراء والرسامين والنحاتين والصحفيين والمعلمين وكذلك الفنانين وحتى علماء الاجتماع فى تشكيل ودعم الرواية القومية. حتى إن الأكاديميين لم يلتزموا بالروح العلمية وكانوا جزءاً لا يتجزأ من المشروع القومى<sup>(٣٦)</sup>. حتى إن الفروع العلمية مثل التاريخ وعلم الاجتماع تشكلت فى ظل اندفاع الأيديولوجية القومية، وحتى وقت قريب كان المنهج التاريخى المسيطر هو ذلك الذى أسسته ودعمته مدرسة الإحياء القومى وأبرز روادها "بن صهيون دينور" وآخرون<sup>(٣٧)</sup>، كما تأسس النموذج الاجتماعى المسيطر على مقولات دعمتها مدرسة بناء الأمة وأبرز روادها "س. ن. أيزنشتاد" وآخرون<sup>(٣٨)</sup>. وأسهمت الكتابات فى مجال التاريخ وعلم الاجتماع فى إسرائيل حتى النصف الثانى من الثمانينات فى إضفاء الشرعية الأكاديمية والعلمية المزعومة أو المتخيلة على الذاكرة الجمعية والأيديولوجية الجماعية التى استلزمته الهوية القومية الآخذة فى التشكل، وهكذا خلقت رابطة وثيقة بين السلطة والمعرفة فى إسرائيل، ولا نبالغ إذا قلنا إن "الأمة" كانت حتى عهد قريب تُدرس كمعطى نهائى فى ذاته وليس كموضوع قابل للدراسة.

بيد أن هذا الموقف تعرض لتغيير جذرى وكان وراءه علماء يطلق عليهم اسم "علماء الاجتماع النقديون"، والمؤرخون الجدد" والذين يتهمون علماء الاجتماع المسيطرين والمؤرخين القدامى بتجاهل القضية. وقد ازدهر النقاش بين المؤرخين فى منتصف التسعينات واكتسب تغطية واسعة فى وسائل الإعلام كما سار محور مؤتمرات أكاديمية عديدة عقدت فى البلاد إلى جانب كونه الموضوع الرئيسى فى الجرائد التى



يكتب المفكرون والكتاب. وتحولت المفاهيم الرئيسية مثل التاريخ الجديد وما بعد الصهيونية إلى موضوع شائع في الساحة الثقافية وحتى الأحاديث اليومية في إسرائيل. ويمكن تصنيف القضايا المتعددة المثارة في ثلاث فئات متخصصة رئيسية :

أولاً : الصراع العربي - الإسرائيلي.

ثانياً : السياسات الاجتماعية للحركة العمالية.

ثالثاً : الثقافة العبرية الصهيونية.

أولاً : الصراع العربي - الإسرائيلي : شكل الصراع العربي - الإسرائيلي ساحة الاهتمام الخاصة لمجموعة المؤرخين الجدد الذين تصدوا للرؤية التقليدية حول سياسة إسرائيل الأمنية والخارجية، وما يتصل خصوصاً بعقدى الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي.

وتقوم الرؤية التقليدية على أن إسرائيل كانت تسعى دائماً إلى السلام والحلول الوسط في حين صورت الدول العربية في صورة المعتدى العنيد، أما المؤرخون الجدد فيردون بأن دولة إسرائيل أصدرت فرص التفاوض مع الدول العربية<sup>(٣٩)</sup>. وإن كانت قد توصلت إلى تفاهم غير مكتوب مع المملكة الأردنية على اقتسام السلطة في الضفة الغربية للحيلولة دون قيام دولة فلسطينية هناك<sup>(٤٠)</sup>.

يُضاف إلى ذلك ما يقوله المؤرخون الجدد بأن إسرائيل تتحمل مسؤولية كبيرة عن خلق مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على النحو الذي كتب عنه المؤرخ "بنى موريس"<sup>(٤١)</sup>، فقد حدث إبان حرب إسرائيل من أجل الاستقلال عام ١٩٤٨ أن أقدم قادة عسكريين إسرائيليين كبار، بتشجيع ضمني من المسئول الأكبر آنذاك المسئول وهو "ديفيد بن جوريون"، على طرد مئات الآلاف من فلسطين من أراضيهم إلى خارج حدود الدولة. ومنذ ذلك الحين ظلت إسرائيل تمارس سياسة متعسفة ترفض حق العودة لهؤلاء اللاجئين. وحتى ظهور هذا التوجه الأكاديمي والعام، كان المؤرخون المحترفون يتجاهلون الجوانب الضارة للحرب وكانت الروايات الشعبية والكتب المدرسية تشير إليها باختصار على أنها عبارة عن موجة عربية من "الهروب الجماعي" ما يعنى عملياً

ترويج نظرية أن هذا الهروب نظمته قيادات عربية معينة، الأمر الذى أدى تحت تأثير الأدلة التى ساقها "موريس" إلى ظهور حقائق من الصعب التشكيك فيها<sup>(٤٢)</sup>. ولا تزال الظروف والملابسات التى تم فيها طرد الفلسطينيين عرضة للجدل<sup>(٤٣)</sup>. يضاف إلى ذلك ما يذهب إليه المؤرخون الجدد من أن سياسة إسرائيل بخصوص أمن الحدود والتى سادت فى عقد الخمسينات وتقوم على الرد العنيف على أية هجمات إرهابية ضد مواطنيها كانت تتسم بالإفراط فى استخدام القوة والمغامرة، بل يرى هؤلاء أن هذه السياسة هى التى أشعلت أخيراً حرباً غير ضرورية فى عام ١٩٥٦، ويشيرون فى ذلك إلى أن بن جوريون بتشده المفرط يجعل من الضرورى إعادة الاعتبار للخط "المعتدل" الذى انتهجه وزير خارجيته "موشيه شاريت"<sup>(٤٤)</sup>.

وعلى الجانب الآخر طبق علماء الاجتماع النقاد تحليلاً مماثلاً على بحوثهم عن المراحل الأولى من الاستيطان اليهودى فى فلسطين مع نهاية القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين، لكنهم استخدموا مصطلحات أكثر رصانة، فقد اعتبروا أن الاستيطان الصهيونى هو مشروع استعمارى شمل احتلال الأراضى وخلق أسواق العمل وطرد الفلاحين العرب أصحاب الأرض الأصليين. وقد اصطدم علم الاجتماع النقدى الجديد بعلم الاجتماع الإسرائيلى المسيطر الذى طرح مفهوماً "ازدواجياً" عن العلاقات الإسرائيلىة - العربية يرى أن كلا منهما تطور فى مسار منفصل عن الآخر تبعاً للدافع التحديثى الموروث لدى الطرفين<sup>(٤٥)</sup>، هذا فضلاً عن تأكيد علماء الاجتماع الجدد على بروز ثقافة عسكرية فى المجتمع الإسرائيلى، وهذه الثقافة أسهمت بقدر كبير فى إعادة إنتاج الصراع القومى<sup>(٤٦)</sup>.

وتمثلت ثانياً قضايا النزاع فى السياسات الاجتماعية للحركة العمالية التى ازدهرت بين ثلاثينات وسبعينات القرن العشرين. وقد اعتاد علماء التاريخ والاجتماع السائدين تصوير مؤسسى الحركة كرواد مثاليين كما اعتادا المبالغة فى مدح إنجازهم الخاص فى مزج التنمية القومية مع البناء "الاشتراكى" والذى التزم بصيغة "البنائية الاشتراكية"<sup>(٤٨)</sup>. غير أن المؤرخين الجدد ينازعون هذا التصور بالقول إن الحركة العمالية اليهودية كانت فى الواقع حركة منادية بالقومية وتم إدخال تعديلات عليها عقب ظهور الاتجاه الإدماجى للحركة القومية فى شرق أوروبا آنذاك، وإن أيديولوجيتها

الداعية إلى المساواة لم تخرج عن مجرد أداة للتعبئة ولم تتفتح قريحتها سوى عن شعار بناء نموذج لمجتمع اشتراكي<sup>(٤٩)</sup>.

غير أن علماء الاجتماع الجدد طرحوا آراء مناهضة منذ عقد السبعينات ومنها أن النخبة العمالية كان يسيرها منطق القوة والقدرة المنظمة على التلاعب<sup>(٥٠)</sup>، حيث كشف هؤلاء العلماء الجدد عن سياسات التمييز التي مارستها الحركة العمالية وحكوماتها ضد المواطنين العرب في إسرائيل في مجالات مثل الإسكان والتعليم والتشغيل والرفاه<sup>(٥١)</sup>، واستخدموا أساليب التحكم والسيطرة على هؤلاء المواطنين بأن حولهم واقعياً إلى مواطنين من الدرجة الثانية، وصار النظام السياسي نظاماً ديمقراطياً تهيمن عليه الممارسات العرقية<sup>(٥٢)</sup>.

وتعرضت مسألة استيعاب الهجرة اليهودية من البلدان الإسلامية في عقد الخمسينات وبداية الستينات لنقد عنيف، فقد زادت سكان إسرائيل بمعدل النصف تقريباً وأفضى ذلك إلى تغيير جذري في تركيبها الإثنية، وكان تيار علم الاجتماع المسيطر قد تناول هذه المسألة في إطار "بناء الأمة" بمفاهيم الاستيعاب كعملية جرى بموجبها نزع الهوية التقليدية السابقة للقادمين الجدد وإعادة تنشئتهم تبعاً للثقافة الإسرائيلية الحديثة<sup>(٥٣)</sup>، بينما قام علم الاجتماع النقدي بتحليل المسألة في إطار مغاير هو تشكيل طبقات في ظل تقسيم رأسمالي للعمل أو توزيع غير متكافئ للقوة<sup>(٥٤)</sup>. وحيث يرى أن الحركة العمالية وخصوصاً حزبها القائد (الماباي) طبقت نمطاً من التصنيع يستخدم القوى العاملة بشكل مكثف أدى إلى توجيه هؤلاء المهاجرين [من البلاد الإسلامية] إلى مناطق مهمشة وحولهم إلى بروليتاريا وهامشييين<sup>(٥٥)</sup> ما يعنى التخلف لا التنمية، وتمثل الجانب الثانى فى تحول السكان الإشكناز المخضرمين أو المحاربين القدامى إلى "برجوازية جديدة" وطبقة إدارية على قمة الدولة<sup>(٥٦)</sup>.

وكان الجيل الثانى من هؤلاء المهاجرين من البلاد الإسلامية قد التحق بالتعليم والخدمة العسكرية مما أسفر عن إعادة إنتاج التباين الاجتماعى القائم<sup>(٥٧)</sup>، وتم تقويض وقمع ثقافة المهاجرين اليهود العرب<sup>(٥٨)</sup>. وهناك جانب آخر من صورة الحركة العمالية عن نفسها وهو الخاص بالمساواة بين الجنسين وعرض كإسطورة<sup>(٥٩)</sup>.

وإلى جانب ذلك التوجه اليسارى - الرأى الكالى برزت رؤية ليبرالية برجوازية للتاريخ الإسرائيلى، تنحو إلى تقليل دور الحركة العمالية فى عملية بناء الأمة والتضخيم فى دور "القطاع الخاص" أو طبقة المنظمين، حيث تصورهما على أنها هى التى قامت "فعلاً" بتشديد البنية التحتية الاقتصادية للتجمع اليهودى، كما تذكر هذه الرؤية أن الأيديولوجيا الجماعية هى التى عوقت نمو الاستثمار والتنمية لهذا التجمع. هذا فضلاً عن الزعم بأن كلا من فلاحى البرجوازية الصغيرة وتجار الحضر اكتسبوا مكانة مهمة فى الموجتين الأولى والرابعة من الهجرة، فى حين تم وصمهم سابقاً بالفشل، بل إن هؤلاء هم الذى صاغوا الأخلاقيات الجماعية وأسسوا المؤسسات الجماعية للحركة العمالية<sup>(٦٠)</sup>.

وبالنسبة للمجال الثالث موضع النزاع لدى المؤرخين الجدد، وهو الثقافة العبرية - الصهيونية، يرى هؤلاء أن الزعم بخلق هوية إسرائيلية "إيجابية" جديدة غير صحيح، والأكثر دقة هو زرع هوية "سلبية" خاصة بيهود الشتات<sup>(٦١)</sup>. وكان المؤرخون المسيطرون قد صوروا الرواد الذين استوطنوا فلسطين وكذلك جيل الصابرا المتحدر فى إسرائيل بمظهر النشطين بدنياً والمزارعين المؤمنين ممن ليس لديهم شىء يخلون منهم، كما تم وصف يهود الشتات بالنصف الآخر من الذات الصهيونية. والأكثر من ذلك أن التاريخ اليهودى تم تكتيفه فى رواية خطية ذات بعد واحد باعتباره مجرد الانتقال من "الشتات إلى الخلاص" برز فى الصهيونية كخيطة يربط التاريخ اليهودى برمته<sup>(٦٢)</sup>.

ويرى المؤرخون الجدد أن القطيعة الثقافية التى خلقت بين المستوطنين الصهاينة ويهود الشتات كانت مسئولة عما حدث فى أوقات الهولوكوست العنصرية حيث لم يبذل قادة "اليشوف" أى التجمع اليهودى فى فلسطين قبل إنشاء الدولة مجهوداً يذكر لإنقاذ اليهود المضطهدين من براثن النازية<sup>(٦٣)</sup>. إذ تجاهل الاتجاه المسيطر من المؤرخين هذه المسألة وأشاروا إلى حالة العجز والشلل التى أصابت قيادة التجمع اليهودى آنذاك وفى ظل ظروف لا يمكن تخيلها<sup>(٦٤)</sup>. ويرد المؤرخون الجدد بالقول إنه وبغض النظر عما تم بالفعل أو كان من الممكن القيام به لإنقاذ اليهود، فإن ذاكرة الهولوكوست غزت إلى حد تحولها إلى "قضية قومية" فى إسرائيل ووظفت فى خدمة أغراض سياسية، ولم يتم صياغة دروس مستفادة منها إلى جانب الفشل فى جلب تعاطف واضح مع ضحاياها<sup>(٦٥)</sup>. على الجانب الآخر، كان الهجوم على السلوك الصهيونى إبان الهولوكوست محصور اهتمام الاتجاه الدينى الأصولى المعادى للصهيونية<sup>(٦٦)</sup>.



وأياً ما كان الأمر متعلقاً بالفلسطينيين العرب أو يهود البلاد العربية – الإسلامية أو يهود أوروبا، فقد تم التشكيك فى "الرواية" الصهيونية و"حقائقها"، فالتعبيرات الصهيونية الشائعة مثل "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" (فى إشارة للاستيطان اليهودى فى فلسطين)، أو "لا يوجد أحد نتحدث معه" (أى الزعم بغياب العرب كشركاء سلام)، أو "إسرائيل بكاملها متضامنة" (إشارة إلى التضامن اليهودى) صارت عرضة للتفنيد والتساؤل. وتهدف هذه المزاعم إلى جعل المشروع الصهيونى الممثل الوحيد لمصالح اليهود فى كل الأوقات والأماكن والمعبر الخالص عن الثقافة اليهودية بتنوعاتها، كما تصوره كذروة تطور التاريخ اليهودى<sup>(٦٧)</sup>. وجاء المؤرخون الجدد وعلماء الاجتماع النقديون لتفكيك هذه الرواية الصهيونية الشمولية وكشف تناقضاتها ونقائصها وانحرافاتهما التى همشت الآخرين وقمعتهن.

### ملاحظات ختامية : من التاريخانية إلى ما بعد التاريخانية :

توجد علاقة وثيقة بين الروايات التاريخية الرسمية والإطار التاريخى، ولا توجد فى الواقع "هوية نقية" أو "ذاكرة موضوعية"، وفى العقدين الأخيرين حدث قبول واسع النطاق فى الوسط الأكاديمى بوجود روابط قوية بين المواقع الاجتماعية والوعى التاريخى والمعالجة العلمية لها. حيث يعتبر كثيرون أن سياسات المعرفة تتصل بشدة بسياسات الهوية مما جعل مفهوم "الهوية النقية" معرضاً لنقد حاد، وحدث الأمر نفسه بالنسبة لمصطلح الهوية الجاهزة والمتجانسة والثابتة الذى شككت فيه مفاهيم مثل "الآخر" و"التباين" و"التهجين" و"الشتات" و"الهجرة" و"تخطى الحدود". فالهوية فى الواقع عبارة عن وعاء أولى رابط وغير مستقر ومتغير. وانطلاقاً من ذلك لا يمكن النظر إلى كلمات مثل "النسوية" و"الأمة" و"العرق" باعتبارها تجسيداً مباشراً لمرجعيات "حقيقية" شأنها فى ذلك شأن الجنس الطبيعى والجماعة الإثنية وملامح البشرة. فقد فقدت هذه الأشياء "نقاءها" عند تصويرها كهويات بعد أن صارت علاقة متحولة، تعبر عن تشكل اجتماعى أو ممارسة ثقافية غير مستقرين وليس كمعطى طبيعى ثابت.

لقد نتج عن ذلك النقد للهوية الوجودية والذاكرة الموضوعية إثارة أزمة التمثيل أو أزمة الروايات التاريخية بحسبان أنها توظف لأغراض معينة وتتسم بالأسطورية والخطية والإجماع والتجانس ونشوة الانتصار، أى باختصار "تاريخانية" بمعنى أن هناك من يصنعون "تاريخاً" خاصاً بها. وعوضاً من ذلك ظهرت روايات تتسم بالروح النقدية والإيمان بأن الهوية شئ يكتمل بهويات أخرى وبأن الآخر له أيضاً هوية ذاتية وبأن الأمة مقسمة. وتمثل هذه الروايات خبرة ومنظور جماعات تعرضت للتهميش والتجاهل وأجبرت على الصمت إبان عملية بناء الأمة، ومن هذه الجماعات نخب احتجاجية وشرائح ضعيفة من الطبقة الوسطى. وتعتمد هذه الروايات الفرعية إلى تفكيك الرواية القومية المسيطرة، وباختصار، تطرح هويات وروايات ما بعد تلك التي تتسم بالتاريخانية.

لقد شككت الروايات والهويات الجديدة في إسرائيل في الأساطير القومية القديمة، وفي حين انتقد المؤرخون حوادث التاريخ المروية علناً فقد شكك علماء الاجتماع فيها ضمناً، والواقع أن الجدل الإسرائيلي يدخل في إطار أوسع عالمياً من المراجعات والسجلات التاريخية حول الدول - القومية المعاصرة، حيث تبرز أحداث تفجر أزمات للهوية القومية ترتبط بعمليات العولمة وثقافة ما بعد الحداثة. ويمكن فهم أزمة الهوية في إسرائيل كنتاج لتغيرات اجتماعية محلية وتحولات سياسية عالمية وكذلك في إطار ارتفاع دعوات التعدد الثقافي حديثاً وتوجهات ما بعد الحداثة ومناهج ما بعد البنيوية، وهكذا فإن تجمع مؤثرات محلية وإقليمية وعالمية تصب في إطار نقد تفكيكي جديد وسياسات جديدة للهوية تعيد تشكيل الإحساس الإسرائيلي بالهوية الجمعية عموماً وذاكرتها الجمعية خصوصاً. ومن ثم فقد أدى تراجع التعاليم الصهيونية القومية، كما تبلور في تحول الهوية الجمعية والوعي التاريخي الإسرائيلي، إلى بروز بديلين متعارضين : الأول عالمي ما بعد صهيوني، بأخلاقيات ليبرالية، والثاني محلي إثني - ديني بأخلاقيات ما بعد صهيونية. إن إسرائيل يمكن أن تستمر كدولة - قومية، لكن الرابط بينهما سوف يتباعد ويتمدد، فسوف يستمر المبدآن في الافتراق والتصارع وربما يعاد الربط بينهما.

## هوامش الفصل الأول

- \* This chapter was composed as a part of a broad study in progress, about Israel in the global era. The study was made possible by a research grant from the United States Institute of Peace, Washington DC, to which the author is grateful. The opinions, findings, and conclusions expressed in this study are those of the author, and do not necessarily reflect the views of the United States Institute of Peace.
1. Anthony D. Smith (1986) *The Ethnic Origins of Nation*, Oxford, Oxford University Press, pp. 179–80.
  2. Ibid.
  3. Ibid.
  4. Ibid.
  5. Ibid., p. 182.
  6. Cf. *ibid.*, pp. 191–200.
  7. Anthony D. Smith (1981) *The Ethnic Revival*, Cambridge, Cambridge University Press, p. 88.
  8. The literature on historical controversies is huge. The following is just a sample: Stefan Berger (1995) 'Historians and Nation-Building in Germany after Reunification', in *Past and Present*, no. 148, pp. 187–222; Charles Maier (1988) *The Unmasterable Past: History, Holocaust and German National Identity*, Cambridge, Mass., Harvard University Press; Henry Rousso (1991) *The Vichy Syndrome: History and Memory in France Since 1944*, Cambridge, Mass., Harvard University Press; Robert Gildea (1994) *The Past in French History*, New Haven, Yale University Press; Eric Foner (ed.) (1990) *The New American History*, Philadelphia, Temple University Press; Joyce Oldham Appelby, Lynn Hunt and Margaret Jacobs (1994) *Telling the Truth About History*, New York, Norton; Ann Curthoys (1993) 'Identity Crisis: Colonialism, Nation and Gender in Australian History', in *Gender and History*, no. 5, pp. 165–76; Ross Gibson (1992) *South of the West: Postcolonialism and the Narrative Construction of Australia*, Bloomington, Indiana University Press; Sneja Gunew (1990) 'Denaturalizing Cultural Nationalisms: Multicultural Readings of "Australia"', in Homi Bhabha (ed.) *Nation and Narration*, London, Routledge, pp. 99–120; Partha Chatterjee (1993) *The Nation and its Fragments: Colonial and Post-colonial Histories*, Princeton, Princeton University Press; Ranajit Guha and Gayatri C. Spivak (eds) (1988) *Selected Subaltern Studies*, New York; Gyan Prakash (1994) 'Subaltern Studies as Postcolonial Criticism', in the *American Historical Review*, no. 99, pp. 1475–90; Frederick Cooper (1994) 'Conflict and Connection: Rethinking Colonial African History', in the *American Historical Review*, no. 99, pp. 1516–45; Steven Feierman (1995) 'Africa in History: The End of Universal Narratives', edited by Gyan Prakash, pp. 40–65; Anastasia N. Karakasidou (1994) 'Sacred Scholars, Profane Advocates: Intellectuals Modeling National Consciousness in Greece', in *Identities* no. 1, pp. 35–61; David Hertzberger (1995) *Narrating the Past: Fiction and History in Post-War Spain*, Durham, NC, Duke University Press; Florencia E. Mallon (1994) 'The Promise and Dilemma of Subaltern Studies: Perspectives from Latin American History', in the *American Historical Review*, no. 99, pp. 1491–1515; Bryan Palmer (1994) 'Canadian Controversies', in *History Today*, no. 44, pp. 44–9; Keith Jenkins (1997) *The Post-Modern History Reader*, London, Routledge.



9. Arthur Schlesinger Jr (1991) *The Disuniting of America: Reflections on a Multicultural Society*, New York, Norton.
10. To put it in the terminology of Jurgen Habermas, historicist historiography may be considered a counterpart of conventional identity and morality, while post-historicist historiography may be considered a counterpart of post-conventional identity and morality. Jurgen Habermas (1984; 1987) *The Theory of Communicative Action, Vol. I and Vol. II*, Cambridge, Mass., MIT Press; 'Citizenship and National Identity', in Bart van Steenberg (ed.) (1994) *The Condition of Citizenship*, London, Sage, pp. 20–35.
11. Scott Lash and John Urry (1994) *Economics of Time and Space*, London, Sage, p. 313.
12. Mike Featherstone (1995) *Undoing Culture: Globalization, Postmodernism and Identity*, Berkeley, Sage; Johann P. Arnason (1990) 'Nationalism, Globalization and Modernity', in Mike Featherstone (ed.), *Global Culture*, New York, Sage; Ronald Robertson (1987) 'Globalization Theory and Civilization Analysis', in *Comparative Civilizations Review*, no. 17, p. 21.
13. Eric Hobsbawm (1990) *Nations and Nationalism Since 1780*, Cambridge, Cambridge University Press; Manuel Castells (1997) *The Power of Identity* (vol. 2 of *The Information Age*), London, Blackwell.
14. Barry Axford (1995) *The Global System: Economics, Politics and Culture*, Cambridge, Polity Press, p. 156.
15. Robert J.S. Ross (1990) 'The Relative Decline of Relative Economy: Global Capitalism and the Political Economy of State Change', in Edward S. Greenberg and Thomas M. Mayer (eds), *Changes in the State*, Berkeley, Sage, pp. 206–23; Manfred Bienefeld (1994) 'Capitalism and the Nation-State', in *Socialist Register*, no. 30, London, Merlin Press, pp. 94–129; John Dunn (ed.) (1995) *Contemporary Crisis of the Nation-State*, Oxford, Blackwell; Wolfgang C. Muller and Vincent Wright (eds) (1994) *The State in Western Europe*, London, Frank Cass; Vincent Cable (1995) 'The Diminished Nation-State: A Study in the Loss of Economic Power', in *Daedalus*, no. 124, pp. 23–53; Vivian A. Schmidt (1995) 'The New World Order, Incorporated: The Rise of Business and the Decline of the Nation-State', in *Daedalus*, no. 124, pp. 75–106; Yasmin Nuhoglu Soysal (1994) *Limits of Citizenship: Migrants and Postnational Membership in Europe*, Chicago, Chicago University Press; Crawford Young (ed.) (1993) *The Rising Tide of Cultural Pluralism: The Nation State at Bay?*, Madison, University of Wisconsin Press; Castells, *The Power of Identity*.
16. Cf. David Harvey (1989) *The Condition of Postmodernity*, Oxford, Blackwell.
17. Hobsbawm, *Nations and Nationalism Since 1780*.
18. Ernest Gellner (1983) *Nations and Nationalism*, Ithaca, NY, Cornell University Press.
19. Anthony D. Smith (1995) *Nations and Nationalism in the Global Era*, Cambridge, Polity Press.
20. Jan Nederveen Pieterse (1995) 'Globalization as Hybridization', in Mike Featherstone and Scott Lash (eds), *Global Modernities*, New York, Sage, p. 63.
21. John Bodnar (1991) *Remaking America: Public Memory, Commemoration and Patriotism in the Twentieth Century*, Princeton, Princeton University Press, p. 252.
22. cf. Ian Lustick (1988) *For the Land and the Lord*, New York, Council on Foreign Relations; Ehud Sprinzak (1991) *The Ascendance of Israel's Radical Right*, Oxford, Oxford University Press.



23. Peter Novick (1988) *That Noble Dream: the 'Objectivity' Question and the American Historical Profession*, Cambridge, Cambridge University Press, p. 17.
24. Bodnar, *Remaking America*, p. 252.
25. See also Uri Ram (ed.) (1993) *Israeli Society: Critical Perspectives*, Tel Aviv, Breirot [Hebrew]; (1998) 'Post-Nationalist Pasts: the Case of Israel', in *Social Science History*; Ilan Pappé (1993) 'The New History of the 1948 War', in *Theory and Critique*, no. 3, pp. 99–114 [Hebrew]; Yagil Levi and Yoav Peled (1993) 'The Break That Never Was: Israeli Sociology Reflected Through the Six Day War', in *Theory and Critique* no. 3, pp. 115–28; Baruch Kimmerling (1992) 'Sociology, Ideology and Nation Building: The Palestinians and Their Meaning in Israeli Sociology', in the *American Sociological Review*, no. 57, pp. 460–6; Lawrence Silberstein (ed.) (1991) *New Perspectives on Israeli History*, New York, New York University Press.
26. Charles Liebman and Don Yehiya Eliezer (1983) *Civil Religion in Israel*, Berkeley, University of California Press.
27. Sara Helman (1993) 'Conscientious Objection to Military Service as an Attempt to Redefine the Contents of Citizenship', Jerusalem, Hebrew University, p. 456 [Hebrew]; Gad Barzilai (1996) *Wars, Internal Conflict and Political Order*, Albany, NY, SUNY Press.
28. Sprinzak, *The Ascendance*, p. 328; Yoram Peri (1989) 'From Political Nationalism to Ethno-Nationalism: The Case of Israel', in Y. Lukacs and A.M. Battah (eds) (1989) *The Arab-Israeli Conflict*, Boulder, Colo., Westview, pp. 41–53.
29. Aviezer Ravitsky (1996) *Messianism, Zionism and Jewish Religious Radicalism*, Chicago, Chicago University Press.
30. For a basic typology of nationalism see Smith, *The Ethnic Origins*, pp. 79–84.
31. Yoav Peled (1993) 'Strangers in Utopia: The Civic Status of Israel's Palestinian Citizens', in *Theory and Critique*, no. 3, pp. 21–38 [Hebrew].
32. Yair Oron (1993) *Israeli-Jewish Identity*, Tel Aviv, Siriyat Poalim [Hebrew].
33. Benedict Anderson (1991 [1983]) *Imagined Communities*, London, Verso.
34. Eric Hobsbawm and Terence Ranger (eds) (1983) *The Invention of Tradition*, Cambridge, Cambridge University Press.
35. Bhabha (ed.), *Nation and Narration*.
36. Uri Ram (1996) 'Historical Consciousness in Israel: Between Zionism and Post-Zionism', in *Gesher*, no. 132, pp. 93–7 [Hebrew].
37. Uri Ram (1995) 'Zionist Historiography and the Invention of Modern Jewish Nationhood: the Case of Ben Zion Dinur', in *History and Memory*, no. 7, pp. 91–124; Jacob Barnai (1995) *Historiography and Nationalism*, Jerusalem, Magnes [Hebrew].
38. Ram (ed.), *Israeli Society*; Ram, 'Zionist Historiography', p. 251.
39. Simha Flapan (1987) *The Birth of Israel: Myths and Realities*, London, Croom Helm; Jerome Slater (1995) 'Lost Opportunities for Peace: Reassessing the Arab-Israeli Conflict', in *Tikkun*, no. 10, pp. 59–64, 88.
40. Ilan Pappé (1992) *The Making of the Arab-Israeli Conflict*, London, I.B.Tauris; Avi Shlaim (1988) *Collusion Across the Jordan: King Abdullah, the Zionist Movement, and the Partition of Palestine*, New York, Columbia University Press.
41. Benny Morris (1991) *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947–1949*, Tel Aviv, Am Oved, 1991 [Hebrew].
42. But see Shabtai Tevet (1989) 'The New Historians', in *Ha'aretz* (4, 14 and 21 April), Tel Aviv.

43. For example, Alon Kadish (1989) 'The Refugee Problem: The History and the Accusation', in *Ha'aretz* (14 August).
44. Benny Morris (1993) *Israel's Border Wars, 1949-1956*, Oxford, Clarendon Press; Eyal Kafkafi (1994) *An Optional War: To Sinai and Back, 1956-1957*, Ramat Efal, Yad Tabenkin [Hebrew]; Ilan Pappé (1986) 'Moshe Sharett, David Ben Gurion and the "Palestinian Option", 1948-1956', in *Zionism* no. 11, pp. 361-80 [Hebrew].
45. Gershon Shafir (1989) *Land, Labor and the Origins of the Israeli-Palestinian Conflict, 1882-1914*, Cambridge, Cambridge University Press; Baruch Kimmerling (1983) *Zionism and Territory: The Socio-Territorial Dimensions of Zionist Politics*, Berkeley, Institute of International Studies, University of California Press; Gershon Shafir (1993) 'Territory, Labor and Population in Zionist Colonization', in Uri Ram (ed.) *Israeli Society: Critical Perspectives*, Tel Aviv, Breirot, pp. 104-19; Avishai Ehrlich (1987) 'Israel: Conflict, War and Social Change', in Colin Creighton and Martin Shaw (eds), *The Sociology of War and Peace*, Dobbs Ferry, NY, Sheridan House.
46. Shmuel Noah Eisenstadt (1967) *Israeli Society: Background, Development, Problems*, Jerusalem, Magnes [Hebrew]; Dan Horowitz and Moshe Lissak (1977) *The Origins of the Israeli Polity*, Tel Aviv, Am Oved [Hebrew].
47. Baruch Kimmerling (1993) 'Militarism in Israeli Society', in *Theory and Criticism*, no. 4, pp. 123-40; Uri Ben-Eliezer (1995) *The Emergence of Israeli Militarism, 1936-1956*, Tel Aviv, Dvir [Hebrew].
48. Eisenstadt, Israeli Society; Anita Shapira (1980) *Berl Katznelson: A Biography*, Tel Aviv, Am Oved [Hebrew]; Yosef Gorni (1973) *Ahdut Haavoda, 1919-1930*, Tel Aviv, Hakibbutz Hameuhad [Hebrew].
49. Zeev Sternhell (1995) *Nation-Building or New Society?* Tel Aviv, Am Oved [Hebrew], translated into English (1997) as *Founding Myth of Israel: Nationalism, Socialism and the Making of the Jewish State*, Princeton, Princeton University Press.
50. Yonathan Shapiro (1975) *The Organization of Power*, Tel Aviv, Am Oved [Hebrew]; (1993) 'The Historical Origins of Israeli Democracy', in Carry Diamond and Ehud Sprinzak (eds) *Israeli Democracy Under Stress*, Boulder, Colo., Lynne Rienner; Lev Grinberg (1993) *The Histadrut Above All*, Jerusalem, Nevo [Hebrew].
51. Henry Rosenfeld (1978) 'The Class Situation of the Arab National Minority in Israel', in *Comparative Studies in Society and History*, no. 21, pp. 3-20; Zeev Rosenhak (1995) 'New Development in the Study of the Palestinian Citizens of Israel: An Analytical Survey', in *Megamot*, no. 47, pp. 167-90 [Hebrew]; Michael Shalev (1992) *Labor and the Political Economy of Israel*, Oxford, Oxford University Press; Oren Yiftachel (1992) *Planning a Mixed Region in Israel: The Political Geography of Arab-Jewish Relations in the Galilee*, Aldershot, Avebury; Majid Al-Haj (1995) *Education, Empowerment and Control: The Case of Arabs in Israel*, Albany, NY, SUNY Press.
52. Sammy Smooha (1990) 'Minority Status in Ethnic Democracy: The Status of the Arab Minority in Israel' in *Ethnic and Racial Studies* no. 13, pp. 389-413; Lustick, *For the Land and the Lord*; Peled, 'Strangers in Utopia'; Azmi Bishara (1993) 'On the Question of the Palestinian Minority in Israel', in Ram (ed.) *Israeli Society*, pp. 203-21.
53. Eisenstadt, Israeli Society; Rivka Bar Yosef (1980 [1969]) 'Desocialization and Resocialization: The Adjustment Process of Immigrants', in Ernest Krausz (ed.) *Studies of Israeli Society: Vol. I. Migration, Ethnicity and Community*, Brunswick, NJ, Transaction Books, pp. 19-37.



54. Sammy Smooha (1978) *Israel: Pluralism and Conflict*, Berkeley, University of California Press.
55. Shlomo Swirski (1981) *Orientalism and Ashkenazim in Israel*, Haifa, Notebooks for Research and Critique [Hebrew]; (1993) 'Tomorrow', in Ram (ed.) *Israeli Society*, pp. 351–63.
56. Henry Rosenfeld and Shulamit Carmi (1976) 'The Privatization of Public Means, the State Made Middle Class, and the Realization of Family Values in Israel', in J.G. Peristiany (ed.), *Kinship and Modernization in Mediterranean Society*, Rome, The Centre for Mediterranean Studies, American University Field Staff; Shulamit Carmi and Henry Rosenfeld (1989) 'The Rise of Militaristic Nationalism in Israel', in the *International Journal of Politics, Culture and Society*, no. 3, pp. 95–149.
57. Shlomo Swirski (1990) *Education in Israel: Schooling for Inequality*, Tel Aviv, Breirot [Hebrew]; Shlomo Swirski (1995) *Seeds of Inequality*, Tel Aviv, Breirot [Hebrew]; Yaakov Nahon (1993) 'Occupational Status', in Moshe Lissak and Shmuel Noah Eisenstadt (eds) *Ethnic Communities in Israel*, Jerusalem, The Jerusalem Institute of Israel Studies [Hebrew].
58. Amiel Alkalai (1993) *After Jews and Arabs: Remaking Levantine Culture*, Minneapolis, University of Minnesota Press; Ella Shohat (1989) *Israeli Cinema: East/West and the Politics of Representation*, Austin, University of Texas Press; Gabi Piterberg (1995) 'The Nation and its Raconteurs: Orientalism and Nationalist Historiography', in *Theory and Critique*, no. 6, pp. 81–104 [Hebrew].
59. Deborah Bernstein (1987) *The Struggle for Equality: Urban Women Workers in Pre-State Israeli Society*, New York, Praeger; (1992) 'Human Being – or Housewife? The Status of Women in the Jewish Working Class Family in Palestine of the 1920s and 1930s', in Deborah Bernstein (ed.), *Pioneers and Homeworks*, Albany, NY, SUNY Press, pp. 235–60; Silviya Fogel-Bijau (1991) 'Mothers and Revolution: the Case of Women in the Kibbutz, 1910–1948', in *Shorashim*, no. 6, pp. 143–92 [Hebrew]; Hanna Herzog (1994) 'A Forgotten Chapter in the Historiography of the Yishuv: Women's Organizations', in *Cathedra*, no. 70, pp. 111–33.
60. Dan Giladi (1973) *Jewish Palestine During the Fourth Aliya Period (1924–1929)*, Tel Aviv, Am Oved [Hebrew]; (1994) *The Return to Our Forefathers' Land: Z.D. Lavontin: A Proponent of A Free Enterprise Approach to Zionism*, Jerusalem, Friends of the Israel Center for Social and Economic Progress [Hebrew]; Yosef Katz (1989) *hyozma hapratit bebinyan eretz israel betkufat haliya hashniya*, Ramat Gan, Bar Ilan University; (1993) *The Colonization Activity in Palestine of the Zionist Private Companies and Associations*, Jerusalem, Chamul [Hebrew].
61. Amnon Raz-Krakotzkin (1994) 'Exile Within Sovereignty: Toward a Critique of the "Negation of Exile" in Israeli Culture (Parts I & II)' in *Theory and Critique*, nos. 4 and 5, pp. 6–23; 113–32 [Hebrew].
62. Ruth Firer (1985) *The Agents of Zionist Education*, Kiryat Tivon, Oranim [Hebrew]; Ram, 'Zionist Historiography'.
63. Shabtai Beit Zvi (1977) *Post-Ugandan Zionism in the Crucible of the Holocaust*, Tel Aviv, Bronfman [Hebrew]; Yosef Grodzinsky (1994) 'The Holocaust, the Yishuv, Their Leaders and Their Historians (Parts A and B)', in *Ha'aretz*, 8, 15 April; Tom Segev (1991) *The Seventh Million: The Israelis and the Holocaust*, Jerusalem, Keter [Hebrew].

64. Hava Eshkoli-Wagman (1994) *Silence: Mapai and the Holocaust, 1943–1945*, Jerusalem, Yad Yizhak Ben Zvi; Yehuda Bauer (1993) 'No "Tom" and no "Segev"', in *Iton 77*, Tel Aviv, pp. 24–8; (1994) 'That's What a Jewish State is For', in *Ha'aretz*, 27 September; Shabtai Tevet (1994a) 'The Black Hole: Ben Gurion Between Holocaust and Revival', in *Alpayim*, no. 10, pp. 111–95 [Hebrew]; (1994b) 'Shock, Ambivalence or Helplessness?', in *Ha'aretz Sfarim*, 30 March, pp. 4–5; Yehiam Weitz (1994) *Aware But Helpless: Mapai and the Holocaust, 1943–1945*, Jerusalem, Yad Yizhak Ben Zvi [Hebrew]; Dan Michman (1994) 'On History and Charlatanism', in *Ha'aretz*, 6 May; Dina Porat (1986) *An Entangled Leadership: The Yishuv and the Holocaust, 1942–1945*, Tel Aviv, Am Oved [Hebrew]; (1990) 'Contemporary Historiography of Zionist Efforts During the Holocaust Period', in *Yahadut Zemanenu*, no. 6, pp. 117–32 [Hebrew].
65. Henry Wasserman (1986) 'The Nationalization of the Memory of the Six Million', in *Politika*, pp. 7–16, 55; Dan Diner (1988) 'The Yishuv in the Face of the Holocaust of European Jewry' (review article), in *Haziyonut*, no. 13, pp. 301–8 [Hebrew]; Ruth Firer (1989) *Agents of the Holocaust Lesson*, Tel Aviv, Hakkibbutz Hameuhad [Hebrew]; Moshe Zukerman (1993) *Shoah in the Sealed Room*, Tel Aviv, The Author [Hebrew]; Idit Zertal (1994) 'The Sacrifice and the Sanctified: The Construction of National Martyrology', in *Zmanim*, no. 48, pp. 26–45 [Hebrew]; (1996) *From Catastrophe to Power: Jewish Illegal Immigration to Palestine, 1945–1948*, Tel Aviv, Am Oved [Hebrew].
66. See David Asaf (1995) 'The Robbers of Memory', in *Ha'aretz*, 17 February; Dina Porat (1995) 'Two Jewish Peoples', in *Ha'aretz*, 17 February.
67. Firer, *The Agents of Zionist Education*; Boaz Evron (1988) *A National Reckoning*, Tel Aviv, Dvir [Hebrew]; Barnai, *Historiography and Nationalism*; Yehuda Libes (1992) 'New Directions in Kabbala Research', in *Peamim*, no. 50, pp. 150–70 [Hebrew].



## الفصل الثانى

### الدائرة المفرغة : الصهيونية التقليدية وصراع البقاء

إيلان بابيه Ilan Pappé

استُقبل فوز إيهود باراك (١٩٩٩) بالحفاوة محلياً ودولياً كمؤشر على عودة الدولة اليهودية لطريق السلام، وكان هناك ارتياح لهزيمة بنيامين نتنياهو وشاع التفاؤل بشأن استئناف مفاوضات السلام مع الفلسطينيين. صورت وسائل الإعلام الدولية أن المرحلة النهائية من الطريق الطويل الذى بدأ فى أوصلو صارت فى متناول اليد، بيد أنه لم يكد يمر سوى عام ونصف العام حتى أقدم باراك على قيادة فلسطين وإسرائيل إلى حرب جديدة فى خريف ٢٠٠٠ : فقد ذهبت أوصلو ومعها الآمال الطامحة بإنجاز سلام شامل فى الأرض الممزقة لكل من إسرائيل وفلسطين، بل إن إحساس الإحباط والأزمة صار أعمق حتى من ذلك المصاحب لفترة نتنياهو، ذلك أن "سياسة السلام" الخاصة بباراك تمت بطريقة درامية رهيبية وأطاحت بأمل التوصل إلى خطاب متفائل جداً حول السلام. وتوازى مع انهيار مفاوضات السلام اختفاء عصر التعددية النسبية فى الحياة الثقافية للدولة اليهودية، ومما يثير الدهشة أن ما يعرف باسم "وقفة إسرائيل مع الحقيقة"، والتي جاءت مباشرة قبل مفاوضات الوضع النهائى بدأت فى التبلور وكانت قد دخلت بحدة فى دائرة الضوء قبل سنوات قليلة ومع اغتيال إسحاق رابين ثم اختفت تماماً بعد ذلك، وشاركت إسرائيل هذه المرحلة مع تشكيل حكومة الوحدة الوطنية التى تكونت من أغلبية كبيرة من نواب يهود فى الكنيست وشاركت فيها المعارضة التى قبلت ولو بتحفظات قليلة جوهر الحل النهائى كما تطرحه وتقدمه للفلسطينيين. وبدءاً من حركة السلام الآن فى اليسار إلى مجتمع المستوطنين فى اليمين، تولد توافق واسع على

طبيعة تسوية الصراع وقبولها، وهاتان المجموعتان لديهما هيئة برلمانية وتمثيل وزارى فى الحكومة. وكان أى نزاع حزبي فى البرلمان الإسرائيلى، كما تم بعد انتخابات عامى ١٩٩٩ و ٢٠٠١ أو كما ظهر فيما سبق بين الليكود والعمل، غير ذى قيمة كمؤشر دال على طبيعة الجدل السياسى داخل دولة إسرائيل بخصوص القضايا الحاسمة على أجندتها القومية وخصوصاً فيما تعلق بتسوية القضية الفلسطينية، وقد اخترت فى هذا الفصل تصنيفاً سياسياً لتمييز الجدل الداخلى الحالى فى المجتمع الإسرائيلى ويقوم على الانقسامات الأيديولوجية. فما زالت إسرائيل بعكس مجتمعات غربية كثيرة ممزقة جداً بسبب الأيديولوجيا وهى تشبه فى ذلك كثيراً المجتمعات الموجودة فى البلقان، فالدولة نفسها تعتبر جهازاً قوياً لإضفاء الطابع المذهبى كما أن المعارضين لها ينطلقون أساساً مما يمكن أن نطلق عليه المنحى الأيديولوجى، إلى جانب أن رؤية المستقبل تأسست على تفسير خاص للماضى بهدف إما تغيير الحاضر وإما الحفاظ عليه.

وسوف يحل هذا الفصل طبيعة الصدام بين ثلاثة تيارات أيديولوجية داخل الصهيونية تبلورت بصورة واضحة بفعل الحملتين الانتخابيتين لعامى ١٩٩٩ و ٢٠٠١، وبسبب الأزمة التى دخل فيها الطرفان الفلسطينى والإسرائيلى وهما على أعتاب المراحل النهائية من اتفاق أوسلو. وسوف أطلق على التيار الرئيسى "الصهيونية التقليدية" الذى ينتمى إليه كل من العمل والليكود والذى صاغ سياسات وخطط كل الحكومات الإسرائيلية منذ قيام الدولة، أما التياران الآخران المعارضان فقد أظهرتا التحدى لهذا التيار وهما "الصهيونية الجديدة" و "ما بعد الصهيونية". ويهدف هذا الفصل إلى توضيح مواقع وساحات الجدل وتوازن القوة الحالى وأثره لا على مستقبل دولة إسرائيل فحسب، بل على ما هو أكثر أهمية وهو القضية الفلسطينية.

وتتصارع هذه التيارات الثلاثة على كل من الذاكرة والحقيقة والرؤية، أو على الماضى والحاضر والمستقبل، ولم يحقق أى منهما نصراً حاسماً كما لم يواجه هزيمة ماحقة، فالصورة معقدة حيث قد ينجح أى منهما فى واحد من الجبهات الأيديولوجية الثلاثة. ولسنا بحاجة للقول إن التوازن فى المستقبل بالنسبة لهذه المعركة الأيديولوجية سيؤثر بشدة ليس فقط على حياة الإسرائيليين، بل وكذلك على حياة الفلسطينيين وأى شخص آخر فى المنطقة تأثر بالصهيونية وإسرائيل خلال السنوات المائة والخمسين الماضية.

وقد مثلت الصهيونية العمالية أو الصهيونية السائدة تيار الصهيونية التقليدية منذ عام ١٨٨٢ حتى خروج حزب العمل من السلطة في انتخابات ١٩٧٧، حيث تعرضت الصهيونية التقليدية لتحدي سياسي بارز من تصور أو بديل ملمع في التمرکز العنصرى والفصل - العزل - يُعرف بالصهيونية التصحيحية. وقد نشأ هذا التيار منذ ١٩٢٢ ودعا إلى السيادة والسيطرة الصهيونية الكاملة على فلسطين التاريخية بأكملها. ولكن وعلى الرغم من خسائره السياسية وعودته للسلطة لفترة قصيرة في عامى ١٩٩٢ و ١٩٩٩، حيث أعتقد أن حكومة شارون لعام ٢٠٠١ تعد جزءا من هذا التيار رغم أنه شخصياً جاء من اللىكود، فإن الصهيونية التقليدية ظلت التيار الرئيسى الذى يرى من خلاله المركز السياسى والنخب المهيمنة فى إسرائيل حقيقة إسرائيل وفلسطين. والواقع أنه شكّل الأساس الأيديولوجى للهندسة التى قامت بها إسرائيل بشأن التسوية السلمية فى أوسلو ولا يزال أيضاً يدعم الوضع الحالى لإسرائيل بخصوص المراحل النهائية لاتفاق السلام الإسرائيلى - الفلسطينى.

وتعرضت الصهيونية التقليدية لتحدي يسارى منذ عقد السبعينات عبر حركة ما بعد الصهيونية وهى حركة نقدية قمت بوصفها فى مقالات حديثة فى مجلة الدراسات الفلسطينية<sup>(١)</sup>. وأنا أستخدم مصطلح ما بعد الصهيونية كمصطلح لوصف رؤية ثقافية من داخل إسرائيل تنتقد بشدة السياسة والسلوك الصهيونى حتى عام ١٩٤٨ وهى تقبل كثيراً من المقولات التى قدمها الفلسطينيون تجاه عام ١٩٤٨ نفسه، وترسم صورة لدولة غير يهودية فى إسرائيل كأفضل الحلول لمأزق البلد الداخلية والخارجية، وهى بذلك تعبر عن وجهة نظر عدد كبير من المواطنين الفلسطينيين فى إسرائيل. والواقع أن الأمل الوحيد لتحوله إلى بديل سياسى ذى مغزى يعتمد أساساً على قدرته على تشكيل تحالف سياسى مستمر مع الأقلية القومية الفلسطينية فى إسرائيل.

ولكن هذا التحالف لم يتكون بعد، ومن هنا لا نستطيع أن نتحدث عن تيار ما بعد الصهيونية باعتباره يمثل تحدياً سياسياً فعلياً. والواقع أنه حقق نجاحاً فى مجالات أخرى كما سوف أشرح فى الجزء الأول من هذا الفصل، وخصوصاً فى معركة الذاكرة الجمعية والماضى، لكن التحدى السياسى الرئيسى للصهيونية التقليدية جاء من اليمين،

حيث يمثل اليمين حالياً وجهة النظر الصهيونية المسيطرة أو ما سماها "يوري رام" وجهة النظر الصهيونية الجديدة<sup>(٢)</sup>، إذ تقدم الصهيونية الجديدة تفسيراً متطرفاً وعنيفاً للصهيونية. وقد نشأت كفرع هامشي من الصهيونية في كل من المعسكرين العمالي والتصحيحي وانتعشت في المراكز التعليمية التي تسيطر عليها الحركة الصهيونية الدينية "هابوعيل مزراحي" [تحولت إلى الحزب القومي الديني، المفدال]. وبرزت كبديل رسمي بعد حرب ١٩٦٧ لتتقوى عن طريق من يؤمنون بالتوسع في الحركة العمالية وقادة حزب الليكود وحاخامات مؤثرين في الدوائر الدينية. وقد توسعت قاعدة الصهيونية الجديدة في الثمانينات من القرن الماضي بتشكيل تحالف بين المستوطنين في الأراضي المحتلة والقطاعات المهمشة والمحرومة من المجتمع اليهودي في إسرائيل، ويبدو أنه تحالف قلق بين القوميين التوسعيين والحاخامات الأكثر تطرفاً والقادة الروحيين العرقيين ليهود المزراحي، فهم يطرحون أنفسهم كأبطال للتجمعات اليهودية المتدينة المحرومة في إسرائيل. ويشكل يهود المزراحي تجمعاً انتخابياً قوياً ما زال يؤيد هذا التحالف وإن كان يعبر عن رؤية أكثر تعقيداً إيقاناً ما يجعلنا نعجز عن تحديد موقعها على الخريطة الأيديولوجية التي نصفها، ولكن المرجح أنها تتوزع، مثل بقية التجمع اليهودي في إسرائيل، بين التيارات الأيديولوجية الثلاثة.

### الصهيونية التقليدية : نهاية وهم فكرى :

يمر المفهوم الصهيونى التقليدى بتحولات درامية ومادية منذ نشأة الحركة العمالية عام ١٨٨٢، وقد لعب الاستعمار والقومية والاشتراكية أدواراً مؤثرة في تشكيل الأيديولوجيا والممارسة الصهيونية التقليدية. وهناك كتابات حديثة تناولت هذه التحولات بعين ناقدة ولا أنوى أن أضيف عليها، بل سوف ألقى فقط نظرة سريعة على موقفها الحالى، فمن الخطأ أن أحيط بشكل عابر بخطوط مثل هذه الظاهرة الاجتماعية أى الصهيونية التقليدية خاصة وأننى اخترت أن أقوم بوصف الرؤى الصهيونية الرئيسية، حيث ينبغى أن تتضمن أى يهودى غير صهيونى أو معاد للصهيونية في إسرائيل من جهة، وأى يهودى غير أصولى أو مغال في أصوليته من جهة أخرى.



ومن الأسهل أن نجد أعضاء هذه الفئة الاجتماعية الأيديولوجية داخل وسائل الإعلام الإسرائيلية والوسط الأكاديمي. ذلك أن أكثر، إن لم يكن كل، من يسيطرون على هذا الوسط وعلى مساحة الجدل في إسرائيل يقدمون أنفسهم كصهاينة يعارضون تماماً التخوم "المتطرفة" في الطيف السياسي الإسرائيلي.

ولم يكن من تبنا وجهة النظر الصهيونية التقليدية ولفترة طويلة بحاجة لتوضيح مواقفهم بخصوص الماضي، بيد أن ظهور التوجه الأكاديمي "ما بعد الصهيوني" أجبر حراس الصهيونية التقليدية على إعادة تأكيد تفسيراتهم المستندة على الرواية الرسمية للتاريخ وكذلك قناعاتهم الأخلاقية. ومن الجدير بالذكر أن الذاكرة الجمعية وصورة الذات الأخلاقية ارتبطت بشدة ولا عجب بما أحدثه النقد الذي وجهه تيار ما بعد الصهيونية للرواية الصهيونية للتاريخ من زيادة حدة الجدل العام بما يمكن أي فرد من معرفة المزيد عن الموقف الحالي للصهيونية التقليدية من التاريخ. فهذا الموقف يدعم سياسات الحاضر وسوف يؤثر على أوضاع المستقبل حتى إن كثيراً من أنصار المعسكر الصهيوني التقليدي يقرون أنفسهم بأن الجزء الوحيد الذي يستحق التقدير لديهم فيما يتعلق بالتوجه الأكاديمي ما بعد الصهيوني هو أنهم دفعهم إلى إعادة تعريف وتحديث تصوراتهم بشأن التاريخ الصهيوني والإسرائيلي.

ويلاحظ أن الصهاينة التقليديين ينشغلون الآن بعملية إنقاذ كما يذهب أحد أتباع هذا الاتجاه وهو "دافيد أوهانا" Ohana في كتابه الجديد "الإسرائيليون الآخرون" (٣) the Last Israelis . وتهدف هذه العملية إلى الدفاع عن الصهيونية ضد أعدائها من الصهاينة الجدد على جانب اليمين وما بعد الصهيونية على جانب اليسار، وترفع هذه العملية شعار الليبرالية والتوجه الإنساني بجانب الصهيونية. وتتضمن الرؤية التجديدية الزعم بأن الصهيونية كانت حركة قومية ذات منحى إنساني وليبرالي واشتراكي جلبت معها التحديث والتقدم إلى فلسطين المتخلفة أو البدائية وقلبت الصحراء إلى جنة خضراء وأعادت بناء المدن المدمرة، كما أدخلت الزراعة الحديثة والصناعة لمصلحة الجميع سواء كانوا يهوداً أو عرباً. هذا إلى جانب أن من قاوموا الصهيونية كانوا من المتطرفين الإسلاميين والاستعمار البريطاني المحابي للعرب إلى جانب الثقافة والتقاليد

المحلية ذاتها لأنها تأسست على العنف السياسى. ورغم كل هذه العقبات وكذلك المقاومة المحلية الشرسة، فقد أبقت الصهيونية على ولائها للمبادئ الإنسانية الموجهة للسلوك الفردى والجمعى وقامت وبنون كلل بتوسيع أراضيها على حساب جيرانها العرب الذين ما يزالوا يرفضونها. وفى مواجهة كل هذه المعوقات أيضاً أقامت الصهيونية دولة بمعجزة فى مواجهة عدا العالم العربى، ورغم ضيق مسافة هذه الدولة وضعف إمكانياتها، فقد تمكنت من استيعاب مليون يهودى تم طردهم من العالم العربى واستطاعت أن تطورهم وتدمجهم فى إطار الديمقراطية الوحيدة فى الشرق الأوسط. كما كانت دولة ذات طابع دفاعى تحاول احتواء العداوة العربية المتنامية وتجاهل العالم، دولة نقلت اليهود من أكثر من مائة مكان فى الشتات وجمعتهم فى فلسطين وصنعت منهم شعباً يهودياً جديداً. لقد كانت حركة للخلاص الأخلاقى والعادل عانت من سوء الحظ عندما وجدت شعباً آخر فى أرض الأجداد وعبثاً حاولت أن تقدم لهم فرصة ليشاركوا فى مستقبل أفضل ولكنهم رفضوا بحماسة. على أن هذه مجرد لحظة قصيرة من المشهد سرعان ما تعرضت للتآكل مع النتائج الرهيبة لحرب عام ١٩٦٧ والزلازل السياسى لعام ١٩٧٧ بمجىء الليكود إلى الحكم. فقد تسببت حرب ١٩٦٧ وما تلاها فى تعميق الملامح السلبية مثل الاتجاه التوسعى نحو الأراضى [العربية] وتصاعد التطرف الدينى على جانب اليمين من جهة وتنامى ظاهرة الشك فى الذات وكراهية الذات على جانب اليسار. ولكن كان هناك مجال للتراجع ووقف تلك النزعات عبر العودة إلى قيم الصهيونية التقليدية ذات الطابع الإنسانى والديمقراطى والليبرالى.

هذه هى الرواية التى ترسخت فى الوسط الأكاديمى من بين آلاف الروايات التاريخية الأقل شأنًا ولم يشكك فيها سوى الوسط الأكاديمى الفلسطينى وإن تجاهلها فى الغرب كما تجاهلتها الأحزاب المعادية للصهيونية فى إسرائيل باعتبارها مجرد دعاية، وقد سمح لأساتذة بارزين بكتابة أجزاء من التاريخ ووضعها فى قالب أكبر لكى يضيفوا الشرعية على الزعم الصهيونى تجاه فلسطين وتجاه فضيلة المسار التحديثى الذى سلكته إسرائيل. غير أن هذه الرؤية التقليدية يشكك فيها الآن أساتذة الاتجاه ما بعد الصهيونى الذين صوروا الصهيونية كمشروع استعمارى يفتقد المنحى

الأخلاقي وقاد مع مشاكل متوارثة إلى المآزق الداخلية والخارجية التي تواجهها إسرائيل اليوم، ولا يثير العجب أن إعادة التفسير تعرضت للنقد لأنها جاءت من داخل الوسط الأكاديمي الإسرائيلي [الذي سيطرت عليه الصهيونية السياسية منذ قيام إسرائيل].

وبالنسبة لعملية الإنقاذ سالفة الذكر فهي تتصارع على الصور والمدرجات ويقودها مؤرخون من اليسار الصهيوني داخل المجتمع الأكاديمي الإسرائيلي، وقد ركز هذا الفريق اهتمامه ضد أساتذة ما بعد الصهيونية لأنه يزعم أنهم مجرد صهاينة جدد من التيار اليميني، وأن تيار ما بعد الصهيونية ليس فاعلاً في مجال صور الماضي وإن كان يبدو أقوى في تسويق رؤية جديدة حول المستقبل، وقد شهدت الفترة منذ منتصف التسعينات تعرض أساتذة ما بعد الصهيونية للتشكيك في كتب ومقالات ومؤتمرات عديدة كما وصفت ادعاءاتهم على أنها أسهمت في تشويه نفسها لصالح الأيديولوجيا المعادية للصهيونية. وكان هذا بداية ظهور تيار ما بعد الصهيونية، ففي أواخر الثمانينات كان هناك رد فعل مشترك ينحو إلى تجاهل مؤرخي ما بعد الصهيونية واعتبارهم مجرد جماعة أيديولوجية. وفي هذا الإطار تم تجنيد عدد من الأفراد مثل الصحفي الإسرائيلي "شابطاي تيفيث" *Teveth* للقيام بهذه المهمة. فقد كان مما يمس كرامة المؤرخين الموالين للصهيونية أن يشاركوا فيما يعتبرونه جدلاً سياسياً وأيديولوجياً، وحاول تيفيث - ولا - تنفيذ حجج "بنى موريس" حول دور إسرائيل في صناعة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ونجح في إشراك أوساط دولية قليلة في ذلك، لكنه فشل في أن يحظى بالاهتمام الذي لقيه موريس. وهناك شخص آخر تم تجنيده هو الروائي "أهارون ميجيد" *Meged* الذي تصدى للأساس الأخلاقي لكتابات رواد ما بعد الصهيونية<sup>(٤)</sup>.

غير أن الكتلة الرئيسية من المؤرخين وعلماء الاجتماع انضمت إلى الجدل في عقد التسعينات بعد أن كانوا محجّمين عن ذلك باعتباره أمراً "غير أكاديمي" وكان الانتباه الذي أثاره تيار ما بعد الصهيونية خارج وداخل إسرائيل يتطلب منظورا أكثر تدقيقاً، وأدى مزج الوسط الأكاديمي مع التوجه المعادي للصهيونية إلى تحويل ما بعد الصهيونية إلى مساهمة تحليلية منشّطة لدراسات الشرق الأوسط لإسرائيل وفي الغرب،

والواقع أنه يصعب تجاهل الحقيقة المتمثلة في أن مقولات المجموعات المعادية للصهيونية، والتي كانت مهمشة في الماضي، اكتسبت اهتماماً لدى أعضاء المجتمع الأكاديمي الإسرائيلي.

وقد تصدى لهذه هذه المقولات حديثاً مؤرخون وعلماء اجتماع كبار مثل "موشيه ليزاك"، "أنيتا شابيرا"، "يوسف جورني"، "شلومو أهاروتسون" وهم ذوو وضعية أكاديمية وعامة رفيعة وكان رد فعلهم أكثر رصانة من ذلك الذي قدمه "تيفيث"، و"ميجيد" حيث تعرضوا لنقاط هامشية أثارها اتجاه ما بعد الصهيونية وإن كانوا يرفضون استنتاجاته الرئيسية حول ماضى وحاضر إسرائيل<sup>(٥)</sup>. ففي مواجهة الطابع التصحيحي لما بعد الصهيونية طرح هؤلاء الأساتذة رؤية إصلاحية حول جذور الصهيونية وحرب ١٩٤٨ والسنوات الأولى من نشأة الدولة. ولكن تميزت محاولاتهم بطابع "استثنائي"، حيث يذهبون إلى أنه وإن كان السلوك الصهيوني قد تميز بخصائص استعمارية في أواخر القرن التاسع عشر إلى جانب مظاهر من السلوك الوحشي والطرْد [للسكان العرب] ارتكبت أثناء حرب ١٩٤٨ وكذلك ممارسات تمييزية وسوء استخدام للقوة في السنوات الأولى من قيام الدولة، فإن كل هذه الظواهر ليست سوى استثناءات لا تبعدنا عن الحقيقة التي بقيت دائماً وهي أن الصهيونية كحركة قومية ربطت بين التوجه الإنساني والليبرالية سواء في حقل الرؤية أو الممارسة. لقد كشف رد الفعل هذا عن أحد جوانب النجاح لتيار ما بعد الصهيونية، فقد كان نقاد هذا التيار يقبلون المقولات من قبيل مسألة السلوك الصهيوني إبان الحرب العالمية الثانية باعتبارها مقدسات لا تمس، وتمثلت المقولة الرئيسية للنقد ما بعد الصهيوني في أول عمل تسجيلي بناء على كتاب "توم سيجيف" "المليون السابع" كمثال والذي عرض كفيلاً وثائقاً على التليفزيون الإسرائيلي، وهي ترى أن المجتمع اليهودي ركز اهتمامه فقط على مصير اليهود الأوروبيين عندما كان هذا يخدم الصهيونية، ولكن هذه الحجة واجهها "يهودا باور" و"إسرائيل جوتمان" وهما مؤرخان بارزان في معهد "ياد فاشيم"، وأيدهم في ذلك "حاييم جوري" شاعر الصهيونية وإسرائيل الرسمي الذي أضاف جوانب شعورية للسجال<sup>(٦)</sup>.



وجاء النجاح الثانى لتيار ما بعد الصهيونية ليتناسب مع مزاج كثير من الإسرائيليين وهم يحتفلون بالعيد الخمسينى [لإنشاء دولة إسرائيل] (١٩٩٨) وخصوصاً على جبهة اليسار والفئات الاجتماعية المهمشة، وقد تغذى هذا المزاج من حقيقة الواقع السياسى والثقافى والاجتماعى لإسرائيل كمجتمع مزقته الانقسامات الدينية والعرقية والثقافية والسياسية والاقتصادية ما أدى إلى تقويض كل الجهود التى بذلت لخلق مزاج احتفالى إبان الذكرى الخمسين للدولة. فما زالت جماعات عديدة تشعر بالحرمان وغياب العدالة التاريخية المستمر حتى الآن، وتنشغل بسماع ما يجب أن يقوله الأكاديميون حول ذلك الوضع وإلى أى حد يتفق الوسط الأكاديمى معهم. أما رجال التعليم التقدميون بصفة خاصة فقد تأثروا بذلك الجدل الحاد الجديد حول ماضى وحاضر إسرائيل الذى طرحه الأكاديميون.

وخلال عام ١٩٩٧ انضم عدد آخر من الأساتذة ممن لم يعتادوا التعامل مع إسرائيل كموضوع أكاديمى إلى الجدل فى محاولة لتقويض مصداقية التوجه الأكاديمى ما بعد الصهيونى، من هؤلاء ثلاثة أساتذة هم: "عامون روبنشتين" و "هيدفا بن إسرائيل" و "عمانويل سيفان" وكان هؤلاء أكثر ارتباطاً باليسار الصهيونى وأضيفوا مستويات جديدة من العمق على السجال، ويلاحظ أنهم لم يهاجموا معطيات أو حقائق طرحتها دعوة ما بعد الصهيونية ولكنهم ركزوا الهجوم على الإطار الأيديولوجى والنظرى لهذا التيار. فعلى سبيل المثال اختار "بن إسرائيل" و "سيفان" أن يواجهوا المنظرين الذين آمنوا بأفكار أساتذة ما بعد الصهيونية، فقد واجه بن إسرائيل "إريك هوبسباوم" Eric Hobsbawm كما تصدى "سيفان" لإنوارد سعيد، حيث عرض "سيفان" انتقادات سعيد لتفنيد ما قام به سعيد من تفكيك للاستشراق. ورغم أن ذلك أسهم فى تعميق الجدل فقد أبرز المدى الذى وصل إليه الأكاديميون الإسرائيليون فى ولائهم للصهيونية، ولا عجب أن مثل هذا الالتزام جعل الخطاب المستخدم خصوصاً ضد سعيد عنيفاً وشخصياً<sup>(٧)</sup>. على أن ذروة الهجوم المضاد أكاديمياً جاءت مع ذلك الكتاب الغريب الذى ألفه "إفرايم كارش" بعنوان "صناعة التاريخ الإسرائيلى"<sup>(٨)</sup> وهو يتسم بالسطحية والفقر القليل من حيث طرح أدلة جديدة، والواقع أنه كرس أساساً للهجوم على "آفى شلايم" و "بنى موريس". فمن موقعه

فى لندن لم يدرك "كارش" كلا من حدود الوسط الأكاديمى ما بعد الصهيونى ومستوى القبول بأفكاره فى إسرائيل نفسها، ومثلما كان "تيفيث" قبله، أورد تفاصيل غير ذات معنى حول المشهد الكلى ومن ثم عجز عن طرح رواية بديلة لتلك التى قدمها هذان المؤرخان المحترفان أى "موريس" و "شلايم".

لقد كان صوت "كارش" غير مسموع عندما شارك فى الجدل الدائر فى إسرائيل بينما قدم الوسط الأكاديمى الإسرائيلى جهداً ملموساً وجاداً، حيث لم يشتمل فقط على النقاش حول أساس الصهيونية بل وأيضاً مدى نزاهة الأكاديميين أنفسهم. وقد خلق تعايشاً صعباً فى عقد التسعينات فى الأوساط الأكاديمية إلى حد إثارة الجدل السياسى فى المجتمع الإسرائيلى. فحتى إن وجدت أبراج عاجية فى إسرائيل فإنها تواجه خطر الانهيار، حيث أدخل الاستقطاب فى الساحة السياسية الوسط الأكاديمى إلى الواجهة وكان دخولا درامياً عانى من الإنكار لسنوات تحت زعم أن الأساتذة الصهاينة التقليديين قادرون على الفصل بين عملهم الأكاديمى ومواقفهم الأيديولوجية.

### تحديد قوة الصهيونية التقليدية : رسم خارطة ما بعد أوصلو

بينما كانت الصهيونية التقليدية تسير متعثرة وغير مقنعة فى القرن التالى [العشرين] كتفسير أكاديمى لتاريخ فلسطين، فقد ظلت عنصراً رئيسياً فى تشكيل الإدراك اليهودى للحاضر، وبينما تمتعت دعوة ما بعد الصهيونية بتأييد ملموس فى عقد التسعينات فى الوسط الأكاديمى وإلى حد ما فى الصحافة والإعلام الثقافى، فإن رؤيتها حول إسرائيل علمانية وديمقراطية وغير صهيونية (أو إسرائيل وفلسطين كنولة موحدة) لم تحظ بسوى بمتابعة قليلة فى الوسط السياسى الإسرائيلى اليهودى وإن كان فلسطينيو إسرائيل قد أيدوا هذه الرؤية تماماً.

وقد برزت الصهيونية التقليدية فى الساحة السياسية على يد الصهيونية العمالية وبسبب وضعها المسيطر فى المراكز السياسية والاجتماعية فى إسرائيل لا تزال هذه الحركة تقدم التفسير السياسى السائد لحقيقة إسرائيل- فلسطين. وفى الماضى كان

اليمين التصحيحي المتمثل في الليكود هو الذي يعارض الصهيونية التقليدية. ويطالب هذا الحزب والأحزاب الشقيقة له بأرض إسرائيل الكبرى التي تمتد إلى الأردن وفلسطين، مع ذلك لم يجد الليكود أثناء وجوده في السلطة القوة أو التشجيع لضم الأراضي الفلسطينية المحتلة في ١٩٦٧ رغم ما قام به من زيادة المستوطنات في هذه المناطق. وأبرزت حقائق ما بعد أوسلو مدى تآكل الحزبين الكبيرين الليكود والعمل وكذلك تقاربهما معا أكثر مما مضى فيما يتعلق بتفسيرهما للماضي ورؤيتهما للمستقبل، وعندما نستخدم كلمات العمل والليكود لا نعني فقط برامج ومواقف الحزبين ولكن أيضاً اتجاهات ناخبهم كما تظهر في الإعلام واستطلاعات الرأي والخطاب السياسي لهؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم منتمين إلى "الأغلبية الصامتة" أو إلى "التيار السائد" في إسرائيل.

وقد تجسدت الرؤية الصهيونية التقليدية في اتفاق أوسلو أو بالتحديد في التفسير الإسرائيلي لأوسلو. وتمثل الجزء الأول من هذه الرؤية في القول بأن إسرائيل ما قبل ١٩٦٧ هي أمر غير قابل للتفاوض بشأنه ومن ثم فإن مستقبل اللاجئين أو مناقشة دور إسرائيل في صناعة المشكلة مستبعد من البداية من طاولة المفاوضات "ولم تتم الإشارة للرفض المبدئي لتضمين موضوع الفلسطينيين في إسرائيل في أي حوار فلسطيني إسرائيلي حول المستقبل".

يصر الصهاينة التقليديون على أن الحيز الجغرافي والترابي الخاص بالأراضي للصراع الإسرائيلي- الفلسطيني مقيد فقط بالمناطق التي احتلتها إسرائيل ١٩٦٧ ولا يشمل القدس الشرقية وضواحيها، فهو الحيز الذي يبدو فيه الحل الدائم مستقراً. فمن الناحية الجغرافية لا تشتمل الأراضي التي يتم التفاوض عليها معظم الأرض التي يسيطر عليها المستوطنون اليوم. أما الأراضي التي تتركها قبل إسرائيل فسوف يتحكم الإسرائيليون في النقاط الرئيسية حولها بينما يقوم الفلسطينيون بمهم معينة. وهذه الصيغة عبارة عن خليط يجمع خطتين إسرائيليتين قديمتين حول "السلام"، حيث طرح "إيجال آلون" الخطة الأولى في حين طرح "موشيه دايان" الخطة الثانية في عقد السبعينات. وكان "آلون" يسعى لحل وسط إقليمي مع الأرمن على أساس توزيع السكان على الأراضي،

أما دايان فقد اقترحت تقسيم وظائف السلطة بين إسرائيل والأردن حيث تسيطر إسرائيل أساساً على وظائف الأمن في الضفة الغربية ويتولى الأردنيون هذه الوظائف في بقية الأراضي، ولا يزال هذان النهجان يشكلان قاعدة المشروعات الحالية حول التسوية الدائمة التي تقدم بها العمل والليكوود معا وبعد أن حل الفلسطينيون محل الهاشميين كشركاء بدءاً من عملية أوسلو.

ومثل هذه الرؤية المشتركة تتيح لنا الحديث عن حركة أيديولوجية واحدة تضم العمل والليكوود معاً، فهي ترى أن الحل ينبغي أن يملأ على الفلسطينيين، وهذا ما نراه واضحاً منذ التوصل لاتفاق أوسلو : إنه نوع من الإملاء مارسته كافة الحكومات السابقة لإسرائيل. إذ يتمتع مفهوم الإملاء وسيظل بتأييد واسع من قبل السكان اليهود. والواقع أن انتخابات عام ١٩٩٦ أظهرت أن غالبية الناخبين اليهود كانوا راغبين في فرض أوسلو كحقيقة على الفلسطينيين بالأسلوب الأكثر شراسة الذي طرحه "بنيامين نتنياهو"، ولم يؤد بسقوطه في الانتخابات إلى عمل شيء ما في مواجهة الانتقادات الموجهة لهذه السياسة حيث استمر باراك وشارون في إتباعها بعدة وسائل منها تصعيب ظروف السلام التي اقترحها رابين. ويوضح تركيب حكومتى ١٩٩٩ و ٢٠٠١ وكذلك فرق المفاوضات (جنرالات سابقون إلى جانب "عومري" ابن شارون) هذا الأسلوب اللفظي الذي تجسد عندما كان الليكوود خارج الحكومة عام ١٩٩٩ وعندما قاد حكومة الليكوود والعمل في عام ٢٠٠١ .

ولعل هذا يفسر السبب في أن عملية أوسلو حظيت باهتمام كبير من الإسرائيليين وتحولت إلى ملاذ للوسط السياسي هناك، ومن ذلك تعليق يوسى بيلين أحد قادة الجناح اليساري البارزين في حزب العمل بعد انتخابات ١٩٩٦ مباشرة بأن العمل والليكوود يمكن أن يتوصلا لأرضية مشتركة بخصوص صناعة السلام. إذ تعد صياغة برنامج مشترك بين أحزاب سياسية مثل الليكوود والعمل أفضل وسيلة لتجنب الارتهاق لإرادة أحزاب أيديولوجية منقسمة. ويكشف التدقيق في البرامج السياسية للحزبين عن وجود تداخل شديد بشأن أوسلو، حيث يدعو حزب العمل إلى عدم التخلي عن المئة وأربعين مستوطنة في الضفة الغربية وغزة وإبقائها تحت السيادة الإسرائيلية في أي



حل نهائى، كما يصر على بقاء القدس موحدة تحت السيطرة الإسرائيلية، رغم اختلاف مواقفها بالنسبة لمسألة الدولة الفلسطينية فإنهما، يطرحان فى الواقع كياناً أبعد ما يكون عن الدولة المتعارف عليها.

ويمكن التعرف على حجم الاتفاق داخل مركز النظام السياسى الإسرائيلى فى وثيقة بيلين - إيتان التى حددت ملامح مستقبل أية حكومة وحدة وطنية فى إسرائيل. ومن المفترض أن بيلين ينتمى إلى يسار العمل فيما ينتمى إيتان إلى يمين الليكود ومع ذلك لم يجدا صعوبة فى الاتفاق على ضرورة إملاء خطوط التسوية الدائمة على الفلسطينيين، ومن ذلك الاحتفاظ بغالبية المستوطنات تحت السيطرة والسيادة الإسرائيلية وأن تظل القدس موحدة تحت الحكم الإسرائيلى وأن تظل إسرائيل مسئولة عن الأمن على نهر الأردن. ولا توجد إشارة لأى حل لمشكلة اللاجئين وإن كان يوجد اتفاق على شىء يشبه الدولة يمنح للفلسطينيين فى المناطق التى تصبح تحت سيطرتهم.

وخلاصة القول أن الصهاينة التقليديين رأوا أن من المتوقع أن تقبل السلطة الفلسطينية مخططاً يجعل من فلسطين بويلة محددة تنحصر فى معظم الضفة الغربية وغزة مع عاصمة مصغرة فى بلدة أبو ديس من دون أى تسوية لمشكلة اللاجئين ومن دون إزالة المستوطنات اليهودية.

وتنطوى هذه الرؤية أيضاً على بعد اقتصادى حيث تتماس مع الحدود القومية بمعنى إدخال اقتصاد السوق الحرة الرأسمالى إلى كل من فلسطين وإسرائيل، فقد اعتبرت اتفاقات باريس الموقعة عام ١٩٩٤، والتى شكلت الشق الاقتصادى من أوسلو، أن كلا من فلسطين وإسرائيل سوف يكونان وحدة اقتصادية واحدة، وهذا ما يتضح فى ربط الإجراءات الجمركية فى كل منهما وكذلك فى توحيد السياسة الضريبية. وقد تأكد ذلك التوحيد بالقرار الذى اتخذ بتأجيل المفاوضات الفرعية الخاصة بإصدار عملة فلسطينية. وعلاوة على ذلك، منحت الاتفاقات إسرائيل استخدام حق النقض ضد أى مشروع تنموى تقدم عليه السلطة الفلسطينية، ما يعنى أن سياسات إسرائيل النقدية والتنموية وسعر صرف عملتها تلعب دوراً مسيطراً فى الاقتصاد الفلسطينى، كما تتحكم إسرائيل فى القطاعات الأخرى لهذا الاقتصاد مثل التجارة الخارجية والصناعة.

ويؤدي فرض الرؤية الإسرائيلية بشأن المجتمع الرأسمالي على المناطق الفلسطينية إلى نتائج كارثية في ضوء غياب بنية ديمقراطية ووجود مستوى منخفض للغاية للنتاج القومي الإجمالي، ما يؤدي إلى شكل للاندماج يجعل من المناطق الفلسطينية تحت إشراف السلطة مجرد امتداد للأحياء العشوائية أو مدن الصفيح في إسرائيل. ويمكن ملاحظة النموذج الصارخ لهذا يمكن في منطقة معبر "ايريز" حيث شيد الإسرائيليون بمساعدة الأمريكيين والاتحاد الأوروبي "متنزهاً صناعياً"، ولا يجب أن ننخدع بكلماتهم عندما يزعمون أن عمالاً فلسطينيين يعملون فيها لأنهم يتقاضون أجوراً متدنية للغاية بينما الإسرائيليون هم أصحاب العمل. وتحتفظ إسرائيل بتصورات متشابهة بخصوص هذه "المتنزهات" على الحدود مع الأردن والضفة الغربية، حيث يعتبر الصناعيون الإسرائيليون أنفسهم منتمين لمعسكر السلام. وهذا هو مجرد جانب واحد فحسب من عملية إضفاء الطابع الرأسمالي على عملية السلام، وهناك جانب آخر يقدمه عدد قليل من الفلسطينيين ممن يستطيعون الانتفاع من مثل هذه المعاملات الاقتصادية.

وعلى الرغم من أن البؤس الاقتصادي وغياب أي تقدم فعلى في القضية القومية أفضى إلى احتجاج فلسطيني على واقع أوسلو، فإن الأمر استلزم بالنسبة للإسرائيليين أكثر من انتفاضة عام ٢٠٠٠ حتى يقتنعوا بضرورة تغيير الواقع الذي ولد بعد أوسلو، فقد آمنت غالبية الإسرائيليين اليهود بأن السلام الذي أقامته أوسلو يستند إلى منطق لا يقهر كما عبر عن ذلك مرارا رئيس الوزراء الأسبق رابين. وحسب هذا المنطق كان الفلسطينيون يعانون من حالة مفزعة قبل أوسلو، فقد منحوا تحسينات وإن كانت غير كافية لكنها تدخل على أية حال ضمن معادلة  $N + 1$ ، حيث تشير  $N$  إلى الموقف السابق بينما تعني ١ أي رقم واحد غزة ورام الله وأريحا التي غطيت بالأعلام الفلسطينية وتقوم قوات الأمن الفلسطينية بحراستها، لكن رقم واحد هذا يشير إلى سلطة غير ديمقراطية تتولى توفير خدمات الأمن بدلا من الاحتلال الإسرائيلي. هذا هو السلام بعينه بالنسبة لمعظم الإسرائيليين الذي يعنى إنهاء الإرهاب والقنابل، فغالبية الإسرائيليين يؤمنون بالسلام على أنه مجرد ضمان أمنهم اليومي الذي تحسن بفعل أوسلو حتى جاءت الانتفاضة الثانية، وما يطلبونه الآن هو سلام ما بعد فترة الانتفاضة.

## مستقبل الصهيونية الجديدة : صناعة التطرف الإسرائيلي

ترغب أشد الأحزاب تطرفاً مثل شاس وأجودات إسرائيل في المضي بهذه الرؤية قدماً، بيد أن أى تصور للمستقبل لا يعد مجرد حالة من تعيين الحدود أو احتواء طموحات وحقوق الفلسطينيين القومية، بل إنه أيضاً بمثابة شأن خاص بالهوية وأساس المجتمع. ومن هنا نجد أننا فى مواجهة رؤية صهيونية جديدة يشترك فى تبنيها كل من التجمع الاستيطاني وأنصار الحزب القومى الدينى (المفدال) والأحزاب الأصولية الأشد تطرفاً واليمين العلمانى الجديد المرتبط مالياً وأيديولوجياً باليمين الجديد فى الولايات المتحدة، إلى جانب الحزب اليميني الجديد للمهاجرين الروس (إسرائيل بيتنا).

وعلى العكس من اتجاه ما بعد الصهيونية، تم تمثيل التحالف الصهيونى الجديد فى الحكومة التى شكلت بعد انتخابات عام ١٩٩٩ وحظى بتمثيل أكبر فى حكومة شارون لعام ٢٠٠١، فقد كانت لهم ست وزارات فى عام ١٩٩٩ زادت إلى تسع فى عام ٢٠٠١ مع أنها تمتعت بقوة أقل فى حكومة نتنياهو. وكانوا ممثلين فى حكومة باراك بنسبة ضئيلة فقط بفعل التغير الذى طرأ على الأجندة القومية لفترة قصيرة من التركيز على الأراضى والحدود السياسية إلى القضايا الاجتماعية-الثقافية. ويلاحظ أن الدولة المصغرة التى طرحها باراك على الفلسطينيين أزعجت الصهاينة الجدد وإن تقبلوا واقع عدم قدرتهم على تقديم بديل آخر. ومنذ عام ٢٠٠١ كان من الصعب العثور على أجندة خاصة بالصهيونية الجديدة بشأن القضايا المحلية وخصوصاً الدفاع والأمن والتى شغلت الجميع، ولكن الشعور الزائف بالاستقرار الذى ساد طوال عقد التسعينات من القرن الماضى وخصوصاً فى سنوات باراك، كشف بوضوح كيف أن الدولة اليهودية تموج بهذا الطيف الأيديولوجى واسع النطاق.

وقد بدت إسرائيل بعد أوصلو متعددة الأعراق والثقافات ومنقسمة بحدة حول مسائل الثقافة والقانون والأخلاق والتعليم، ولم يكن هذا انقساماً بخصوص مواقع واضحة، بل عبارة عن أصوات مضطربة غير آمنة. ويلاحظ أن مختلف الجماعات التى

تشكل المجتمع الإسرائيلي تشدد على هويتها الخاصة بها على حساب هوية الدولة، وهو ما يظهر في قبول المواطنين أو رفضهم لأداء الخدمات المدنية العامة مثل الضرائب أو في مشاركتهم في القضايا المشتركة من عدمه. وقد برز من أنماط التصويت في انتخابات عام ١٩٩٦ مدى تفضيل الناخبين لمصالحهم الخاصة، ومنهم الإثيوبيون والروس ومن شمال إفريقيا وسكان تل أبيب العلمانيين وكذلك فلسطينيو إسرائيل، حيث كان التصويت عرقياً، وزاد هذا النمط بروزاً في انتخابات ١٩٩٩. ذلك النمط من التصويت يعنى كارثة بالنسبة لإسرائيليين كثيرين خاصة وهم يلاحظون جسارة تنامي جاذبية الصهيونية الجديدة كل جاهز ومبسط لواقع التفكك هذا. فالصهيونية الجديدة توفر إحساساً بالثقة وليس الاضطراب في المستقبل، إذ تطرح نفسها تكتيكياً كمالك لفتح توحيد المجتمع الإسرائيلي المنقسم والذي يعاني الاستقطاب ويتجلى في رؤية مصطنعة لليهودية كحركة قومية، مع أن من صاغوا وطبقوا هذه الرؤية وهم قادة الحركة العمالية أخفقوا في تحقيق ذلك الأمر. وقد يمكن الزعم بأن الصهاينة الجدد يشكلون قوة توحيدية للطيف الواسع من التفسيرات المتصارعة لليهودية سواء كانت ديانة أو حركة قومية. وفي حين يقبل رواد ما بعد الصهيونية حقيقة التجزؤ كدلالة على الحاجة إلى تحويل إسرائيل إلى دولة لكل مواطنيها ويرفضون تماهى الدولة مع مجموعة معينة على حساب الآخرين، فإن الصهاينة الجدد يقدمون أساساً دينياً وقومياً بزعم قدرته على الحيلولة دون حدوث مزيد من الانقسام أو التفكك.

وقد توافرت عوامل أخرى أسهمت في ازدهار الصهاينة الجدد منها زيادة تزمّت المجموعات الدينية القومية في إسرائيل (ممن تتركز مصادر نفوذهم في المستوطنات وشبكة واسعة من المدارس التلمودية العليا "يشيفا" التي تمولها الدولة)، ويضاف إلى ذلك عنصر خاص بما حدث من إضفاء الطابع القومى أو الصهيونية على اليهود الأشد تزمّتاً ممن كانوا فيما مضى يعادون الصهيونية، وكذلك سياسة العزل العرقى لأجزاء من التجمع اليهودى المتدين "مزراحي" والتي تلاحظ في التخوم الجغرافية والاجتماعية للمجتمع، بالإضافة إلى سرعة اندماج إسرائيل في العولة الرأسمالية والتي أضافت مناخاً ثقافياً محافظاً جديداً أو اليمين الجديد إلى التحالف الصهيونى الجديد.



فالمجموعات الأربع تعتقد رؤية مشتركة مفادها أن السلطة الدينية العرقية هي أفضل ؛ وسيلة لمواجهة مشكلات إسرائيل الداخلية والخارجية. ويمثل رجال الدين المجموعة المسيطرة وسط هؤلاء ومنهم الحاخامات ومن يشتغلون بالسحر ووصفات الشفاء والسياسة أو المعلمون. وهذه النخبة تتبنى موقفًا مشتركًا تجاه العلمانيين يهودا كانوا أو غير يهود، وقد عرض كتاب حديث صدر في إسرائيل عرض تلك الرؤى، وبين أن هذا التحالف الأصولي المتطرف يعتبر اليهود العلمانيين بمثابة "حمار المسيح"<sup>(٩)</sup>، فهم قاموا بدورهم بنقل اليهود إلى الأرض المقدسة ولكنهم الآن عديمو الفائدة ويمكن معاملتهم على أنهم غير يهود. ويتم تصوير غير اليهود باعتبارهم مثل الدواب نوات الأرجل الأربع يمكنك الانتفاع بهم واستغلالهم، وقد تخاف منهم في بعض الأحيان، ولكنك دائما فوقهم. ويبين الكتاب أن الفكر اليهودي في العصر الوسيط والذي جاء ليوازن بين التصالح والانتقام من البيئة المعادية التي عاش فيها [أي البيئة الأوروبية]، يعاد الآن استخدامه كقاعدة لأيديولوجيا عنصرية عنصرية تشيد نموذجًا استيعاديًا للمستقبل، أي إسرائيل من دون علمانيين يهود وغير يهود.

لقد صاغ المفكرون الدينيون القوميون (أي الحاخامات) هذا المفهوم وأشاعوه وقدموه في صورة الصهيونية لا اليهودية، ويرتبط بالتزام صهيوني قديم يسمى "هاجشاما" Hagshama والذي كان يعنى شيئاً واحداً فقط هو ابستيطان الأرض. فمن ناحية أولى، يرى الصهاينة الجدد أن ابستيطان الضفة الغربية وغزة والجولان هو قمة الوطنية. لكن النشاط الاستيطاني أخذ في التناقص أولاً بسبب اتفاق أوسلو وثانياً بفعل انتفاضة الأقصى. ومن ثم فإن مثل هذا الالتزام يحاول الآن الالتفاف على القانون اليهودي ويكافح ضد الصهيونية التقليدية على الجبهات التشريعية والقضائية، إذ يستهدف المحكمة العليا التي تحاول هيئتها تأمين الحيز العام من الهيمنة الدينية. ولم يتوقف النشاط الاستيطاني عندما تشكلت حكومة الوحدة الوطنية في فبراير ٢٠٠١ برئاسة شارون، وحينما جرت مفاوضات حول ميزانية الحكومة، أصرت الصهيونية الجديدة على عدم تغيير أجندتها فيما يخص الشؤون المحلية.

وتتسم رؤية الصهيونية الجديدة للماضى بأنها قومية ورومانسية، فقد استهدفت إعادة عصر الهيكل أو عصر المجد وكان وجه الشبه بينها وبين حزب بهاراتيا جاناتا فى الهند كبيراً، إذ يطمح الحزبان إلى إهالة التراب على عدد قليل من مئات السنين لحساب تاريخ بعيد يمتد قبل ذلك لآلاف السنين. ومن ثم يتبنى الصهاينة الجدد بحماسة فكرة إعادة بناء الهيكل الثالث على أنقاض الحرم القدسى الشريف بل ويجهزون كوادرهم كى تعمل كحاخامات هناك عندما يحين الوقت (وهم يختلفون حول سبل تحقيق ذلك الهدف، فبعضهم يرى ضرورة هدم المسجدين على جبل القدس، بينما يأمل آخرون فى تدخل إلهى يفتح الطريق أمام مشاريعهم).

يتمثل النجاح الأكبر لهؤلاء، فضلاً عن تمثيلهم بشكل بارز فى الحكومة منذ ١٩٩٦، فى التأثير المتنامى على النظام التعليمى فى إسرائيل، فقد تولوا وزارة التعليم فى عهد نتنياهو وشاركوا فيها فى عهد باراك ثم أخذوها مجدداً مع شارون. وهم يدعون إلى إعادة صياغة قومية للتاريخ متحررة من أى تردد أو نقد، وكانوا قد أنتجوا نماذج للتعليم صارت بالفعل أساس النظام التعليمى للجيل القادم من أطفال إسرائيل فى المدارس الابتدائية والثانوية، وهم يتمسكون بها وهم فى السلطة أو إذا عادوا إليها. ومثل هذه النماذج تنتج نوعاً واحداً من التلاميذ يتسم بالعنصرية والانعزال والتمركز العرقى المتطرف (وهذا ما كشفت عنه دراسة حديثة على بعض الأطفال حيث أظهرت أنه لولا تلك الجهود لما عبر سوى عدد قليل منهم عن هذه الأفكار).

وتبدو الخطورة فى أنه فى حين يبقى الوسط الأكاديمى والساحات الثقافية الأخرى فى إسرائيل معرضا للنقد على نطاق واسع، فإن النظام التعليمى يرتد إلى تفسير صهيونى متطرف للتاريخ والمجتمع. إنه واقع الاستقطاب الذى ينتج بالتوازي مع برامج التليفزيون وخاصة برنامج تكوما Tekkuma والذى يرسم صورة وإن تكن ضمنية لماض إشكالى ويؤكد على الحاجة لمستقبل أكثر ديمقراطية وليبرالية، بالإضافة إلى سلسلة من البرامج التعليمية المتناقضة التى تؤكد على سيادة الروح العرقية على أى قيم أخرى. وقد تطورت هذه البرامج على يد المفدال حتى قبل أن يتولى وزارة التعليم فى حكومة نتنياهو، وتقوم "ليمور ليفنات" Limor Livnat وزيرة التعليم فى حكومة

شارون بتنفيذها منذ فبراير ٢٠٠١ . ويتمحور الجهد الرئيسى فى ترسيخ القناعة "الصهيونية" ذات التفسير الصهيونى الجديد فى أطفال المدارس الابتدائية والعليا . وفى الفترة الأخيرة من حكومة نتنيا هو أصدرت وزارة التعليم كتباً تاريخية جديدة للتعليم الأساسى بمناسبة الاحتفال بالعيد الخمسين لإسرائيل، ويقدم أحد هذه الكتب، وهو بعنوان "اليوبيل الذهبى لإسرائيل"، تأريخاً للدولة منذ قيامها عام ١٩٤٨ وينقسم إلى ثلاثة أجزاء. ولا يشير الكتاب للفلسطينيين لا فى إطار حرب ١٩٤٨ ولا كمواطنين فى إسرائيل ظلوا تحت الحكم العسكرى حتى عام ١٩٦٦ ولا كشعب واقع تحت الاحتلال فى الضفة الغربية وقطاع غزة منذ ١٩٦٧ . ولا تبدو الإشارة للاجئين الفلسطينيين ذات مغزى لمن يقرأه، بل يخرج قراءه باقتناع واحد فقط مؤداه أن ما يوجد هو إرهاب فلسطينى برز أحياناً فى الستينات من القرن العشرين لأسباب غير معروفة<sup>(١٠)</sup>.

وقد زعمت الوزارة أن الكتاب لا يعبر عن كتاب مدرسى رسمى لكنها أوصت به ككتاب تكميلى يساعد المعلمين والتلاميذ على حد سواء، وجاء ذلك الرد الحذر بسبب النقد المؤثر فى صحافة الاتجاه ما بعد الصهيونى. ومع ذلك واستناداً إلى الماضى، فلا يزال النظام التعليمى فى إسرائيل من أفضل القطاعات المتجانسة فى الدولة ومن هنا فإن العاملين فيه يلتزمون بتوصيات الوزارة، هذا فضلاً عن أن الوزارة هى التى أشرفت على مشروع كبير لتحويل الذكرى الخمسين لقيام الدولة إلى "موضوع محورى" لكل المدارس فى عام ١٩٩٨ . وتشرح الوزارة المغزى من ذلك بأن المستهدف منه هو "البحث عن الروح" بخصوص صراع ومعضلات لا يوجد حل لها وأن المخرج من هذه المعضلات ينبغى أن يكون "تابعاً من الداخل" ويوجد فقط فى حق اليهود الأخلاقى غير المنازع للعودة إلى أرض إسرائيل.

وبين عامى ١٩٩٦ و١٩٩٨ وكذلك بين عامى ١٩٩٩ و٢٠٠١ تم حقن النظام التعليمى بأكمله بجرعات إضافية صهيونية جديدة، وقبل سقوط الحكومة مع نهاية عام ١٩٩٨ مباشرة تم الإعلان عن خطة جديدة تهدف إلى "ربط التلاميذ بالجيش بصورة أكبر"، ويعنى هذا المشروع الإسبرطى أو البروسى حصر الأطفال من الحضانة إلى المدارس الثانوية فيه وتجهيزهم للعيش فى ظل "بيئة وقيم عسكرية من أجل التدريب على مواجهة

الضغوط وتنمية مهارات القيادة فى أرض المعركة". ولأن الجيش يتطلب رشاقة بدنية، فإن ذلك سوف يشكل شرطاً للالتحاق بالجامعة والتعليم مستقبلاً، بل إن هناك جزءاً إجبارياً من التعليم مستقبلاً يتعلق بمشاركة الطلاب فى مناورات الجيش وبرامجه المذهبية الأيديولوجية. ويكتمل ذلك بالدروس المكثفة المتضمنة فى التعليم عن الصهيونية وأرض إسرائيل. وهناك خطة للسنوات الثلاث الأخيرة من المدارس الثانوية بعنوان "مشروع زيادة دافعية وجاهزية جيش الدفاع الإسرائيلى" تطمح إلى التركيز فى السنة الأولى على "التزام" الفرد بوطنها أو وطنه، وفى السنتين الأخيرتين على "المشاركة الفعلية فى الحياة العسكرية". ومن الجدير بالذكر أنه توجد بالفعل تمرينات مشتركة فى عدة مدارس وإن كانت ظلت جزءاً هامشياً فى الحياة المدرسية، وقد أعد لها الصهاينة التقليديين. والآن يتعلم التلميذ تاريخ الأرض تبعاً للتفسير الصهيونى الجديد بغرض تشكيل نظرتة أو نظرتها حول المستقبل. وهناك شك فيما يمكن أن يفعله المعلم ما بعد الصهيونى إزاء ذلك إذا كان محظوظاً وأعطى فرصة التعبير عن آراء مختلفة.

ولفترة قصيرة لا تزيد عن عامين، ١٩٩٩ و ٢٠٠٠، بدا أن هناك رياحاً جديدة بدأت تهب على دهاليز وزارة التعليم، عندما عين باراك يوسى ساريد زعيم حزب ميريتس اليسارى الصهيونى، رغم ظهوره كنائب ما بعد صهيونى، فى منصب وزير التعليم عام ١٩٩٩، وقد سبق لحزب ميريتس أن تولى نفس المنصب بين عامى ١٩٩٢ و ١٩٩٦ فى شخص "شولاميت ألونى التى بذلت جهداً تعليمياً ذا منحى مختلف. وكان فريق من المعلمين والأكاديميين الإسرائيليين قد بدأوا يشقون طريقهم بصعوبة فى مجال وضع مناهج دراسية تنظر لتاريخ إسرائيل من زاوية نقدية بهدف تقديم الطرف الفلسطينى بطريقة أكثر موضوعية فى القصة التاريخية. وقد ذكر أحد أعضاء هذا الفريق وهو "آفنى بن عاموس" الذى أعد البرنامج الجديد، فى حديثه إلى جريدة هآرتس ما يلى :

سيطرت على تدريس التاريخ فى الفترة الماضية رؤية تزعم أننا [الإسرائيليون] لدينا حق غير قابل للنقاش فى الأرض التى عدنا إليها بعد ألفى عام من المنفى وأنها وصلنا أرضاً خالية من السكان. ولكننا الآن لا نستطيع الفصل بين تعليم التاريخ وبين



الجدل الدائر فى أوساط الأكاديميين والمتخصصين، ويجب أن ندخل الرؤية الفلسطينية فى إطار رواية تاريخ إسرائيل حتى يعرف التلاميذ أن هناك مجموعة أخرى تأثرت بالصهيونية وحرب الاستقلال [١٩٤٨]-(١١).

بيد أن مجيء حكومة الوحدة عام ٢٠٠١ وتعيين الوزارة التى تنتمى للصهيونية الجديدة "ليفنات" جعل هذه المشروعات تسكن الأدرج، وتم تدمير أى أثر فعلى لها، ومن الصعب معرفة إلى أى مدى سوف يستمر هذا الإعمار الصهيونى الجديد. ويمكن القول باطمئنان إن تعايشا صعبا سوف يبقى بين منهجين متناقضين فيما تستمر الصهيونية التقليدية فى محاولاتها بناء أو إعادة بناء مركز أيديولوجى داخل النظام السياسى والوسط الثقافى، ذلك المركز الذى كانت تجسده الحركة العمالية فى الماضى. وإذا ما استمرت التهديدات الأمنية بنفس المستوى الذى كان فى عام ٢٠٠١ فقد ينجحون فى هذا العمل. أما فى ظروف انخفاض حدة التوتر وعندما يكون الجمهور مستعدا لأى نقاش اجتماعى أو اقتصادى لمصلحة الأمن، فإنه يمكن للمنطق المضاد للصهيونية أن يعيد فرض نفسه، حيث يتمحور الجدل بين من يرغبون فى تحدى تعاليم الصهيونية تحت شعار الديمقراطية والليبرالية وبين من يظلون ملتزمين بتعصب بهذه التعاليم على حساب الديمقراطية والليبرالية. وترغب الحركة العمالية فى رسم دائرة الجدل وإيجاد وسيلة للتوفيق بين هذه التعاليم وبين من يريدون السلام وتحويل إسرائيل إلى كيان ديمقراطى وليبرالى. لكن الحقيقة أنها إذا ما نجحت فى ذلك، فإنه لا يوجد مجال للجمع بين الاثنين ولا بد من اختيار واحد أو آخر. وإذا كان هذا الإنجاز ما يتمناه اتجاه ما بعد الصهيونية، فإنه يشكل قوة الدفع للصهيونية الجديدة.

وهكذا يمكن قراءة كشف حساب إسرائيل كما يلى : فى الساحة السياسية يسيطر حزبان صهيونيان تقليديان على مركز هذه الساحة، ويرتبطان بالنخب المهنية فى البلاد التى لا ترى ضرورة لصناعة قرارات حول مستقبل التنمية فى إسرائيل بعيدا عن "المملكة" الإسرائيلية - الفلسطينية، ويجب أن يتقرر الأمر على أراضى الضفة الغربية وغزة، وتتجه هذه النخب إلى التنازل عن حوالى نصف هذه الأراضى لسلطة فلسطينية،

رغم انتفاضة عام ٢٠٠٠، يمكن أن يطلق عليها دولة فى حالة الضرورة. أما بقية الأراضى فسوف يستوطنها اليهود وتضم إلى إسرائيل، على أن تظل القدس موحدة وعاصمة لإسرائيل وتظل مشكلة اللاجئين من دون حل أو على الأقل تؤجل لأمد بعيد.

ويلاحظ أن رؤية المركز السياسى للتاريخ لا تبالى بالتطورات الاقتصادية – الاجتماعية المحلية. فقد أوضح انتخاب حكومة الوحدة عام ٢٠٠١ كيف أن هذا المركز لا يحفل على الإطلاق بالعلاقة بين احتلال الهوية العرقية أولوية ملموسة من جهة والفقر الاقتصادى والحرمان الاجتماعى من جهة أخرى، حيث يرفض الساسة والأكاديميون فى المعسكر الصهيونى التقليدى الاعتراف بالواقع المجرأ للمجتمع الإسرائيلى بل لا ينزعجون منه. ذلك أن همهم الرئيسى هو تطوير القدرة النووية لإسرائيل وتقديمها على التكنولوجيا كضمانات لمستقبل آمن. فى حين يقرأ رواد اتجاه ما بعد الصهيونية الماضى بمنظور الحل العادل لمشكلة اللاجئين كضمان أفضل للأمن.

وهكذا يستمر تجاهل المشهد الداخلى واندفاع التوجه الصهيونى الجديد. فالسيطرة على التعليم وخروج الحكومة من مجال الخدمات الاجتماعية بتقديم مساعدات مالية ورعاية للطفل وتمديد أيام الدراسة للمناطق والقطاعات المحرومة يمكن الصهاينة الجدد من مضاعفة أعداد ناخبهم. فهم يتبنون الخطاب الصهيونى التقليدى حول "الشعب الواحد" وضرورة طرد الفلسطينيين من إسرائيل، ولكنهم يعطونه معنى جديداً، من حيث إن اليهود العلمانيين والعمال الأجانب (قدر عددهم فى عام ٢٠٠٠ بحوالى ٢٠٠ ألف)، وغير اليهود (يقدر عددهم بثلاثمائة ألف، والذى جاؤا من الاتحاد السوفييتى السابق ومن إثيوبيا)، قد يتعرضون للطرد أيضاً. وهناك بالطبع صراعات سلطة داخلية بين الأجنحة المختلفة من التحالف الصهيونى الجديد، لكن تجمعهم أرضية مشتركة واسعة ولم يعان هذا التحالف من الانشقاق، بل بالعكس يكتسب نفوذاً وقوة دفع ملموسة.

## خلاصة :

ينحصر وجود اتجاه ما بعد الصهيونية في مراكز جغرافية-ثقافية في تل أبيب والضواحي الغربية للقدس وأحيانا حول الكيبوتزات، حيث تتحول هذه الأماكن باطراد إلى مجمعات كبرى للتسوق وقرى سياحية لقضاء العطلات. ويشدد هذا الاتجاه على العلمنة والبعد الكوني ما جعل المجتمع مستقطبا إلى حد أن "الأغلبية الصامتة" فرض عليها الاختيار بين مدن اللهو والمتعة والرفاهية والمدينة المقدسة (القدس)، بمعنى الاختيار بين إسرائيل ديمقراطية ليبرالية أو إسرائيل عنصرية. وأظهرت انتخابات ١٩٩٩ كيف أن معظم الإسرائيليين صارت النظرة إلى الماضي والمتمحورة حول العرق والتفسير القومي المتطرف للحاضر والرؤية الثيوقراطية للمستقبل، بالنسبة لهم، هي أفضل الخيارات. أما الصهاينة التقليديون الذين يقدمون خياراً ثالثاً فقد اعتبروا حاملين في أفضل الأحوال أو مخادعين في أسوأ الأحوال.

ومع اندلاع الانتفاضة الثانية، تم تشخيص ما طرحته حكومة باراك التي مثلت الصهيونية التقليدية على أنه السبب في فشل قمة كامب دافيد الثانية في أغسطس ٢٠٠٠ وفي نشوب العنف في الأراضي المحتلة، وقد لاقى ذلك قبول الصهاينة الجدد. وصار هذا التفسير الذي قدمه شارون ورفاقه مقبولا في إسرائيل على نطاق واسع ما أدى لتقويض التراضي الذي كان اتجاه ما بعد الصهيونية يسعى إليه في بدايات تشكيله وبرز في وسائل الإعلام والوسط الأكاديمي في إسرائيل. وكان التراجع ملموساً في هاتين المؤسستين، ولكن من الصعب القول بأن ذلك الوضع يمكن أن يدوم لفترة طويلة. ويمكن العثور على الاتجاه ما بعد الصهيوني عقب مرور عام ونصف على الانتفاضة في حركات مناهضة الاحتلال والجنود الرافضين للخدمة في المناطق المحتلة وكذلك في تشكّل خلايا سياسية ما بعد صهيونية بين أوساط الطلاب والأساتذة في الجامعات. ولكن وحتى كتابة هذه السطور، لا تزال هذه الظواهر هامشية وضعيفة ولم تتمكن من تقويض هيمنة الاتجاهات الصهيونية الجديدة والإدراك السائد عن الفلسطينيين الذي يغذي عملية صنع القرار في حومة شارون.

ولا يستطيع هذا الفصل أن يتنبأ بدقة بمن سوف تكون له اليد العليا ولكنه يسعى لتقديم تصنيف اجتماعي - سياسي يتجاوز الأحزاب والكتل المعاصرة وشرح التوجهات الأساسية إزاء الفلسطينيين والعرب الآخرين في سياسات أجهزة الإعلام والتعليم الرسمية في المستقبل القريب.

وتبدو إسرائيل بعد مرور خمسين عاماً كمجتمع يقف في مفترق طرق، أحدهم واضح ومعروف وأناى، وقد حددت القيادة التي تتزعمه السقف الذي سوف تذهب إليه في مجال الأراضي المحتلة التي تتخلى عنها لتحريك عملية السلام. لكن هذا مجرد جانب أقل أهمية من القضية، وإذا ما نجحت إسرائيل في عبور هذا الطريق وسوف تجابه سلسلة معقدة وأكثر أهمية من المشاكل وأهمها ذلك الانقسام المدني-العرقى للمجتمع. وبحسب لاتجاه ما بعد الصهيونية ووسائل الإعلام التي تسانده أنه طرح رأيه حول الخيارات، وأحد هذه الخيارات هو دولة عرقية / اثنية تعيد صياغة الماضي بأسلوب لا يسمح بأى حل وسط مع الفلسطينيين ويعطى حقوقاً غير متساوية للعرب الإسرائيليين (بل من المحتمل أن يطردهم)، ويستمر في الظلم الاجتماعي لفقراء إسرائيل. والواقع أن هذا التوجه العرقى يرتبط بشدة بتفسير غير مرن لليهودية كمؤسسة عرقية أو حتى مترممة، كما يفرض اقتصاديات السوق الحرة والرأسمالية التي انتشرت فعلاً في إسرائيل (التي توجد فيها أعلى معدلات التفاوت بين الأغنياء والفقراء بالنسبة لكل الدول الغربية).

ويؤكد الخيار الآخر على مجتمع مدنى يقبل الرؤية ما بعد الصهيونية للتاريخ ويربط أخطاء الماضي بإمكانات إيجابية في المستقبل، ويتضمن ذلك إحلال سلام شامل في فلسطين وديمقراطية أصيلة بدون تمييز من أى نوع ومجتمع أكثر مساواة قادر على منح الأمل للجماعات المحرومة والأقليات المغبونة. وهي تصلح لأن تشكل صيغة ملائمة ليس فقط لإسرائيل وإنما أيضاً وفي المستقبل البعيد لهوبة سياسية تمتد بين نهر الأردن والبحر المتوسط، هي فلسطين ديمقراطية وعلمانية.

بيد أن الصهاينة الجدد لا تزال لهم اليد العليا، إذ يتواجدون بقوة في العقل العام الذى صنعته أفعال الماضى، ومن ثم فهم - وعلى خلاف الصهاينة التقليديين -



ليس لديهم شعور بالذنب تجاه ما يوصف بأنه الجزء الأكثر مأساوية في السنوات الأولى من عمر إسرائيل وهو التمييز ضد اليهود المتدينين من البلاد العربية والإسلامية (مزراحي) واليهود الأرثوذكس. كما لا يشعرون بالخجل بخصوص المذابح والطرده ضد الفلسطينيين، بل يدافعون عنها ضمناً الآن. إلى جانب أنهم ويعكس الصهاينة التقليديين، قادرون على طرح صورة صارخة الواضوح للمستقبل وليس خليطاً مضطرباً من الديمقراطية العلمانية والثيوقراطية العرقية، بل تستند إلى انحياز غير قابل للنقاش للأخيرة. يضاف إلى ذلك أنهم وعلى العكس من الصهاينة التقليديين لا يحاولون تحقيق المستحيل عبر طرح واقع مبنى على متناقضات مثل "احتلال مستنير" أو "أسلحة صديقة" أو "ليبرالية عرقية" أو "ديمقراطية عرقية".

وما يسهل في الواقع رؤية الصهاينة الجدد حالة الاضطراب التي تصيب وسائل الإعلام الإسرائيلية وهي تكافح من أجل المحافظة على وهم أنه ما يزال يوجد مجتمع، لكنه ما يزال أبعد ما يكون عن ذلك، مثال ذلك ما تذكره مناهج التعليم الرئيسية الإلجبارية في العلوم الإنسانية، والتي يسيطر على وضعها الصهاينة التقليديون، من وصف لإسرائيل بأنها مجتمع قادر على أن يكون عرقياً ومدنياً في آن معاً. وقد يتلاشى الاضطراب عندما يختار هؤلاء الصهاينة التقليديون السبيل ما بعد الصهيوني، حينما يقبلون تاريخاً ارتكب فيه الصهاينة أخطاء ويعرفون كيف يصححونها. بيد أنهم يواجهون خطر العزلة عن مؤيديهم، خاصة وأن ذلك يتناقض مع النظم السياسية والاجتماعية القائمة.

وهناك ثلاثة عوامل يمكن أن تغير من هذا الأفق الضبابي، فأولاً ينبغي تحديد الأهداف بوضوح وشجاعة من جانب من يعتبرون أنفسهم منتمين للمعسكر الديمقراطي والمدني في إسرائيل، وهو وضوح يفرض إعادة بحث مسألة البديل لما يجب أن تكون عليه الدولة القومية اليهودية كي يمكن منح حقوق الإنسان والحقوق المدنية لكل من الإسرائيليين والفلسطينيين. ولكن هذه الأهداف غير واضحة بعد، بل يوجد اضطراب أكثر بعكس التحديد الصارم لدى معسكر ما بعد الصهيونية. إن هذا ما يفسر لماذا أطلقت

مفهوم ما بعد الصهيونية رغم كل الصعوبات التي يثيرها، فهذا المفهوم لم يتحرر تماما بعد من أسر الأيديولوجيا الصهيونية رغم كل الإشكاليات التي أثارها.

ويتعلق العامل الآخر برغبة الجانب الفلسطيني فى الالتحاق بصراحة بقاعدة مدنية وديمقراطية فى ميدان البحث عن تسوية مشتركة، فما بعد الصهيونية ظاهرة يهودية ومرحلة انتقالية بالنسبة للصهيونية، ولكن إلى أين؟ لا يوجد سوى القليل فى مجال تحديد التوجه من دون معرفة ماذا سوف تكون عليه تطلعات الفلسطينيين بخصوص قضايا مثل الكونية والتوجه الإنسانى والديمقراطية. هل يمكن لدولة مدنية وديمقراطية أن تخدم الشعبين؟ هل يمكن تحويل البنية السياسية الحالية إلى دولة واحدة؟ هل هذه الأهداف تصب فى صالح بناء فيدرالى بما يجعلهما يشعران بالرضى أو احترام الهويات القومية، أو يكون الحل فى دولتين (كما يلمح واقع ما بعد أوسلو إلى إمكان ذلك)؟

ويتمثل العامل الأخير فى مواقف الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين. فبدون ضغوط [على إسرائيل] لن يكون هناك أمل يذكر فى حدوث تغيير فى إسرائيل. لكن هذه الضغوط لا ينبغى أن تكون فى صورة عقوبات أو مقاطعة لسوء النتائج المترتبة عليها، كما تسهم فى تدعيم قوة الصهاينة الجدد. إن هناك حاجة لموقف غربى أصيل يساند فكرة المجتمعات المدنية والديمقراطية، وعلى الغرب أن يتخلى عن النهج الذى يعترف بالمجتمعات التى كانت موالية له إبان الحرب على أنها وحدها المجتمعات ذات الطابع الإنسانى، وأن يتخلى أيضا عن مقولة أن بلدان الشرق الأوسط توافرت لها إمكانية أن تكون "ديمقراطيات" تبعا لنظريات التحديث التى قدمها كتاب مثل هنتنغتون (الذى لا يدخل أيا من الدول العربية ضمن هذه "الديمقراطيات"). ويجب على كل إنسان أن يفتح عينيه على الجزء المتعلق بالولايات المتحدة وإسرائيل فى التقرير الصادر عن منظمة العفو الدولية عام ١٩٩٨، وخصوصا أولئك الذين لديهم صورة نمطية عن مجتمعات معينة توصف بأنها ذات طابع إنسانى وديمقراطى، ويرون مجتمعات أخرى على أنها بالضرورة غير ديمقراطية.

وخلص القول أن الغرب يحتاج لإعادة تعيين من هم أنصار التقدم والاستقرار ورفاهية البشر في المنطقة. والواقع أن هناك أوروبيين وأمريكيين شككوا في صورة الذات المشوهة التي تقدمها إسرائيل عن نفسها بأنها "واحة الديمقراطية" في الشرق الأوسط، والسبيل لذلك هو أن نأخذ في الاعتبار الدوافع المركبة للصهيونية منذ بدايتها وكذلك الحشد المضطرب من المخاوف والطموحات والمصالح الذي يعصف بالغالبية اليهودية في إسرائيل اليوم. وقد لا يتوافر أمل في حدوث سلوك إنساني أو بناء ديمقراطي، بيد أن اعتبارات أخرى ومدرجات أيديولوجية ما تزال تسيطر على المشروع الصهيوني والإسرائيلي في فلسطين. إلى جانب أن استمرار تصوير الغرب لإسرائيل بحسبانها جزيرة ديمقراطية وسط التوحش العربي يعد إحدى العقبات الرئيسية أمام من يعملون في إسرائيل من أجل خلق مجتمع مدني وإنساني لصالح كل من يعيش في إسرائيل وفلسطين.

## هوامش الفصل الثاني

Ilan Pappé (1997) 'Post-Zionist Critique Of Israel and Palestinians', Parts 1-3, in (١) Journal of Palestine Studies, vol.26, Winter, pp.29-41, vol. 26, no. 3, Spring, pp.37-43; vol.22, no.4, Summer, pp.60-69.

Uri Ram (1989) 'Post-Nationalist Pasts: The Case of Israel', in Social Science (٢) History, vol.22, no.4, Summer, pp.513-45.

David Ohana (1977) The last Israelis, Tel Aviv, Am Oved (Hebrew). (٣)

Ilan Pappé (1999) 'Were The Expelled? The History, Historiography and (٤) Relevance of The Refugee Problem', in Ghada Karmi and Eugen Cotran (eds), The Palestinian Exodus, 1948-1988, London, Ithaca, pp.37-62.

Examples are Aharone Meged (1994) 'Israel Suicidal Urge', in Yionism, (٥) Jerusalem, Shazar Center, pp.291-310.

Tom Segev (1989) The Seventh Million, New York; Idit Zetral, From Catastrophe (٦) (The Hebrew title would be Literally translated as The Jews' Gold) Tel Aviv; Haim Guri (1997) 'On Books and What is Within Them' in Alpaid, no.14, pp.31-48 (Hebrew).

Immanuel Siven (1997) 'The Oriental Debates' in Alpaid, no.14, pp. 31-48 (٧) (Hebrew).

Efriam Karsh (1997) Fabricating Israeli History, London, Frank Cass. (٨)

Seffi Rashlevsky (1998) Messiah's Donkey, Tel Aviv, Yediot Aharonot. (٩)

Ministry of Education (1998) Israel's Jubilee, Jerusalem. The book Was (١٠) Reported in Associated Press bulletins when it came out and Review may be found at Hebron Institute for Political and Religious Studies' website.

Ha'artez (1998) 29 March (Hebrew). (١١)



## الفصل الثالث

### الصهيونية ومناهضة الصهيونية وما بعد الصهيونية .

أفيشاي إيرليخ Avishai Ehrlich

نشأت دعوة ما بعد الصهيونية كاتجاه أيديولوجي في إسرائيل في إطار الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي مع نهاية الحرب الباردة، وكانت القوتان العظيمين تستغلان الصراعات القومية والإثنية المحلية إبان الحرب الباردة في صراعهما على الهيمنة العالمية، واعتقد كثيرون أن هذه الصراعات سوف تصبح بلا معنى مع "النظام العالمي الجديد" بينما ذهب آخرون إلى القول بأنها سوف تنتشر، ومن هؤلاء دعاة ما بعد الصهيونية الذين طبقوا هذه الرؤية على الصراع الإسرائيلي العربي.

وقد اقتضى الاندماج في الأسواق العالمية إجراء تحرير اقتصادي، واعتقد دعاة ما بعد الصهيونية أن هذا الاندماج يمكن أن يشجع أيضاً التحول باتجاه الديمقراطية الليبرالية، ووصل بهم التفاؤل إلى حد القول بأن الصراع يمكن أن ينتهي بسرعة وأن ما يتلو ذلك من اندماج إسرائيل والشرق الأوسط في عملية العولة من شأنه خلق قوى اجتماعية في إسرائيل تكافح من أجل السلام ونزع الطابع العنصري عن الدولة الصهيونية والذي يتمثل في المؤسسة الحاكمة القائمة على التوجه العرقي والتوجه الجمهوري والديمقراطية العرقية. وإذا ما نجحت هذه العملية يمكن أن تتحول إسرائيل إلى دولة ديمقراطية علمانية. ولكنهم كانوا واعين مع ذلك بوجود اتجاهات بديلة قومية متطرفة وأرثوذكسية جديدة تعارض ذلك المسار. ويتناول هذا الفصل ظاهرة ما بعد

الصهيونية ويضعها فى الإطار الأوسع للتطور التاريخى للصهيونية كما يؤطرها هى والحركات المعارضة لها داخل تطورات الصراع الإسرائيلى - العربى وسوف أ طرح رؤية مختلفة للشئون العالمية الحالية وللصراع الإسرائيلى - العربى، كما سوف أوضح التناقضات الكامنة بين دعاة ما بعد الصهيونية.

وفى الجزء الأول سوف أستند إلى رأى القائل إن الصهيونية أدت إلى ازدهار ثلاث إرهابيات/ تجليات أساسية، وهى : الاتجاه الذى يؤمن بدور الدولة "الاشتراكى"، والاتجاه الليبرالى ثم الاتجاه الدينى. وإلى جانب الهدف المشترك فى إقامة دولة يهودية يقدم كل اتجاه الحالة والمشاكل اليهودية مع الحداثة بشكل مختلف، فكل منهم يرسم أجندة مختلفة ويسعى لأهداف متباينة ويعتز بحداثة معينة للفخار أو المجد فى تاريخ المجتمع الإسرائيلى.

وهناك مفاهيم بديلة بين اليهود خارج إسرائيل حول الحداثة اليهودية ترفض زعم الصهيونية بأنها الممثل الوحيد لليهود العالم فى القرن العشرين. ومن هؤلاء اليهود من هو صهيونى أو مناهض للصهيونية حيث يعتبر إقامة دولة لليهود ليس الحل الأمثل أو الحل الوحيد لبقاء اليهود فى العصور الحديثة، ويمكن القول إنه يوجد فى مواجهة المنحى الأيديولوجى الصهيونى السائد اتجاهات موازية غير صهيونية أو مناهضة للصهيونية : اتجاه دينى معاد للصهيونية، واتجاه ليبرالى معاد للصهيونية، واتجاه اشتراكى مناهض للصهيونية، أما داخل إسرائيل فلا يوجد سوى اتجاهين فقط يناهضان الصهيونية هما : الاتجاه الدينى والاتجاه الاشتراكى، حيث لم يتطور التوجه الليبرالى الموجه للصهيونية كقوة سياسية إبان الانتداب فى فلسطين أو فى إسرائيل بعد قيامها. وأنا أرى أن اتجاه ما بعد الصهيونية فى إسرائيل يفتقد حالياً العنصر الليبرالى المعادى للصهيونية. ويعزى ذلك إلى الظهور المتأخر فى الداخل الإسرائيلى لطبقة اجتماعية كبيرة لا تعبر عن مصالحها بأفكار ليبرالية، بل ظهرت فى إطار خلفية انهيار الكتلة الاشتراكية وتراجع الأجندة الاجتماعية الديمقراطية فى الدول الغربية. والواقع أن دعوة ما بعد الصهيونية تمثل الانبعاث الأيديولوجى الإسرائيلى المحلى

كأحد تجليات العولة الإسرائيلية فى الشرق الأوسط، ومن ثم فهى عبارة عن مركب من الصهيونية الدينية المشيخانية [أى المؤمنة بعودة المخلص] أو "الصهيونية الجديدة" كما يطلق عليها بعض أنصار ما بعد الصهيونية، غير أنها لا تزال تعارض التوجه الاشتراكي المناهض للصهيونية.

## الصهيونية كظاهرة تطورية وعارضة

لم تبدأ الصهيونية كفكرة شمولية لديها تصورات واضحة عن المستقبل، وقد ولدت الصهيونية السياسية كفكرة قومية مثالية بسيطة فى رءوس شخصيات عامة يهودية عديدة فى أوروبا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر وتطورت من هناك، وعندما صارت الصهيونية حركة سياسية كان من المحتم أن تتخرط فى واقع سياسى.

فأولاً واجهت الحركة الصهيونية فى محاولتها تجنيد أعضاء حركات أخرى منافسة لها بين يهود أوروبا، وكان عليها أن تدعم مواقفها وتحدد نفسها كى تتمايز عن الرؤى والحركات الأخرى، المنتشرة وسط اليهود المعاصرين، ونتج عن عملية التمييز والتخصيص تباعد المسافة بين الصهاينة والحركات اليهودية الأخرى، بل إلى انشقاقات فى الحركة الصهيونية ذاتها وقيام أحزاب مختلفة داخلها.

ومن ناحية ثانية، كانت الصهيونية كحركة سياسية دولية من الضعف بحيث لا تستطيع تحديد أهدافها بنفسها حيث اعتمدت كلياً على التأييد الدولى ومن ثم كان عليها أن تتكيف مع تغيرات القوة الرئيسية والأيدولوجيات والنظم المتغيرة التى حدثت أثناء القرن العشرين، وقد اقتضى ذلك أن لا تتوجه فقط إلى مراعاة الضرورة الخارجية، بل مراعاة ما فى داخلها فى ضوء ما فرضته الأيدولوجيات الكبرى للقرن العشرين : الاشتراكية، الشيوعية، الرأسمالية، الليبرالية، الفاشية.. إلخ، والتى أثرت بشدة على يهود أوروبا. ومن ثم فإن رؤى العالم التى انتشرت بينهم مارست التأثير على اختيارهم للصهيونية وشكلت الرؤية الخاصة بإقامة مجتمع يهودى جديد كانت تكافح الحركة الصهيونية من أجله وهكذا أسهمت هذه الأيدولوجيات فى نشأة أحزاب وكتل مختلفة داخل هذه الحركة.

ومن ناحية ثالثة، فالصهيونية كحركة قومية كانت غير طبيعية أو غير معتادة من حيث إنها استهدفت خلق دولة مستقلة لا في الوسط الذي أقامت فيه تجمعاتها القومية ولكن بنقل هؤلاء كـ"مواطنين تابعين لها من أوروبا" ( وفي فترة لاحقة من مناطق أخرى من العالم) وتوطينهم بعيدا في الشرق الأوسط الذي كان مسكونا بالفعل بالعرب. وقد أثارت مثل هذه الغرابة جدلاً بين الحركات القومية حول ما إذا كانت توصف بأنها الصهيونية أو عودة اليهود أو استعمار يهودي، ومن الجدير بالذكر أن العامل التكويني الرئيسي للمشروع الصهيوني في فلسطين تمثل في حقيقة الصراع بين الاستيطان القومي الاستبعادي أو الاستعمار الاستيطاني وبين الحركة القومية العربية المتنامية وقد صار هذا الجانب أي الصراع العربي - الإسرائيلي وتفرعاته عنصرا تكوينيا رئيسيا للمجتمع الإسرائيلي واقتصادياته وسياساته وثقافته.

ونتيجة لكل هذه التطورات كان على أن الصهيونية وما زال يتعين عليها أن تحدد وتعيد تحديد نفسها وأن تشكل وتعيد تشكيل ذاتها وهي تواجه المعارضين والتطورات التاريخية عندما تكون في حاجة لإصدار قرارات حاسمة.

ولن أتعرض هنا لتعريف الصهيونية، فكما يقول نيتشه : "إنك يمكن أن تعرف الأشياء فقط عبر ما يأتي من أحداث أو عندما تتوقف التغيرات عند حد معين"، ومن ثم أعتقد أن الصهيونية لا تزال بعد مشروعاً غير مكتمل أي في حالة تغير مستمر، إذ يمكن اقتفاء أثرها كما يمكن تقسيم العملية الصهيونية إلى مراحل ولكني لن أقدم تعريفاً محدداً. وقد يحتج البعض أن الصهيونية تركز على خلق دولة صهيونية وأنها انتهت بعد أن أقيمت الدولة منذ أكثر من خمسين عاماً، كما زعم آخرون إبان عقد التسعينات أن الصهيونية انتهت وأنها نعيش عصر ما بعد الصهيونية، وهؤلاء لديهم تعريف مثبت علناً أو ضمناً للصهيونية كما هي أو كما ينبغي أن تكون وكيف دخلت مساراً مختلفاً يعتبرونه ظاهرة "ما بعدية"، وأنا أعتقد أن الصهيونية لا تزال في حالة تطوير وتشكيل وإعادة تشكيل لنفسها كنتاج لقرارات رئيسية كان يجب عليها أن تتخذها، ومن أجل ذلك سوف أحاول رسم الخارطة التي تدور فيها مثل هذه السجلات.



## طبيعة الاستجابات للحدثة : اليهودية - دين و/أو قومية ؟

كانت الصهيونية واحدة من استجابات عديدة طرحها اليهود الأوروبيون لعصر الاستتارة، وكانت الثورة الفرنسية، عبر فصل الكنيسة عن الدولة، قد دشنت مبدأً جديداً للانتماء، فالهوية التي تأسست في السابق على عضوية جماعة دينية عابرة للقوميات وكونية تحولت إلى انتماء علماني لدولة قومية، وكان تشكيل الأمة أدى إلى تجاوز الانقسامات بين المؤمنين بالانتماءات المختلفة و تحول الدين إلى أن يكون حيزاً خاصاً، كما أن الوحدة عن طريق الكنيسة حلت محلها الوحدة من خلال الأمة التي ترمز لها الدولة.

وقد شكلت فكرة الانتماء للدولة القومية (المواطنة) أساس التضامن والولاء المطلوب بحيث صار للفرد جنسية واحدة فقط، وبنفس المنطق الذي يقول إنه لا يمكن للفرد الواحد أن يعتنق ديانتين معاً لا يمكن أن يجمع بين جنسيتين حيث تشكل الأمم كيانات منفردة ولكن هذه الفكرة لم ترق لفكرة أخرى غير مسيحية ترى أن الدين والقومية لا ينفصلان<sup>(١)</sup>.

ويمكن النظر إلى موضوع انعتاق اليهود emancipation وإعطائهم مكانة قانونية متساوية في الدولة، في فرنسا أولاً ثم في دول أوروبية أخرى، في إطار المنطق نفسه. وكان نابليون قد سأل الزعماء اليهود الفرنسيين قبل إعطائهم المواطنة، عما إذا كان اليهود يشكلون أمة أم ديانة، فإذا كانوا يعتبرون أنفسهم أمة لن يتمكنوا من أن يكونوا فرنسيين، وبعد سجال طويل أجاب الزعماء اليهود بأنهم يعتبرون اليهودية ديانة، وبناء عليه منح يهود فرنسا المواطنة. وقد انتشرت عملية الانعتاق عبر أوروبا وكان من بين هؤلاء الزعماء اليهود من لاحظ أن المسألة هي شأن مسيحي أساساً.

وتدل هذه الحقبة على أن الاستجابة الأولى ليهود أوروبا الغربية تجاه القومية العصرية جاءت لاحتواء الانقسام بين الأمة أو الدين وكيف صاروا مواطنين في البلد محل الإقامة، حيث أصبح الدين بالنسبة للمواطنين في كثير من الدول القومية الأوروبية مسألة فردية وخاصة واختيارية. والواقع أن التنوير والانعتاق مكنا يهودا كثيرين من الالتحاق بمهن كانت مغلقة أمامهم في الماضي وأن ينهوا الجيتو ويختلطون بحرية مع غير اليهود.

## التغيرات المرتبطة بالدين لدى اليهود :

لقد أضعفت هذه التطورات من السيطرة الاجتماعية على الجماعة [اليهودية]، كما قللت من نفوذ قادتها الدينيين وخلقت اليهودى العلمانى أى اليهودى الذى يقرر لنفسه أى من الشرائع اليهودية الدينية (هالاخاه) والعادات التى يريد الإبقاء عليها. ومن المعروف أن اليهود المتدينين يعيشون حسبما تملى الهالاخاه لأنهم يقبلون السلطة العليا للخالق الذى أنزل الشرائع الخاصة باليهودية، أما اليهود غير المتدينين فهم يعتبرون أنفسهم مسئولين عن حياتهم. ويلاحظ أن الهالاخاه تعتبر الفرد يهودياً إذا كان مولوداً من أم يهودية، وكان اليهود قبل الحداثة يؤمنون بأسلوب تقليدى فى الحياة كما تفعل جماعات دينية أخرى وكان السبيل الوحيد لدخول مجتمع يهودى هو تغيير الديانة، أما اليهودى العلمانى أو "اليهودى غير اليهودى" بتعبير "إسحق دويتشر"(\*) فهو شخص لا يتحول دينياً فقط بل لا يعيش بالشريعة الدينية وينتقى أسلوب حياته بنفسه. ومن ثم يختلف اليهود العلمانيون عن اليهود التقليديين ليس فقط فى عدد الفرائض الدينية ولكن أيضاً بما إذا كانوا يتصورون كينونتهم كدين أو كتقليد و/أو ثقافة. واليهودى العلمانى هو نتاج مباشر فى الواقع للتنوير والاعتاق.

وأدت العلمنة بين اليهود إلى رد فعل رجعى من جانب اليهود المتدينين، فالعلمنة بدون التحول خلقت خطر "التلوث" أى زيادة ملامح التباعد بين اليهود واليهود الأغيار (أى اليهود العلمانيين الذين قبلوا الاندماج فى الحداثة الغربية)، وتمثل رد الفعل فى وضع حدود أكثر صرامة للجماعة اليهودية وتمسك أكثر بالهالاخاه وطاعة أشد تطرفاً

(\*) أطلق إسحق دويتشر هذه التسمية للدلالة على من ابتعدوا عن عقيدتهم الدينية، ورفعوا شعار دمج اليهود فى مجتمعاتهم، وأمنوا بأن الانعتاق ينبغى أن يكون للبشر كافة وليس لليهود فقط، كما آمنوا بالتقدم والمرجعية المادية.

انظر فى ذلك الجهد الموسوعى الإبداعى للمفكر العربى الكبير عيد الوهاب المسيرى، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية : نموذج تفسيري جديد (القاهرة : دار الشروق، ١٩٩٩) المجلد الثانى، ص ١٨٢-١٨٣ .

لرموز وأساليب الحياة، إلى جانب ما حدث على المستوى الثقافى من تأكيد أكبر على أهمية التعاليم الدينية العليا وتعميق الفلسفة الدينية اليهودية لمواجهة فلسفة وأخلاقيات الحداثة. ويعرف اليهود الأرثوذكس المتطرفون بمصطلح "الحريديم" [أى الخائفين من الله] أو "كاناعيم" kanai'm (المتزمتون).

وكان هناك تطور آخر بدأ فى الظهور فى القرن التاسع عشر بين اليهود الألمان والفرنسيين والهولنديين وانتشر فى أجزاء أخرى من أوروبا الغربية والولايات المتحدة والذي عرف باليهودية الإصلاحية، أى من حاولوا تطويع الديانة اليهودية بمبادرة منهم تبعاً لنمط الحياة البرجوازي الحديث (تأثر معظمهم بالثقافة البروتستانتية). وقد تحقق ذلك عبر تعطيل عدد كبير من الشعائر وتغيير لغة الصلاة من العبرية إلى اللغات المحلية، وكذلك بإدخال الموسيقى كصوت وأنوات فى الصلوات، وجمع الرجال والنساء معا فى المعبد إلى جانب ارتداء الأزياء العصرية والأخذ بالتعليم الحديث. ويلاحظ أن اليهودية الإصلاحية انتعشت أساساً فى النظم الليبرالية وفى صفوف الطبقات الوسطى عالية التعليم الذين اندمجوا تماماً فى مجتمعاتهم. وكان هناك اتجاه وسط بين الأرثوذكسية المتطرفة واليهودية الإصلاحية فى ألمانيا عرف بالأرثوذكسية الجديدة والتي حاولت صناعة مزيج أقل جذرية من اليهودية الأرثوذكسية وأفكار الحداثة<sup>(٢)</sup>.

لقد ميزت هذه الاستجابات الأربع للحداثة اليهود الذين عاشوا عصر الاستنارة فى غرب ووسط أوروبا، لكن غالبية اليهود فى شرق أوروبا ظلوا يعيشون أسلوب الحياة التقليدى اليهودى (ماسورتى) masorti حتى نهاية القرن التاسع عشر، وكانت اليهودية التقليدية أقل تأثراً بالحداثة وبلاستجابات اليهودية تجاهها، وظلت الجماهير اليهودية المتوطنة فى شرق أوروبا تعيش فى معظمها فى مناطق ريفية تسمى "شتتل" Stetel حيث حظر عليهم بالقانون مغادرة أماكنهم إلى المراكز الحضرية المتطورة.

وهكذا سعى العلمانيون الراديكاليون إلى الاندماج فى الدولة القومية أو الهجرة بينما فضل الأرثوذكس المتطرفون البقاء فى عزلتهم واتباع وسائلهم القديمة فى الحياة

داخل الدولة القومية التي عاشوا فيها أو اختاروا الهجرة إلى أمريكا بحثاً عن التسامح. بينما اتخذ الإصلاحيون والأرثوذكس الجدد طريقاً وسطاً بإحداث بعض التغييرات، وكذلك محاولة الإبقاء على هوية منفصلة، واعتمدوا في ذلك أيضاً على تسامح وتعددية الدولة الليبرالية الحديثة. ولكن يلاحظ أن أياً من هذه المجموعات لم يعتبروا أنفسهم يهوداً يشكلون قومية متميزة، بل شكلوا التعبير الأساسي عن الهوية الحديثة لدى اليهود الغربيين.

### استجابات يهودية ثلاث تجاه القومية :

(١) الاندماج : حيث تمثل أول رد فعل على اكتساب مواطنة الدولة في قبول الغالبية من غير اليهود ممن يرون أن اليهودية هي "ديانة فقط" [وهم الذين سماهم إسحق دويتشر بهذا الاسم كدلالة على من ابتعدوا عن عقيدتهم الدينية ورفعوا شعار دمج اليهود في مجتمعاتهم وأمنوا بأن الانعتاق ينبغي أن يكون للبشر ككل وليس لليهود فقط، كما آمنوا بالتقدم والمرجعية المادية، انظر في ذلك الجهد الموسوعي الإبداعي للمفكر العربي الكبير عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية : نموذج تفسيري جديد، المجلد الثاني، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩، ص ص ١٨٢-٣]، وكذلك رضاؤهم بجنسية البلد الذين يقيمون فيه، وقد شارك اليهود في الحياة الثقافية والسياسية وفي الجيش والأحزاب السياسية. ذلك أن التمتع بالمواطنة وبحق التصويت وما جرى من ديمقراطية في المجتمعات الغربية دفعهم للاشتراك في الصراع بين الأيديولوجيات المتنافسة في بلادهم، حيث وجد مؤيدون يهود للأيديولوجيا السائدة آنذاك.

(٢) القومية الثقافية : في إطار ما عانتها مجتمعات شرق أوروبا من نظم استبدادية عوقت التحديث والديمقراطية، تبنى اليهود هناك رد فعل آخر تمثل في تكوين فكرة معينة مفادها أن القومية تعبر عن مجتمع تميزه اللغة والثقافة التي شكلتها هذه اللغة. وتزعم هذه الفكرة "حزب البوند" أساساً الذي ذهب إلى أن اليهود وجماعات



قومية أخرى والمشمولين برعاية الإمبراطورية القيصرية الروسية يشكلون أمة بحكم لغتهم وثقافتهم اليديشية. وقد اعتبرت اليهودية كإسلام والمسيحية بمثابة ديانة عابرة للقوميات، وأن المؤمنين بهذه الديانات لا يمثلون جنسية واحدة، وفيما يتعلق باليهود فقد كانوا يتحدثون بعدة لغات ومن ثم يشكلون أمما يهودية متعددة.

وابستهدف القوميون نوى النزعة الثقافية الإبقاء على التوجه القومى وحتى استزراعهم إن لزم الأمر وإعادة إنتاجه عبر الثقافة، ومن هنا وقف حزب "البوند" ضد سياسة "الترويس" التى انتهجتها الحكومة القيصرية الروسية وناضل أعضاؤه فى صفوف الأحزاب الاشتراكية والليبرالية الأخرى من أجل إضفاء الطابع الديمقراطي على الإمبراطورية الروسية ونيل حق تقرير المصير للقوميات الأخرى داخلها. ومن ناحية أخرى لم يدافع البوند عن جميع كل المتحدثين باليديشية فى بلد واحد لتكوين أغلبية كما لم يسع إلى دولة يهودية منفصلة. ذلك أن البوند كافح من أجل الاستقلال الثقافى للقوميات فى ظل دولة فيدرالية ديمقراطية واسعة تضم المتكلمين باليديشية والقوميات الأخرى بحسبان قدرة هؤلاء على التحكم فى عملية إعادة الإنتاج الثقافى الخاصة بهم عبر السيطرة على نظامهم التعليمى ومؤسساتهم الثقافية الأخرى، بهذا المعنى تشير القومية الثقافية إلى مقاومة "التثاقف" acculturation [أى عملية فرض ثقافة ولغة الطرف الأقوى على الطرف الأضعف بزعم نقل المدنية والحضارة إليه] والدمج لجماعات قومية وعرقية صغيرة فى الثقافة المسيطرة على الدولة. ومن هنا يعتبر ذلك إرهاباً للجدل الدائر حالياً حول التعددية الثقافية. وقد حظى حزب البوند بتأييد واسع فى أوساط العمال والبروليتاريا الرثة فى شرق أوروبا بين أواخر القرن التاسع عشر والحرب العالمية الثانية، وظل أتباعه فى مناطق وتقاليد "الشتت" وإن لم يعتبروا أنفسهم متدينين، بل إن كثيرين منهم كانوا ملحدين أو مؤمنين بالمادية، وكان لديهم حنين إلى الثقافة التى حافظوا عليها عندما تعرضت للتغير أمام أعينهم بفعل التصنيع والهجرة اليهودية إلى أمريكا. والواقع أن البوند تحول إلى حركة جماهيرية وكمنافس رئيسى للصهيونية.

(٣) الصهيونية : شكلت الصهيونية شكلاً ثالثاً من القومية بين اليهود فى مواجهة الحداثة، وكان تيودور هرتزل دعا لانعقاد المؤتمر الصهيونى العالمى الأول فى بازل بسويسرا فى ١٨٩٧ . وينظر إلى هذا الحدث كإعلان عن ميلاد "الصهيونية السياسية" وإلى هرتزل كمؤسس لها، وكان هذا يعتقد أن معاداة السامية أمر متأصل ولا سبيل للقضاء عليه عن طريق تغيير اجتماعى وسياسى من الداخل، وأن ذلك العداء سوف يستمر ما دام اليهود يعيشون كأقلية فى مجتمعات متعددة. وتمثل الحل لديه فى مغادرة اليهود للمجتمعات التى يقيمون فيها والتجمع فى أى مكان ممكن حيث يستطيعوا تشكيل أغلبية فيه ويقيمون دولتهم الخاصة بهم. ويلاحظ أن فكرة "دولة لليهود" (ويجب عدم الخلط بينها وبين "دولة يهودية") كانت مفتوحة على احتمالات عدة، إذ كان هرتزل يتصور الدولة ديمقراطية ليبرالية بحقوق متساوية لغير اليهود والفصل بين الدين والدولة، ومن الناحية الاقتصادية تمسك هرتزل بإقامة "رأسمالية ذات وجه إنسانى" (٤).

وتأسس تصور هرتزل عن "الصهيونية السياسية" على مقومين أساسيين مسلم بهما، يشير الأول إلى أن "الجماعة المتخيلة" تضم كل يهود العالم (ما يتناقض مع رؤية حزب البوند) وأن الوحدة اليهودية لا تقوم على الدين ولكن على المعاناة المشتركة لليهود (معاداة السامية) فى المناطق التى يعيشون فيها. فى حين يتحدد المقوم الثانى فى القومية العلمانية، حيث، فى إطار "دولة اليهود" المتخيلة، لا ينبغى فقط فصل الدين عن الدولة بل يجب أيضاً إعطاء حقوق مواطنة متساوية لشعب ينتمى لديانات مختلفة. وحينما مات هرتزل عام ١٩٠٤ لم تكن الملامح الأساسية للصهيونية فى مراحلها الأولية وقد تبلورت بعد، وعندئذ. بعد، وعندما تم ذلك نشبت الانقسامات والتصدعات وتركت عناصر معينة الحركة بينما أسس آخرون أحزاباً متعددة فى إطارها تصارعت فيما بينها على الزعامة.

## قرارات أيديولوجية رئيسية شكلت الصهيونية

### صهيون والدين

اتخذ القرار التكويني الأول الذى صاغ مستقبل الصهيونية فيما يسمى "مؤتمر أوغندا" عام ١٩٠٣ وقرر أن الأرض التى ينبغى على اليهود أن يكافحوا من أجل أن يشكلوا أغلبية فيها ويقيموا الدولة لابد أن تتمثل فى الأرض المقدسة التوراتية اليهودية، صهيون، أرض إسرائيل (إريتز إسرائيل) أو فلسطين<sup>(٥)</sup>. وكان تثبيت الأرض كهدف أمراً حتمياً بالنظر إلى أن الحنين الماشيحانى والنبوءات الأسطورية الدينية حول الموت والمستقبل يندمج مع الفكرة القومية العلمانية. وفى حين أعطى هذا المزيج الفكرة الصهيونية قبولاً واسعاً بين اليهود الفقراء المقهورين التقليديين فى شرق أوروبا، فإنه شكّل نقطة التحول من "دولة اليهود" إلى "الدولة اليهودية"، ذلك أن أسطورة عودة اليهود إلى أرض الميعاد ونهاية التيه (جالوت) وتجميع المنافى صارت قضايا مركزية فى أساطير الخلاص اليهودى الماشيحانى. بيد أن المسألة عند العلمانيين كانت تعنى أن "أرض إسرائيل" تخلق التماهى مع الغزو اليهودى التوراتى لأرض كنعان وفترة الدولة والملوك (أى "الكومنولث الأول"). لكنها أثارت لدى المتدينين الحاجة للعودة إلى القداسة، حيث أن العودة التامة لا تشير بالضرورة إلى عودة مادية لمكان معين بقدر ما هى عودة روحية لأسلوب حياة دينى شامل من حيث أن أحكاماً دينية كثيرة استندت إلى المكان. ولم يكن المتدينون يتصورون فصل الدولة عن الدين من زاوية أنه أمر لا يمكن تصوره فى الشريعة أو الهاالاخاه، فدولة اليهود يجب أن تكون دولة يهودية أيضاً. وهكذا جاء القرار عام ١٩٠٣ توفيقاً بين طامحين متعارضين تجاه هدف الصهيونية، ومن ثم سهل ذلك ضم أعداد كثيرة من يهود شرق أوروبا التقليديين إلى الصهيونية. ويرى "فيتال"<sup>(٦)</sup> Vital أن الصهيونية كانت ثورة ضد أسلوب الحياة التقليدى والدينى، ولكن ذلك لم يكن صحيحاً، فبعد وقت قصير من بدايتها، سارعت الصهيونية السياسية إلى التخفيف من أيديولوجيتها العلمانية وقبول القومية الدينية.

## كيف يشيد صهيون؟ الليبرالية فى مواجهة الجماعية

تمثلت المرحلة الثانية فى تطور الصهيونية فى النماذج البديلة لإقامة المجتمع والاقتصاد فى دولة اليهود المزمع إقامتها، وكان هناك بديلان أعقبا تطورات القرن التاسع عشر وهما الاشتراكية والرأسمالية، وقد شهدت بداية القرن التاسع عشر تصاعداً ظاهراً فى الحركات الاشتراكية بتنويعات مختلفة فى أوروبا، حيث آمن الاشتراكيون بأن علاج أمراض الحداثة يكمن فى تغيير المجتمع من الداخل. وفى هذا الإطار حلت العقلانية والكونية والوضعية المنطقية والعلم والمساواة قانونية كانت أم اقتصادية محل الدين والخرافة والتعصب، وبناء على ذلك ظهرت أفكار التضامن بين الطبقة العاملة كأداة للقضاء على القومية والرجعية والعنصرية.

وقد انجذب يهود كثيرون إلى الاشتراكية خصوصاً فى البلاد الأقل تقدماً فى وسط وشرق أوروبا. والواقع أن فلسطين لم تكن المكان الجاذب للهجرة فى السنوات الأولى من الاستيطان الصهيونى فى فلسطين حيث كان ملايين اليهود يرحلون إلى أمريكا بينما القليل هو الذى جاء إلى فلسطين، فلم تكن فلسطين تملك من الموارد الطبيعية ما يجذب كبار المستثمرين الأفراد وكذلك الناشطين فى الأعمال الخيرية من اليهود بل ولم تكن تكفى لبقاء القلة التى ذهبت، والأكثر من ذلك أن فلسطين لم تكن على حالة من التخلف أو الوحشية وكان لابد من استعمارها بالقوة. ولكن الصهاينة لم تكن لديهم دولة حليفة تساند مغامراتهم فكيف إذا يمكن استعمار فلسطين؟ وهذه الظروف الصعبة هى التى جعلت حتى القادة الليبراليين للصهيونية مثل "هرتزل"، الذى كان ليبرالياً بمنطق القرن التاسع عشر، يؤمنون بإجراءات اقتصادية مضادة لمبدأ "يدعه يعمل" أى (الاقتصاد المفتوح الذى يتيح لقوى السوق أن تحدد تدفق السلع والعمل ورأس المال). ولأن فلسطين يوجد بها شعب غريبى صاحب الأرض له اقتصاده الخاص، كان على المستوطنين اليهود استخدام أساليب الطرد والحماية لتمكين الغالبية من المهاجرين الفقراء من الحصول على فرص عمل، فضلاً عن أن بناء الأمة يتطلب الحصول على الأراضى التى لا يستطيعون حصارها بالقوة ولابد من شرائها، وكان



يجب تأمين الأراضي المشتراة حتى لا يتم بيعها من جديد إلى العرب أصحاب الأرض أو السكان الأصليين، ومن ثم كان يجب حماية المستوطنين من منافسة المنتجات المحلية الوطنية.

وفرضت مثل هذه العوامل اللجوء إلى نوع من التضامن والالتزام الأيديولوجي الجماعي القوى لا تبني أخلاقيات النفعية الفردية، وكان من الضروري التخطيط لمشروعات الاستيطان والموارد الرأسمالية النادرة بما يضمن توزيعها تبعاً لأولويات الخطة القومية الاستراتيجية وليس منطق الربحية، وقد تطلب ذلك السيطرة على السياسة وكذلك الاقتصاد المخطط لا إتباع رأسمالية "دعه يعمل".

### إسرائيل كبيرة أم صغيرة لكن أشد يهودية :

ارتبط ثالث القرارات المصيرية في مجال تحديد الصهيونية بالحدود الإقليمية للدولة اليهودية وما ينشأ عنها من صراع فلسطيني يهودي، وقد تضمنت الطموحات الأولية للصهيونية الحدود المجاورة، أي جنوب لبنان والجولان ومعظم الأراضي على نهر الأردن، ولكن القرار كان خارج متناول الصهاينة بل في عصبه الأمم حيث كانت بريطانيا وفرنسا ترسم الحدود آنذاك، ومن ثم تقيدت التطلعات الصهيونية بالمنطقة التي يسيطر عليها الانتداب البريطاني في فلسطين. وكان الاقتراح الأول الذي تقدمت به لجنة "بيل" (\*) في عام ١٩٣٧ بعد الثورة العربية يتأسس على فكرة التقسيم، وكانت هذه هي المرة الأولى التي اضطرت معها القيادة الصهيونية أن تتخذ موقفاً كان ولا يزال يشكل محور الانقسام السياسي في الصهيونية سواء داخل إسرائيل أو خارجها،

(\*) لجنة بيل (اللجنة الملكية) هي لجنة شكلتها الحكومة البريطانية في أغسطس ١٩٣٦ لدراسة أسباب انتفاضة المواطنين الفلسطينيين في أبريل ١٩٣٦ ويحث بسبل تنفيذ صك الانتداب على فلسطين. ورأس اللجنة لورد بيل، الذي شغل منصب وزير شئون الهند تقريرها الذي أرجع الانتفاضة إلى رغبة العرب في الاستقلال وتخوفهم من إقامة وطن قومي لليهود ومن استمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين. كما انتقد التقرير سياسة الانتداب وأوصى بإنهاءها وتقسيم فلسطين إلى دولتين : عربية ويهودية، وكانت تلك هي المرة الأولى التي تردد فيها فكرة التقسيم.

ومن جانبه قبل "بن جوريون" زعيم أكبر حزب سياسى فى التجمع اليهودى آنذاك (يشوف Yishuv) أى الجماعات اليهودية التى كانت تعيش على الصدقات التى ترسلها لهم الجماعات اليهودية أو يهود فلسطين قبل الهجرات الصهيونية)، وأيضاً زعيم المنظمة الصهيونية العالمية، فكرة التقسيم وقبلها أيضاً فى عام ١٩٤٧ عندما أثّرت المسألة من جانب اللجنة الأنجلو - أمريكية وبعثة الأمم المتحدة إلى فلسطين قبل صدور قرار الأمم المتحدة الخاص بالتقسيم فى نوفمبر من العام نفسه<sup>(٧)</sup>.

وقد تفجرت مسألة حدود الدولة اليهودية من جديد فى إطار حرب يونيو ١٩٦٧ بعد أن استولت إسرائيل على كافة الأراضى التابعة للانتداب السابق، ولكن لم تقم بضمها إليها بسبب قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ .

وبغض النظر عن قرار الأمم المتحدة، وجدت إسرائيل نفسها أمام معضلة صعبة من حيث إن الضم يعنى استيعاب كتلة كبيرة من الشعب الفلسطينى وكذلك إثارة موضوع نسبة العرب إلى اليهود وخصوصاً مع عدم منح العرب المواطنة الإسرائيلية. وكان الموقف الذى تبنته الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة هو مصادرة الأراضى الفلسطينية وتوظيف اليهود فيها مكان الفلسطينيين، ورغم أن ذلك كان يتم بأسلوب بطيء للتوسع، فإننا نستطيع القول أن الحدود الإقليمية كانت مسألة ثانوية قياساً على مبدأ الاحتفاظ بعدد قليل من الفلسطينيين.

### التوجه الدينى المعادى للصهيونية فى فلسطين والخارج :

كان اليهود المتدينون المتزمتون قد انشقوا عن الحركة الصهيونية، وقاموا فى عام ١٩١٢ بتشكيل منظمة كبيرة منافسة ومعادية للصهيونية سميت "أجودات إسرائيل" ومنذ البداية يُظهِر هؤلاء، الذين يطلق عليهم أيضاً "الحريديم" Haredim ، إلى الصهيونية على أنها :

( أ ) تمثل شكلاً عدوانياً من العلمنة والاندماج الثقافى، ومن ثم فهى عبارة عن تمرد ضد الرب.

( ب ) حاولت فرض خلاص اليهود عبر نشاط دنيوى متسرع ولم تصبر انتظاراً لمجىء الماشيح الذى وعد به الرب، وهذا نوع من التجاوز الصهيونى بسببه جلب الرب "الهولوكوست" على اليهود الذين هم فى الواقع المتدينون المعاون للصهيونية.

( ج ) أن النشاط الاستعماري للصهاينة تسبب فى عداوة العرب وخلق من ثم معاداة السامية وجعل حياة اليهود فى خطر.

### الصهيونية الدينية :

كان هناك عدد كبير من اليهود المتدينين اختاروا البقاء فى صفوف الحركة الصهيونية باعتبار أن ذلك أحد متطلبات المعركة ضد الاتجاهات العلمانية داخل الصهيونية نفسها<sup>(٨)</sup>، وقد أسس هؤلاء الجناح الدينى القومى أو "المزراحي" داخل المنظمة الصهيونية العالمية. والواقع أن أنصار الصهيونية الدينية فى فلسطين لم يرفضوا ضرورة بناء مجتمع يهودى، ما جعلهم ينضمون إلى الصهاينة العالميين فى تشجيع الهجرة واستيطان الأرض وبناء المؤسسات، وفى حين انفصل اليهود المتدينون المتزمتون عن المجتمع اليهودى العلمانى فى فلسطين، فقد ظل الصهاينة المتدينون يحافظون على نظام تعليمى منفصل وإن اشترك مع الصهاينة العلمانيين فى مؤسسات مجتمعية أخرى. ومن ثم فسر هؤلاء أهداف الصهيونية من وجهة نظر دينية، فتأسيس الدولة لم يكن هدفاً فى ذاته ولكن وسيلة لتحرير الأرض ولتسهيل العودة الروحية لكل اليهود إلى التجمع الدينى أو الجماعة المؤمنة، وهذا ما يفسر وجود نزوع ماشيحانى بارز داخل الصهيونية الدينية كان يقوده كبير حاخامات فلسطين "كوك"، والذى ذهب إلى أن عودة اليهود إلى أرض الأجداد تعد بداية الخلاص ومؤشراً على مجىء المخلص اليهودى. ومن هنا اعترف الصهاينة المتدينون بالدولة الصهيونية لدى قيامها وأسبغوا عليها معنى دينيا من خلال صلوات خاصة، ويشارك هؤلاء فى الخدمة العسكرية و العمل فى الأجهزة الحكومية وفى التعليم العالى كما ينشطون من الناحية الاقتصادية فى المهن المختلفة.

## الاشتراكية فى مواجهة الصهيونية :

نظر الاشتراكيون إلى الصهيونية كحركة انتهازية انحرفت بقطاعات معينة من السكان بعيدا عن الهدف الرئيسى وهو النضال من أجل التغيير الرأبىكالى فى مجتمعاتهم بأن دعت أنصارها إلى مغادرة البلاد التى يقيمون فيها. والواقع أن الصهيونية كانت متشائمة بصدد تمتع اليهود بحق المساواة فى أى مكان يعيشون فيه كأقلية ولم تطالب بالتضامن الطبقي كحل للمشكلات القومية لليهود بل دعتهم إلى تضامن قومي بين يهود من طبقات مختلفة. ومنذ بدايتها كحركة اقتنع القادة الصهاينة بالنظم الرجعية للحصول على تأييدها للهجرة والاستيطان اليهودى، مثل هذه الأسباب وغيرها جعلت معظم الاشتراكيين، إن لم يكن كلهم يعتبرون الصهيونية صياغة منافسة بخصوص الهوية وكأيدولوجية برجوازية، ومن هنا رفضت غالبية اليهود ممن كانوا أعضاء فى الحركات الاشتراكية الصهيونية وكان كثير منهم معادين للصهيونية.

## الصهيونية الاشتراكية :

رغم ذلك وجدت أجنحة اشتراكية متطورة ذات منحى صهيونى منذ بداية الحركة الصهيونية، وقد قبل الصهاينة الاشتراكيون المسلمة الصهيونية القائلة بأنه لا يوجد حل لمعاداة السامية لدى اليهود فى مجتمعاتهم الأصلية، وإن كان هؤلاء قد اشتراطوا تأسيس المجتمع اليهودى فى فلسطين طبقا للمبادئ الاشتراكية، وقد جذبت هذه الفكرة الكثيرين إلى الصهيونية بحيث لم يعد من الضرورى الاختيار بين الصهيونية أو الاشتراكية، وأتاحت لهم التعاون معاً فى الأرض الجديدة. والأكثر من ذلك أن جناحاً دينياً اشتراكياً من الصهيونية نشأ داخل حركة المزارحى أو اليهود المتدينون، والذين فصلوا مبادئهم الاشتراكية عن مصادرها العلمانية "الماركسية"، بل وأيضاً عن النصوص اليهودية المقدسة، وكذلك انفصلت عن الحركات الدينية اليهودية مثل



"الإيسينيون" <sup>(\*)</sup>essenes، كما ابتعدوا عن الممارسات التضامنية اليهودية فى مجال العمل الخيرى والمساعدة الذاتية.

واحتدم الجدل داخل الحركة الصهيونية فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، حيث آمن البعض بأنه يجب أن يتولى بناء المجتمع اليهودى أبناء الطبقة الوسطى من اليهود المهاجرين بما من اليهود من ملكية خاصة ومهارات بينما ركز آخرون على الحركة العمالية الصاعدة فى فلسطين واعتبروها السبيل الوحيد لتطوير فلسطين اليهودية لمواجهة الظروف القاسية والمعارضة العربية المتزايدة آنذاك، وذلك عن طريق إتباع النموذج الريادى الجماعى. وقد تطلب هذا النموذج تعبئة الأموال والناس فى إطار الحركة الصهيونية العالمية وتأميم وتركيز عمليات شراء الأراضى والتخطيط الاستعمارى الاستراتيجى إلى جانب إنشاء اقتصاد متقشف ومغلق يستند على اليد العاملة اليهودية والمؤسسات القومية الخاصة باليهود. وقد اقتضى كل ذلك أن تتم التنمية تحت إشراف قيادة مركزية لمجتمع رفاهية شمولى يكون قادرا على استيعاب فقراء المهاجرين وتوجيههم نحو الأهداف القومية وليس الفردية. ويلاحظ أن الثلاثينات من القرن العشرين شهدت انتشار الصهيونية العمالية بين اليهود فى فلسطين ثم ازداد نفوذها بعد سنوات قليلة فى الحركة الصهيونية العالمية إن لم يكن بين كل يهود العالم.

### الاشتراكية المعادية للصهيونية فى فلسطين وإسرائيل :

ظهرت الحركة الاشتراكية المعادية للصهيونية فى فلسطين كرد فعل على السياسات الاستعمارية للصهيونية العمالية ضد العرب، وقام اليهود المعاون للصهيونية بتشكيل الحزب الشيوعى الفلسطينى فى عام ١٩١٩<sup>(٩)</sup>، ومن جانب آخر

(\*) الإيسينيون هم جماعة من اليهود عاشت شمال غرب البحر الميت فى الفترة ما بين القرنين الثانى قبل الميلاد، وكانوا بعيدين عن الحياة العامة، وعاشوا حياة النساك.  
انظر : عبد الوهاب المسيرى، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: مرجع سبق ذكره، المجلد الخامس، ص ٢٢٥

عانى الصهاينة الاشتراكيون أنفسهم من الإحباط فى بداية العشرينات من القرن الماضى بسبب ما قامت به المنظمة العمالية من سحق محاولاتهم لتشكيل منظمة اشتراكية مستقلة<sup>(١٠)</sup>. وفى مواجهة الخيانة والحظر عاد الكثير منهم إلى الاتحاد السوفيتى بينما انضم آخرون إلى الحزب الشيوعى الفلسطينى الذى تحول إلى منظمة يهودية عربية صغيرة ذات توجه ستالينى تناضل ضد الصهيونية والبريطانيين من أجل التحرر الوطنى للشرق الأوسط. والواقع أن الاشتراكية المعادية للصهيونية مثلت نتاجاً مباشراً لتصاعد الصراع العربى - الإسرائيلى ونبتت من رؤية للعالم ذات بعد دولى وكونى وليس بعداً قومياً خالصاً. وقبل قيام إسرائيل بقليل لم تكن هذه الحركة تعترف باليهود فى فلسطين كجماعة قومية.

وتأسست منظمة "الفهود السود" (الماتسبن) فى منتصف الستينات من القرن الماضى كمجموعة اشتراكية معادية للصهيونية حيث انشقت عن الحزب الشيوعى فى إطار الاختلاف مع نمط الاشتراكية السوفيتية وغياب الديمقراطية فى النظم الشيوعية، واعتبر أعضاؤها الصهيونية أحد أشكال الاستعمار ودعوا إلى نزع الطابع الصهيونى عن إسرائيل وإقامة دولة ديمقراطية علمانية موحدة تضم الإسرائيليين والفلسطينيين معا داخل شرق أوسط اشتراكى<sup>(١١)</sup>.

## الليبرالية والصهيونية :

أوضحنا فيما سبق كيف نشأت أجنحة مختلفة داخل الحركة الصهيونية حاولت من البداية المزج بين الصهيونية والأيديولوجيات الأخرى، وعقب وفاة هرتزل أطلق الليبراليون على أنفسهم صفة "الصهيونى عمومًا" [أى من لا يرتبط بمنحى أيديولوجى معين]، وخصوصاً بعد رفضهم مزج الصهيونية بالدين وبالاشتراكية وبأى شىء آخر، ويلاحظ أنه طوال العشرينات وحتى منتصف الثلاثينات من القرن الماضى انعقدت زعامة المنظمة الصهيونية العالمية لهؤلاء الصهاينة. وكان رئيس المنظمة حاييم وايزمان يساند الحركة العمالية فى السعى إلى خلق نوع من العمل الجماعى لتحقيق الرفاه

وبناء مؤسسات منفصلة لليهود واقتصاد يهودى مغلق يعتمد على العمل اليهودى والسياسات الحمائية، وكان ذلك يتعارض مع أفكار قادة اليهود الأمريكيين الليبراليين بقيادة "برانديز" Prandeis<sup>(١٢)</sup>.

وفى هذه الفترة نشأ اتجاه آخر يسمى المعارضة الليبرالية للصهيونية العمالية والذي نما بسرعة منذ منتصف عشرينات القرن العشرين وتزعمه جابوتنسكى، ومع ذلك اقتضرت معارضته على احتكار السلطة من قبل الحركة العمالية ومنظمتها وضد دعم وايزمان للعمال، ولم تكن ضد سياسات الانغلاق القومية، كانت ليبرالية "دعه يعمل" بتعبير هذه الأيام، هامشية فى الحركة الصهيونية. ورغم وجود برجوازية يهودية فى فترة ما قبل قيام الدولة<sup>(١٣)</sup>، فقد اتسمت بالضعف السياسى والتعاون مع العمال تحت قيادة الحركة العمالية. وحتى أواخر الستينات، لم تكن السياسات الاقتصادية الإسرائيلية قائمة على آليات السوق ولكن على سيطرة الدولة من زاوية أن الاقتصاد كرس لخدمة هدف بناء الدولة القومية والمجتمع اليهوديين. وفى عقدي الستينات والسبعينات تطور نموذج للاقتصاد الدمجى، ومنذ منتصف الثمانينات فقط انفتحت إسرائيل على التحرير الليبرالى.

### الليبرالية المناهضة للصهيونية فى فلسطين والخارج :

عارضت الليبرالية المناهضة للصهيونية فى الخارج<sup>(١٤)</sup> الدولة اليهودية بحسبان أن الديانة اليهودية عالمية وترفض بالضرورة التوجه القومى، فى حين تنظر الصهيونية لليهود من منظورات قومية قبل كل شىء ولم يكن لديها قناعة بإمكانية الانعتاق والاندماج اليهوديين مع غير اليهود، بهذا المعنى وفى إطار سياسة تجميع اليهود فى فلسطين، التقت الصهيونية مع الأيديولوجيات العنصرية اليمينية الأشد تطرفاً والتي فصلت بين اليهود كسلالة والآخرين. كما كانت الصهيونية معادية للديمقراطية حيث لم تكن تقبل بوضعية متساوية فعلية لغير اليهود فى دولة يهودية.

ونشأ اتجاه ليبرالى مناهض للصهيونية آخر بين شباب مثقفين تجمعوا حول جابوتنسكى قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى مباشرة كجناح يمينى ليبرالى علمانى ذى توجه قومى ومن أبرز رواده "هورون" و"راتوش" Ratosh<sup>(١٥)</sup> وعبروا عن ضرورة فصم العلاقة بين القومية والدين اليهودى وخلق شكل جديد من الانتماء عرف بـ"الأما العبرية" المرتبطة بأرض كنعان، وكان يعتبرون أن اليهودية كديانة ولدت فى الشتات وأنها ظاهرة تنتمى بالأساس إلى مجتمع الشتات ما يجعلها ظاهرة دينية ثقافية.

وقد ذهب هذا الاتجاه إلى القول بأن الشتات اليهودى ليس مسألة متفردة، وأن تجمعات شتات أخرى مثل الهيلينية والفارسية بقيت لعدة قرون ولكن فى المتاحف تماما مثل العرق الألمانى فى أوروبا المعاصرة. ومن رأى هذا الاتجاه أيضاً أن اليهوديا كمقوم دينى ثقافى لا تحتاج إلى دولة، كما أن القومية هى أولا وقبل كل شىء ظاهرة سياسية ومتعلقة بالأرض، ومثلما رغب المهاجرون إلى الولايات المتحدة فى نسيان تاريخهم والانتماء إلى الأمة الجديدة، فقد اختار العبريون أن يعرفوا أنفسهم بهذه الصفة. ويفرق "هورون" و"راتوش" بين العبرى والإسرائيلى، وحيث اعتبروا أن دولة إسرائيل لا تحقق أفكارهما التى ارتبطت بالشتات والدين اليهودى. ومن جانب آخر كانت هناك رؤية أخرى للفكرة العبرية أكثر اعتدالاً طرحها "هيلل كوك" أحد أقرب أنصار جابوتنسكى فى الولايات المتحدة، ففى عام ١٩٤٧ عارض "كوك" تقسيم فلسطين وفكر فى الأراضى التى يتكون منها الأردن الآن. غير أن "هورون" دعا بعد عام ١٩٦٧ إلى ضم كافة الأراضى المحتلة، لكنه دافع عام ١٩٧٤ عن قيام دولة فلسطينية وعن فصل الدولة عن الدين فى إسرائيل. فقد تحدث عن أن الدولة الإسرائيلية التى أسستها الصهيونية حققت هدفها بمجرد قيامها، ومن ثم لا يجب أن تمثل سوى اليهود المقيمين فيها وليس كل يهود العالم. وكان كل من "كوك" ونجل جابوتنسكى "آرى" قد انتخبا فى أول برلمان إسرائيلى ببرنامج قوى مناهض لإدخال الدين فى الدولة حيث طالب بفصلهما عن بعضهما البعض. ورغم أن الفكرة الكنعانية ولدت فى أوساط اليمين، فقد وجدت طريقها إلى اليسار غير الصهيونى الذى طمح إلى إعادة تشكيل إسرائيل كدولة كل مواطنيها العرب واليهود على قدم المساواة لا دولة لليهود العالم فقط.



## غالبية الإسرائيليين يميلون إلى الصهيونية:

من الواضح أن كل جناح من أجنحة الصهيونية وجد بجواره جناح معاد للصهيونية بمسميات عديدة دينياً كان أو اشتراكياً أو ليبرالياً، بيد أن الليبرالية المعادية للصهيونية لم تتواجد في إسرائيل تقريباً حتى العقد الأخير من القرن العشرين.

وسوف أحاول بيان أن معاداة الصهيونية لا تتعلق أساساً بمسألة الحدود الإقليمية لإسرائيل بقدر ما ترتبط بالطابع اليهودي لها. فقد كان الكنعانيون الأصليون يقفون مع إسرائيل الكبرى، إذا كانت الكنعانية تركز على السياسة والأرض وتصر على الدولة في حين دعا معظم الاشتراكيين المعادين للصهيونية إلى دولة ديمقراطية علمانية موحدة تضم الفلسطينيين والعبريين (وهو ما يميزهم عن الاعتقاد الصهيوني بأن كل اليهود لهم حق تلقائي في المواطنة)، ويؤكد الاشتراكيون على البعد الاجتماعي بأكثر مما يركزون على البعد المرتبط بالدولة والسياسة ولا يهتمون بأي مكان يعيش اليهود أو العرب ويترحون قواعد اقتصادية واجتماعية واحدة تطبق بمساواة تامة على الكل. بينما يؤكد أنصار الاتجاه الديني المعادي للصهيونية على البعد الثقافي – الديني ويرفضون لدواع دينية قيام دولة لليهود<sup>(١٦)</sup>. وقد رفضوا الصهيونية لأنها أقامت مجتمعا يهوديا لا يحكم بالشريعة اليهودية (الهالاخاه) ومن هنا يعتبرون ذلك بمثابة عقاب إلهي، واختاروا العيش في الأرض المقدسة حتى لو كانت تحت حكم عربي.

لم تكن السجلات الحادة بعد مدريد وأسلو والتي أدت إلى انقسام اليمين واليسار بخصوص عملية السلام، مرتبطة بصفة مباشرة بموضوع الصهيونية في مواجهة مناهضة الصهيونية. ومال معظم الإسرائيليين إلى دولة يهودية وميزوا أنفسهم بنوع أو آخر من الصهيونية، ومن هنا تنبع أهمية مناقشة من ينتقدون الجوانب المختلفة من التاريخ الصهيوني أو السياسة المعاصرة باعتبارهم خارج الصهيونية بدون مبالغة.

## ما بعد الصهيونية :

انطلاقاً مما سبق يثور السؤال : ما هي دعوة ما بعد الصهيونية؟ فى أى موضع يمكن تحليلها وتفسيرها؟. والواقع أن ما بعد الصهيونية يعد مفهوماً غامضاً ومثيراً للانتباه. ويرى "جوتوين" Gotwin أن ما بعد الصهيونية لا تشير إلى مدرسة فكرية متجانسة، وكان الكتاب المهم الذى قدمته "لورانس سيلبرشتاين" Silberstein إلى الجمهور غير اليهودى الناطق بالإنجليزية يوافق رأى القائل أن "كل الجهود لوضع تعريف محدد لكلمة فكر مثل ما بعد الصهيونية هي محاولة محكوم عليها بالفشل، فقد تعرض معنى ما بعد الصهيونية لتغير مستمر بحسب من يستخدمه ومكانه وتبعاً لهدفه" (١٨). ومع ذلك حاول أن يطرح مقارنة معينة على النحو التالى :

"ينطبق مصطلح ما بعد الصهيونية على مجموعة من المواقف النقدية الحديثة التى أثارت الشك فى الخطاب الصهيونى والروايات التاريخية وصور التمثيل السياسى والاجتماعى التى أنتجها. وهو يشبه الصهيونية من حيث وجود طيف واسع من التوجهات داخله، ويرجع تزايد استعمال مصطلح ما بعد الصهيونية إلى تنامى الشعور بين الإسرائيليين بأن خارطة المعانى التى طرحتها الصهيونية لم تعد كافية بصراحة. وفيما يتعلق بأوجه النقد، تشكك ما بعد الصهيونية فى المبادئ والقيم الأساسية للصهيونية، ويعتبر روادها أن النقد ما بعد الصهيونى هو شرط ضرورى لتحول إسرائيل إلى مجتمع ديمقراطى بالكامل" (١٩).

ولكننى أرى مثل هذا التوصيف شديد العمومية، فما بعد الصهيونية مصطلح ملىء بالتناقضات، ويستهدف "سيلبرشتاين" تحديد مفاصل السجلات ما بعد الصهيونية وتقديم وصف بانورامى لمدى الحجج، بينما تتميز أغراضى بأنها أكثر تحديداً :

أولاً : أن حجتى فى مواجهة ما بعد الصهيونية تقوم على أن الصراع الإسرائيلى - العربى لا يدور حول الغاية، ومن هنا أرغب فى وضع الاتجاه ما بعد الصهيونى فى سياق المرحلة الرابعة من الصراع التى تتسم بالهيمنة الأمريكية العالمية.

**ثانيا : أننى أفترض أن بعض كتابات اتجاه ما بعد الصهيونية تزعم أن تنامى "الرغبة فى السلام" فى إسرائيل تتحدد أساساً من داخلها أى من المصالح الاقتصادية لأولئك المستفيدين من انفتاح إسرائيل على العالم، فى حين أننى أزعـم، بدلا من ذلك، أن عملية السلام فرضت على إسرائيل من الخارج. فالواقع أن ازدياد الصادرات الصناعية الإسرائيلية يحتاج لمنفذ إلى الأسواق العالمية (وليس الأسواق العربية)، ومن هنا عمدت إسرائيل إلى كسر العزلة التى فرضت عليها من قبل السوفييت والمقاطعة العربية من الدرجة الثانية. وكان يمكن تحقيق هذا الهدف عبر تفكيك الكتلة السوفيتية وبداية الهيمنة الأمريكية على العالم.**

**ثالثا : يترتب على الرؤية الحتمية لدعاة ما بعد الصهيونية بشأن انتهاء الصراع الإسرائيلى - العربى رسم صورة خاطئة عن القضايا التى تواجه المجتمع الإسرائيلى فى المستقبل المنظور. وأنا أعتقد أن احتمال التوصل لعدة معاهدات سلام رسمية تالية لن يجعل إسرائيل أكثر علمانية وديمقراطية، بل بالعكس سوف يدعم أفكار "الديمقراطية العرقية/الإثنية"<sup>(٢٠)</sup>، التى تستند بشدة على التقاليد اليهودية و"الديانة اليهودية النقية"، والرموز الدينية اليهودية.**

**رابعا : ينبع التفاؤل الذى يبدىه دعاة ما بعد الصهيونية بشأن حتمية انتهاء الصراع الإسرائيلى - العربى من رؤية حتمية ومحلقة للعولة، باعتبار أن تضائل دور الدولة وتراجع الفكرة القومية وبزوغ سلام عالمى عبر التجارة يخلق تناقضا بين اشتراكى ما بعد الصهيونية وليبرالى ما بعد الصهيونية، ولكن عصر السلام الأمريكى لن يدفع باتجاه إحلال المساواة.**

**موضع خطاب ما بعد الصهيونية من المرحلة الحالية للصراع الإسرائيلى - العربى :**

بزغ اتجاه ما بعد الصهيونية فى سياق أو مناخ عقدى الثمانينات والتسعينات من القرن الماضى، وقد استند كائى توجه ثقافى إلى رأسماله الأيديولوجى الذى توافر له خلال الفترات السابقة، ويمكن التعرف على أى توجه باعتباره "تاريخ أفكار" تجذرت

فى الأحداث وطبيعة الزمن. ويصبح هذا حقيقة بصفة خاصة فى حالة نجاح هذا التوجه فى تحقيق صدق لدى الجماهير. ولكننى على اقتناع بأن اتجاه ما بعد الصهيونية لابد من اعتباره معاكساً لخلفية عملية السلام أو لا يعمل فى صالحها. ولإثبات ذلك، لابد من تقديم موجز مختصر لمراحل تطور الصراع الإسرائيلى - العربى.

### مرحلة التطور داخل الدولة وبين التجمعات (١٩٢٠ - ١٩٤٨) :

تطور الصراع الإسرائيلى - العربى عبر عدة مراحل أو دوائر تتباعد باستمرار عن محور الصراع<sup>(٢١)</sup>، وفى المرحلة الأولى اندلع الصراع بين المستوطنين اليهود والتجمع الوليد الذى أنشأه من جهة وسكان البلاد الأصليين من العرب فى فلسطين الواقعين تحت الانتداب البريطانى من جهة أخرى. غير أن الحكومة البريطانية أوقفت الصراع وحافظت على القانون والنظام وحالت دون احتدام الصراع، ولما كان الطرفان [العرب والمستوطنون] لا يملكان قوة كافية وقدرًا ملموسًا من السيادة على المنطقة الخاصة به، فقد لجأ اليهود إلى شراء الأراضى بدون استخدام القوة ولم يستطع العرب شن الحرب ضد اليهود أو استصدار تشريع يمنع الهجرة والاستيطان. وأدت السياسة البريطانية أولاً إلى استثارة غضب عرب فلسطين باعتبار أنها تحابى اليهود، ثم حدث الأمر نفسه بالنسبة لليهود قبل الحرب العالمية الثانية عندما حاول البريطانيون اتباع سياسة متوازنة ومنع التقدم فى بناء الدولة اليهودية، وهذه السياسة أملتھا الظروف الدولية المتغيرة وتصاعد القومية العربية. وقد انتهت هذه المرحلة عندما قررت بريطانيا تسليم مسئولية الانتداب إلى الأمم المتحدة ومغادرة فلسطين، ونجم عن قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين اشتعال المواجهة المسلحة بين المستوطنين والعرب وهزيمة الفلسطينيين وإعلان قيام الدولة اليهودية. رفضت الدول العربية قرار التقسيم وأعلنت الحرب على إسرائيل والى انتهت بسيطرة إسرائيل على ٨٠٪ من مجمل مساحة فلسطين وتحول معظم الفلسطينيين إلى لاجئين سواء من بقى منهم فى إسرائيل أو من خرج منها<sup>(٢٢)</sup>. ولم تنشأ دولة فلسطينية منذ ذلك الحين، حيث قامت كل من إسرائيل والأردن بضم أراضیها.



## مرحلة الصراع بين الدول (١٩٤٨ - ١٩٦٩)

انحصر الصراع فى هذه الفترة بين إسرائيل والدول العربية المحيطة بها أساساً، وقد اتخذ أشكالاً جديدة، فألى جانب الحروب الشاملة أعوام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧، كانت هناك مواجهات محدودة واختراقات تقوم بها الجيوش النظامية وقوات غير نظامية إلى جانب تزايد الإنفاق على التسليح. وتمثلت الحرب الاقتصادية فى مقاطعة الدول العربية لإسرائيل بصفة مباشرة وفى صورة مقاطعة غير مباشرة تمثلت فى ممارسة ضغوط على الدول غير العربية لدفعها إلى قطع كل روابطها مع إسرائيل<sup>(٢٣)</sup>. ومن ناحية أخرى، اتخذ الصراع شكل حرب أيديولوجية عبر جهود منتظمة لعزل وتعرية الطرف المعادى وكذلك زفض الاجتماع به فى المنظمات الدولية ووسائل الإعلام العالمية.

ولم يؤد الفلسطينيون طوال هذه المرحلة سوى دور ثانوى وتولت دول عربية عدة القضية بنفسها وتعرضت القضية للاستثمار فى إطار السياسات العربية- العربية. وفى إسرائيل خضع العرب للحكم العسكرى وتمت مصادرة معظم أراضيهم وممتلكاتهم وعاشوا كمواطنين من الدرجة الثانية، وكانت الدول العربية هى الأخرى قد صادرت كثيراً من الممتلكات اليهودية وشعر معظم اليهود فيها بعدم الأمان ثم هاجروا من هذه الدول.

وقد خضع الشرق الأوسط فى السنوات الأولى من هذه الحقبة لسيطرة القوى الاستعمارية الآخذة فى التدهور وهى بريطانيا وفرنسا، وكان أن حلت الحكومات الثورية الوطنية فى عدة دول عربية محل النظم الموالية للاستعمار بعد عام ١٩٥٦، واتبعت القوتان العظميان، الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة، سياسة التدخل والتنافس على المنطقة.

## مرحلة القوة العظمى (١٩٦٩ - ١٩٨٨)

بدأت هذه المرحلة مع اندلاع حرب الاستنزاف بين إسرائيل والدول العربية في أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧، حيث أمدت القوتان العظميان حلفاءهما بالأسلحة والتكنولوجيا الجديدة ما أدى إلى إدخال الصراع في أتون الحرب الباردة والمنافسة بين القوتين الأعظم، مثلما حدث في مناطق أخرى. ترتب على ذلك تحول الصراع الإسرائيلي - العربي إلى حرب بالوكالة بين القوتين الأعظم بحيث كانوا يقاتلون بشكل غير مباشر عبر حلفائهما (كما حدث في عام ١٩٧٣). وكان الاستعداد العسكري أو بناء القوات المسلحة قد وصل إلى مستويات فوق طاقة القدرات الاقتصادية والعلمية للأطراف المتحاربة، ما جعل هذه الأطراف في حالة اعتمادية اقتصادية وعسكرية على الكبار كما حصلوا منهم على نوعيات متفاوتة من المساعدات الاقتصادية والعسكرية. وقد قطعت العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية بين الكتلة السوفيتية وإسرائيل بعد عام ١٩٦٧ ما زاد من عزلة إسرائيل وحرمانها من النفاذ للأسواق العالمية.

ومن ناحية أخرى احتل الصراع الإسرائيلي-العربي مكانة مركزية في الحرب الأيديولوجية بين القوتين الأعظم، حيث ساندت الكتلة السوفيتية قرار الأمم المتحدة بمساواة الصهيونية بالعنصرية إلى جانب الدول العربية والإسلامية، كما طالبت الولايات المتحدة بحق الهجرة لليهود السوفييت وجعلت ذلك شرطاً للمعاملات الاقتصادية مع اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية<sup>(٢٤)</sup>. هذا فضلاً عن إدخال الفلسطينيين في جبهة الصراع عندما دعمت مصر والاتحاد السوفيتي قيام منظمة التحرير الفلسطينية في عام ١٩٦٩.

وأخذ الجانب الاقتصادي من الصراع دوره في التأثير على الاقتصاد العالمي، وكان استعمال النفط والقوة البترولية من قبل دول منظمة الأوبك تضامناً مع الدول العربية عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد تسبب في إرباك الاقتصادات الغربية وإبطاء نموها، وقررت الولايات المتحدة القضاء على المقاطعة الاقتصادية العربية غير المباشرة ضد إسرائيل وإضعاف قوة الأوبك. وقد شارفت هذه المرحلة على نهايتها عندما قرر

أنور السادات إنهاء التحالف المصرى مع السوفييت، ما أدى إلى خيبة أمل هؤلاء وتقليص قدرتهم على إجبار إسرائيل على الانسحاب من الأراضي المصرية المحتلة وعدم إمداد مصر بالتكنولوجيا العسكرية المتقدمة. وكان الارتباط الجديد بين مصر والولايات المتحدة علامة على بداية عصر جديد فى الشرق الأوسط أى عصر السلام الأمريكى. ومن هنا يمكن القول إن معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل كانت ثلاثية الأطراف: بين مصر والولايات المتحدة من جهة، ومصر وإسرائيل من جهة أخرى، حيث تحصل مصر على معونة اقتصادية وعسكرية سنوية من الولايات المتحدة فى مقابل الاعتراف بإسرائيل وتوقيع معاهدة سلام رسمية، على أن تعيد إسرائيل الأراضي المصرية المحتلة طبقاً لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ فى مقابل تسلم إسرائيل حصة كبيرة من المعونات [الأمريكية] كتعويض عن إعادة نشر قواتها. ومنذ ذلك الحين والطرفان المصرى والإسرائيلى يتسلمان معونة اقتصادية وعسكرية سنوية، ويلاحظ أن هذا النمط من اتفاقيات السلام ثلاثية الأطراف صار نموذج الاتفاقات مع إسرائيل والتى رعتها الولايات المتحدة فيما بعد.

### مرحلة الهيمنة الأمريكية العالمية (١٩٨٨ - )

مع نهاية عقد الثمانينات كان من الواضح أن الكتلة السوفييتية المتداعية غير قادرة على مساعدة وتسليح حلفائها فى الشرق الأوسط. وكانت البداية الفعلية لهذه المرحلة مع انعقاد مؤتمر ستوكهولم فى عام ١٩٨٨ عندما أعلن عرفات عن رغبته فى الاعتراف بدولة إسرائيل ووقف الكفاح المسلح والدخول فى مفاوضات، وكان هذا شرطاً وضعته الولايات المتحدة والأوروبيون فى مقابل إنهاء عزلة عرفات فى تونس ومنحه الاعتراف به كقائد ممثل للفلسطينيين فى مباحثات سلام الشرق الأوسط القادمة.

ويمكن رسم صورة كروكية للصراع الإسرائيلى العربى عبر ثلاث دوائر متداخلة كل منها يرمز إلى واحدة من المراحل سالفة الذكر، فمرحلة التطور داخل التجمع بين الفلسطينيين واليهود تعتبر الدائرة الأضيق أو قلب الصراع، أما مرحلة الصراع ما

بين الدول فتمثل الدائرة الوسيطة في حين تشكل مرحلة القوة العظمى الدائرة المحيطية أو الخارجية، وقد توقفت هذه الدائرة مع انهيار الاتحاد السوفييتي ونهاية الحرب الباردة ويلاحظ أن صراعات قومية عديدة كانت متداخلة أو متشابكة مع التنافس الأمريكي- السوفييتي إبان الحرب الباردة لم تعد ذات مغزى في إطار المعمار الدولي الجديد بل صار استمرار بعضها يصيب النظام الدولي الجديد بالاضطراب أو الارتباك وكان لابد من إنهائه، بينما تركت الصراعات الأخرى الأقل تهديدا للعالم الخارجى بدون حل. وينتمى الصراع العربى - الإسرائيلى إلى الفئة الأولى خاصة وأنه يدور فى منطقة تلعب دوراً حيوياً فى الاقتصاد العالمى وتقترب بشدة من الخاصرة اللينة لأوروبا.

ولكن يلاحظ أنه ليس من السهل السماح بامتداد صراعات الشرق الأوسط، فقد اتهمت الولايات المتحدة أولاً معينة بأنها مارقة فى المنطقة، وتقع أكثر هذه الدول يقع فى الشرق الأوسط [العراق، إيران، ليبيا، السودان، سوريا] وبدا أن سياسة الاحتواء المزدوج تجاه العراق وإيران لم تنجح تماماً، كما كان من الواضح أن الحزام الإسلامى الذى يمتد من باكستان مروراً بأفغانستان والجمهوريات السوفييتية السابقة المسلمة إلى يوغسلافيا السابقة تهدد العولمة بـ"صدام الحضارات". وفى هذه المنطقة بالتحديد اختارت الولايات المتحدة أن تستعرض دورها الجديد كشرطى العالم وهو ما تجلى فى عاصفة الصحراء عام ١٩٩٠ ضد حليفها السابق "صدام حسين"<sup>(٢٥)</sup>. فقد أسهم غزو الكويت والتحالف العربى ضد العراق أيضاً فى تقويض التضامن العربى ووصلت القومية العربية إلى اضعف حالاتها، ومن هنا ينبغى النظر إلى مفاوضات أوسلو ومديرد فى إطار هذه الخلفية.

### لحظة فارقة : هل هى خرافة إنهاء الصراع أم إدارة الصراع؟

لا يتسع المقام هنا للتحليل المتعمق حول كيفية إنهاء الصراعات<sup>(٢٦)</sup>، ويكفى القول أن الأمل فى حل الصراعات الممتدة كما فى أيرلندا وقبرص ويوغوسلافيا سوف يستمر لأجيال وانتظاراً لتغير الظروف، ومن رأى أن الصراع الإسرائيلى- العربى ينطبق عليه هذا التمث من الصراعات.



وأنا أزعّم أن دعاة ما بعد الصهيونية يجمعون ما بين حالتين منفصلتين: سلام رسمي ونهاية الصراع، ففي تطلّعهم إلى رؤية نهاية للصراع صاروا يؤمنون بأن التعميم الأيديولوجي المبسط ومفاده أن العولة الرأسمالية تنذر بنهاية نمط للتفكير صفري أي أن الذي يكسب هو طرف واحد وكذلك كمؤشر على نهاية شاملة للصراعات، فعلى سبيل المثال يرى "شافير" و"بيليد" ما يلي:

"لا يزال الصراع العربي - الإسرائيلي يشكل مأزقاً مطولاً إذا ما نظرنا إليه فقط بمفاهيم الأمن والمواجهة القومية أو الاثنية وان هذا الصراع "قابل للحل" عندما يعاد النظر فيه كعقبة أساسية أمام المشاركة الكاملة لرجال الأعمال الإسرائيليين في الاقتصاد الدولي، في ظرف صارت فيه الاعتبارات الاقتصادية عالية الأهمية في إطار السباق العالمي بين الدول "الفائزة" و "الخاسرة". ففي ظل الاقتصاد العالمي الجديد لم تعد الدول المفضلة هي القوى الكبيرة بل تلك التي تندمج أسرع من غيرها، وطبقاً لهذا التفكير الجديد صارت إعادة توزيع القوة والاقتصاد والمناطق عرضة لأولوية النمو الاقتصادي، وهكذا توجد إمكانية لإحلال المباراة الصفريّة، حيث يكسب طرف واحد فقط فيما يخسر الطرف الآخر، بمنظور مفتوح في إطاره تقبل الأطراف المتصارعة بحلول وسط" (٢٧).

وبدون بخس لقيمة السلام المفروض من أعلى يرى هؤلاء أن تسوية الصراعات القومية تتضمن ما هو أكثر من إنهاء حالة الحرب، إذ يشتمل الصراع على حزمة كاملة من ممارسات العنف وينتقل من عمليات أعلى كثافة إلى أقل كثافة، كما يتضمن أنشطة اقتصادية بدءاً من العقوبات الاقتصادية إلى المقاطعة المباشرة والثانوية أو غير المباشرة إلى جانب الاستخدام السياسي للموارد الاقتصادية لخلق حالة من الاعتماد الاستراتيجي على طرف آخر وتقليص التعاون الاقتصادي الدولي ومنع المبادرات الخاصة. وتتميز الصراعات بوجود جانب أيديولوجي يجسده خطاب معين يرسم صورة محددة للخصم سواء كان داخلياً أم خارجياً. والصراع معناه بناء وإعادة إنتاج العدواة والاتجاهات الصراعية (الكراهية، روح الانتقام، الخوف، انعدام الثقة، التعصب) تجاه الخصم في مجالات الثقافة والدين والتعليم من خلال سياسات الذاكرة، هذا فضلاً عما

يتضمنه الصراع من الانفصال المؤسسي والانغلاق أمام الخصم بأدوات متباينة مثل التفرقة في المعاملة القانونية و/ أو التمييز الاجتماعي وتجنب العلاقات والتواصل الاجتماعي. يزداد الأمر صعوبة بالنسبة للصراع الممتد حيث توجد صورة راسخة حول هوية الخصوم ويتطلب التخلص منها قدرة عالية على إحلال المصالحة وخلق هوية أخرى غير عدائية مع مرور الوقت.

ومن وجهة نظري أن الفلسطينيين وإسرائيل والدول العربية يستطيعون أو لا يرغبون حالياً في إنهاء صراعهم، ومع ذلك توجد ضغوط دولية عليهم للحد من الاحتكاكات الرئيسية وفتح فرص السوق للعالم، وأنا أزعّم أن هذه النظرة أكثر واقعية حيث تختلف عن التفاؤل المفرط لدعاة ما بعد الصهيونية<sup>(٢٨)</sup>.

وينتمى اتفاق السلام مع مصر إلى زمن المرحلة الثالثة من الصراع، رغم أن المنطق الذي تأسس عليه ترسخ في المرحلة الرابعة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، والواقع أن منطق السلام الذي توسطت فيه الولايات المتحدة بين مصر وإسرائيل يرتبط بحقيقة أن الصراع كان يدور بين حليفين لنفس القوة العظمى بما يضعف هذه القوة وبما يستوجب خفض حدة التوتر ويزيد التضامن داخل المعسكر التابع لهذه القوة.

لقد كان اتفاق السلام المعيار الأول لإمكانية إزالة خطر حرب كبرى يمكن أن تهدد بالخطر وجود الدولة اليهودية ذاتها، فقد تضمن اتفاق السلام تثبيت الحدود. ولكن رسم حدود معترف بها تبادلياً ودولياً بين دولتين وإن كان يعتبر شرطاً ضرورياً للسلام ليس كافياً، إذ لا يعد في ذاته ضماناً على سلام أو نهاية الصراع بين الدول.

لقد أحدث السلام مع مصر أول ثغرة في الدائرة الثانية من الصراع، (ما بين الدول)، فقد جسّد أول اختراق لموقف الرفض المبدئي طويل الأمد من قبل العرب للاعتراف بإسرائيل بأي شكل من الأشكال إلى جانب أن قوة إسرائيل العسكرية والتزام مصر بالخروج من التحالف العسكري ضد إسرائيل قلل من فرص دخول أي بلد عربي آخر في الحرب ضد إسرائيل. وترتب على ذلك تمكن إسرائيل من تخفيض ميزانيتها الأمنية وتوجيه الأموال لاستخدامات أخرى. لذلك كان السلام الأول أكثر نفعاً وتقبلت الإدارة

الإسرائيلية الثمن الذى دفع من أجله. ومع ذلك لم تعقبه اتفاقات أخرى حتى تفكك وزوال حلف وارسو، بل إن اتفاقية السلام لم تمنع نشوب حرب أخرى شنتها إسرائيل ضد لبنان فى عام ١٩٨٢، وهى أول حرب تشهد حصار عاصمة عربية من قبل إسرائيل، وحتى عام ٢٠٠٠ ظلت مساحات كبيرة من الجنوب اللبنانى تحت السيطرة الإسرائيلية. إن صدى عودة سيناء ألقى بظله على إمكانية أن تكون لبنان اختباراً لمعاهدة السلام مع مصر ولكنه كان اختباراً صعباً حيث ظلت العلاقات باردة بين مصر وإسرائيل وتوقفت عند الجانب الرسمى منذ ذلك الحين. وظلت العداوة لإسرائيل قائمة على نطاق شعبى واسع، واستمرت فى وسائل الإعلام ومناهج التعليم فى المدارس وانحصرت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية فى القنوات الرسمية، ولا تزال مصر أيضاً معادية لإسرائيل فى المحافل الدولية.

ويعتبر السلام مع الأردن أول نتائج الهيمنة الأمريكية العالمية وأمكن الوصول إليه بسبب ضعف التضامن العربى الذى تلا حرب الخليج لعامى ٩٠ - ١٩٩١ إذ كان الأردن بحاجة للعدول عن خطئه بمساندة صدام حسين وحيث كان يظن أنها عملية مربحة، ففى أعقاب حرب الخليج الثانية تغيرت سياسة الأردن لتتجه إلى إرضاء الولايات المتحدة. ولم يكن من الصعب حل الصراع حول الحدود والقضايا الأخرى العالقة بين إسرائيل والأردن فى ضوء وجود تفاهم وتعاون من زمن طويل بينهما. لقد ترتب على حرب الخليج الثانية وتوقيع اتفاق السلام الثانى مضاعفة الفجوات فى الدائرة الثانية من دوائر الصراع بسالفة الذكر، حيث أقدمت دول عربية أخرى وخصوصاً فى الخليج والمغرب على التخفيف من اتجاهاتها العدائية تجاه إسرائيل وباشرت اتصالات مفتوحة معها، وتبعته فى ذلك دول إسلامية أخرى مثل إندونيسيا، أو تلك التى توجد بها أعدادا كبيرة من السكان المسلمين كالهند. بيد أن الأثر الأكبر لهذه العملية تمثل فى تخفيف العزلة الاقتصادية الدولية لإسرائيل وفتح أسواق جديدة لصادراتها. ورغم أهمية كل هذه التطورات، فإنها تعتبر ثانوية بالمقارنة بما أعتقد أنه العنصر الرئيسى فى النمو الاقتصادى السريع لإسرائيل فى فترة التسعينات وهو سقوط الاتحاد السوفيتى. ذلك أن إسرائيل تعد واحدة من أكبر الدول المستفيدة من انهيار الكتلة

السوفيتية حيث كان الدعم السوفييتي للدول العربية أثناء الصراع قد أدى بدول الكتلة الشرقية إلى قطع العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية مع إسرائيل، وكان النفوذ السوفييتي وراء رفض دول محايدة كثيرة إقامة علاقات مع إسرائيل. لقد أنهى انهيار الاتحاد السوفييتي عزلة إسرائيل حيث أعيدت العلاقات الدبلوماسية أو أقيمت لأول مرة، وفتحت أسواق جديدة وكبيرة في وسط وشرق أوروبا وآسيا أمام إسرائيل.

ومثلت الهجرة الواسعة لإسرائيل من الاتحاد السوفييتي السابق ثانی المكاسب التي جنتها إسرائيل من الاتحاد السوفييتي، وتنامي قوتها الاقتصادية بل وتزايد عدم الاستقرار السياسي حول حدودها، فقد وصل عدد المهاجرين إلى أكثر من مليون يهودي سوفييتي. وإلى جانب أثره على الخريطة السكانية لإسرائيل من زاوية تعويض التناقص في عدد اليهود الإسرائيليين المولودين في إسرائيل، فقد أمدتها الهجرة بكم هائل من رأس المال البشري حيث كان من بين المهاجرين أعلى نسبة من الأفراد الأكثر تعليماً بما يفوق نسبتهم لدى سكان إسرائيل قبل الهجرة إلى جانب نسبة كبيرة من العلماء. وكان توقيت الهجرة إلى إسرائيل واعداً أو يجلب السعادة لأنه ارتبط بثورة الاتصالات المتزايدة وكذلك ببحوث الكمبيوتر والبيولوجيا والجينات والطب، وقد سهل المجمع العسكري الصناعي في إسرائيل مهمة تطوير هذه المجالات وبالذات مع تدفق المهاجرين بما جعل إسرائيل تستفيد من هذه الثروة.

هناك عنصر آخر يساعد إسرائيل على استثمار سقوط الشيوعية، وهو المساعدات التي وعدت بها الولايات المتحدة لاستيعاب المهاجرين السوفييت في صورة ضمانات قروض بمبلغ عشرة مليارات دولار بمعدلات فائدة منخفضة، والواقع أن المعونة الاقتصادية الأمريكية كانت جزءاً من صفقة لجلب إسرائيل إلى مائدة التفاوض في مدريد في عهد شامير الموصوف بـ "عدو السلام".

وكان من شأن هذه العوامل كلها - أسواق مفتوحة، هجرة قوة عمل ماهرة، رأس مال ميسر وواعد ومتزامن مع ما سبق من العوامل - أن يجعل إسرائيل تعيش طفرة اقتصادية طوال السنوات الخمس الأولى التالية لعملية السلام. ومن هنا أعتقد وعلى عكس بعض دعاة ما بعد الصهيونية أن تفسير المعدل العالي للنمو الاقتصادي في



إسرائيل فى السنوات الخمس الأولى لا يكمن فى السلام مع العرب ولكن فى زوال الاتحاد السوفيتى ونهاية الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية وانفتاح الاقتصاد الدولى تحت الهيمنة الأمريكية. ولكن ما يسبب الخداع هو أن حوادث رئيسية عديدة تمت فى نفس الوقت، ذلك أن زوال الاتحاد السوفيتى أنهى عزلة إسرائيل وأدى إلى تطبيع علاقاتها مع معظم الدول فيما عدا حفنة قليلة من الدول العربية أو الإسلامية الأصولية أو المتطرفة، بل إن الدول العربية لم تكن هى الشريك التجارى المسئول عن التوسع الكبير فى أسواق إسرائيل ولكن الأسواق الجديدة فى أوروبا وآسيا وأمريكا، هذا فضلا عن أن تطبيع وعودة العلاقات الدبلوماسية والسياسية مع هذه الدول مكن إسرائيل من تحسين نوعية صادراتها عبر مبادلة سلع منتجة بالداخل غالية الثمن بواردات أرخص ما أدى إلى زيادة القدرة الشرائية للمستهلكين الإسرائيليين.

### سجلات مع ما بعد الصهيونية :

يعتقد دعاة ما بعد الصهيونية أن التغيرات الاقتصادية والتحرير الليبرالى والخصخصة فى إسرائيل خلقت طبقة متنامية ترتبط مصالحها مع إنهاء الصراع العربى لإسرائيل ومع اندماج اقتصادى فى شرق أوسط جديد، وكذلك إضفاء الطابع الديمقراتى والعلمانى على إسرائيل. ولكننى لا أوافق مع هذا رأى لأن تطبيق المفهوم عن البنية الفوقية أمر شديد التبسيط ولا يستطيع تحليل التغيرات الحادثة فى إسرائيل وهدف هؤلاء الواضح هو خلق أسطورة سياسية بأن ما بعد الصهيونية تملك قاعدة اجتماعية واسعة ما يجعل من يعارضهم يصنفون فى خانة البديل السياسى الآخر والمتمثل فى الصهيونية الجديدة (الصهيونية الدينية)<sup>(٢٩)</sup>، وسوف أطرح هنا بعض الافتراضات المضادة :

أن عملية السلام فرضت على إسرائيل من خارجها، فقد نبعت من المعمار الجديد للنظام الدولى عقب نهاية الشيوعية وانهيار الاتحاد السوفيتى، والواقع أن الجدل فى أوساط النخبة الإسرائيلية المهيمنة ينحصر فى التوقيت وما إذا كانت عملية السلام

تعمل لصالحها أم ضدها وحول ضرورة التخلي عن معظم الأراضي المحتلة والتعيين النهائي لحدود الدولة، فهناك موقف كان يمثل "رابين" و"بيريز" و"باراك" يقبل بالحاجة إلى التخلي عن معظم الأراضي العربية المحتلة، ويتوافق في ذلك مع رغبة الولايات المتحدة وأوروبا في احتواء الصراع وتجميده ويحاول مضاعفة المنافع الناجمة عن أو المترتبة على التنازلات المقدمة، في حين يميل الاتجاه الآخر الذي مثله كل من شامير وبنيتياهو وشارون إلى التأجيل والتسويق والمراوغة من أجل كسب الوقت انتظاراً لثمن معين بأمل احتمال تغير بعض الظروف الخارجية. ولا تعتبر الاتجاهات المتغيرة كما تعبر عنها استطلاعات الرأي العام وفي التصويت في الانتخابات دالة على تغير ذي بال سوى في المصالح الاقتصادية، بل إن تحقيق تقدم بطيء فيما هو حتمي - أي الانسحاب من الأراضي المحتلة - يتم إخفاؤه عن الإسرائيليين والتغطية عليه بخطاب داخلي مكثف ينفخ في الحرب، وهذا الخطاب يتأثر ببطء بضغوط الأحداث العالمية ووسائل الإعلام العالمية.

إن تعزيز الافتراض القائل بأن إرادة السلام تتبع من مصالح اقتصادية متزايدة يقتضى إثبات إلى أي حد تواجدت فعليا طبقة واسعة قوية في إسرائيل في الفترة السابقة على عقد التسعينات من القرن العشرين.

هناك اضطراب في القول بتوافر منافع اقتصادية لإسرائيل من صنع السلام مع البلاد العربية، حيث جاءت معظم هذه المنافع في عقد التسعينات لإسرائيل بفعل زوال الاتحاد السوفييتي وليس من علاقات اقتصادية مباشرة مع الدول العربية. إن أفكار شمعون بيريز عن الشرق الأوسط الجديد التي تبدو إسرائيل فيها بمثابة القائد تواجه بردود فعل سلبية من قبل الدول العربية باعتبارها مؤامرة للاستعمار الجديد. ويمكن القول أن هذا الاتجاه العدائي لن يختفى لفترة طويلة، ذلك أنه إذا توقف السلام عند الدوائر الرسمية وفي حده الأدنى ولم يصل الأمر إلى نهاية الصراع في المستقبل المنظور، فإن المنافع التي تجنيها إسرائيل لن تأتي من الدول العربية المجاورة لها بل من الدول الأخرى ومن انتهاء عزلتها الدولية. والواقع أن الصهيونية ومنذ بدايتها الأولى

أحدثت انفصلاً كاملاً بين الاقتصاد اليهودي في فلسطين والاقتصادات العربية المجاورة. وبناء على المقاطعة العربية بعد عام ١٩٤٨ حددت إسرائيل مجالات تخصصها بما يلائم شركاءها التجاريين الذي يقع معظمهم في الغرب. وفيما يتعلق بالمقاطعة من الدرجة الثانية أو غير المباشرة والتي قصد منها عزل إسرائيل عن الدول الأخرى، فإن بعض الاقتصادات الناشئة الجديدة صارت تطلب المنتجات الإسرائيلية من الصناعات العسكرية والاتصالات والخبرة في مجال الزراعة والأبوية والالكترونيات، وهذه تمثل الأسواق التي ترغب فيها إسرائيل بشدة. فلا الدول النامية الفقيرة في الشرق الأوسط تملك المال ولا الرغبة في الحصول المنتجات الإسرائيلية، ويمكن فقط الاستعانة بالعمالة الرخيصة لدى هذه الدول. ومن هنا يمكن القول إن مصالح الصناعيين الإسرائيليين لا يمكن لا تتحقق بالضرورة عبر إنهاء الصراع، فهم يستفيدون كثيراً من رفع الحظر على المنتجات الإسرائيلية في المناطق الأخرى. وقد عبر عن ذلك مفهوم باراك عن الفصل بين الإسرائيليين والفلسطينيين وشعاره المعروف "نحن هنا وهم هناك".

ومن ناحية أخرى، لا يعتبر وجود إرادة متنامية في السلام في إسرائيل مؤشراً على رغبة متصاعدة للتخلي عن الطبيعة اليهودية للدولة والمجتمع، ومن ثم يمكن القول أن بعض الحجج القوية للتخلي عن بعض الأراضي المحتلة تصب في خانة زيادة المعدل السكاني/الديموجرافي لليهود في مواجهة العرب. هذا فضلاً عن أن ذلك لا يعنى أيضاً أن توافر رغبة في الانسحاب من مزيد من الأراضي المحتلة في ١٩٦٧ يشير إلى ميل إلى إعادة النظر في الموقف الذي تم في عام ١٩٤٨ باتجاه قبول عودة أو تعويض اللاجئين ومنح المساواة التامة لعرب ١٩٤٨ والرغبة في التخلي عن قانون العودة الذي يعطى كل اليهود حق المواطنة الإسرائيلية، كما لا يدل على تحول إسرائيل إلى دولة علمانية وديمقراطية.

إن السلام بالمعنى الرسمي المحدود فرض على إسرائيل، في الواقع، عن طريق المجتمع الدولي ما يعنى عملياً ضرورة وضع حد لمرحلة التوسع المكاني في الأيديولوجية الصهيونية، وأن إسرائيل يجب أن تتمتع بحدود ملائمة مع الدول العربية المجاورة بما فيها الفلسطينيين، وأن هذه الحدود سوف يعترف بها ويتم ضمانها دولياً. إن التأكيد

على التوسع وإضفاء الطابع اليهودي أو تهويد الأرض كمبادئ رئيسية لكل من العمل والليكود والحزب القومي الديني، يشير في الحقيقة إلى أن هذه الحركات وصلت بأيديولوجياتها إلى أقصى حد. بيد أن ذلك لا يعنى نهاية الصهيونية بل الوصول إلى نقطة فارقة في تطورها.

وقد تصبح تغذية الانقسام بين أنصار الحد الأدنى وأنصار الحد الأعلى (أى الحمايم والصقور) وخصوصا فى أعقاب ما تم من انسحاب مؤلم من أراض محتلة، هى المهمة الأساسية للنخبة المسيطرة فى إسرائيل فى المستقبل القريب، وإن لم يكن ذلك حتميا بالضرورة. ومن وجهة نظرى، يتوقف النزاع والمصالحة فى داخل إسرائيل فقط على الحافز المشترك لدى الأغلبية وهو يهودية الدولة مهما كان ذلك يعنى بالنسبة لشتى اليهود. ويمكن القول أن إسرائيل لن تصير أكثر أصولية أو أكثر تشدداً أو أقل حداثة بالمنطق التكنولوجى<sup>(٢٠)</sup>، بل سوف تتبنى خطاباً عاماً أكثر ميلاً إلى يهودية الدولة وبحيث يحظى ذلك بقبول واسع، عبر استخدام رموز وقواعد وتقالييد معينة كما يتم ترسيخ ذلك فى النظام التعليمى القومى، ولقد بدأت هذه العملية بالفعل. وإن كان ذلك لن يتبلور فى صورة "اليهودية الجامدة" التى تعتقها الأرثوذكسية المتطرفة أو المستوطنون المتشددون أو الماشيخانيون حيث يعتبر ذلك مخيفاً للكثيرين، بل تتحول إلى "يهودية مخففة" أكثر توافقاً مع الشرائع المتعددة من اليهود الإسرائيليين.

ماذا نقول بخصوص مدى ملائمة الفئات المختلفة من اليهودية الإسرائيلية لهذا النوع من التحول؟ يمكن القول أن الماشيخانية الدينية تتراجع وسوف تستمر فى ذلك فى النظر إلى أنها تفتقد إلى المنطق الذى تأسست عليه بعد الانسحاب من الأراضى المحتلة، كما أن الأرثوذكسية المتطرفة لم تستطع طرح نموذج للحياة لغالبية اليهود فى ضوء أنها لا تخرج عن كونها ديانة نخبوية (أى تخص نخبة معينة) وسوف نتعرض فيما يلى لأنماط الديانة التى يمكن أن تقدم الإيديولوجية اليهودية المطلوبة.



(اسم يشير إلى الأحرف الأولى بالعبرية للدولة اليهودية والدولة الديمقراطية)، وتعتبر عن مجموعة دينية صهيونية معتدلة انشقت عن الحركة القومية القائمة على الاستيطان "الكفاحي/الريادي" وعن الحزب القومي الديني الذي يتزايد تطرفه الديني. وقد انضمت هذه المجموعة الآن إلى كتلة حزب العمل. وتنتمي "ميماد" إلى الشريحة الأرثوذكسية من اليهودية ولكنها احتفظت بالتزام قوى بالحدثة، فهي تنكر وجود تناقض بين الديانة اليهودية والديمقراطية وترحب بالإبداع أو تجديد وتغيير التقاليد ولكن في الحدود التي تفرضها "الهالاخاه" أو الشريعة اليهودية. هذا فضلاً عن أنها تقف في صف الديمقراطية وضد "الديانة السياسية" أي استخدام الدين في السياسة أو استخدام النفوذ السياسي لفرض أسلوب ديني للحياة عبر التشريع، وهي لذلك يمكن أن تلعب دوراً في ربط كثير من ناخبي حزب العمل بالدين. بيد أن "ميماد" لا تخرج عن كونها حركة نخبوية مكونة أساساً من الشريحة العليا المتعلمة والمتفربة، ولا تتمتع بتأييد خارج هذه الشريحة.

## الحركة الإصلاحية

تشير إلى تيار رئيسي وسط اليهود الأمريكيين أسس فرعاً له في إسرائيل ويسمى "اليهودية التقدمية"، وقد تشكل بداية من الأمريكيين المهاجرين. وهو يكسب عدداً من الأتباع في صفوف المولودين في إسرائيل وبعض المهاجرين الروس الذين يتبعون أسلوب حياة علمانياً، ولكنهم يسعون إلى التوفيق بين التقاليد والحدثة ويدعون إلى المساواة بين الرجل والمرأة. وقد دخلت اليهودية الإصلاحية في مواجهات ضد الاحتكار الأرثوذكسي للدين في إسرائيل، حيث يرفض الأرثوذكس الاعتراف بهذا التيار الإصلاحي أو بتقليص سلطات الحاخامات خصوصاً في مجالات الزواج والطلاق وتغيير الديانة. ففي ضوء وجود الزواج الديني فقط في إسرائيل وفي إطار أن اعتناق اليهودية أو التحول إلى اليهودية يعطى حقوق المواطنة، فإن إنكار مطالب الحركة

الإصلاحية سوف ينجم عنه مضاعفات جسيمة منها نقل المعركة بين الإصلاحيين والأرثوذكس في الولايات المتحدة إلى إسرائيل والتناقضات المحيطة بها، كما أن هذا الصراع يهدد بإضعاف تضامن اليهود الأمريكيين مع إسرائيل. وحتى تتجنب حركة الإصلاح في الولايات المتحدة ذلك الصراع وتكسب بالتعاطف مع إسرائيل أصبحت هذه الحركة أكثر ولاءً للصهيونية وبذلت جهوداً عديدة لكسب مؤيدين لها بين الإسرائيليين. والواقع أن اليهودية الإصلاحية أو التقدمية حصلت على الدعم في إسرائيل من العلمانيين الذين يدافعون عن التعددية الدينية في ضوء غياب الفصل بين الدولة والدين ويعتبرون الإصلاح بديلاً لانتشار الأرثوذكسية الدينية. وقد تمكنت اليهودية الإصلاحية من جذب أفراد من بعض الدوائر الاشتراكية العمالية مثل "المابام"، بيد أنها شأنها في ذلك شأن "ميماد" لا تخرج غالباً عن أوساط اليهود المتغربين والمتعلمين من الطبقة الوسطى ولم تصل إلى الشرائح الأدنى من المجتمع الإسرائيلي. ومن هنا فإن "ميماد" التي تعتبر أرثوذكسية في الأسلوب تتبنى منهجاً تصالحياً تجاه الحركة الإصلاحية. ورغم أن المجموعتين لا تؤيدان الصلوات معاً، فإن "ميماد" تمكنت من دمج حركة الإصلاح في إسرائيل في تنظيمها السياسي.

## حزب شاس

هذا الحزب الديني لليهود الشرقيين يعد أكبر تطور مهم في اليهودية الإسرائيلية وفي الخريطة السياسية لإسرائيل<sup>(٣١)</sup> حيث تزايد نفوذه باستمرار منذ إنشائه عام ١٩٨٤ احتجاجاً على التمييز الذي يمارسه الإشكناز الأرثوذكس ضد اليهود السفارد، ليصبح الحزب الثالث الكبير بعد العمل والليكود. وقد شكل شاس ليستقطب شرائح واسعة من سكان إسرائيل. وعلى العكس من الأصوليين الإشكناز لا يتميز شاس بسياسة استيعادية، بل يعتبر نفسه جماعة دينية مفتوحة وواسعة<sup>(٣٢)</sup> ترغب في ضم أي يهودي وليس اليهود الشرقيين فقط، ومن هنا يتوزع أتباع شاس على مختلف قطاعات المجتمع الإسرائيلي ويربط هذا الحزب بين الحداثة والتقليد. ومن الملاحظ أن سلطة الحاخامات الإشكناز التقليديين وكذلك تفسيراتها وأدعائها للها لاخاه تعرضت منذ القرن

التاسع عشر للقيود التي فرضتها الدول الأوروبية ومؤسساتها القانونية، بينما تمتع الحاخامات التقليديون في الشرق الأوسط باستقلالية ملموسة في إطار نظام الملل العثماني. وتمكنت من طرح حلول للمشاكل اليومية الناجمة عن التحديث، حيث تشير الأحكام التي أصدرها الحاخام "عوفاديا يوسف" القائد الروحي لشاس إلى أن الحركة تستوعب الحداثة جيداً. ومن ناحية أخرى تتمتع شاس بجاذبية كحركة احتجاج شعبي تكافح من أجل العدالة للفقراء والمحرومين، وهي تشبه في ذلك حزب الرفاه السابق بزعامة نجم الدين أربكان في تركيا. وبسرعة تحولت شاس إلى تهديد كبير لكل من العمل والليكود، وطرحت نفسها كبديل مضاد وقد وقفت خلف قادتها في مواجهتهم للقانون وأخذت تمضي في تشكيل البديل المؤسسي الخاص بها.

لقد أدت سياسات الخصخصة التي اتبعتها كل من الليكود والعمل إلى القضاء على سياسات الرفاه الشامل، بل خصص الحزبان أمولا كبيرة للمؤسسات الدينية ومن ضمنها حركة شاس. لكن شاس قامت بتوزيع الأموال على القطاعات الشرقية الفقيرة من السكان الذين تسعى إلى اجتذابهم ما أدى إلى كسب ولائها وتبعيتها السياسية لحزب شاس. بيد أن شاس ما زالت تعتمد على من بيده الخزانة العامة، وصار عليها الدخول في حكومات ائتلافية وهو ما منحها تأييد الجماهير الشرقية الفقيرة.

وتعبر شاس عن الدين كتقليد وما يزال ذلك الأمر موجوداً في المجتمع المسلم التقليدي كأسلوب حياة تقليدي جماعي كان موجوداً أو متوارثاً من الماضي، ويربط هذا الأسلوب الفرد بهوية عرقية جماعية ويجسد الوحدة بين الماضي والحاضر. ورغم أن القسم الرئيسي من قادة شاس يعملون في مؤسسات أرثوذكسية متشددة، فإنها لا تستهدف فقط أخلاقيات دينية ولكن أيضاً أسلوب حياة يستطيع الكل أن يشاركوا فيه. ويمكن القول أن الهوية اليهودية للإسرائيليين تظل آمنة نسبياً طالما تؤدي الحرب إلى إبعادهم عن بقية الشرق الأوسط، فاليهود الإسرائيليون قد يتعرضون للقتل لكنهم لن يندمجوا بالمعدل الذي ساد بين اليهود في الاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة وأوروبا، ذلك أن انفتاح إسرائيل على البلاد المجاورة يعرض الإسرائيليين لمشكلة الاندماج خصوصاً مع التقدم في عملية السلام. وهذا يصح أيضاً بالنسبة للإسرائيليين

العلمانيين والمتعلمين والأثرياء والناشطين وبين أشدهم فقراً وأقلهم تعليمًا من المجموعات الشرقية أساساً والذين تعتبر مسألة الاندماج بالنسبة لهم أقل شأنًا، وعلى النقيض من الافتراض القائل بأن السلام سوف يحدث استقطاباً في العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فإن العكس هو الأكثر ترجيحاً، فقد خلقت الهوية اليهودية الإسرائيلية عبر الحروب، وإذا كانت هناك حدود مفتوحة فمن المحتمل أن يتم المحافظة على الهوية اليهودية الإسرائيلية بأشكال أخرى من داخلها وهذا ما يفرض ضرورة تعزيز اليهودية كتقاليد وكأسلوب حياة منفصل كما كان الأمر بين مختلف المجموعات العرقية في الإمبراطورية العثمانية.

ومن المحتمل بقوة أن تتدعم مكانة الجيش كرمز قومي علماني، لكن تسوية مشكلة الحدود سوف تجعل الخدمة العسكرية تكف عن أن تكون رمزاً للولاء لإسرائيل، ولكن سوف تتراجع مسألة رفض الخدمة العسكرية من قبل اليهود الأشد تطرفاً من الناحية الدينية إذا ما تخلى الجيش عن الخدمة الإجبارية وأخذ بأسلوب التجنيد الاحترافي الطوعي.

ويمكن لنا أيضاً أن نتوقع تراجع نور ومكانة نور المحكمة العليا في الفترة التالية لنهاية المرحلة التوسعية لإسرائيل، حيث إن هذه المحكمة تمثل رمزاً آخر للعلمانية. فمنذ تأسيس الدولة أدت هذه المحكمة نور من يضيف الشرعية على الكثير من الممارسات الاستعمارية للدولة ولعبت دورها أيضاً في المصادقة على انتهاكات حقوق الإنسان والممارسات غير القانونية لقوات الأمن في إطار الاحتلال. لقد ساعدت المحكمة العليا الدولة في الإبقاء على حكم القانون وبدا دورها على أنه "الذراع الحكيم للدولة" أو الفرع الذي يتميز بالحكمة، وتتمتع المحاكم بتقدير عال ما يجعل أعضاء المحكمة العليا قادرين على دعم حجية قراراتهم وصيانة استقلال النظام القضائي. ومن الجدير بالذكر أن الشلل الذي أصاب البرلمان وغياب تشريعات حول القضايا محل النزاع بين المتدينين والعلمانيين يعطى للمحكمة العليا منى وإسعا للتدخل. وقد أفضت الاتجاهات الليبرالية في المحاكم إلى تنامي المواجهة مع اليهود الأرثوذكس، ورغم ذلك توجد الآن



مؤشرات على رغبة المحكمة العليا فى تحجيم المواجهات مع المؤسسات القضائية الأخرى (البرلمان والمحاكم الحاخامية) ما يسد الطريق أمام الجمهور للتأثير عليها.

ومع ذلك يوجد سبب آخر لما أراه من أن الصهيونية على وشك التغير أو الانقلاب من داخلها، حيث تمضى إسرائيل فى عملية الخصخصة بصورة مكثفة ومن ثم يتسبب زوال دولة الرفاه وانفتاح إسرائيل على المنافسة العالمية فى إعادة هيكلة الاقتصاد بشكل رئيسى. ويترتب على ذلك أن معظم القطاع منخفض التكنولوجيا معرض للإغلاق من خلال إحلال الواردات الرخيصة أو العمالة الأجنبية محله، والواقع أن الزعم بأن كل فرد سوف يستفيد من العولة هو زعم زائف، إذ يتنامى التباين بين الأغنياء والفقراء بسرعة ما يدل على أن إسرائيل صارت واحدة من أكبر المجتمعات الصناعية من حيث المعاناة من عدم المساواة، والأكثر من ذلك أن هذا التحول يتم فى وقت قصير للغاية. فتزايد الحرمان النسبى وليس الفقر المدقع هو الذى يخلق الضغينة لدى الطبقات الفقيرة، إذ أفاد "الاقتصاد الجديد" قطاعات ضيقة من السكان لكنه تسبب فى بطالة هيكلية دائمة وواسعة بين كبار السن والأقل تعليماً، وهم أساساً من السكان اليهود الشرقيين والعرب الذين يعيشون بعيداً عن مراكز "البيزنس" الرئيسية، وهؤلاء الناس لم يجنوا ثمار السلام، ويشكل اليهود الكتلة الرئيسية من المعسكر المعادى للسلام.

ويلاحظ أن كلاً من الليكود والعمل يؤمنون بالخصخصة ويقفون ضد بعث دولة الرفاه، ومع ذلك يحتاجون لأصوات السكان الفقراء ولكن وبدلاً من تحسين وضعهم المعيشى يقومون بإغرائهم عبر دعاوى الحفاظ على التقاليد ومفهوم الوحدة اليهودية<sup>(٣٣)</sup>. وقد أردت من إثارة هذه القضية مواجهة ما يقدمه دعاة ما بعد الصهيونية من بدائل تنظر لإسرائيل باعتبارها فقط انقساماً بين ما بعد الصهيونية والتوجهات الدينية المتطرفة<sup>(٣٤)</sup>، وحيث اتضح أن مقولة "اليهودية الناعمة" هى أكثر معقولة.

## ما بعد الصهيونية كروية محلية للعولمة الأيديولوجية :

إن المعركة الدائرة بشأن الدعوات حول تراجع دور الفكرة القومية والدولة القومية وحول أن الرأسمالية تمكنت من التغلب على تناقضاتها الرئيسية ليست بالأمر الجديد فى الواقع<sup>(٣٥)</sup> فلن تختفى الدولة تحت حكم السوق. إذ يعانى تيار " الطريق الثالث" - بين الديمقراطية والليبرالية - من الأزمة تلو الأزمة فى أوروبا، إلى جانب أن مقولة "نهاية الصراع العربى- الإسرائيلى وشيكة" تبدو كصدى لشعار دينى يدعو الخاطئين إلى التوبة أكثر من كونها انعكاساً للموقف الحالى فى الشرق الأوسط.

والملاحظ أن العدد الكبير من الأكاديميين المرتبطين باتجاه ما بعد الصهيونية والمنحدرين من اليسار الصهيونى والذى قد يفسر نزوعه بخصوص الهيمنة التاريخية والسوسيولوجية، قد خلقتة الصهيونية العمالية. ويهاجم "جوتوين" دعاة ما بعد الصهيونية لأنهم ينضمون فى الواقع إلى الصهيونية اليمينية ويعملون على تدمير الذاكرة الجماعية الإسرائيلية لإحلال ما يسميه "خصخصة الذاكرة"، كما يذهب جوتوين إلى أن انبعاث ما بعد الصهيونية يعمل فى إطار خلفية الكفاح من أجل الخصخصة أو ضدها، ومن رأيه أن هذه الرابطة تفسر لماذا اكتسبت الرواية التاريخية الجديدة بتناقضاتها المتعددة مكاناً محورياً كظاهرة ثقافية فى الإطار السياسى والاجتماعى للخصخصة وأنها اكتسبت شرعيتها من ذلك الصراع بين أنصار ومناهضى الخصخصة بل هى تضىف الشرعية عليه<sup>(٣٦)</sup>، وكعارض لخصخصة الذاكرة، يرى "جوتوين" أن الذاكرة الجمعية هى العقبة الوحيدة القائمة فى وجه الخصخصة بحيث صارت المبدأ المهيمن على المجتمع الإسرائيلى.

لكننى أقترح تفسيراً آخر لدعوى العولمة الليبرالية غير ما يطرحه دعاة ما بعد الصهيونية، فهم يظهرون فى وقت تختفى فيه الشيوعية (الشيوعية السوفيتية والديمقراطية الاجتماعية) ومن هنا فلا غرابة فى أن من يؤيدونها يبحثون عن أيديولوجية بديلة، وإذا كانت الاشتراكية تتراجع فإن الرؤية الخاصة بالسلام تبقى ويجب أن تكون هدفاً فى ذاته. والواقع أن البعض من دعاة ما بعد الصهيونية والأكثر تجانساً فى أفكارهم ما زالوا يحتفظون بنمط تفكير ماركسى خفى فى رؤيتهم للإشكالية.

فهم يعززون "الرغبة الجديدة فى السلام" فى إسرائيل إلى المصالح الاقتصادية للطبقات الاجتماعية ولكن ذلك يختزل الموضوع، وهم يرون أن "الطبقة التقدمية" ليست هى الطبقة العاملة، بل الرأسماليين والموظفين المدنيين.

وهم يؤمنون بوجود رابطة حتمية خطية بين تقدم العولة ونهاية الصراعات القومية، وهنا يبدو أن الاقتصاد يحدد كل شىء.

وهم يعتبرون أنفسهم حراساً على المستقبل الذى يعتقدون أنه سينقسم فى صورة ألون الطيف بين "ما بعد الصهيونية والصهيونية المتطرفة دينياً"، وهذا ما يستدعى إلى الذهن مقولة "الليبرالية أو البربرية".

### انقسام ما بعد الصهيونية إلى يمين ويسار

فى الآونة الحديثة، صار دعاة دعاة ما بعد الصهيونية واعين بتناقضات العولة الرأسمالية وغير راغبين تماماً فى إلغاء وعيهم الاجتماعى وقبول العولة بقضها وقضيضها. والواقع أنهم حوصروا بين ماركسيتهم وليبراليتهم. وهذا ما دعا "يورى رام" إلى التمييز داخل اتجاه ما بعد الصهيونية بين جناحين هما الليبرالية ما بعد الصهيونية والراديكالية ما بعد الصهيونية، ومن المثير للانتباه أن كلمة "الإشتراكية" لم تستخدم بالطريقة نفسها التى لم تتم فيها الإشارة لمناهضة الصهيونية.

وقد اختتم "رام" دراسته فى مجلة "علم الاجتماع الإسرائيلى" Israeli Sociology بقوله :

"لقد أدى الفقر والتفاوت الاجتماعى والإحساس بالحرمان إلى أن تتحول الشرائح الدنيا بسهولة لتأييد الشوفينية الشعبوية والسياسات الدينية لليمين الصهيونى الجديد وأن تتخلى عن ما بعد الصهيونية بأفكارها الديمقراطية والعلمانية والمعتدلة ... ومن هنا يقع الليبرالى ما بعد الصهيونى فى تناقض أساسى يهدد بالقضاء عليه"<sup>(٣٧)</sup>.

## خاتمة

تتعرض الصهيونية لتحول فعلى، وبهذا المعنى تبدو ظاهرة ما بعد الصهيونية صحيحة ولكن ليس إلى الحد الذى كان يأمله روادها. وإذا عدنا إلى جنود ما يحدث الآن نلاحظ حدوث تغير رئيسى فى البناء الأيديولوجى لإسرائيل، ذلك أن الأحداث الحالية تدل على زلزال سياسى كبير: فالصهيونية العمالية كأيديولوجيا يسارية وعلمانية قد ماتت وكذلك حزب العمل، كما تعرضت للموت أيضا الصهيونية الليبرالية العلمانية التى قادها هرتزل وجابوتنسكى، وحل محلهما الدين كمصدر لإضفاء الشرعية السياسية على دولة إسرائيل ولاستمرار استعمار كل فلسطين والتحكم فيها. ولم تصبح غالبية الإسرائيليين ملتزمة بالقانون بل بعيدة عنه، مع احتمال ضعيف لحدوث ذلك الالتزام. فوق ذلك يلاحظ أن الدين السياسى يشير إلى استخدام الدين لتفسير تجانس وفرادة الإثنيات أو التجمعات العرقية، وتاريخها وأخلاقياتها، ويعد هذا استخداماً للدين لذريعة للتمسك بالأراضى المحتلة ولتبرير المعايير السياسية للدفاع عن المشروع القومى.

هل يوجد مخرج من الموقف الحالى؟ من السهل أن يتحول الصراع الإسرائيلى - العربى إلى حرب إقليمية، وهناك فاعلون داخليون وإقليميون كثيرون يسعون إلى تصعيد الصراع. إذ يأمل الماشيخانيون والمتطرفون القوميون فى نشوب حرب إقليمية وانهيار السلام بين إسرائيل ومصر والأردن، وفى ظروف الحرب الإقليمية فقط يمكن أن يحدث تطهير عرقى للمواطنين الفلسطينيين فى إسرائيل وفلسطينى الأراضى المحتلة. فهناك عربيون وأصوليون على الجانب العربى / الإسلامى يرغبون بالعمل بعيداً عن النظم العربية الموالية لأمريكا بغرض إقامة وحدة عربية / إسلامية لتدمير الكيان الصهيونى وتحرير الشرق الأوسط من السيطرة الأمريكية. وسوف تزداد هذه المخاطر مع امتلاك الطرفين لأسلحة الدمار الشامل.

وفى حين يلجأ الطرفان لاستخدام الإرهاب (وإرهاب الدولة)، كعنصر أكثر تعقيداً، تظل القضية الفعلية هى الاحتلال الإسرائيلى للاستعماري. ويجب على بوش الابن،



وعلى أية حال، أن يقرر ما إذا كان ملائماً أن يدخل الصراع الإسرائيلي-العربي في إطار التعريف الأمريكي لما يُسمى "الحرب على الإرهاب"، ويلاحظ أن النظم العربية الموالية لأمريكا تقف حتى الآن في مواجهة الاحتجاجات الشعبية وتقاوم القوى الأشد تطرفاً. وقد تبنت قمة بيروت العربية الأخيرة (مارس ٢٠٠٢) المبادرة السعودية حول سلام إقليمي وتطبيع العلاقات بين إسرائيل والنول العربية، وقامت المبادرة على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، وعلى الرغم من رفض إسرائيل لها لاحتوائها على حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين، فإنها قابلة للتفاوض. ومنذ عام ١٩٤٨ ظل الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني يدور في الإطار الأوسع للصراع الإسرائيلي - العربي، حيث أخذ العرب على عاتقهم قيادة الصراع وأخضعوا مصالح الفلسطينيين لمصالحهم وظل العرب طوال ذلك الوقت يرفضون أي حل وسط مع إسرائيل (مثال ذلك قمة الخرطوم في أغسطس ١٩٦٧). ومع ذلك ومنذ توقيع اتفاقات السلام بين إسرائيل ومصر وبين إسرائيل والأردن، مالت الدول العربية الموالية لأمريكا إلى إبعاد نفسها عن الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني وسمحوا للقيادة الفلسطينية بالتعبير عن نفسها والعمل باستقلال. وقد تشير قمة بيروت إلى نقطة فارقة باتجاه تجدد انغماس الدول العربية في القضية الفلسطينية بسبب المأزق الذي وصل إليه الفلسطينيون أنفسهم. ومن المحتمل أن يتطور هذا الانغماس إلى مسارين : إما باتجاه اتفاق شامل يجسد عصر السلام الأمريكي، أو نحو مرحلة جديدة أشد شراسة من الصراع الإسرائيلي - العربي.

وواقع الأمر أن إسرائيل ليست مستقلة، فقدرتها على العمل في ظل الصراع تتوقف على إمكانيتها في عزل مصالحها عن المصالح الأمريكية، مثال ذلك المزاем الإسرائيلية ضد السلطة الفلسطينية لضمها إلى الإطار الأمريكي "للحرب على الإرهاب"، حيث أسرع شارون إلى استغلال تداعيات الحادي عشر من سبتمبر بما فاق ياسر عرفات في هذا الصدد، ولم تخدم الهجمات الانتحارية [أي العمليات الاستشهادية] ضد المدنيين القضية الفلسطينية، حيث عمدت حكومة شارون إلى تغطية الحرب من أجل "إسرائيل الكبرى" بشعار "الحرب ضد الإرهاب".

### هوامش الفصل الثالث

- Y. Dan (1997) On the Sacred, Magnes, the Hebrew University (Hebrew). (١)
- M. Meir (1988) Response to Modernity: A History of the Reform Movement in (٢)  
Judaism, Oxford, Oxford University press.
- Y. Peled (1997) Cultural Autonomy and Class Struggle: The Development of the (٣)  
National program of the BUND 1893-1903, Hakibbutz Hameuchad, Bnai-Brak  
(Hebrew); Y. Peled (1991) 'Cultural National Autonomy', in Theory and Criticism,  
No.11, pp.163-75 (Hebrew); E. Nimni (1991) Marxism and Nationalism, London,  
Pluto Press.
- N. Gross (1991) 'Herzl's Economic Thought', in Not on the Spirit Alone, Magnes, (٤)  
The Hebrew University, pp.89-105 (Hebrew); Amos Eilon(1976) Hertzl ,Tel Aviv,  
Am Oved Afakim.
- Elihahu Beniamini (1990) States for the Jews: Uganda, Birobozha and 34Other (٥)  
Projects, Tel Aviv, Hakibbutz hameuchad (Hebrew).
- D. Vital (1982) The Zionist Revolution, Oxford, Oxford University Press. (٦)
- S. Dotan (1980) The Partition Dispute in the Mandate Period, Jerusalem, Y. Ben (٧)  
Tzvi (Hebrew).
- A. Shapira (ed.) (1983) the Religious Trend in Zionism, Tel Aviv, Am Oved (٨)  
(Hebrew); S. Almog, J. Reinhartz, A. Shapira (eds.) (1994) Zionism and Religion,  
Jerusalem, The Zalman Shazar Center For Jewish History.(Hebrew).
- S. Dotan (1991) Reds, Kfar Saba, Shevna Hasofer; G.Z. Israeli (1953) MPS, (٩)  
PKP, ICP: History of the Communist Party in Israel, Tel Aviv, Am Oved.
- Z. Sternhell (1995) Nation-Building or Reform of Society, Tel Aviv, Am Oved (١٠)  
Afakim (Hebrew).
- N. Yuval Davis (1977) 'Matzpen- The Socialist Organization in Israel', (١١)  
Researches in Sociology, the Kaplan School of Economics and Social Sciences,  
The Hebrew University (Hebrew).

- D. Sheari (1990) *From Just Zionism to General Zionism*, Jerusalem, Reuven (12) Mass; S. Zalman Avramov (1995) *On a Party Which Disappeared and On Liberalization*, Tel Aviv, Dvir (Hebrew).
- A. Ben Porat (1999) *Where Are Those Bourgeois? History of The Israeli Bourgeoisie*, Jerusalem, Magnes, the Hebrew University (Hebrew)
- Y. Gorny (1990) *The Quest For Collective Identity*, Tel Aviv, Am Oved (Hebrew); (14)  
 Elmer Berger (1942) *Why I am a Non-Zionist*, New York; E. be H. Arendt (1945) 'Zionism Reconsidered', in *The Menorah Journal*, Autumn; R. Tekiner, S. Abed Rabbo and N. Mezvinsky (eds) (1988) *Anti-Zionism; Analytical Reflections*, Brattleboro, Vermont, Amana.
- J. Diamond (1986) *Homeland or Holyland; The 'Canaanite' Critique of Israel*, (16) Bloomington, Indiana University Press; Y. Shavit (1984) *From Hebrew to Canaanite*, Tel Aviv, Domino (Hebrew); B. Evron (1988) *A National Reckoning*, Tel Aviv, Dvir.
- A. Ravitzki (1988) *Religion and State in Jewish Thought*, Jerusalem, The (16) Institute For Democracy (Hebrew); G. Veiler (1976) *Jewish Theocracy*, Tel Aviv, Am Oved, Afakim [Hebrew].
- See D. Gotwin in Y. Weitz (ed.) (1997) *Between Vision and Revision: A Hundred (17) Years of Zionist Historiography*, Jerusalem, Shazar Institute, P. 325 (Hebrew).
- Laurence J. Silberstein, (1999) *The Post-Zionism Debates*, New York and (18) London, Routledge.
- Ibid., p.2. (19)
- S. Smootha (1997) 'Ethnic Democracy: Israel as an Archtype', in *Israel Studies*, (20) vol. 2, no. 2, Ben-Gurion University, pp. 198-241; R. Gavison, (1999) 'Jewish and Democratic, a Rejoinder to the Ethnic Democracy Debate', in *Israel Studies*, vol. 4, Spring, Ben-Gurion University, pp. 44-72; A. Dawty, (1999) 'Is Israel Democratic?' Substance and Semantics in the Ethnic Democracy Debate, in *Israel Studies*, vol. 4, no. 2, Ben-Gurion University, pp. 1-15.
- A. Ehrlich, (1993) 'A Society in war: the national conflict and the social structure', (21) in U. Ram (ed.) *Israeli Society-Critical Perspectives*, Breirot Publishers, pp. 253-74 (Hebrew).
- Hillel Cohen (2000) *The Present Absentees: the Palestinian Refugees in Israel (22) since 1948*, Jerusalem, The Institute for Israeli-Arab Studies, (Hebrew).



Y. Elitzur (1997) *Economic Warfare: 100 years of economic Confrontation* (22) between Jews and Arabs, Ramat Gan, Keneret.

N. Chomsky (1999) *Fateful Triangle: The United States, Israel and Palestinians*, (23) updated edition, London, Pluto; Avi Shlaim (2000) *The Iron Wall: Israel and the Arab World*, New York and London, W.W. Norton.

A. Ehrlich (1992) 'The Gulf War and the New World Order', in R. Miliband and L. Panitch (ed.), *Socialist Register*, London, Merlin, pp. 227-38.

J. McMurty (1988) *Understanding War - A Philosophical Inquiry*, Canadian (24) *Papers in Peace Studies*, no. 2, Toronto, Science for peace; J. Stoessinger (1985) *Why Nations Go to War*, Fourth edition, New York, St Martin's Press; R.I. Rotberg and T. K. Rabb (eds) (1988) *The Origins and Prevention of Major Wars*, Cambridge, Cambridge University Press; J.S. Nye (1997) *Understanding International Conflicts*, New York, Longman; C.W. Kegley Jr. and G.A. Raymond (1999) *How Nations Make Peace* Israel, New York, St Martin's.

G. Shafir and Y. Peled (eds) *The New Israel: Peacemaking and Liberalization*, (25) Boulder, Colo., Westview, especially Introduction, p.2, and chapter 10, 'Peace and profits: the Globalization of Israeli business and the Peace Process', pp. 262-3, which makes this paragraph sound like a manifesto. For another view see J. Nitzan and S. Bichler (1996) 'From War profits to Peace Dividends-The New Political Economy of Israel', in *Capital and Class*, no.60, pp. 61-94.

See A. Tal (2000) 'The fiction of the end of the conflict', in *Ha'aretz*, 27 July. (26)

I. Pappé (2000) 'Israel at a Crossroads Between Civil Democracy and Jewish (27) Zealotocracy', in *Journal of Palestine Studies*, vol.xxix, no.3, Spring, pp. 34-44.

Y. Sheldeg (2000) *The New Religious in Israel: Recent Developments Among* (28) *Observant Jews in Israel*, Jerusalem, Keter (Hebrew).

Y. Peled (1998) 'Towards a Redefinition of Nationalism in Israel - The Enigma of (29) Shas', in *Ethnic and Racial Studies*, vol.21, no.4, July.

S. Fisher (1999) 'Shas Movement' in '50 To 48' *Theory and Criticism*, special (30) issue, Van -Leer Institute, *hakibbutz- Hameuchad*, pp. 175-85 (Hebrew).

D. Gotwin (2000) in *Mikarov*, no.3, Winter. (31)

Uri Ram (1999) 'Between Weapons and Economy: Israel in Global Era', in *Israeli* (32) *Sociology*, vol.2, no.1, Tel Aviv University, pp. 99-146 (Hebrew); Pappé (2000) 'Israel at a Crossroads'.



P. Hirst and G. Thompson, (2000) *Globalisation in Question*, second edition, (٢٥) Cambridge, Polity; L. Panitch (ed.) 'Between Globalism and Nationalism', *Socialist Register*, London, Merlin; L. Panitch (2000) 'The New Imperial State', in *New Left Review*, March-April.

See D. Gotwin in Weitz, *Between Vision and Revision*, p. 343. (٢٦)

Ram (1999) 'Between Weapons and the Economy', p. 136. (٢٧)



## الفصل الرابع

### الصهيونية وما بعد الصهيونية ومناهضة الصهيونية فى إسرائيل : صراع اليهود والعرب على طبيعة الدولة .

أسعد غانم

شغل السجال المتعلق بما بعد الصهيونية فى السنوات الأخيرة أعمدة الصحف وحظى بتغطية واسعة من فى وسائل الإعلام، ويمكن القول أن الاهتمام الذى ظهر فى الإطار الجديد للتحليل الذى طرحه المشتغلون بالعلوم الاجتماعية وبتأريخ الصراع الفلسطينى - الإسرائيلى، يعد وبدون شك واحداً من أهم الإبداعات الإيجابية فى تاريخ الجماعة الأكاديمية فى إسرائيل. وقد حققت مجموعة من الأساتذة الشباب بقيادة د. "بنى موريس" من جامعة بن جوريون بالنقب هذه "الاكتشافات" الجديدة، إلى جانب د. إيلان بابيه من جامعة حيفا بالتعاون مع عدد من المؤرخين "الجدد"، وتعد هذه الاكتشافات نوعاً من إمطة اللثام، وبتحليل مراجع للتاريخ الحديث، عن الصراع الشرى والدموى. وترتب على الحقائق التى كشف عنها موريس وبابيه وآخرون، إلى جانب علماء اجتماع مثل د. يورى رام من جامعة بن جوريون ود. يوأف بيليد من جامعة تل أبيب وآخرون، تركيز الاهتمام على فهم التاريخ فى العقدين الأخيرين من القرن العشرين وفى الوقت الحاضر وكانوا من الشجاعة إلى حد التنبؤ بالمستقبل.

وليس من شك أن كتابات علماء الاجتماع عن التطورات الحديثة فى المجتمع الإسرائيلى لم تكن ممكنة أو على الأقل لم تكن تقدر على شق طريق جديد بدون كتابات

أسلافهم ممن شككوا فى الروايات الصهيونية للصراع وخصوصاً تلك المتعلقة بممارسات العنف والوحشية لطرده الفلسطينيين من وطنهم وتحويلهم إلى معسكرات لاجئين فى البلدان المجاورة. وقد تعيّن على هؤلاء المؤرخين أن يتعاملوا مع مجموعة متنوعة مع التحديات الأشد خطورة فى سبيل نشر ما توصلوا إليه من اكتشافات فى بحوثهم، وبالإضافة إلى نشر معطيات جديدة حول موضوع ظل يدرس لسنوات طويلة وبدا لأول وهلة أنه لا يقدم جديداً، فقد ركز هؤلاء المؤرخون على البحوث التوثيقية وكشفوا أن الرواية التاريخية لإسرائيل كما تم نشرها على نطاق واسع فى إسرائيل والعالم تحفل بتشوهات كاملة، كما زيفت لمصلحة طرف واحد فى إطار الجدل السياسى والحرب الدعائية بين إسرائيل والوطن العربى. كما تعيّن على هؤلاء الأساتذة أن يتعاملوا مع تلك الرواية التى نجحت وتم تسويقها بكفاءة من قبل المؤرخين الإسرائيليين الرسميين والتى تجافى أى منطق وزعمت بأن اليهود هم الذين كانوا فى خطر وأنهم وحدهم الذين عانوا من نتائج الصراع ومن أجل إقامة دولة إسرائيل. ومن المعروف أن غالبية رأى العام الإسرائيلى يجرى وراء الدعاية الرسمية لحكوماته رغم ما رسخته بعض مقولات السجال ما بعد الصهيونى المعاصر، ومن هنا نظروا إلى الأساتذة الجدد وأفكارهم بعداوة وانساقوا خلف المؤسسة الأكاديمية والمؤسسة السياسية فى كيل الاتهامات بالتعاون مع العدو وكراهية الذات إلى جانب أوصاف سلبية كثيرة ضد هؤلاء المؤرخين بيد أن أفكار هؤلاء أحدثت صدى ملموساً بين كثير من العرب الفلسطينيين والعرب. ولكن الجانب السلبى يتجلى فى أنهم لم يأتوا بجديد بل انحصر جهدهم فى مجرد تكرار لحقائق تاريخية وثقت ونشرت بالفعل على يد كثير من المؤرخين الفلسطينيين والعرب، بل إن هذه الحقائق يعلمها كبار السن أو الآباء الفلسطينيون الذين كانوا شهوداً على ما حدث فى عام ١٩٤٨ والتى ينقلونها لأطفالهم كلما سنحت الفرصة.

ومن الجدير بالذكر أن حجج الاتجاه ما بعد الصهيونى والتى قدمها علماء الاجتماع سالفو الذكر أقيمت أساساً على مقولات "المؤرخين الجدد"، وهذا الاتجاه استطاع إحداث جدل حول الماضى وطرح بديلاً علمياً وتجريبياً لتحليل وفهم الموقف



المعاصر فى المجتمع الإسرائيلى. وسوف يركز هذا الفصل على هذه الحجج مع تقييم دلالتها بالنسبة للفلسطينيين فى إسرائيل.

ومن رأى أن الاختبار الدقيق لتطور السجال ما بعد الصهيونى فى إسرائيل يتم عبر فهم موقف الأقلية الفلسطينية فى مواجهة الدولة وفى ضوء التغيرات المتوقعة فى مواقف وتوجهات الأغلبية اليهودية وكذلك التغيرات التى يمكن أن تطرأ على السياسة التى تتبعها الدولة فى مواجهة الأقلية الفلسطينية، وأنا لا أملك الجديد أو الكثير لأقوله بخصوص السياسة الرسمية الحالية تجاه الأقلية الفلسطينية فى إسرائيل أو ما يتعلق بموقف الأقلية الفلسطينية كرد فعل على هذه السياسة لأننى سبق أن تناولت هذا الموضوع فى مكان آخر<sup>(٢)</sup>.

وسوف يتناول هذا الفصل بعدين رئيسيين يتناسبان مع موضوعه: البعد الخاص بموقف الغالبية اليهودية نحو الأقلية الفلسطينية ومكانتها فى الدولة من جهة وموقف هذه الأقلية من الصهيونية ومن طبيعة دولة إسرائيل من جهة أخرى. وتفترض الدراسة أن مواقف الكتلتين اليهودية والفلسطينية تختلف جذرياً تجاه المقولات والأفكار الواردة فى سياق الاتجاه ما بعد الصهيونى، إذ يتبنى اليهود القيم الصهيونية التقليدية بينما يتخذ العرب مواقف معادية للصهيونية بقوة، ومع ذلك تتفق المجموعتان من الناحية الشكلىة على أنهم مواطنون فى دولة واحدة لكن هذا "الاتفاق" الشكلى لا يتضمن مع ذلك أية إمكانية لتطور هوية "إسرائيلية" مشتركة كما هى الحال فى أى بلد ديمقراطى آخر.

### **الالتزام العام ليهود إسرائيل بالطبيعة اليهودية الصهيونية والعرقية للدولة :**

ظهرت الصهيونية كحركة قومية تطمح إلى إنشاء دولة يهودية فى نهاية القرن التاسع عشر، حيث قررت مجموعة منتقاة من المفكرين المؤمنين باليهودية المبادرة بالعمل تحت راية القومية التى بدأت فى الظهور فى أوروبا، وكذلك فى إطار سياسة التمييز والعنصرية للنظم الأوروبية ضد أعضاء التجمعات اليهودية. وقد استندت

الصهيونية أساساً إلى الحركات القومية والعرقية التي تطورت في وسط وشرق أوروبا والتي زعمت أن هناك علاقة دموية أو عنيفة بين كل أعضاء الجماعة الإثنية مع توافر طموحات لدى المؤسسين والمنظرين لنسج خيوط حقيقية أو متخيلة لتاريخ وثقافة ودين وأصول مشتركة بما يتضمن الموقع الجغرافي الذي يتصورون أنه الموطن الأصلي للمجموعة.

وقد نظر الأوروبيون، بما في ذلك أعضاء من التجمع اليهودي، بعين الشك إلى الحركة الجديدة، ومع ذلك تمكنت هذه الحركة وبخطوات وثيدة من جذب مجموعات مختلفة من اليهود في بولندا وألمانيا وإمبراطورية النمسا والمجر وروسيا وغيرها، كما أقنعتهم بالحاجة إلى الهجرة لفلسطين والتي كان يطلق عليها "إريتز إسرائيل" أو "أرض إسرائيل" أو "القدس"، ولم يزد عدد أفراد موجة الهجرة الأولى من أوروبا الشرقية بين عامي ١٨٨٠-١٨٨٢ عن بضع عشرات وأقل بالتأكيد من ألف فرد، وتلت ذلك موجات إضافية من المهاجرين اليهود إلى فلسطين ما أدى إلى الإسراع بعملية إقامة إسرائيل في عام ١٩٤٨. وبالإضافة إلى عشرات الآلاف من اليهود الذين عاشوا في إسرائيل وكذلك الزيادة الطبيعية، تشكل ما يعرف الآن بالأغلبية اليهودية في البلاد بنسبة ٨٢٪ أو حوالي ٥ مليون من إجمالي ٦ مليون هم مواطنو إسرائيل.

وتعرض المهاجرون اليهود قبل وصولهم إلى فلسطين إلى ألوان شتى من الإقناع حول المشروع القومي اليهودي، حيث لجأت الحركة الصهيونية وممثلوها كالمنظمة الصهيونية العالمية إلى التعليم والدعاية كأنوات للإقناع، وقد استغلت التاريخ الخاص بكل منطقة لكي تقنع سكانها اليهود بالحاجة إلى الهجرة لفلسطين والمشاركة في بناء دولة يهودية في أرض الأجداد. وليس من شك أن جهود الحركة الصهيونية قد أثمرت وهو ما بدا في هجرة عشرات الآلاف من بلادهم الأصلية إلى فلسطين.

ويُلاحظ أن الغالبية الساحقة من اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين لم يعرفوا اللغة العبرية قبل وصولهم، بل كانت معرفتهم بالتاريخ اليهودي والثقافة اليهودية وحتى الديانة اليهودية وشعائرها قليلة وسطحية. وينفس المعنى تميز تمسكهم بدولة يهودية

عرقية بالضعف والتطور البطيء. ولكن وبفضل جهود الدولة والنخب القائدة تعرض اليهود المهاجرون لعمليات متسارعة من تنمية الالتزام أو الولاء لمشروع يهودى عرقى قومى وقد أدت مثل هذه العمليات إلى زيادة درامية فى مستوى ولاء اليهود للدولة اليهودية ولأهدافها الصهيونية. وقد ساعد هذا الالتزام الدولة وقادتها على المضى قدماً نحو تحقيق الأهداف الصهيونية وتعزيز الدولة الصهيونية مما كان له آثار ضارة جداً باللسطينيين أصحاب الأرض فى إسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزة.

ويمكن القول إن الكتابات عن موقف الأغلبية اليهودية من الأقلية العربية فى إسرائيل وما يتفرع عنها من قضايا مثل الصراع الإسرائيلى- الفلسطينى وتسويته، والاعتراف باللسطينيين كشعب وليس فقط كجزء من أمة عربية أوسع، وكذلك العلاقات مع العرب كأفراد ومساواة الفلسطينيين أفراداً أو شعباً بيهود إسرائيل تدور كلها حول نوعين رئيسيين من الأسئلة :

النوع الأول يتعلق بالتغير فى اتجاه الغالبية اليهودية ناحية العرب مواطنى إسرائيل والشعب الفلسطينى عمومًا الذى يشكل العرب الإسرائيلون جزءاً منه. والسؤال هنا هو : هل حدث تغير من هذا النوع ؟

النوع الثانى يرتبط بالسؤال عما إذا كانت التحولات العاصفة فى أوساط اليهود ذات علاقة بالعرب والقضايا المرتبطة بهم ؟ وهل يعنى موقف اليهود تجاه العرب فى إسرائيل أن هؤلاء اليهود يشكلون جماعة متجانسة ؟

وبالنسبة للسؤال الأول تطرح الأدبيات مجموعتين متناقضتين من الإجابات، فهناك أولاً نموذج يمكن تسميته "الثبات على موقف محدد" ويتمثل فى التصور الشائع فى الوطن العربى وفى أوساط الفلسطينيين وقطاعات من المواطنين العرب فى إسرائيل<sup>(٢)</sup>، ومفاده أن اليهود يتبعون مواقف متشددة تجاه المواطنين العرب فى إسرائيل ويعلمون عن توجهات صارمة أصبحت أكثر تشدداً عبر السنوات الماضية وهذا النموذج تعبر عنه كتابات مثل المؤلفات التى أصدرها الباحث الفلسطينى خليل نخلة<sup>(٤)</sup> (١٩٧٨، ١٩٨٢) والذى ذهب إلى أن السنوات الماضية شهدت إعلان اليهود عن مواقف جامدة تجاه

المواطنين العرب فى إسرائيل وتبنيهم لتوجهات متشددة لا تعرف الحلول الوسط بخصوص المسائل المتعلقة بالعرب وتراثهم وحقوقهم وممتلكاتهم.

وعلى النقيض من "نخلة"، قام "سامى سموحة" فى عام ١٩٩٢<sup>(٥)</sup> بتطوير نموذج يمكن أن يطلق عليه "نموذج المخرج أو القابلية للنفاز" والذي يرى أن اليهود يعبرون وبشكل متزايد عن اتجاهات تصالحية جهة العرب مع مرور السنين، ففىما يتعلق بضرورة التعايش مع الإسرائيلى العربى فى صورة علاقات شخصية مع العرب كمثال وكذلك تسوية المشكلة الفلسطينية وإعطاء العرب حقوقاً متساوية، يرى سموحة أن الموقف اليهودى يتميز برغبة متنامية فى التقارب مع العرب وتفهم احتياجاتهم ومطالبهم ومواقفهم.

وفىما يتعلق بالسؤال الثانى والمرتبط بوجود توجهات يهودية متباينة ناحية العرب، توجد ثلاثة نماذج : يطرح نخلة النموذج الأول عندما يدرس اتجاه اليسار الإسرائيلى نحو مظاهرات يوم الأرض فى عام ١٩٧٦، إذ يرى أن كل اليهود الإسرائيلىين باستثناء مجموعات ضئيلة من غير الصهاينة تتبنى الموقف نفسه تجاه المواطنين العرب فى إسرائيل، فحتى اليسار الصهيونى فى إسرائيل يتبنى مواقف تتشابه مع التيارات السياسية الأخرى داخل الأغلبية اليهودية والتي ترفض العرب وتؤيد نزع ممتلكاتهم من أجل مصالح "يهودية"، كما تنعدم لديهم الرغبة فى التعامل مع قضية مساواة العرب بالأغلبية اليهودية وقبولهم كمواطنين متساوين<sup>(٦)</sup>.

وبالنسبة للنموذج الثانى والذي قدمه "إيان لوستيك" Lustick فى كتابه عن سياسة إسرائيل تجاه العرب<sup>(٧)</sup>، فإنه يرى إمكانية تقسيم اليهود إلى مجموعتين رئيسيتين هما :

\* من يؤيدون الجناح اليمينى.

\* من يساندون الجناح اليسارى فى الخارطة السياسية الإسرائيلية.

وبالنظر إلى موقفهم من المواطنين العرب فى إسرائيل، ما يلاحظ فى هذه المجموعات أن مؤيدى اليسار يتخذون توجهات تصالحية أكبر من مؤيدى اليمين،



لكن هذا الاختلاف لا يدل على مغزى معين خصوصاً عندما يتعلق الأمر بمسألة الرغبة في خلق إدارة مشتركة للدولة، بل تنحصر الخلافات أساساً في المسائل العملية التي يتبناها الجناح المعتدل أو الجناح المتطرف ولكن في إطار من التراضى العام على وصف إسرائيل كدولة يهودية ودولة اليهود وعلى ضرورة ضمان الهيمنة أو التسامى اليهودي.

ويطرح سامى سموحة النموذج الثالث<sup>(٨)</sup> ويرى أن الأغلبية اليهودية تنقسم إلى أربع مجموعات متميزة في اتجاهها ناحية العرب. وأولها التيار "التصالحي"، ويعبر عنه الليبراليون أساساً ممن يؤيدون إعطاء المواطنة الكاملة للعرب ومساواتهم باليهود واندماجهم في المجتمع الإسرائيلي، ولا يرى هؤلاء أى تناقض بين الصهيونية والديمقراطية من زاوية أن التناقض الفعلى يأتى فقط من الطبيعة اليهودية الصهيونية للدولة. وهناك ثانياً التيار البراجماتى وهو وإن كان يرغب فى إعطاء المساواة للعرب لكنه يصر على ضمان المصالح الأمنية للدولة وطبيعتها اليهودية الصهيونية. ويساند هذا الاتجاه مساواة أكبر للعرب ويرفض فرض النظام العسكرى عليهم ويدعم جهود تخفيف أو تنويع الفوارق الاجتماعية الاقتصادية بين اليهود والعرب، وإن كان يقر بأن الدولة لم تفعل الكثير لصالح العرب.

وهناك ثالثاً التيار "المتشدد" والذي يعطى الأولوية لاحتياجات الأمن الخاصة بالدولة ويهودها وكذلك للشخصية الصهيونية للدولة ويفضل الطابع اليهودى الصهيونى للدولة على طابعها الديمقراطى، كما يقف مع السيطرة الصارمة على العرب، إذ يعتقد أنه من المستحيل الاعتماد على العرب ويرى أن العرب يشكلون خطراً محتملاً على أمن الدولة، كما يرفض الاقتناع بأن ردم الفجوة بين العرب واليهود هدف رئيسى للدولة. وهناك أخيراً التيار "الاستبعادى" والذي يعتقد أن على العرب قبول الهيمنة اليهودية دون اعتراضه إلا فعليهم أن يغادروا البلاد ويرى أنصار هذا الاتجاه أن ذلك يعد هدفاً ينبغى أن تتطلع إليه الدولة ولا يرغب أنصار هذا التيار فى قبول أن يكون عربى فى موضع سلطة فى أى عمل، بل يؤمنون بأن الدولة فعلت الكثير من أجل العرب.

وتطرح هنا هرتزوج" النموذج الرابع<sup>(٩)</sup> وتقسم اليهود إلى خمس مجموعاتهم بالنظر إلى مواقفهم من العرب: المجموعة الأولى تسمى "القومية المتشددة" وتساند توصيف إسرائيل بمعايير السيطرة اليهودية المطلقة وتصر على الطابع الفريد للمشكلات الأمنية التي تبرر أى موقف صارم ضد العرب. ويتمثل الافتراض الأساسى لهذا التيار فى أن عرب إسرائيل ينتمون إلى خانة العدو وسوف يظلون كذلك ومن ثم ينبغى التعامل معهم باستمرار بالشك ووضعهم تحت السيطرة والرقابة، ويمثل مؤيدو الأحزاب اليمينية هذا التيار. وهناك ثانياً التيار القومى الليبرالى الذى ينحو إلى أن معاملة اليهود للعرب ينبغى أن تكون براجماتية من أجل تحييدهم كخطر أمنى وتقديم إغراءات لهم حتى يظهروا الولاء الكامل للدولة، حيث يعتقد أنصار هذا التيار بوجود عرب "طيبين وموالين" ينبغى معاملتهم بالحسنى وعرب شريرين ومعادين يجب أن يعاملوا بقبضة حديدية، ويقوم المحور الأساسى لتفكير مؤيدى هذا التيار على الاعتقاد بأن العرب يمكن تحويلهم إلى الولاء الكامل للدولة اليهودية. ويتمثل مؤيدو هذا التيار فى حزب الليكود وبعض مؤيدى حزب العمل. ويطلق على التيار الثالث "الديمقراطية اليهودية" والذى يؤمن بإمكانية إعطاء العرب مساواة تامة بدون تقويض الطبيعة اليهودية الصهيونية للدولة ويأتى أنصار هذا التيار من قطاعات واسعة من حزب العمل. أما التيار الرابع فهو تيار "المساواة لكل" حيث يحبذ إعطاء المساواة التامة للعرب على قاعدة المواطنة المشتركة مع اليهود كما يؤكد الطبيعة الديمقراطية والمتساوية للدولة وأن ذلك يجب أن يتم التأكيد عليه فى ضوء التناقض بين الطبيعة الديمقراطية والطبيعة اليهودية للدولة. وهذا التيار يعبر عنه أساساً مؤيدو اليسار الصهيونى. أما التيار الخامس فيمكن أن نطلق عليه "لا توجد مشكلة" من حيث تأكيده على ضرورة المساواة المطلقة بين اليهود والعرب وأن الديمقراطية يجب أن تعلو على الصهيونية فى أى ظرف، ومن هنا وطبقاً لهذا التيار يتساوى العرب كمواطنين فى أى جانب، ويتمثل هذا التيار فى مجموعة صغيرة من غير الصهاينة أو المعادين للصهيونية فى أوساط اليهود.

وفيما يلى سوف نتعرض بالتحليل للأدبيات والتصنيفات المختلفة للاتجاهات اليهودية نحو العرب، وهناك افتراض أول أطرحه يذهب إلى أن المهاجرين اليهود تعرضوا لعملية

تجنيد أو توعية جعلتهم يزدون من ولائهم للدولة اليهودية - الصهيونية وأهدافها. وقد اضطلع بعملية التجنيد عدد من المؤسسات التي شيدت الدولة قبل الاستقلال ثم تولت الدولة وفروعها هذا الأمر حتى اليوم<sup>(١٠)</sup>. أما الافتراض الثانى فيتعلق بالقول أن الأغلبية اليهودية عبرت عن التزام عال بالدولة اليهودية وأهدافها الصهيونية وتم التعبير عن ذلك بعدد من الشعارات، وأن هذا الالتزام لم يتراجع مع مرور السنين. ويتضمن الافتراض الثالث القول أن هناك اختلافات بين التيارات الأربعة السياسية والأيدولوجية الرئيسية فيما يتصل بمستوى الالتزام بالدولة اليهودية - الصهيونية العرقية، ولكنها لا تناقش فى وجود هذا الالتزام، وفيما يلى سوف أركز على الافتراضين الأولين، أما الافتراض الثالث فقد تناوله آخرون مثل سموحة وهرتزوج، ولدواعى حيز الدراسة لن أكرر وجهة نظر مشابهة للآخرين، ولكن سوف أشير فقط لأعمالهم المتصلة بالموضوع<sup>(١١)</sup>.

#### الالتزام اليهودى بالطابع الصهيونى العرقى للدولة تجاه الفلسطينيين فى إسرائيل :

يؤمن اليهود فى إسرائيل بقيم عرقية متطرفة راسخة تحظى بالقبول من الجميع، وفى التحليل الأخير لا يحفل اليهود بأمر دولة محايدة ولكن بدولة تلتزم باهتماماتهم وتعمل على خدمتهم حتى لو كان ذلك على حساب مواطنيهم الآخرين<sup>(١٢)</sup>. فقد أظهر استطلاع أجرى عام ١٩٩٥ أن غالبية اليهود فى إسرائيل يساندون الدولة العرقية وسياساتها تجاه الأقلية الفلسطينية - العربية، فاليهود ينظرون إلى إسرائيل كنواة يهودية بل دولة للشعب اليهودى، ويدعو معظمهم (٩٦.٤٪) إلى المحافظة على الأغلبية اليهودية فى الدولة، فهم يطالبون بالحفاظ على الأغلبية اليهودية وعلى الفكرة العامة التى تستند عليها ويدعون إلى تعزيزها على عدة مستويات. ويلاحظ أن التغير عبر السنين يثير الشكوك، فهناك حالة مد وجزر فى مسألة الالتزام بالمظاهر المختلفة للطابع اليهودى للدولة (انظر جدول رقم ٥-١). ومن منظور تاريخى يوجد بالفعل تراجع طفيف فى نسبة من يعرفون إسرائيل على أنها وطن اليهود، ولكنها من الصغر بحيث يصعب الحديث عن وقوع تغير حاد على أى المستويات. فغالبية اليهود فى الحاضر (٧٣،٤٪ حسب استطلاع أجرى عام ١٩٨٠، ٧٢،١٪ حسب استطلاع عام ١٩٩٥)،

مثمًا كانت فى الماضى، تؤمن أساسا بأن إسرائيل هى وطن اليهود. وقد ظهرت نفس النسبة فى أحدث استطلاعات الرأى (٧٢٪) والتي عرفت إسرائيل من الناحية القانونية بأنها دولة الشعب اليهودى من دون أن يشمل ذلك المواطنين العرب، وكان ٢٧,٩٪ فقط راغبين فى تأييد معادلة مفادها أن إسرائيل هى وطن مشترك للعرب واليهود.

#### ( جدول رقم ٥ - ١ )

#### كيف يعرّف اليهود إسرائيل ( عينة اليهود فقط )

١٩٩٥	١٩٨٨	١٩٨٥	١٩٨٠	إسرائيل اليوم هى
٧٢,١٪	٧٦,٦٪	٧٧٪	٧٣,٤٪	وطن اليهود
٢٧,٩٪	٢٢,٤٪	٢٢,٥٪	٢٦,٢٪	وطن مشترك لليهود والعرب
صفر	١٪	٠,٥٪	٠,٣٪	وطن العرب

ويدل الاتجاه نحو طبيعة يهودية - صهيونية للدولة على رسوخ فى مواقف معظم يهود البلد، ومن الصحيح القول أن هناك تراجعاً فى النسبة المئوية لمن يفضلون الطابع اليهودى - الصهيونى للدولة مع مرور السنين (من ٧٦٪ فى عام ١٩٨٠ إلى ٥٩,١٪ فى عام ١٩٩٥)، ولكن ليس معنى ذلك أن هؤلاء انتقلوا إلى الجانب الآخر بما يؤدى لتخفيف طبيعة الدولة هذه. بل إنهم تحولوا إلى تأييد فكرة أن الحالة القائمة ينبغى الإبقاء عليها كما هى (١٩,٤٪ فى عام ١٩٨٠ و ٣٥,٦٪ فى عام ١٩٩٥)، وهناك تفسيران ممكنان لذلك التحول. يشير الأول إلى أن بعض اليهود صاروا أكثر اعتدالاً ولكن ببطء ويعتقدون بعدم وجود حاجة لتعميق الطابع اليهودى - الصهيونى للدولة، أما التفسير الآخر فهو أن بعض اليهود يعتقدون أن الطبيعة اليهودية - الصهيونية قوية بما فيه الكفاية ولا تحتاج إلى تأكيد. ومن ثم لا يدل التغير على أى تعديل فى المبادئ بما يؤشر على حدوث طفرة فى رغبة اليهود فى توافق حول الطابع اليهودى - الصهيونى للدولة، بل لقد تراجعت بالفعل نسبة من يساندون فكرة أن الطابع اليهودى - الصهيونى للدولة ينبغى تخفيفه بين عامى ١٩٨٥ و ١٩٩٥ .



( جدول رقم ٥ - ٢ )

موقف الأغلبية اليهودية من الطابع اليهودي - الصهيوني لإسرائيل  
( عينة اليهود فقط )

هل إسرائيل الحالية داخل الخط الأخضر هي دولة يهودية صهيونية بأقلية عربية؟  
ما هو رأيك في الطابع الصهيوني للدولة ؟ (%)

١٩٩٥	١٩٨٥	١٩٨٠	
٥٩,١	٦٢,٧	٧٦	يجب تدعيمها
٣٥,٣١	٣١,٣	١٩,٤	يجب الإبقاء على ما هي عليه
٥,٤	٦,٠	٤,٦	يجب تعديلها

فقانون العودة يعطى اليهود تفوقاً عديداً ساحقاً ويسمح لهم، إلى جانب أشياء أخرى، بالحفاظ على الطابع اليهودي - الصهيوني للدولة، حيث يمنح أى يهودى فى العالم حق الهجرة لإسرائيل والاكتمال الفوري الجنسية على قدم المساواة مع المستوطنين اليهود من زمن طويل، ولكنه يرفض ذلك بالنسبة للمواطنين الآخرين بمن فيهم العرب. ويحظى هذا القانون حتى اليوم بتأييد غالبية اليهود (٦٨.١٪) والتي ترى ضرورة الإبقاء على القانون، فى حين يقف ٣٪ فقط مع إلغائه.

( جدول رقم ٥ - ٣ ) " عينة يهودية فقط "

ماذا تفضل فى حالة وجود تناقض بين الطابع الديمقراطى - القائم على المساواة للدولة وطابعها اليهودى - الصهيونى وهل تضطر للاختيار بينهما ؟ ( % )

١٩٩٥	١٩٨٨	١٩٨٥	١٩٨٠	
٢١,٩	١٨,٧	٢٣	٤١,٧	أفضل بالتأكيد طابعها الديمقراطى - القائم على المساواة .
٢٣,٨	٢٧,٢	١٨,٦		أعتقد أن تفضل طابعها الديمقراطى القائم على المساواة لا يمكن حدوثه .
٢٤,٦	٣٦,٩	٢٧,٩	٥٨,٣	أعتقد أن تفضلى لطابعها اليهودى الصهيونى ولكن ذلك ليس مؤكداً .
٢٩,٧	١٧,٢	٣٠,٥		أفضل بالتأكيد طابعها اليهودى - الصهيونى .

( جدول رقم ٥ - ٤ )

هل ينبغي أن تعطى الدولة معاملة تفضيلية لليهود أو العرب ؟

١٩٩٥	١٩٨٨	١٩٨٥	١٩٨٠	
٤٥,٨	٤٧,٩	٥٩,١	٦٦,٦	تفضيل عال لليهود
٢٨,٣	٢٥,٩	٢١,٧	١٩,٢	تفضيل جزئى لليهود
٢٥,٦	٢٥,٥	١٨,٨	١٥,٧	لا تفضيل لأى من اليهود أو العرب .
٠,٢	٠,٧	٠,٤	٠,٣	تفضيل جزئى للعرب
٠,١	صفر	صفر	٠,١	تفضيل عال للعرب

ورداً على سؤال عما إذا كان يمكن للدولة أن تجمع بين الطبيعتين اليهودية والديمقراطية وهل يختار اليهود أى منهما، فضّل معظم اليهود الطابع اليهودى على المكون الديمقراطى، وظل هذا التفضيل قائماً عبر السنوات الماضية. فقد حبّذ أكثر من نصف اليهود العيش فى دولة يهودية على العيش فى دولة ديمقراطية غير يهودية، وهذا التحبّيز يتماشى مع موقف مشابه لليهود بخصوص دور الدولة فى الصراعات بين مواطنيها أخذاً فى الاعتبار تحدرهم أو أصلهم القومى والاثنى، فاليهود يؤمنون بأن الدولة يجب أن تفضل اليهود على مواطنيها العرب، كما يدعم غالبية اليهود (حوالى ثلاثة أرباعهم) فكرة أن الدولة هى فاعل يتدخل لصالح اليهود وأن الدولة لابد أن تحابى اليهود إلى أقصى درجة أو أحياناً على الفلسطينيين العرب.

وفيما يتعلق برموز معينة وهيمنة اليهود عليها، لا يرغب معظم اليهود فى إدخال أى نوع من التغيير عليها لى تتضمن العرب وتمنحهم تمثيلاً ما فى المستوى الرمزي،

فقد عارضت الأغلبية (٩١.١٪) فى استطلاع أجرى عام ١٩٨٠ و ٨٥.٦٪ فى استطلاع أجرى عام ١٩٩٥) أى تغيير فى رموز الدولة مثل العلم والنشيد الوطنى لتمثيل العرب وتضمينهم فيها. فقد أصروا على هذه الرموز اليهودية وعلى انبثاقها من التراث اليهودى، حيث يعتبر اليهود فى إسرائيل أن هذه الرموز حكر عليهم ولا يرغبون فى السماح للعرب بدور فى صياغتها.

يضاف إلى ذلك أن النسبة الكاسحة من اليهود لا تحبذ دمج العرب مؤسسياً بل تفضل استمرار الهيمنة اليهودية المنفردة، فقد بين استطلاع للرأى تم فى عام ١٩٩٥ أن نسبة كبيرة من اليهود (٤٠.٥٪) عارضوا دخول الأحزاب السياسية العربية فى ائتلاف برلمانى على قدم المساواة مع نظيراتها اليهودية وأن تتولى مسئولية كاملة فى صناعة السياسات العامة، فى حين قبلت مجموعة كبيرة أخرى (٣٨.٦٪) تشكيل الأحزاب السياسية العربية لتحالف ولكن بشروط معينة. وقد تبين أن نحو ثلث اليهود (٣٢.٢٪ فى عام ١٩٩٥) يعتقدون أن اليهود فقط يحق لهم العمل فى الوزارات الحكومية، بينما رأى ٢٧٪ أن اليهود والعرب معاً ينبغي تشغيلهم فيها ولكن مع تفضيل اليهود أولاً. وكان ٢١.٨٪ فقط هم الذين اعتقدوا بضرورة توظيف اليهود والعرب على قدم المساواة، بينما أيد ١٩٪ توظيف اليهود والعرب فى أجهزة الخدمة المدنية تبعاً لنسبة كل منهما إلى إجمالى عدد السكان.

وطبقاً لاستطلاع عام ١٩٩٥، ساند يهود كثيرون فرض حظر قانونى على بعض الأحزاب السياسية العربية ومنع أخرى من التمثيل فى الكنيست، حيث أيد نحو نصف اليهود (٤٥.٦٪) حظر الحزب الشيوعى، فيما عارض الربع فقط (٢٥.٣٪) هذا الإجراء (وتحفظ الباقون على ذلك). لقد اتخذوا هذا الموقف رغم أن الحزب الشيوعى يجمع بين اليهود والعرب ومعروف بمواقفه المعتدلة حتى وإن كان معظم ناخبيه من العرب. كما اتضح أن غالبية اليهود (٧٢.٢٪) تعارض أو لا تحبذ السماح للحركة الإسلامية فى إسرائيل، والتي تعبر عن قطاع مهم من العرب فى البلاد، بالمشاركة فى انتخابات الكنيست. هذا فضلاً عن أن عدداً كبيراً من اليهود (٣٠.٩٪) يعتقدون أن العرب يجب حرمانهم حتى من حق التصويت فى انتخابات الكنيست. وعلى وجه الإجمال



يمكن القول إن غالبية اليهود ليسوا سعداء بواقع أن الأحزاب "العربية" التي تمثل المصالح العربية تشارك في انتخابات الكنيست، ذلك أن قطاعات واسعة من السكان اليهود يعتقدون أن الكنيست كمؤسسة ينبغي أن تقتصر فقط على الأحزاب اليهودية التي تمثل المصالح اليهودية.

إن ما جرى من عزل اجتماعي بين اليهود والعرب كجزء من بنية الفصل التي تبعد اليهود عن العرب بحيث تركز المنافع للمواطنين اليهود فقط هو أحد جوانب السياسة العرقية، وتحظى هذه السياسة بتأييد قطاع كبير من السكان اليهود، حيث لا ترغب النسبة الغالبة من اليهود، على المستوى الاجتماعي - الهيكلي، في العمل تحت رئاسة العرب، وإذا ما أضفنا لذلك هؤلاء اليهود الذين يفضلون الإشراف اليهودي، نلاحظ أن معظم اليهود يحبذون على الأقل العمل تحت إشراف شخص يهودي لا عربي. وينطبق نفس التوجه والتفضيل أيضاً على من يعيشون في مناطق منفصلة أو في جوار مختلط مع العرب. وهذا ما يتضح من الجدولين التاليين :

#### ( جدول رقم ٥ - ٥ )

هل ترغب في العمل تحت رئاسة مدير عربي ؟ (%)

	١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٨٨	١٩٩٥
أرفض مطلقاً	٩,٢	٨,٩	٧,٥	١١
أوافق	٢٤,١	٢٢,٩	١٧,٨	١٩,٤
أوافق ولكنني أفضل مديراً يهودياً	٢٣,٣	٢٠,٨	١٩,٦	٢٥,٦
أرفض	٤٣,٣	٤٧,٤	٥٥,١	٤٣,٨

( جدول رقم ٥ - ٦ )

هل ترغب فى الإقامة فى مناطق يختلط فيها العرب باليهود ؟ (%)

١٩٩٥	١٩٨٥	١٩٨٠	
٧,١	٧,٢	٧,١	أرفض مطلقاً
١٣,٢	١٧,٤	١٦	أوافق
٢٣,٤	٢١,٦	٢٢,٣	أوافق لكننى أفضل اليهود
٥٦,٤	٥٣,٧	٥٤,٦	أرفض

ومن حيث المنظور الثقافى، يلاحظ أن نسبة كبيرة للغاية من اليهود يرغبون فى المحافظة على سمو الثقافة واللغة العبرية ولا يفضلون مشاركة اللغة والثقافة العربية فى تطعيم الثقافة الإسرائيلية أو مشاركتها فى صياغة مزيج ثقافى، إذ تعتقد نسبة لا يستهان بها (٣٠,١٪) أن الثقافة العربية لا ينبغى النظر إليها كمكون هام للثقافة القومية فى إسرائيل، كما يتحفظ حوالى ٣٩,٧٪ على معاملة الثقافة العربية كمقوم هام من الثقافة القومية. بل إن أغلبية كبيرة (٥٩,٩٪) تعارض بث أغان عربية فى الإذاعات العبرية، فيما يرى ٧٠,٧٪ أنه لا توجد ضرورة قانونية لأن تكتب أسماء الشوارع والأحياء بكلمات عبرية وعربية، رغم أن اللغة العربية تعد لغة رسمية للبلاد بنص القانون. كما يعارض ٤٨,٦٪ امكان مشاركة العرب واليهود فى صياغة قيم وتقاليد مشتركة.

وفى الآونة الأخيرة رفض عدد من الساسة اليهود مشاركة عرب إسرائيل على قدم المساواة مع اليهود فى اتخاذ قرارات ديمقراطية، مثل الاستفتاء الخاص بالانسحاب الإسرائيلى من مرتفعات الجولان والضفة الغربية وغزة وحتى القدس الشرقية، وهذا الرفض يحظى بشرعية بين اليهود. فطبقاً لاستطلاع عام ١٩٩٥ وافقت غالبية عينة اليهود (٥٩,٩٪) على أن غالبية اليهود هى التى يجب أن يؤخذ رأيها فى القرارات المتخذة بخصوص مستقبل الجولان والضفة الغربية وغزة، وأن وجهات نظر

العرب بشأن هذه القرارات لا يجب أن تؤخذ في الحسبان، من حيث إنهم يرغبون بشكل ألي في تسليم هذه الأراضي لسوريا والفلسطينيين.

ويُضاف إلى ذلك أن نسبة كبيرة من اليهود يؤيدون الطابع الإثني/العرقي للدولة، فهم يرغبون في الإبقاء على الوضع الحالي الذي يستبعد فيه العرب بأية حال. فغالبية اليهود لا تريد إشراك العرب في تعريف "الإسرائيلي"، فقد دل استطلاع عام ١٩٩٥ على أن ٥١,٧٪ من اليهود أن صفة "الإسرائيلي" تنطبق فقط على اليهود وليس العرب. وعبرت نسبة كبيرة عن عدم سعادتها بوجود العرب من الأساس كما فضلت أن تستغل الدولة أية فرصة وتستخدمها في تشجيع المواطنين الفلسطينيين على الهجرة لتقليص عددهم من مجموع السكان. وتبعاً لنفس الاستطلاع اتفقت غالبية اليهود (٥٣,١٪) على تشديد الرقابة على العرب في إسرائيل، كما فضل ٣٩,٤٪ مصادرة الأراضي العربية داخل الخط الأخضر وتخصيصها لاحتياجات التنمية اليهودية. وهذا ما يوضحه الجدول التالي :

#### ( جدول رقم ٥ - ٧ )

هل تعتقد أن الدولة ينبغي أن تستغل أية فرصة لتشجيع عرب إسرائيل على الهجرة لتقليص أعدادهم من مجموع السكان ؟ (٪)

	١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٨٨	١٩٩٥
موافق	٣٦,٧	٣٩,٩	٤٢,٤	٣٦,٧
متحفظ	٣٥	٣٦,٩	٣٣,٧	٣٥
أرفض	٢٨,٣	٢٣,٢	٢٣,٩	٢٨,٣

من جهة أخرى يرفض اليهود إقامة دولة ديمقراطية تبنى على المساواة في إسرائيل، فقد أشار استطلاع عام ١٩٩٥ إلى أن أغلبية كاسحة (٩١,١٪) وافقت على بقاء إسرائيل كدولة يهودية صهيونية وعدم تحولها إلى ديمقراطية تقوم على التجمعات consociational يتم في إطارها الاعتراف بالعرب واليهود كمجموعات قومية متساوية

يجرى تمثيلها على أساس حصص تبعا لوزنها السكاني، وبحيث يكون اليهود والعرب شركاء في إدارة البلاد. بل عبرت أغلبية أكبر مما سبق (بنسبة ٩٥,٥٪) عن عدم رغبتها في تحول إسرائيل إلى ديمقراطية ليبرالية وأن تنتهى كدولة يهودية - صهيونية ما يعنى إلغاء سياسة اعتبار اليهود والعرب بمثابة مجموعات منفصلة، وبحيث تسمح لهم بالمنافسة الحرة، وتعطى من يود منهم التمتع بحق العيش كجيران والزواج المختلط.

وواقع الأمر أن اليهود راضون بالدولة العرقية حيث يرغبون في دوامها بل ودعمها، فحسب المعلومات سالفة الذكر، يؤيد اليهود الدولة العرقية وسياستها تجاه المواطنين الفلسطينيين العرب الذى يعانون من الأزمة المترتبة على ذلك<sup>(١٣)</sup>. وتكشف المستقاة من استطلاعات الرأى سالفة الذكر عن أن عصر ما بعد الصهيونية يوشك على اشتباك السكان اليهود مع أى شىء يخص وضعية الأقلية الفلسطينية فى الدولة، وإنه لأمر جيد أن تتوافر رغبة ما بين اليهود للتحرك تجاه الفلسطينيين فى إسرائيل فى قضايا ترتبط بالمساواة بين الأفراد وإدخال تحسينات محلية على شتى جوانب الحياة، ولكن اليهود يعارضون بحسم ويتصلبون فى تلك المعارضة للمسائل المتعلقة بمساواة العرب جماعياً معهم فى الدولة، كما يتمسكون بطبيعة وهوية الدولة كدولة يهودية - صهيونية.

### **الفلسطينيون فى إسرائيل كمجموعة مناهضة للصهيونية :**

فى إطار التحليل الاجتماعى السائد فى إسرائيل، يرى الأكاديميون أن الأقلية الفلسطينية تمر بعملية متسارعة من التغير شأنها ذلك فى شأن مجموعات أقلية أخرى فى البلاد الديمقراطية. فهناك افتراض يرى أنه فيما تلا حرب ١٩٤٨ والخبرة المأساوية لانهايار النظم الاجتماعية والسياسية الفلسطينية، أخذت الأقلية الفلسطينية تسلك طريقاً طبيعياً فى مختلف جوانب تطورها، ومن ثم فأنا أطلق على النموذج الرئيسى فى تحليل تطور المواطنين الفلسطينيين فى إسرائيل "نموذج التطور الطبيعى".



ففيما يتعلق بالعلاقات مع إسرائيل كدولة يكمن الافتراض الأساسي لنموذج التطور الطبيعي في أن الفلسطينيين في إسرائيل اتجهوا إلى قبول وضعيتهم كأقلية قومية وسعوا إلى الاستمرار في العيش في إسرائيل بدون المطالبة بحق تقرير المصير داخل الدولة ودون سلخ أنفسهم عنها. بل يؤكد كثير من الباحثين على أن العرب أقروا وقبلوا الواقع القائم الذي يوجدون فيه كأقلية في دولة يهودية وركزوا على تحسين مكانتهم كجزء من الإطار الإسرائيلي القائم، حتى ولو لم ينتج عن ذلك التحسين التمتع بمساواة تامة. وربما يكون أفضل تعبير عن قبولهم وضعية الأقلية في الدولة اليهودية، طبقا لهذا النموذج، هو عملية "الأسرلة" 'Israelizaion' فعلى سبيل المثال، يعتقد "بسموكة" أن الفلسطينيين في إسرائيل طوروا هوية إسرائيلية قوية ومستقرة إلى جانب هويتهم الفلسطينية. وفيما يتعلق بعملية "الأسرلة" يعتقد بعض الأكاديميين أن نفوذ المجتمع الإسرائيلي والتفاعل المتزايد مع المجتمع اليهودي تسببا في دخول الأقلية الفلسطينية في عملية متسارعة من التحديث، وأن هذه العملية أدت إلى استيعاب سريع للقيم والتقاليد العصرية التي تختلف عما كان سائداً لدى الفلسطينيين في الماضي كما تختلف عن القيم المتعارف عليها في المجتمعات العربية الأخرى. ويرى بسموكة في دراسة حديثة له أن المواطنين العرب في إسرائيل يمرون بعملية "أسرلة" بما يفضي إلى قبولهم وضعية الأقلية في دولة إسرائيل وإلى أن يتعاملوا مع مفاهيم من قبيل الصهيونية والطابع اليهودي - الصهيوني للدولة. والواقع أن بسموكة يزعم أن الفلسطينيين في إسرائيل صاروا يتقبلون مكانتهم المتدنية في الدولة اليهودية - الصهيونية ويتكيفون مع ما يرغب اليهود في إعطائهم ويرضون بحلول وسط فيما يتعلق بمسألة الحقوق الأصلية بما قد يشير إلى احتمال تحقق مساواة كاملة وأصيلة للفلسطينيين في إسرائيل<sup>(١٤)</sup>.

بيد أن المعلومات التي توافرت لى من إجراء دراسة ميدانية عن التطلعات السياسية للفلسطينيين في إسرائيل تتناقض مع مثل هذه الافتراضات، فقد دلت هذه المعلومات على أن الفلسطينيين في إسرائيل يعبرون عن إرادة قوية في المساواة مع الأغلبية اليهودية كما يؤيدون بشدة وجهات النظر المناهضة للصهيونية ورفض الطبيعة اليهودية - الصهيونية للدولة<sup>(١٥)</sup>.

فالأغلبية العظمى من الفلسطينيين فى إسرائيل تريد المساواة التامة بين اليهود والمواطنين العرب فى البلاد فى حين يرغب عدد قليل للغاية فى "مساواة شبه تامة"، حيث توجد مجموعة غير مؤثرة تشعر بالسعادة مع "مساواة جزئية" أو تعتقد أن "المساواة ليست ضرورية". ولكن ما هو أساس المساواة التى يرغب الفلسطينيون فى إسرائيل فى إنجازها؟ سأحاول الإجابة على السؤال فيما يأتى.

إن الفلسطينيين وكما تبين يطالبون بتحقيق المساواة مع الأغلبية اليهودية، حيث أكد معظم من أجريت الدراسة عليهم على المساواة الكاملة، ففي معرض الإجابة على السؤال : ما مدى أهمية تحقيق المساواة الكاملة فى الدولة لتحسين الوضع الجماعى للفلسطينيين فى إسرائيل؟، ذكر ٩٣.٨٪ أن ذلك "هام للغاية" أو "هام". وقد تم التأكيد على المساواة عندما عقدنا لقاءات فى عدة مناطق تتميز بالتفاوت أو عدم المساواة بين اليهود والعرب وخصوصا من حيث الخدمات العامة وتوزيع الموارد والتوظيف فى الخدمة المدنية وحجم المشاركة فى الحكومة، والمساواة فى تحديد طبيعة الدولة وأهدافها (انظر جدول ٥ - ٨).

### ( جدول رقم ٥ - ٨ ) "عينة عربية فقط"

ما هو مستوى المساواة التى تعتقد بضرورة وجودها بين اليهود والعرب، فى المجالات التالية؟ (نسبة مئوية)

لا ضرورة للمساواة	مساواة جزئية	مساواة شبه كاملة	مساواة كاملة	
٠,٩	٢,٨	١٠,٨	٨٥,٥	الخدمات العامة
١,١	٣,٩	١٤,٧	٨٠,٣	توزيع الموارد
١,٧	٩,٥	١٨,٩	٦٩,٨	التمثيل السياسى
١,٥	٦,٢	١٦,٢	٧٦,١	وظائف الخدمة المدنية
١,٢	١١,٩	٢٠,٤	٦٦,٨	المشاركة فى الحكومة
٢,٦	١٢,٢	٢٤,٣	٦٠,٨	تحديد طبيعة الدولة
٣,٣	١٣,٧	٢١,٦	٦١,٤	التعريف بأهداف الدولة

لا يرضى الفلسطينيون في إسرائيل بظروفهم المعيشية ويطالبون الدولة بأن تخدمهم على قدم المساواة مع اليهود عبر توزيع متساو للموارد وتقديم خدمات عامة متساوية وتوزيع وظائف الخدمة المدنية على أساس عادل والسماح لهم بالمشاركة الكاملة في الحكومة والبرلمان، ومنحهم صوتاً متساوياً في تقرير طبيعة الدولة وأهدافها. ومن رأيهم أن الدولة ينبغي أن تخدم كل المواطنين على قدم المساواة، ويطالبون من الأساس أن تكون الدولة "دولة كل مواطنيها" لا دولة تحابى مجموعة واحدة من المواطنين (أى اليهود) على حساب الآخرين، وهم يعبرون عن كل ذلك في مطلبهم بتعديل طبيعة الدولة.

وتدل الأسئلة المرتبطة مباشرة بالدولة على رفض الفلسطينيين في إسرائيل لطابعها اليهودي - الصهيوني المعلن عنه بوضوح، وينبع هذا الرفض من التفضيل الواضح الذى يعطيه اليهود فى كل مناطق الدولة وبخصوص مستقبلها و مسار هوية مجتمعا ومستقبل المواطنين بصفة عامة. إذ تميز أفراد العينة التى أجريت عليهم الدراسة بوعى عال بحقيقة أن إسرائيل تخدم فقط اليهود وليس كل مواطنيها، حيث تعتقد الغالبية من الفلسطينيين (٦٦,٢٪) أن "دولة إسرائيل بأهدافها وسياساتها الواضحة تعلن عن نفسها بأنها لليهود فقط"، فى حين يعتقد ٣٣,٧٪ فقط أن أهداف وسياسة إسرائيل الواضحة تشير إلى "دولة يشارك فيها المواطنون اليهود والفلسطينيون".

أية طريقة يطالب بها الفلسطينيون لإعادة النظر فى طبيعة الدولة؟ هم يعتقدون فى ضرورة تحقيق المساواة وهو الشئ الذى يشكل إشكالية وحتى أمراً مستحيلاً فى إسرائيل كدولة يهودية - صهيونية. من جانب آخر، يرى حوالى النصف (٤٨,٢٪) أنه " ليس من حق إسرائيل أن تتواجد كدولة يهودية - صهيونية".

( جدول ٥ - ٩ ) « عينة عربية فقط »  
يجب أن تكون إسرائيل ( نسبة مئوية )

٢,٦	دولة الشعب اليهودي فقط
٢٧,٢	دولة الشعب اليهودي ومواطنيها العرب في إسرائيل
٦٦,٥	دولة مواطنيها العرب واليهود
١١,٩	دولة مواطنيها العرب في إسرائيل واليهود والشعب الفلسطيني في أي مكان
١,٨	أخرى

### خاتمة :

يمكن القول إن الجدل الذي أثاره اتجاه ما بعد الصهيونية إلى جانب قوة دلالة مقولاته بالنسبة للمجتمع الإسرائيلي صار ذا أثر حاسم بشدة على كل مقومات الهوية الإسرائيلية وموضعها في المنطقة، فالافتراض بأن المجتمع اليهودي الإسرائيلي يؤدي إلى تطور تدريجي لهوية وتقاليده ما بعد صهيونية صار يتمتع بأثر بارز بالنسبة لجدوى اندماج إسرائيل في الشرق الأوسط والوطن العربي وكذلك ما يتعلق بالاحتمالات المستقبلية لتسوية الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني. كما أن الافتراضات الكامنة أو غير المعلنة التي طرحها هذا الجدل ما بعد الصهيونية تتمتع بأهمية بالغة الخطورة بالنسبة للقضايا الإسرائيلية الداخلية مثل الاقتصاد والسياسة وعلاقة الدولة بالمجتمع، وقد ارتبط هذا الجدل بصفة خاصة بعلاقات القوة السائدة بين المجموعات المكونة للسكان اليهود وكذلك علاقة هذه الكتلة، إذا ما أخذت كمجموع متعدد الأجزاء، بالفلسطينيين في إسرائيل.



ويمكن أن نتوقع أن تصحب العصر ما بعد الصهيوني تغييرات بعيدة المدى في اتجاه الأغلبية اليهودية والدولة ناحية الأقلية الفلسطينية في إسرائيل، بما يمكن أن يجعلهم أكثر تسامحاً وأن يشجعوا سياسات قائمة على المساواة في العلاقة مع المواطنين الفلسطينيين. في هذا الإطار يمكن أن يحدث تغيير ملموس في وضعية ومكانة الفلسطينيين في المجتمع الإسرائيلي من زاوية اهتمام الدولة بآليات للمساواة وحتى اتخاذ خطوات فعلية في مواجهة الأقلية الفلسطينية. إن هذا يعنى في ذاته ولدى الأغلبية اليهودية الإقرار بحدوث ظلم تاريخي بحق الفلسطينيين ومن ظلوا يعيشون داخل حدود الدولة بعد حرب ١٩٤٨، وهكذا يمكن إعادة الأراضي المصادرة بشكل تعسفي إلى مواطنيها الفلسطينيين وإلغاء حالة التمييز ضدهم وإحلال سياسة قائمة على المساواة. هذا فضلاً عن تشكيل هوية إسرائيلية موحدة أو قائمة على التوحيد وحلول نظام ليبرالي ديمقراطي أو نظام يعترف بالمجموعات الاجتماعية، محل النظام الحالي القائم على الحكم العرقي<sup>(١٦)</sup>.

من جانب آخر، يمكن أن نتوقع أن يصبح الفلسطينيون في إسرائيل أكثر إحساساً بالحرية كمواطنين في دولة إسرائيل من حيث إمكانية الاندماج في تفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بطريقة طبيعية وليس بوضعية الأزمة كما يحدث حالياً<sup>(١٧)</sup>، وسوف ينتج عن تبلور هوية إسرائيلية مشتركة تطورات بالغة الأثر في مقومات الهوية لدى الفلسطينيين في إسرائيل وفي معنى هذه المقومات.

لقد أوضحت المعطيات التي تم تحليلها في هذه الدراسة وبشكل جلي أن اليهود يجسدون اتجاهات صهيونية متمركزة حول العرق ويرفضون أية إمكانية لتعديل طبيعة الدولة، وليس من شك أن احتمال حدوث تعديلات في هذه الاتجاهات نحو الفلسطينيين في إسرائيل ليس مطروحاً. فلا توجد مؤشرات على الأرض تدل على أن اليهود سوف يرغبون في تعديل اتجاهاتهم في أي وقت من المستقبل القريب. ومن ناحية أخرى يظل الفلسطينيون في إسرائيل يتخذون مواقف مناهضة للصهيونية ترفض طبيعة وأهداف إسرائيل التي تجسدها اليوم السياسة الرسمية على الرغم من قبولهم مواطنتهم الإسرائيلية.

فعلى النقيض من التوقعات المنبثقة من جدل ما بعد الصهيونية، لا يبدو أن هذه الاتجاهات اليهودية الصهيونية تنذر بقبول وتنامى هوية مشتركة، بل بالعكس بروز مواجهات شرسة وحتى عنيفة بين الأغلبية اليهودية والأقلية الفلسطينية التي لم تقبل عندئذ التمييز الممارس ضدها، وسوف تطمح إلى المساواة في الدولة فيما تتواجد أساليب معينة للنضال ضد طبيعتها اليهودية الصهيونية ومظهرها الذي يتضح في التمييز.

## هوامش الفصل الرابع

(١) قام الباحثون وكتاب السير العرب والفلسطينيون بتوثيق وطرح معظم المعطيات التي توصل إليها "المؤرخون الجدد" منذ زمن بعيد.

(٢) As'ad Ghanem (1998) 'State and Minority in Israel: The Case of Ethnic State and the Predicament of Its Minority', in Ethnic and Racial Studies, vol. 21, no. 3, pp. 428-48; Nadim Rouhana and A. Ghanem (1998) 'The Crisis of Minorities in Ethnic State: The Case of the Palestinian Citizens in Israel', in IJMES, vol. 30, pp. 321-46.

(٣) يعبر عن هذا المنهج أساساً "حركة أبناء القرية" والتي برزت وسط المواطنين العرب في إسرائيل، وهي جماعة ماركسية تدعو إلى إقامة دولة فلسطينية ديمقراطية علمانية على كامل التراب الفلسطيني إبان الانتداب البريطاني، وظلت هذه الحركة لعدة سنوات ترفض التعاون مع اليهود الصهاينة على فرضية أن كل الصهاينة مارسوا سرقة الأراضي العربية والتمييز ضد العرب ومصادرة ممتلكاتهم في سبيل تدعيم الطابع اليهودي - الصهيوني للدولة

(٤) Khalil Nakhleh (1978) 'Israel's Zionist Left and "The Day of the Land",' in Journal of Palestine Studies, vol. 7, no. 2, pp. 88-100; Khalil Nakhleh (1982) The Two Calilees, Arab World Issues Occasional Papers, no. 7, September.

(٥) Sammy Smoocha (1992) Arabs and Jews in Israel Vol. 2, Boulder, Colo., and London, Westview.

(٦) Nakhleh (1978) 'Israel's Zionist Left'.

(٧) Ian Lustick (1980) Arabs in the Jewish State: Israel's Control of a National Minority, Austin, University of Texas Press.

(٨) Sammy Smoocha (1989) 'A Typology of Jewish Orientations toward the Arab Minority in Israel', in Asian and African Studies, vol. 13, nos. 2-3, November, pp. 155-82.

(٩) Hanna Herzog (1990) 'The Right to be Included: Israeli Jewish-Arab Relations', Discussion Paper no. 3, Tel Aviv University, p. 90.

(١٠) تم استخدام وسائل وأدوات عديدة لجلب يهود إلى فلسطين من أجل ترسيخ قيم صهيونية سائدة، وكان هناك تعاون عبر قنوات وطرق كثيرة تشمل الدعاية قبل وصول هؤلاء إلى البلاد ثم نظم التعليم الرسمية وغير الرسمية ووسائل الإعلام إلى جانب الترسيع اليومي المنتظم للقيم الصهيونية، وكذلك تفضيل اليهود. وكان الجيش بمثابة جهاز للتنشئة المتعمدة، وهناك أيضا الفصل بين اليهود وسكان البلاد الأصليين في مواقع العمل والمناطق السكنية وما إلى ذلك.

(١١) Smoocha (1989) "A Typology"; (1992) Arabs and Jews; Herzog (1990) "The Right to be Included."

(١٢) حصلنا على المعلومات من استطلاعات الرأي العام حول العينات الممثلة لليهود والعرب الفلسطينيين في إسرائيل ممن بلغوا سن الثامنة عشرة فما فوق، وأجرينا المقابلات مباشرة عبر صحيفة إسرائيليان مصممة خصيصا لهذه الدراسة :

العام	عينة يهودية	عينة عربية
١٩٨٠	١٢٦٧	١١٤٠
١٩٨٥	١٢٠٥	١٢٠٣
١٩٨٨	١٢٠٩	١٢٠٠
١٩٩٥	١٢٠٠	١٢٠٢

قام الدكتور "سامي سموحة" بتحديد العينات في الأعوام ١٩٨٠، ١٩٨٥، ١٩٨٨، أما عينة استطلاع عام ١٩٩٥ فقد اختارها كل من الدكتور "سموحة" والدكتور أسعد غانم بقسم العلوم السياسية بجامعة حيفا، وأتوجه بالشكر هنا للدكتور سموحة على سماحه لي بالاستعانة بالمعلومات التي جمعها.

(١٣) See Rouhana and Ghanem (1998) 'The Crisis of Minorities'.

(١٤) For more details on these issues see ibid. and Nadim Rouhana (1997) Identities in Conflict: Arab Citizens in an Ethnic Jewish State, New Haven, Yale University Press.

(١٥) تم تجميع الأرقام الإحصائية المقدمة في الفقرة التالية من إسرائيليان قمت به كجزء من أطروحتي للدكتوراه بجامعة حيفا حول "المشاركة السياسية لعرب إسرائيل" تحت إشراف الدكتور "جابريل بن دور" الأستاذ بقسم العلوم السياسية والدكتور ماجد الحاج الأستاذ بقسم الاجتماع. وكانت العينة ممثلة للبلد ككل وتكونت من ٧٦٨ فرداً اختيروا بشكل عشوائي باستخدام أسلوب "كيش" the Kish method وكانت نسبة الخطأ ٢-٤٪.

(١٦) حول إمكانات تطور النظام الإسرائيلي، انظر :

Sara Ozacky-Lazar, As'ad Ghanem and Ilan Pappé (1999) 'Theoretical Options for the Future of the Arabs in Israel', Givaat Haviva, The Institute for Peace Research; As'ad Ghanem, Nadim Rouhana and Oren Yiftachel (1998) 'Questioning "Ethnic Democracy",' in Israel Studies, vol. 3, no. 2; Rouhana (1997) Identities in Conflict.

(١٧) See Rouhana and Ghanem (1998) 'The Crisis of Minorities'.



## الفصل الخامس

### من المنفى القسرى إلى المنفى الطوعى ما بعد الصهيونية وانحراف يهود الخارج عن الخط الصهيونى(\*)

#### إفرايم نيمنى

عاش يهود الخارج على مدى ٣٥ عاماً تحت السيطرة الصارمة للرواية التاريخية التى قدمتها الصهيونية، تلك الرواية التى تعيد التأكيد على استمرارية المكانة المركزية لدولة إسرائيل بالنسبة لحياة يهود الخارج أو الدياسبورا كما تصر سياسياً على جعل مصالح وأمن التجمعات اليهودية تابعة لنظيراتها المتعلقة بدولة إسرائيل، فإذا أخذنا فى الاعتبار القبول الواسع بهذه الرواية<sup>(١)</sup> لن نفاجأ بأن الجدل ما بعد الصهيونى فى إسرائيل ولّد رد فعل بالغ الأثر فى أوساط قطاعات عريضة من التجمعات اليهودية المنظمة خارج إسرائيل. وإذا كان المشروع ما بعد الصهيونى يهدف إلى تعزيز مكانة المواطنين غير اليهود فى إسرائيل وإضعاف مكانة اليهود غير الإسرائيليين<sup>(٢)</sup>، فإن التيار الرئيسى من اليهود "المنظمين" خارج إسرائيل سوف يرى فى دعوة ما بعد الصهيونية تهديداً شديداً للرواية التاريخية المسيطرة التى مكنتهم من التعبير عن هويتهم الجمعية<sup>(٣)</sup>. فعلى مدى جيلين على الأقل ظلت الغالبية العظمى من يهود الخارج تقبل الرؤى التى تروجها إسرائيل أساساً والخاصة بالخطاب الصهيونى والذى يعتبر

(\*) أود أن أتوجه بالشكر إلى "جافين كيتشينج" Kitching و "سول نيومان" على ملاحظاتهم المفيدة والبناءة .

دولة إسرائيل لاعباً رئيسياً في حياة اليهود وبالتالي يعتبر يهود الخارج بمثابة أدوات أو مساعدين في تحقيق الأهداف الصهيونية ومصالح إسرائيل الاستراتيجية. مثل هذه التجمعات والأفراد اليهود الذين قبلوا منطق هذا الخطاب المسيطر يشعرون بالإحباط الآن أو أن هوياتهم اليهودية حلت محلها مطالب بجعل دولة إسرائيل دولة كل مواطنيها. ولكنني سوف أحاول أن أثبت هنا أن مثل هذا الإحباط أو خيبة الأمل لدى الدياسبورا اليهودية سوف يكون لها أثر إيجابي على أخلاقيات وهوية ونمط حياة التجمعات اليهودية في الخارج. فبدلاً من تخصيص الطاقات والموارد الكبيرة لدعم الحكومة الإسرائيلية منذ بداية صراعها مع الشعب الفلسطيني إلى ما شاء الله وحيث لا توجد علاقة بين هذا الصراع الممتد وبين ظروفهم الحالية... بدلاً من ذلك سوف تركز التجمعات اليهودية في الخارج على بناء مؤسسات راسخة خاصة بها، وسوف تسهم بشكل جاد في ترسيخ التعددية الثقافية، التي تعتبر جواز مرور أو الأمر الذي لا غنى عنه لبقاء واستمرار الدياسبورا اليهودية. ومن الخطأ الاعتقاد بأن هذا التغير في الأولويات لم يحدث من قبل، إذ يقر أحد النقاد المعاصرين البارزين لاتجاه ما بعد الصهيونية ولكن بتردد بأنه من الصعب الآن تذكر أن فكرة إقامة دولة قومية يهودية كانت تحظى بمعارضة غالبية المثقفين اليهود والقادة المدنيين في الخارج لأن مثل هذه الفكرة من وجهة نظر هؤلاء المروجين للصهيونية، تهدد استمرارية ورفاهية الدياسبورا اليهودية<sup>(٤)</sup>.

ومن شأن التراجع الحادث في الرواية الصهيونية المسيطرة أن يكون له أثر بالغ على هويات اليهود العلمانيين المعاصرين في الخارج<sup>(٥)</sup>، فلو كانت دولة إسرائيل أجلت أو أزال قانون العودة من حساباتها السياسية ولو كانت لم تدخل يهود الدياسبورا ضمن رموز الدولة، لكان ذلك قد صدم الكثير من يهود الخارج العلمانيين الذين ما يزالوا يعتقدون أنهم لعبوا دوراً محورياً في بقاء دولة إسرائيل<sup>(٦)</sup>. يستلزم ذلك أن تعيد التجمعات اليهودية في الخارج التفكير في وضعية دولة إسرائيل وإعادة النظر فيما يتعلق بهوياتهم سالفة الذكر التي تتعرض الآن للتراجع. ومع ذلك فإن هذا التراجع، ومن دون تقويض نسيج الثقافة اليهودية الخارجية، سوف يؤدي على العكس إلى تدعيم وترسيخ هوياتهم المتميزة عن هوية إسرائيل، ذلك أن التماثل المبالغ فيه إلى جانب

التبعية أو السير وراء السياسة الواقعية لدولة إسرائيل أدى إلى إضعاف حيوية واستقلالية حياة يهود الدياسبورا. ورغم ما فعلته الصهيونية السياسية من تقديم تنازلات عملية تجاه مطالب يهود الدياسبورا<sup>(٧)</sup> والتي جاءت أساساً بفعل ضغوط اليهود المنظمين فى الولايات المتحدة، فما زال هدف الصهيونية السياسية يصب فى التقليل من شأن يهود الخارج والدعوة إلى "تجميع المنفيين" وتعنى بالعبرية "كيبوتز جاليوت" Kibbutz Galuot (الزعم بأن اليهود فى الخارج ما زالوا يعيشون فى المنفى). إن فهم ديناميات هذه العلاقة المعقدة والمتناقضة يفرض ضرورة تقييم أثر الصهيونية السياسية على هوية اليهود فى الديمقراطيات الليبرالية الغربية.

### الصهيونية ويهود الخارج :

ينطوى مصطلح الصهيونية على معان متعددة مختلفة وأحياناً مضطربة، ويجب تحليلها باختصار، فالصهيونية تشير إلى مشروعات ثقافية وسياسية متعددة ومنفصلة حول الانعتاق اليهودى القومى، ومن المهم ملاحظة وجود مشروعات ثقافية قومية للانعتاق اليهودى معادية للصهيونية بصراحة<sup>(٨)</sup> ولا تبدو هذه المشروعات المتباينة مختلفة فقط بل تتعارض مع بعضها البعض. مثال ذلك الفيلسوف اليهودى البارز فى القرن العشرين "مارتن بوبر" والذى زعم أنه صهيونى، فهو يرى ما يلى :

"نحن نعتبر برنامجنا يمثل دولة ثنائية القومية، ومن ثم نستهدف إقامة بنية اجتماعية لشعبين يعيشان معاً، ولا يمكن أن تكون أسس مثل هذه البنية نابعة من الأسس التقليدية للأغلبية والأقلية، بل لابد أن تكون مختلفة، لكننا لا نقصد بالضبط أية دولة ثنائية القومية بل هى حالة خاصة ذات ظروف خاصة، مثال ذلك دولة ثنائية القومية يوضع ضمن مبادئها الرئيسية ما ورد فى وثيقة "الماجنا كارتا" كشرط لا غنى عنه لإنقاذ الشعب اليهودى، هذا ما نطالب به وليس "دولة يهودية". فأية دولة قومية تحاط بالعداوة سوف تعاني نوعاً من الانتحار القومى"<sup>(٩)</sup>.

وقد عبّر الفيلسوف اليهودي صاحب النزعة الإنسانية ومؤسس الجامعة العبرية بالقدس "إيهودا ماجنس" Magnes عن المعنى نفسه عندما دافع عن رؤيته للصهيونية في عام ١٩٤٦ قائلا :

"نحن لا نعارض التقسيم للأسباب التي تعطى عادة ولكن أيضاً لأن التقسيم يعنى ترسيخ الشوفينية على الجانبين، فحينما ترسم تلك الحدود وحينما تحدد هذه الحواجز ولديك مدارس يهودية على أحد الجانبين ومدارس عربية على الجانب الآخر ماذا تتخيل عما يتم تدريسه فيهما. حسنا إننى أُلح اتجاهاً نحو الكراهية من قبل اليهود للعرب وكراهية العرب لليهود"<sup>(١٠)</sup>.

وفى حين يبدو ما سبق أمراً شاذاً ومتهوراً وعفا عليه الزمن، فإن كل ما تم آنذاك لإنقاذ الآلاف وأكثرهم من اليهود تخلله إنزال الألم والتدمير والمعاناة للفلسطينيين (دون الإشارة بالطبع لما هو مستمر حتى الآن). وقد كانت مثل هذه المقولات كانت موجودة قبل قيام الدولة الإسرائيلية حينما كان السكان اليهود زمن الانتداب على فلسطين يمثلون أقلية. والواقع أن من يروجون هذه الأفكار كانوا مجموعة صغيرة من المثقفين الليبراليين المعزولين، ورغم ذلك فقد كانت لهم رؤيتهم المهمة وإنجازاتهم الأكاديمية المعروفة وإن كانت لم تسهم كثيراً بدور بارز فى الفكر الصهيونى. وبعبارة ما يرى "هازونى" Hazony بتفسيره التأمري<sup>(١١)</sup>، فقد كان لهؤلاء المفكرين الليبراليين نفوذ، تعرض للتجاهل، على التطور المستقبلى للحركة الصهيونية. وقد قدم الباحث "آشر جينزبرج"، والذي كان يكتب تحت اسم مستعار هو "آحاد هاعام"، حجة أكثر تأثيراً وذاعت على نطاق واسع فقد عارض مطلب الهجرة الواسعة لليهود إلى فلسطين وشكك فى النهج الصهيونى حول خلق مركز يهودى "روحى" فى فلسطين. وقد استثمر الكلمات أو التعبيرات البلاغية المستعارة من الخطاب الأوروبى المعادى للسامية والذي كان شائعاً آنذاك فى تنفيذ منطق سياسات الاستيطان التى اتبعتها القيادة الصهيونية فى فلسطين كما يحض زعمها بأن الأرض كانت خالية من السكان<sup>(١٢)</sup>.

وفى حين تعرضت مثل هذه الآراء وغيرها من تلك التى انتشرت - ولكن على نطاق ضيق داخل الحركة الصهيونية نفسها - والتى شككت فى هدف إنشاء دولة



قومية يهودية فى فلسطين (وفى أماكن أخرى فى بعض الحالات)، للهزيمة وصارت فى طى النسيان مع انتصار أفكار ومشروع الصهيونية السياسية، فقد سادت مقولة مؤداها أن هدف الصهيونية من إقامة دولة قومية يهودية هو تجميع يهود العالم أو الدياسبورا اليهودية. ويعزو بعض مؤرخى الحركة الصهيونية (وبعض كتاب ما بعد الصهيونية المعاصرين) هذا النجاح إلى قيادة حاييم وايزمان ودافيد بن جوريون. غير أن هناك ضرورة للنفاذ خلف الأنشطة وليدة اللحظة لهذه الشخصيات القيادية حتى نفهم أنه كان هناك عاملان متداخلان وراء هذا النجاح :

أولاً : أن نموذج الدولة القومية كان يأسر، ويتفرد، خيال معظم الحركات القومية فى تلك الفترة، وأن الصهيونية لم تكن استثناء من ذلك، ففى ظل عالم كان يعامل اللاجئين والأقليات الثقافية المقهورة بوحشية، شكل هدف إقامة دولة قومية منفصلة إغراء شديداً وإغواء ساحراً لتلك الأقليات المقهورة التى ترغب فى حماية تراثها القومى أو العرقى، أو من لديهم صوت مسموع فى الساحة الدولية. والواقع أن الصهيونية مثلها فى ذلك مثل حركات الأقلية الأخرى الساعية إلى الانعتاق عبر إنشاء دولة عرقية سقطت فى مثل هذا الفخ والذى عادة ما ينتهى إلى شكل من التطور غير أخلاقى وشاذ مفاده تحول ضحايا الاضطهاد العرقى أنفسهم والذين يسعون إلى الانعتاق إلى قابعين وحشيين<sup>(١٣)</sup>.

ثانياً : أن كلمة الصهيونية شأنها شأن حركات قومية عديدة، كانت فارغة المضمون<sup>(١٤)</sup>، ففى ضوء وجود معان متعددة أفضت حتماً إلى صراعات داخلية من أجل السيطرة، صار الهدف هو حصر وتثبيت معنى الصهيونية. فقد أصبحت "الصهيونية السياسية"، أى فكرة أن الهدف الأعلى للحركة الصهيونية هو تكوين دولة قومية فى فلسطين لتجميع الدياسبورا، قوة مهيمنة غير منازعة، وصارت الصهيونية السياسية ذاتها هى الحركة<sup>(١٥)</sup>، حتى لم يعد التمييز بين "الصهيونية" و"الصهيونية السياسية" ذا معنى محدد. لقد تم طمس أى معنى آخر وما كان غير متعلق بالصهيونية السياسية صار شيئاً ذليلاً فى الخطاب الصهيونى أو صار نوعاً من التحليق التاريخى الخالى من أية قيمة سياسية معاصرة. وبناء عليه وفى الفترة التى صاغت فيها

الصهيونية معظم دعاواها الصاخبة ووجهتها إلى الدياسبورا اليهودية، ترسخت كحركة تستهدف بناء وتدعيم دولة قومية يهودية في فلسطين وتفرغ الدياسبورا عبر هجرة واسعة لفلسطين.

وهكذا لم يكن نجاح الصهيونية السياسية راجعاً فقط إلى جاذبيتها المسيطرة، بل وأيضاً لظروف ميلادها، فقد نشأت الصهيونية أولاً في شرق أوروبا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر حينما كانت الفكرة القومية في ذروتها وحينما تهددت فكرة العقلانية المستنيرة بأفكار رابطة الدم والانتماء. لقد جسدت الصهيونية حالة خيبة الأمل من مثاليات الليبرالية المستنيرة، وسعت أساساً إلى استقطاب المثقفين اليهود والذي شعروا بخيانة أوروبا التي بدا أنها تخلت عن أفكار المساواة بغض النظر عن العرق أو الدين. ومع ذلك وحتى لو كانت مثاليات المساواة والإخاء قد تعرضت للتشكيك في تلك الفترة، فإن أحد المقومات الهامة لفلسفة التنوير والمتعلق بيقينيّاتها الكونية أو زعمها بأن أفكارها قابلة للتطبيق على مستوى العالم، لم يخضع للمراجعة. لقد أغرمت الحركة الصهيونية الوليدة بالحقبة التي ساد فيها النزوع إلى الكونية أو العالمية لدى الفكر الغربي واستعارت حصيلة الخبرات المؤلة للأقليات آنذاك والتي كان لها هي الأخرى نزعات تميل إلى الكونية أو خلق شعور بوجود معاناة مشتركة بين الأقليات. والواقع أن الحداثة الأوروبية مهدت الطريق أمام عملية إخضاع حادة وغير مسبقة للأقليات، حيث نجم عن إضفاء الطابع القومي على الدولة ومد السلطة الإقليمية / الترابية للأمة حدوث الاضطهاد الحديث لليهود الأوروبيين وأقليات أخرى متناثرة في مناطق عديدة وكان مطلوباً منها بإلحاح أن تندمج في حدود سياسية وثقافية واحدة<sup>(١٦)</sup>. وصارت الأمة والدولة مرادفاً لشيء واحد، وطلب من مواطني الدولة توجيه الولاء للأمة الرسمية. وكان ينظر إلى التنوع الثقافي داخل حدود الدولة القومية بعين الشك في أفضل الأحوال وكشكل من الضروري إخضاعه للنظام القائم في أسوأ الأحوال. وقد عبر عن هذه الفكرة، في بداية الثورة الفرنسية، الكونت "كليرمون - تونير" Count Clermont-Tonnerre في حديثه أمام الجمعية الوطنية الفرنسية بقوله : "كل شيء لليهودي كفرد، أما اليهود كأمة فلا شيء لهم". وبعد مرور قرن، تمثل الرأي

السائد في هذه الفترة في القول المشهور "جون ستيوارت ميل" : "يستحيل وجود مؤسسات حرة في بلد يتكون من قوميات مختلفة"<sup>(١٧)</sup>. وكان اليهود الأوروبيون والفجر والأرمن في روما من بين أكثر التجمعات العرقية تناثرًا في مناطق عديدة ومن هنا لم يكونوا مؤهلين لتشكيل دول قومية. وقد كتب "أدلبرت فون شاسيمو" Adelbert von Chassimo رواية كافكاوية باللغة الأثر عن رجل فقد ظله<sup>(١٨)</sup>، بمعنى الرجل الذي لا ينتمي لأمة معينة ويتحدى المعطيات التي استقرت بالفعل بل ويدعو إلى الاستغراق في الماضي أو استعادة الماضي<sup>(١٩)</sup>. وكان "ليون بنسكر"، وهو واحد من الرواد الأوائل للفكر الصهيوني الحديث، قد خطا خطوة متقدمة في مجال نشر دعوى تمسك الأقليات وخصوصا اليهودية منها بثقافتها وتراثها، برفعها إلى وضعية الحالة المرضية الممتدة أو ما سماه "الحمى أو الفوبيا اليهودية" "Judeophobia" كمرض مستعص ومتواصل لا علاج له<sup>(٢٠)</sup>. في هذا الإطار الذي حدث فيه الاضطهاد الحديث لليهود الأوروبيين كنتيجة لإضفاء الطابع القومى على الدولة الأوروبية وما صاحبه من كراهية الاختلاف، تم تضخيم الأمر عن طريق المقولات الأيديولوجية التأسيسية للصهيونية إلى حد اصطناع حالة لا تاريخية متعالية.

### الصهيونية وهوية الدياسبورا اليهودية

تم صك مصطلح "الصهيونية" لأول مرة في عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر على يد "ناثان برنباوم" في ألمانيا، أمّا مُصطلح "معاداة السامية" فقد نحت في نفس الفترة تقريباً، ولكنه لم يرتبط بالمصطلح السابق<sup>(٢١)</sup>.

ومع بداية القرن الحادى والعشرين يبدو واضحاً أن المعاناة الشديدة والمأساوية لليهود الأوروبيين في الفترة بين عامى ١٨٨٥ - ١٩٤٥ لم تنتج عن الهوس الهستيرى الذى لا شفاء له باليهودية في المجتمعات الأوروبية ولكنه نتاج لتيارات واسعة لم تكن لتفعل شيئاً لليهود واليهودية بصفة خاصة، فواقع الأمر أن نموذج الدولة القومية الأوروبية لم يكن مستعداً للاعتراف بالتنوع العرقى، وحيث كان اليهود النموذج

الواضح لأقلية أوروبية تفتقد إلى بولة ما جعلهم يعانون من الآثار الوخيمة لهذه المشكلة. بيد أن خبرة الفترة بين عامي ١٩٤٦ و ٢٠٠٠ تفصح عن صورة مختلفة على الرغم من أن العنصرية وكراهية الأجانب استمرت في إحداث الاضطراب للديمقراطيات الأوروبية والأمريكية الشمالية وحيث لم يعد اليهود هدفها الرئيسى. والواقع أن يهود أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية فضلوا الاندماج اليهودى فى هذه المجتمعات بمعدلات غير مسبقة إلى حد أن دفع هذا الموقف صهاينة معاصرين للتأكيد على أن استمرار هذا الاتجاه سوف يؤدى إلى إضعاف استمرارية الوجود اليهودى ذاته وقد سبق أن عبر عن ذلك "تيودور هرتزل" الأب المؤسس للصهيونية السياسية عندما أكد أن غياب معاداة السامية هي أمر اشد إيلاماً على استمرارية القضية اليهودية من معاداة السامية ذاتها.

وعندما تكف معاداة السامية عن أن تمثل خطراً تصبح مسألة الاندماج هي الخطر الرئيسى على الصهاينة، ففي حالة عدم وجود معاداة للسامية بشكل واضح يبحث الصهاينة عنها ولو بعدسة مكبرة ذلك أنه من نون معاداة السامية تفقد الصهيونية السياسية أساس وجودها. لكن ذلك لا يعنى القول أن فقدان هوية يهودية لا يشكل مشكلة صعبة ومؤلة لدى معظم يهود الديمقراطيات الليبرالية، فالاندماج وفقدان الهوية اليهودية يعد مصدراً لقلق وفزع حادين لكثير من يهود الخارج بغض النظر عن الاتجاه الذى يسلكونه بخصوص علاقاتهم بالصهيونية، ومن هنا تحتاج القضية لمزيد من الفهم وإثارة الجدل حولها. وقد تم التعبير عن هذا الفزع فى إطار الحسابات الباردة أو الجافة للإحصائيين وعلماء الديموغرافيا والسكان، حيث يعتقد عالم السكان اليهودى البارز المقيم بالقدس "سيرجيو ديللا برجولا" Sergio Della Bergola ، أن حوالى ٣٨٪ من كل يهود العالم يعيشون فى إسرائيل مع بداية القرن الحادى والعشرين وأن معدل النمو لدى السكان اليهود يبلغ ٢٪ سنوياً فى إسرائيل. وعلى العكس من ذلك يرى أن الأعداد المطلقة ليهود الدياسبورا تتناقص سنوياً بمعدل ٣, ٠٪ أساساً بسبب الاندماج فى مجتمعاتهم. ومن هنا يخلص "ديلا برجولا" إلى أنه فى أقل من ثلاثين عاماً، وإذا ما بقيت الاتجاهات الحالية على ما هى عليه، سوف يشكل يهود إسرائيل



أغلبية يهود العالم بدون استقبال تدفقات كبيرة من المهاجرين اليهود. بل إن "ديلا برجولا" يزعم أن الأعداد المطلقة لليهود سوف تبدأ سريعاً في التناقص بفعل الاندماج في الديمقراطيات الليبرالية الغربية، في حين يمكن لمصادر الهجرة اليهودية إلى إسرائيل أن تزيد أو تنقص مع بداية القرن الحادي والعشرين<sup>(٢٢)</sup>. ومنذ زوال الاتحاد السوفيتي وهجرة أعداد هائلة من اليهود منه لا تزال الغالبية العظمى من يهود الدياسبورا تعيش في عدد قليل من الديمقراطيات الليبرالية الغربية (الولايات المتحدة، فرنسا، بريطانيا، كندا، ألمانيا، الأرجنتين، أستراليا)، فبعد الهجرة المكثفة إلى إسرائيل والغرب صار عدد اليهود في فرنسا، كما يرى ديلا برجولا، أكبر من عددهم في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق وأن أوكرانيا تشهد أعلى معدلات الاندماج اليهودي المعاصر فيها<sup>(٢٣)</sup>.

ولا يرى يهود الدياسبورا العلمانيون أي سبب معقول للهجرة إلى إسرائيل لرغبتهم في حماية تراثهم لمصلحة أجيال المستقبل، بل لا يعتبرون أن الاستمرارية اليهودية لابد أن تجسد حالة من الاختلاف أو التمايز، بالضرورة، وسط مجتمعاتهم. ومع ذلك يتميز المأزق اليهودي في الديمقراطيات الليبرالية بالتعقيد، فمن جانب تبدو التجمعات اليهودية في منتهى السعادة بحرياتها وحقوقها الفردية، وهو أمر لم يكن من الممكن تخيله في الماضي البعيد، بيد أن هذه الحريات والحقوق تؤدي، من جانب آخر، إلى تقويض هذه التجمعات عبر اندماجها الطوعي في المجتمع والثقافة السائدين. إن الموقف الليبرالي من الأقليات هو الذي عقد المشكلة لأن الديمقراطيات الليبرالية المعاصرة لم تساعد أولم تشجع الاستمرارية الثقافية للهوية الجمعية للأقليات القومية والعرقية، وبحسب رأي "تشارلز تايلور" فإن هؤلاء "لا يتم استقبالهم أو الترحيب بهم على أساس الاختلاف"<sup>(٢٤)</sup>. والواقع أن الاندماج الطوعي في الديمقراطيات الليبرالية، يلطف من الامتيازات غير العادلة التي تتمتع بها الثقافة المهيمنة ومن هنا استطاعت الثقافات الخاصة بالدياسبورا اليهودية وبأقليات أخرى أن تتمتع بحماية الأمر الواقع في الدول متعددة القوميات<sup>(٢٥)</sup>، وهذا الأمر له دلالاته أيضاً بالنسبة للمواطنين الفلسطينيين في إسرائيل كما يرى المشروع ما بعد الصهيوني وهو ما سوف نناقشه فيما بعد.

قبل ظهور فكرة التعددية الثقافية كان هناك تشجيع للأفراد أعضاء الأقليات على الاندماج فى الثقافة المهيمنة تبعاً لنظرية بوتقة الصهر حتى يمكن لهم التمتع بمزايا ومسئوليات المساواة الكاملة، بيد أن هذه الرؤية تعرضت لتحذير من قبل المدافعين المعاصرين عن التعدد الثقافى، وإن لم يسفر سوى عن نتائج محدودة خصوصاً فيما يتعلق بـ"مجال الحقوق الجماعية للأقلية"<sup>(٢٦)</sup>.

لقد قدمت الصهيونية السياسية فى مواجهة المنطق الاستبدادى والقبائلى للدول القومية أو لعالم الدول القومية، حلاً مغرياً لمشكلة الدياسبورا اليهودية المتعلقة بالاندماج عبر نجاح مشروعها الاستعماري فى فلسطين إبان الانتداب ولاحقاً فى إسرائيل ألا وهو إضفاء الطابع القومى على اليهودية. وهذا ما يؤكد "يوسى بيلين" عندما أيد مقولة هرتزل بأن معاداة السامية توفر الحماية لليهودية كهوية. ومن لحظة قبول اليهود كمتساوين ورفض معاداة السامية فتح العالم الباب على مصراعيه لاستيعاب هؤلاء اليهود الذين لا يعيشون فى مجتمع يهودى مستقل بإقليم معين<sup>(٢٧)</sup>، وإذا كان تجميع اليهود جغرافياً فى إسرائيل قد طرح حلاً لمشكلة البقاء اليهودى فقد خلق على الأقل الدولة الإسرائيلية وما تلا ذلك من تحولها إلى مركز الحياة اليهودية عملياً. بيد أن الغالبية العظمى من يهود الدياسبورا فى الديمقراطيات الليبرالية رفضوا دعوة الهجرة إلى إسرائيل ومن رغب فى الهجرة لم يتم منعه، فالغالبية الكاسحة التى استقرت فى الدياسبورا "الليبرالية الديمقراطية" فعلت ذلك بمحض إرادتها. وهذا ما يفسر الفشل الذريع للصهيونية فى دعوتها إلى تجميع يهود الخارج، والواقع أن ما جعل الدولة اليهودية فى فلسطين تستمر هو ليس ذلك الجهد الخارق لحفنة قليلة من الساسة الصهاينة الغربيين الماهمين الساعين إلى إضفاء الطابع القومى على الديانة اليهودية وتأكيد البقاء الثقافى اليهودى، ولكنه العمل الذى لا يغتفر من قبل النظم العربية عندما دفعت اليهود العرب إلى الهجرة مع أنهم كانوا خارج المشكلة الأوروبية تماماً، والتى نوقشت فيما سبق. ولكن الخطر الحاد على البقاء المادى للجماهير اليهودية تمثل أساساً فى وسط وشرق أوروبا قبل وبعد الحرب العالمية الثانية، فحسبما يؤكد يوسى بيلين بصراحة أنه إذا ما كانت أبواب الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى فتحت

أمام اليهود المعرضين للاضطهاد طوال القرن العشرين، فإن الاستيطان الصهيوني في فلسطين لم يكن يستمر سوى لفترة محدودة<sup>(٢٨)</sup>. والأكثر من ذلك أن بيلين ذلك الوزير الإسرائيلي البارز السابق والقائد الصهيوني يرى أن الهولوكوست اليهودي منع دولاً كثيرة من معارضة إقامة دولة يهودية في فلسطين، بل إن بيلين يذهب إلى أنه من دون الهولوكوست اليهودي كان يمكن أن تقوم دولة عربية مع نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين، توجد بداخلها أقلية يهودية، ولكان معظم اليهود غادروا فلسطين إلى أوروبا أو الولايات المتحدة<sup>(٢٩)</sup>. ويلقى هذا الموقف أيضاً بظلاله المعاصرة على الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، فلو كان ما حدث من اضطهاد مروع في القرن العشرين لليهود الأوروبيين له أثار ملموسة على التوجهات الغربية نحو الصهيونية لكانت هناك صعوبة في الالتفات إلى المطالب الماحية للفلسطينيين بالعدالة، فالفلسطينيون لم يعانون وحدهم من المعاملة غير الإنسانية والظالمة بل تعرض اليهود بالمثل لهذه المعاملة بوصفهم "يهوداً" حيث قوبلت مطالبهم بالشك من قبل غرب مذنب.

فمن منظور يهود الدياسبورا وخصوصاً الذين يعيشون في الغرب، طرح الخطاب الصهيوني في العقدين الأولين منذ قيام دولة إسرائيل نموذجاً مراوفاً ومتناقضاً. فمن ناحية أظهرت التجمعات اليهودية المنظمة استياءً من الدعوة الصهيونية المذهبية إلى الهجرة اليهودية لإسرائيل. فقد كانت الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى هي موطنهم أي المكان الذي يرون فيه مستقبلهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وكذلك المكان الذي يرغبون فيه تحقيق الانطلاقة لقطع الجذور مع ذاكرة الماضي، وفي نفس الوقت يسعون لحماية وازدهار ثقافتهم اليهودية. وقد عاملتهم الديمقراطيات الليبرالية عموماً كأفراد متساوين وقد استفاد اليهود من وضعيتهم المتساوية واندمجوا في هذه المجتمعات تماماً وشارك معظمهم في الولاء للدول التي يعيشون فيها. وقد يتناقض هذا مع النبوءات القدريّة والمظلمة لدعاوى معاداة السامية والاضطهاد التي روجتها الأجهزة الأيديولوجية الصهيونية، والتي كانت تثير استياء يهود الدياسبورا من الصهيونية قبل عام ١٩٦٧. فقد نظر يهود الدياسبورا نظروا إلى إسرائيل في أفضل الأحوال على أنها واحد من المشروعات الخيرية التي يساعدها، وكما كان لليهود العالم الأقل حظاً

ولم يشاركوا فى الانتفاع سياسياً واقتصادياً مثل إخوانهم الغربيين الأكثر ثراءً وطرحت المسألة على النحو التالى هل تعطينى أموالاً ؟ نعم . هل سوف ترسل أطفالك أو تهاجر أنت؟ بالتأكيد لا!! . كان وضع إسرائيل مشابهاً لمن يطلبون حق اللجوء من كبار السن والفقراء - ذلك الذى يعتبر أمراً إنسانياً يستحق التقدير - ولكن بمنطق تقديم المساعدة إلى شىء مختلف لا يعامل سوى بتلك الأفعال الخيرية<sup>(٢٠)</sup>.

ومن جانب آخر شعر يهود الدياسبورا الغربيون المنظمون بالخوف من استمرار المشكلة اليهودية و يرجع الفضل إلى الفرص المتاحة للاندماج والمشاركة فى الديمقراطيات الليبرالية ما جعل اليهود يندمجون تماماً ويحصلون على فرص وامكانات لم تكن متخيلة عند الأجيال السابقة، ولذلك أدى هذا النجاح الماموس إلى دفعهم بعيداً عن اليهودية كهوية، فقد ارتضوا باندماجهم مع أن الليبرالية الديمقراطية لم تسمح بضمان إمكانية الاستمرارية اليهودية. إذ أزعجت الضغوط الداعية إلى الاندماج وكذلك المخاوف من فقدان التراث وأثارت قلق حتى من رضوا بالمشاركة والمواطنة الكاملة. ومن المؤكد أن المشكلة لم تكن تقتصر على اليهود وحدهم، فهى نتاج واضح لخلل رئيسى فى عملية تشكل الدولة القومية الليبرالية، تلك الدولة التى دافعت عن الديمقراطية والمساواة على أساس فردى كتعويض عن فقدان الهوية [أى هوية الأقليات]. لقد وضعت الليبرالية فى الدول القومية الأقليات فى مأزق حاد وقاس عندما سعت إلى قمع هوية وثقافة الأقلية بدون انتهاك حقوق الأفراد<sup>(٢١)</sup>. ولم تكن التعددية الثقافية خياراً مطروحاً بعد، بل وحتى اليوم، ورغم انبعاث سياسات الاختلاف لا تزال الديمقراطيات الليبرالية محجمة تماماً عن مطالب الأقلية حول الاعتراف المؤسسى بالتنوع الثقافى. ومع ذلك سوف نثبت فيما بعد أن سياسة الاختلاف فتحت السبيل أمام التجمعات اليهودية لتقليل تبعيتها للصهيونية ولصالح تجدد أو إنعاش الهوية اليهودية، والواقع أن الجدل الذى أثاره تيار ما بعد الصهيونية فى إسرائيل كان عاملاً مساعداً هاماً فى ذلك، فإذا كانت ما بعد الصهيونية ذات أثر إيجابى فى تقليل الاحتكار اليهودى لهوية الدولة الإسرائيلية ومن ثم تسهيل اندماج المواطنين الفلسطينيين، فسوف يكون لها أيضاً أثر إيجابى لا مجال للشك فيه على تجمعات اليهود فى الخارج عن طريق الحد



من الهويات المتمحورة حول إسرائيل وبناء هوية مستقلة متمحورة حول الدياسبورا بما يتمشى مع أساليب حياتهم وظروفهم الحالية. والواقع أن هناك شواهد سابقة على إمكانية ذلك فقد طورت المعاصرة مقوماتها وهى فى حالة الدياسبورا أو خارج إسرائيل، وأدى امتلاك اليهود لدولة إلى عرقلة تشكل شخصية متعددة الأوجه لليهودية ترتبط أساساً بوضعيتها كأقلية وبالإبداع فى ظروف متوترة محيطة بها، غير أن النتيجة غير المتوقعة وغير المقصودة للمشروع الصهيونى حول إضفاء الطابع القومى على اليهودية والبحث عن أرض تتجسد فيها، تمثلت فى إقامة أمة متميزة [أى إسرائيل].

وقد أصر الخطاب الصهيونى حتى بعد عام ١٩٤٨ على التأكيد على استمرارية اليهودية كهوية مستقلة، الأمر الذى جعل يهود الدياسبورا يحجمون عن قبول بعض المزايم الثقافية الصهيونية، إذ قام أطفالهم بزيارة إسرائيل لفترات طويلة على أمل العودة مع شريك حياة وبما يؤكد الاستمرارية اليهودية لجيل آخر. ومع ذلك ظل هؤلاء حذرين جداً من التصور الصهيونى الشمولى للأشياء وحافظوا على استقلالية التجمعات التى ينتمون إليها. غير أن الصهيونية تمكنت من هزيمة الحصن الأخير من مقاومة يهود الدياسبورا عندما استطاعت التلاعب بنجاح بالأحداث التى ترافقت مع حرب ١٩٦٧، حيث تم تصوير الأمر ليهود العالم، لعدة أسابيع، على أن مشهداً آخر لهولوكوست يهودية جديدة يوشك أن يحدث<sup>(٣٢)</sup>، وهذه المرة على يد العرب الذين يستهدفون تفريغ فلسطين من اليهود. لقد صيغت الذريعة بحيث تضرب على الوتر الحساس ليهود الدياسبورا وتمكنت الصهيونية بمهارة من استخدام الذكريات المؤلمة للقضاء على حائط الصد الأخير ليهود الدياسبورا فى مقاومة المشروع الصهيونى. وتمثل السلاح فى التلاعب بندوب الجروح التى كانت اختفت ولكنها ظلت مؤلمة جداً الناجمة عن الاضطهاد والتدمير؛ فمن خلال استدعاء ذكريات الهولوكوست، تم إعادة تمثيل المشهد بكفاءة وكأن شيئاً ما يحدث لإسرائيل فى عام ١٩٦٧ بحيث نجح الخطاب الصهيونى فى الربط بين إسرائيل المهددة بوقوع دياسبورا جديدة ومن ثم تحتاج للعون وبين ما يشعر به يهود الخارج من الفخر بحياتهم السعيدة والمستقلة. وكانت النتيجة هى إزالة صورة الهوية المنفصلة ليهود الخارج، من منطلق أن عند وجود خطر وقوع هولوكوست جديد فنحن جميعاً فى قارب واحد.

لقد ضربت الدعاية الصهيونية ضربتها على هيئة صور صنعتها فى غضون حرب الأيام الستة، ومازالت أذكر بوضوح مشاهد الدبابات الأكثر تطورا بحساب تلك الأيام وهى تتقدم فى وضع هجومى وترفع نجمة داود عاليا كرمز للشرف أو الفخار، كما أتذكر الحشود العسكرية المؤلفة المخيفة من قوات جيش الدفاع الإسرائيلى يصاحبها حاخام يهودى عجوز ذو لحية طويلة يعتمر قلنسوة الصلاة ويرتدى ملابس أداء الطقوس اليهودية ويسرع الخطى وهو يقرأ مزامير معينة من كتاب الصلاة.

لقد كان ذلك يجسد قمة التنافر فى هذه الصورة من حيث تجمع المتناقضات والتي أعطتها أكبر أثر ممكن بالرغم من ذلك. فبعد ٢٣ عاماً من الهولوكوست كانت الصور الوحيدة الشبيهة لما رآه يهود الخارج من فرق عسكرية مؤلفة جنبا إلى جنب حاخامات يهود بنجوم داود الصفراء هى صور قوات الدفاع الألمانية إبان النازية Wehrmacht . فقد بدا آنذاك أن القوة الماحقة للفرق المسلحة والتي تعد أعظم رمز للقدرة العسكرية وفنون الحرب الحديثة والتي ارتبطت فيما سبق بالعدو المخيف لليهود صارت محور القوة العسكرية لجيش اليهود. وتضمنت الرسالة الصهيونية السياسية صورة شديدة الوضوح مفادها "أننا صرنا الآن دولة قومية طبيعية"، ففى مواجهة عالم شرس من الأغيار سوف نصبح جميعاً أغياراً عبر امتلاك الأسلحة الهجومية لهؤلاء الأغيار، ولهذا السبب وحده سوف نبقى. ويردد الجناح اليميني الإرهابى المتطرف فى الحركة الصهيونية الشعار التالى: "لقد سقطت يهودا [الضفة الغربية] بالدم والنار، وبالدم والنار سوف تعود يهودا مشرقة"<sup>(٣٣)!!</sup>، ذلك أن الرسالة تم إعدادها بحرص لتمس الأوتار الحساسة لأبناء وبنات من تبقوا من الهولوكوست، وهو ما تم بالفعل. فالرؤية الصهيونية صنعت صورة اليهودى المتعلم والروحى الذى يفتقد إلى أية وسيلة للدفاع حتى توضح مثالب أساسية فى نمط حياة يهود الدياسبورا، كما كانت هدفا للصهيونية للتهكم على هؤلاء واستعادة الماضى، وحيث ظهر هذا اليهودى مرتديا درع اليهود الأغيار [أى من رفضوا الهجرة إلى فلسطين] ممسكا بأشد أنواع الأسلحة فتكاً والتي تمثل أحدث تكنولوجيا السلاح فى هذه الفترة. وكان الصهاينة يؤمنون بأن نجمة داود

لم تعد "تلك النجمة الصفراء التي تجلب العار" لهؤلاء الذين يؤمنون "مثل الأغنام إلى المجازر"، ولكنها - أى نجمة داود - صارت رمزاً عظيماً لأسلحة فتاكة لدى نخبة أكثر تنظيماً من القوات المسلحة. لقد أصبحت القوة الجبارة عبارة عن مركب من القيم اليهودية رمزاً لبعث الرؤية الصهيونية لليهودية والتي تتناقض مبدئياً مع القيم الروحية لحياة يهود الخارج، لقد جازمت الصهيونية السياسية بأن عصر الدولة القومية الذى لا يمكن فى ظله ضمان بقاء الأقليات تصير معه القوة الروحية والثقافية اليهودية حالة غير نافعة ويائسة. وبدلاً من ذلك، كان هناك إغراء مخالف لتلك القوة الروحية والثقافية... إنه إغراء القوة المادية والتسلح والتجهيز الصاخب والمجد العسكرى ونظم الأسلحة الفتاكة والذى بدّل بشكل درامى مدركات يهود الخارج بخصوص الاستمرارية اليهودية.

لقد تعمدت الصهيونية السياسية كشف ما زعمته عن ضعف قوة يهود الخارج، فقد وصلت مقولة الجيل اليهودى الذى خلف يهود الهولوكوست وعاش كأقلية وقاسى من الآثار السلبية للشعور بالعجز عن الدفاع عن النفس فى مواجهة القوة الماحقة والمتعسفة لفكرة الدولة القومية، إلى ذروة الزعم الصهيونى، وإذا كان ذلك كذلك، فإن دولة قومية يهودية قوية عسكرياً هى وحدها التى تستطيع الدفاع عن اليهود انطلاقاً من وضعيتها تلك. وقد تمثل الثمن ببساطة فى تحويل القيم الروحية والإنسانية الخاصة بيهود الدياسبورا فى مرحلة ما بعد الانعتاق [أى إقامة الدولة]، إلى النقيض تماماً. وكان ألبرت أينشتاين، الذى يعد واحداً من أذكى العقول اليهودية، قد تنبأ بذلك عام ١٩٣٨، عندما قال :

"إننى أقف بشدة مع إبرام اتفاق مع العرب على قاعدة العيش المشترك لا مع إقامة دولة يهودية... إن إدراكى للطبيعة الجوهرية لليهودية يجعلنى أقاوم فكرة دولة يهودية بحدود وجيش وأداة قوة مؤقتة، ولا مجال للتراجع فى ذلك، إننى أخشى الخسارة الماحقة التى سوف تحل باليهودية وخصوصاً من تطور الروح القومية الضيقة داخل صفوفها"<sup>(٢٤)</sup>.

وبينما تكتسب كلمات أينشتاين دلالتها التنبؤية اليوم، فإنها تبدو غير كافية لإثبات وجود "طبيعة جوهرية" لليهودية، حتى لو كان صاحب هذه الكلمات على اقتناع شخصي بها. ولذلك أعتقد أن المسألة لا تكمن فيما إذا كان المؤمنون بالصهيونية قد قاموا بتشويه بعض القيم الإنسانية "الجوهرية" أو "الأصيلة" ليهود الدياسبورا، إذ إن معظم المجموعات العرقية والدينية أو الثقافية لا يمكن أن تدعى امتلاك قيم جوهرية وثابتة وتتميز بالتعدد المركب داخلها، وهذا ينطبق على الشعب اليهودي أيضاً. وبنفس المعنى لا توجد جماعة عرقية تزعم أنها تحتكر وحدها المعاناة، كما لا توجد جماعة عرقية تدعى أنها تمتلك وحدها القيم الإنسانية. وتتركز الحجة هنا في أن ما تلا الانعتاق اليهودي في أوروبا وبفعل استيعاب الثقافة اليهودية الجديدة المعتقد للمبادئ الرئيسية لفلسفة التنوير ومع الأخذ في الاعتبار الموقف غير الآمن للأقليات التي لا ترتبط بأرض معينة في عالم الدول القومية، كان عبارة عن بزوغ نمط جديد من ثقافة يهودية "مُهجنة"، تستند أساساً إلى قوة القيم الكونية حول الحرية والكرامة لضمان بقائها (انظر ما سيأتي فيما بعد). وقد بزغت جذور الصهيونية السياسية من التباعد عن هذه القيم أو عدم التوافق معها، ولكن ذلك ليست له علاقة بهدف الصهيونية الخاص بالانقلاب على هذه القيم الخاصة بيهود الخارج. يتشابه مع ذلك ولنفس الأسباب القول بأنه من الخطأ الاعتقاد بأن اليهودية ما قبل الحديثة والأرثوذكسية – والتي تبنتها الدولة الإسرائيلية رسمياً – هي يهودية "أصيلة"، وهذا ما يوضحه بصراحة الكتاب المهم الأخير الذي ألفه إسرائيل شاحاك عن تأكيد الطبيعة العرقية والمعادية للديمقراطية لوجهات النظر اليهودية الأرثوذكسية والتي حظيت بدعم الدولة الإسرائيلية<sup>(٣٥)</sup>. غير أن شاحاك أضعف حجته عندما قبل المقدمات المتضمنة في المزاعم التي وجه النقد إليها. ويتضح ذلك بصفة خاصة في فهمه الوجودي لليهودية وفي رفضه الأخذ في الاعتبار أن المقدمات المراوغة حول الديمقراطية وحقوق الإنسان تدمر وتقوض الاتجاهات التي ينتقدها. مثل هذا النوع من التخريب لأسس الديمقراطية بشعارات ديمقراطية من شأنه تسهيل بروز أشكال بديلة من اليهودية تعارض الأفكار التي يدينها بحماس. وعلى سبيل المثال، هاجم أنصار التنوير اليهودي "الهاسكالا" Haskalah السلطة الحاكمة



بعنف وأدان بعضهم الأرثوذكسية باعتبارها خرافة جهلاً<sup>(٣٦)</sup>، ولم يكن هؤلاء بيهود أقل "أصالة" بسبب هذا الهجوم، ولكن شاحاك رفض أخذ هذا الخيار في الحسبان جعله يلعب لعبة أعدائه الذين أكلوا، ومعهم شاحاك للأسف، على التفسير غير المبرر والقائل بأن اليهودية الأرثوذكسية هي النسخة الأصيلة.

وأياً ما يكون تفسير اليهودية الذي أخذ به في إطار النجاح والتسامح النسبيين للديمقراطيات الليبرالية الغربية، فلم يكن السبب في القلق اليهودي هو البقاء المادي بل الاستمرارية، فقد قدمت الديمقراطيات الليبرالية الغربية فرصاً كبيرة للجيل الذي تلا الهولوكوست اليهودي خفت من خطر فقدان الهوية. وكانت الذكريات الأليمة عن الهولوكوست اليهودي قد غدت القلق المكتوم وصارت بمثابة كعب أخيل في دفاع الدياسبورا عن هويتها ومجدها. لقد أدرك الصهاينة هذا الأمر مؤخراً أبدوا استعداداً سريعاً للتخلي عن تحفظاتهم المريرة على غياب المقاومة من قبل غير الصهاينة إبان الهولوكوست<sup>(٣٧)</sup>، وركزوا بدلاً من ذلك على خلق شعور عام بوضعية الضحية والذي بدت في إطاره منجزات الدولة الإسرائيلية أفضل ضمان ضد احتمال حدوث إبادة جماعية يهودية مستقبلاً. وكانت محاكمة "أولف إيخمان" علامة على بداية هذه الحملة<sup>(٣٨)</sup>، كما أدى تصوير تمرد "الجتو" اليهودي في وارسو بمظهر بطولي إلى طمس أدوار الأبطال غير الصهاينة، مثال ذلك "مارك إدمان" Marek Edelman النائب غير الصهيوني من حزب البولند وقائد منظمة المقاومة اليهودية الذي قاد المقاتلين المتبقين إلى شاطئ النجاة عبر أنفاق المجارى في بولندا، فقد تم شطب اسمه من التاريخ بسبب بقاءه في بولندا وتأييده لحقوق الفلسطينيين. ففي أثناء الاحتفال بالذكرى الخمسين لتمرد "جتو" وارسو اعتذر رئيس الوزراء الأسبق إسحاق رابين عن تلبية دعوة الرئيس البولندي آنذاك "ليخ فاونسا" عن المشاركة في افتتاح نصب تذكاري لـ "إدمان"<sup>(٣٩)</sup>. وكان الشعار المرفوع هو "لن يحدث ذلك ثانية"، وهو جزء من مقولة "لن يحدث ذلك ثانية لأن إسرائيل لن تسمح به"، لكن ذلك لم يمنع الحكومات الإسرائيلية اليمينية من غض نظرها عن اضطهاد وقتل يهود عندما كان ذلك يتماشى مع سياستها الواقعية، مثال ذلك أن إسرائيل كانت تستطيع إنقاذ يهود كثيرين من التعذيب والموت على يدى النظام

الدكتاتورى العسكرى فى الأرجنتين بقيادة الجنرال "فيديلا" (وحيث كانت الأرجنتين إحدى أكثر الدول المتهمه بمعاداة السامية)، على العكس دخلت الحكومة الإسرائيلية فى صفقات سلاح ضخمة بمئات ملايين الدولارات مع هذه الدكتاتورية العسكرية التى كانت إسرائيل "تحتفظ بعلاقة خاصة معها" على حد قول الوزير السابق يوسى ساريد<sup>(٤٠)</sup>. ومن هنا يمكن الحديث عن تعزيز اتجاه أيديولوجى جديد بعد حرب ١٩٦٧ يطلق عليه "نورمان فينكلشتين" "صناعة الهولوكوست" والذي استخدم للالتفاف على النقد الموجه ضد توحش إسرائيل فى مواجهة الفلسطينيين ولتخطيط آخر حصون مقاومة يهود الدياسبورا للصهيونية. إذ يرى "فنكلشتين" أن رواج هذه الصناعة أدى إلى استخدام القوة العسكرية المفرطة مع سجل مروع لحقوق الإنسان لتبرير إنقاذ الدولة "الضحية" ومن أجل تعبئة تأييد يهود الدياسبورا فى الولايات المتحدة والذين يعتبرون إحدى أقوى المجموعات العرقية نجاحاً فى هذا البلد<sup>(٤١)</sup>.

وقد تحولت الصهيونية السياسية بعد احتلال إسرائيل ما تبقى من فلسطين فى حرب ١٩٦٧ وهزيمة حائط المقاومة الأخير لدى يهود الدياسبورا ضد الصهيونية، إلى المشروع السياسى غير المنازع ليهود الخارج المنظمين، وهكذا شكل الخوف على الاستمرارية اليهودية فى الديمقراطيات الليبرالية الغربية والفرع من حدوث هولوكوست يهودى جديد العنصرين الأكثر بروزاً للانتصار الصهيونى. لقد أدى دعم إسرائيل، بصفة خاصة، إلى تغيير وضعها كمشروع خيرى إلى صفقة شبيهة بسياسة للتأمين أو الضمان. وكانت إمكانية حدوث هولوكوست جديد تعنى بالنسبة ليهود الدياسبورا فى الديمقراطيات الليبرالية خطراً من مستوى أدنى. لكن تأثير الممارسات المتواصلة لـ "صناعة الهولوكوست" قد ضاعف من وزن هذا الخطر. وفى ظل المساعدة التى قدمتها المجموعة غير المنظمة والتى كانت تنكر وقوع الهولوكوست اليهودى إلى جانب آخرين تحركهم العنصرية، أدت "صناعة الهولوكوست" إلى نبش جراح الذكريات المؤلمة بما لا يجعل الجرح يندمل مع مرور الوقت<sup>(٤٢)</sup>.

أدت المخاوف غير المبررة من حدوث تدمير واسع لتجمعات يهود الدياسبورا بكثير ممن يعيشون فى الديمقراطيات الليبرالية إلى الاعتقاد بأن ازدهار إسرائيل القوية يعد

مصلحة خاصة بهم. ومن جانب آخر أدى تقليل المشروع ما بعد الصهيونى من شأن يهود الخارج فى المخيال الإسرائيلى إلى أن يراه يهود الخارج بمثابة شركة التأمين التى لم تعد تهتم بسياساتها. والمطلوب الآن مزيد من النقاش الأكثر توازناً لقدرات ومنجزات يهود الخارج ولإعادة السامية المعاصرة.

لقد دفع يهود الخارج أو يهود الدياسبورا وخصوصاً فى الولايات المتحدة إلى الاعتقاد لعدة عقود بأن مساهماتهم حاسمة لرفاهية إسرائيل، ولكن بزغ جيل شاب من القادة يعتقد أن هذه المساهمات غير ذات دلالة فى الواقع. وقد ساعد عنوان الكتاب الذى أصدره يوسى بيلين بالعبرية على إبراز هذه القضية من خلال صورتين مجازيتين خلقهما : الأولى هى صورة العمدة من مدينة "لونغ ايلاند" الأمريكية التى ترسل شحنات الطعام والمابس لأقاربها فى إسرائيل كل شهر، ولكن ذلك لم يعد مطلوباً بعد حرب ١٩٦٧ (عندما دخل فلسطينيو الضفة الغربية وغزة سوق العمل الإسرائيلية ما زاد من ثراء الدولة)، ومن هنا رفضت العمدة إرسال الشحنات واحتفظت بها لنفسها. وتتمثل الصورة المجازية الثانية فى جد بيلين نفسه، ذلك القائد الصهيونى الذى مات قبل ميلاد بيلين وأخبره أبواه أن جده كان قد رحل إلى الولايات المتحدة، وهنا أصبح بيلين الصغير المحبط لوفاة القائد الصهيونى فى أمريكا رمزا لخيبة الأمل الصهيونية الإسرائيلية من طول انتظار عودة اليهود من "أمريكا" والذين لم يأتوا أبداً<sup>(٤٣)</sup>.

لقد صار بيلين القائد الصهيونى المتحمس ينظر إلى التباعد بين يهود الدياسبورا واليهود الإسرائيليين على أنه يشكل خطراً جسيماً. كما أن بيلين، العاجز عن فهم عوامل عودة بروز مسألة وضعية يهود الدياسبورا والذى أعتمته الرؤية الصهيونية قصيرة النظر، يعتبر أن يهود الخارج معرضون للانقراض إذا انفصلوا عن إسرائيل، ومن هنا أخذ يطور خطة غير معقولة لمنع ذلك من حدوث.

على أن هذا الانفصال بين يهود الخارج واليهود الإسرائيليين يصب فى صالح كل منهما، ذلك أن يهود الخارج سوف يكشفون قيمة الاستقلال والتعدد المؤسسى الذى كان العامة المميزة للتجمعات اليهودية عقب الانعتاق، والأكثر أهمية من هذا أنهم سوف

يكونون أحراراً فى التركيز على القضايا التى تهمهم على وجه الخصوص مثل الاستمرارية اليهودية وتدعيم مؤسسات الدياسبورا، وبالمعنى نفسه، يستطيع الإسرائيليون بناء مجتمع مدنى خال من التعصب والمركزية العرقية ما يبشر بإمكانية تحقق اندماج فلسطينى. بيد أن معظم كتاب اتجاه ما بعد الصهيونية يركزون فقط على الإشكالية الإسرائيلية الخاصة من دون ملاحظة أن هذا الاتجاه يمكن أن يقدم شيئاً ما مهما لليهود الدياسبورا.

ومن منظور خاص بيهود الدياسبورا، فإن اتجاهاً جديداً لما بعد الصهيونية إلى جانب هوية مميزة لليهود الدياسبورا سوف يمكن هؤلاء من إبعاد أنفسهم عن الصراع الإسرائيلى - الفلسطينى، فالخصائص المميزة لهذا الصراع تجعله غريباً عن مسألة وجود هؤلاء فى الخارج، فهم لا يستطيعون تسوية هذا الصراع لأنهم لم يتسببوا فيه وقد وجدوا أنفسهم منجذبين بازدياد إليه. ما هو أهم من ذلك أن يهود الدياسبورا يستطيعون تجديد التزامهم الصارم بالمبادئ الإنسانية للهاسكalah أو التنوير اليهودى الذى يشير إلى تبنى بعض مثقفى وفلاسفة يهود أوروبا الغربية لفلسفة التنوير الأوروبية، ويمكنهم فى ذلك الاستفادة من التقدم الذى حققته دعوة التعدد الثقافى فى الآونة الحديثة. ففى مثل هذه الظروف يستطيع يهود الخارج التعاون بثقة مع أقليات عرقية وقومية أخرى فى سبيل إصلاح بعيد المدى للدولة القومية، إصلاح من شأنه ترسيخ التعدد الثقافى وتوليد حقوق جماعية لهؤلاء اليهود أنفسهم وللأقليات العرقية والثقافية الأخرى.

### الانعتاق اليهودى وتحولات الدياسبورا

فى إطار الظروف الحالية لليهود الدياسبورا، ينبغى توافر بديل ما بعد صهيونى ذى صدقية قادر على إثارة القضايا المسببة للقلق لدى يهود الدياسبورا العلمانيين فى الديمقراطيات الليبرالية مثل قضية الاستمرارية اليهودية ومعاداة السامية التى تشدد عليها الصهيونية السياسية إلى حد الغواية وإن لم تقدم إجابات كافية بشأنها.



وقد ظلت هذه القضايا حاضرة في الغرب منذ انعتاق اليهود وجاءت بعد انتصار فلسفة التنوير ومثاليات الثورة الفرنسية ولأغراض نقاشنا يجب تقديم تحليل موجز لهذه التطورات.

لقد نبعت جذور العلمانية اليهودية الغربية من الهاسكalah أو الاسم العبري للتنوير، وحيث أطلق أنصاره على أنفسهم اسم "التنويريون" (بالعبرية "ماسكيل" Maskil or Maskilim)، وقد حاولت حركة التنوير في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر التوفيق بين الثقافة والديانة اليهودية ومبادئ فلسفة التنوير الأوروبية، كما تمكنت من إحداث تحول حقيقي في معنى "الدياسبورا اليهودية". وظلت حركة التنوير مؤثرة في الغرب حتى عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر تلك الفترة التي شهدت بزوغ الصهيونية. وقد تولى "موسى مندلسون" قيادة حركة التنوير اليهودي في ألمانيا وكانت تستهدف طرح تفسير لليهودية عبر خطاب تحديثي عقلائي كما عارضت الميول الانعزالية وغير العقلانية والأسطورية لدى اليهودية الأرثوذكسية<sup>(٤٤)</sup>. ومن المثير للانتباه أن "مندلسون" كان يهودياً أرثوذكسياً ولكن ذلك لم يمنعه من التصدي لجمود اليهودية الأرثوذكسية، وكان يستهدف صناعة المزج بين القضايا الثقافية اليهودية والأسلوب العقلائي الأوروبي الحديث في بناء الحجة. إذ كان يدعو إلى تجديد منطق التوراة ورفض الجمود الأعمى كما يظهر في التلمود، وقد استخدم التنويريون اليهود العبرية التوراتية كلفة يهودية لمعارضة تحريم الحاخامات الأرثوذكس لاستعمال اللغة المقدسة لأغراض علمانية. وحاول هؤلاء تمييز أنفسهم عما اعتبروه حالة "التخلف" التي تعيش فيها الجماهير اليهودية في شرق أوروبا والذين كانوا يتكلمون باللغة اليديشية، حيث اعتبر الجتو بوسطه الثقافي العجري تجسيدا للبداية والخرافة والجهل، والذي ينبغي تكريس المبادئ الأخلاقية التحديثية الثقافية والأكثر تحضراً والتي يتبعها الهاسكalah الحديث. لقد دفعت فلسفة التنوير باليهود التنويريين لأن يعتقدوا أنهم يقودون موجة التقدم اليهودي ويشيدون نموذجاً متطوراً يضع الهاسكalah على قمته. وقد تخطى التنويريون اليهود عن ممارسة العادات والطقوس اليهودية التي تتعارض مع مبادئ الحداثة، وتمت مساواة النساء بالرجال في طقوس العبادة بعد الإصلاح الذي أدخل

عليها كما تم تبسيط أو تكييف الصلوات مع مبادئ الفلسفة التنويرية. وصار الاحتفال بعيد الفصح اليهودي تعبيراً عن الاحتفاء بالحرية بمنزعتها الكونية وصار كشف رؤوس الرجال لدى ممارسة الطقوس دليلاً على الاندماج في المجتمع الحديث من جهة وتحدياً لليهودية الأرثوذكسية من جهة أخرى. وقد بزغت الحركة الإصلاحية انطلاقاً من ذلك كحركة ما تزال تعارض الأرثوذكسية بشدة، وعلى سبيل المثال صارت الطقوس الإصلاحية والمحافظة بمثابة المصدر الرئيسى للتناقض بين الدياسبورا اليهودية، التي تعتبر غير أرثوذكسية تماماً، والسلطات الدينية (الأرثوذكسية) الرسمية في إسرائيل. هذا فضلاً عن أن التنوير اليهودي أدى إلى نهضة ثقافية يهودية فعلية من حيث إعطائها قوة دفع كبيرة باتجاه ميلاد توجه علماني جديد في الفلسفة اليهودية ونشأة أشكال متنوعة من فنون التعبير والأدب اليهودي المؤثر والمنبثق أساساً من موضوعات الحداثة، كما أرسيت الحركة حجر الأساس لهوية اليهود الغربيين العلمانيين عبر إضفاء الطابع الديمقراطي على الكيان اليهودي وتدعيم الثقافة اليهودية المهجنة الجديدة التي كانت آخر منجزات تراث التنوير.

ويعدُّ إحداث تغيير فعلى في معنى الدياسبورا اليهودية أحد أقوى التغيرات التي تمت على يد مبادئ التنوير اليهودي، وكلمة "دياسبورا" ذات أصل يوناني<sup>(٤٥)</sup> وتعني تناثر أقليات من السلالة نفسها أو الإثنية على حدود سياسية متعددة<sup>(٤٦)</sup>. لكن معنى الكلمة في اللغة العبرية يختلف عما سبق، حيث يستخدم في الكتابات أو التعاليم الدينية اليهودية وشروحاتها للإشارة إلى المنفى (جالوت) أو المنافي (golah)<sup>(٤٧)</sup>. وتتضمن الكلمة معنى دينياً معقداً كما تعرضت لتعليقات وتأويلات عديدة، وعموماً هي تعبر عن حالة من نزع من وطنه وعاش تحت حكم أجنبي فهي تركز بقوة على الاغتراب سواء من حيث الدلالة التاريخية للعيش كأجانب غريباء أو من حيث الدلالة السوسيولوجية/المجتمعية للشعور بالغربة عن المجتمع المحيط. وتذهب النبوءة اليهودية إلى أن الدياسبورا (الشعور بالمنفى أو جالوت) هي عقاب على خطايا الشعب اليهودي وأنه سوف يعود زمراً مع مرور الأيام (بالعبرية "أشريت هياميم" achrit hayamim).

ومن الملفت للنظر أن الحركة الصهيونية، ورغم جذورها العلمانية، تبنت هذا المصطلح للتدليل على انعدام الأصالة في حياة اليهود في الدياسبورا أو الشتات والتأكيد على صدقية هدفها الأعلى في تجميع المنافي /الدياسبورا (كيبوتز جاليوت Kibbutz Galiliot). غير أن التنوير اليهودي أو الهايسكالاة اتخذ موقفاً مغايراً حيث ابتعد عن المعنى التقليدي للمنفي القسري المزعوم في سبيل دفاعه عن اعتناق واندماج اليهود في المجتمعات التي يقيمون فيها، فأولاً سعى هذا الاتجاه التنويري إلى رفض أو تفنيد فكرة الأرض المقدسة كموضوع للخلاص<sup>(٤٨)</sup>، وتم إقناع اليهود المعتنقين باعتبار الأراضي التي يعيشون فيها بمثابة أوطانهم السياسية بما يقضى على أى شعور بالاغتراب. وثانياً وفي إطار الدول القومية التي يعيشون فيها ويوجهون ولاهم لها بدرجات متفاوتة من النجاح، لم يعد المنفى موجوداً بمعنى جالوت أى المنفى القسري وإنما المنفى الطوعي أو الشتات T'futsoth والذي يعد الأقرب للمعنى الأصلي لمصطلح "الدياسبورا"<sup>(٤٩)</sup>. وفي العبرية الإسرائيلية تستخدم الإشارات الصهيونية للدياسبورا مصطلح المنافي (جولاه Golah) بصفة عامة، فيما حظى مصطلح المنفى الاختياري T'futsoth بالاهتمام في الفترة الأخيرة فقط<sup>(٥٠)</sup>. ففي التحول من المنفى القسري إلى المنفى الاختياري كان يمكن لليهود المعتنقين أن يكتشفوا سبل الاندماج مع الدولة القومية أو محل الإقامة وفي الوقت نفسه المطالبة بالاعتراف بخصوصيتهم وبأسلوب حياتهم.

وفي إطار تطور الهوية اليهودية المهجنة ورفض الشعور بالاغتراب حسب المعنى ما قبل الحديث للشتات "الدياسبورا"، مهدت الهايسكالاة، بالتوازي مع ذلك، طريق دمج اليهود في مجتمعات حديثة كأفراد وكتجمعات، وقد تم الاندماج الفردي بدرجات متفاوتة من النجاح بحسب البلد والظروف، لكن الاندماج الجماعي لليهود كمجموعة متميزة واجه معوقات شديدة في الدول القومية.

## يهود الخارج فيما بعد الهاسكalah وإسرائيل ما بعد الصهيونية :

كان شعار "أنت يهودى فى الوطن وفرد خارجه" من أبرز شعارات حركة الهاسكalah أو التنوير اليهودى، لكن الشعار يعانى من خلل جسيم فى حجيته، إذ ينفصل عنصرا المعادلة فقط من خلال تطبيق نوجمائي للفكرة الكونية الشمولية والتي كانت مستحيلة التحقق فى ظروف الدولة القومية فى القرنين التاسع عشر والعشرين، فقد كان التعبير الدقيق لمفهوم "حقوق الفرد" يؤكد أساسا على مقولات الثقافة (القومية) المسيطرة للدولة، ولم تكن كلمة "الفرد" تدل على تجريد كلى ولكن على كائن ثقافى محدد داخل خطوط الإثنية الرسمية للدولة. وقد عبر "جوزيف ديمايستر" De Maistre - المفكر المحافظ والناقد الحاد لفلسفة التنوير - عن تلك المقولة بسلسلة عندما قال : "طوال حياتى رأيت فرنسيين وإيطاليين وروسين وغيرهم، والفضل يعود لمونتسكيو الذى جعلنى أعرف أن شخصا ما يمكن أن يكون فارسيا، ولكن يجب أن أقول، فيما يتعلق بهذا الشخص، إننى لم ألتق به فى أى مكان، وإذا كان موجودا، فهو غير مألوف تماما لى"<sup>(٥١)</sup>. وكانت فلسفة التنوير صاغت مفاهيم مجردة وبكلمات دقيقة حول المساواة على أساس كونى، ولكنها، وفى ظل ظروف الدول القومية الأوروبية الغربية التى تحولت للديمقراطية، كانت تعنى بالقطع المساواة بمنطق الثقافة المسيطرة أو ثقافة الأغلبية. وفى إطار دعوتها إلى فضاء قومى بثقافة ذات جانب واحد كشرط للمساواة، صار مطلب التوحيد والمساواة مرادفين لبعضهما البعض، وفى حين لم تنل قضية الهوية العرقية والقومية للأفراد سوى اهتمام ضئيل من جانب الحكام فى المجتمعات الأوروبية ما قبل الحديثة، فقد مورست ضغوط قاسية على الأقليات للتخلى عن ثقافتها الخاصة كآمن للانعتاق والحقوق المدنية فى ظل سيادة دعوة المساواة الحديثة ضيقة الأفق والتى أضفيت عليها النزعة الكونية فى إطار الدولة القومية الأوروبية. وكان هناك بديل معاصر للتعددية غير المتكافئة والقائمة على امتيازات الأغلبية التى دافع عنها "ديمايستر"، وقد تمثل فى دعوة "كليرمونت - تونير" إلى مساواة شاملة وإجبارية. وكان يوجد بالطبع طريق للانفصال وتشكيل دولة قومية جديدة، وقد سلك كثيرون هذا الطريق والذى ترك أقليات متبعثرة فى موقف صعب، وفى ظل أوروبا الدول القومية والتى كانت



غير حساسة وبقسوة تجاه التنوع داخلها، قدمت الصهيونية لليهود مخرجا مغريا من العضلة وإن كان مجافيا للمنطق أساساً.

‘ وكان موقف "مندلسون" يستند بإصرار على التقاليد الليبرالية، حيث رأى أن الدولة كأداة لا سيطرة لها على المعتقدات والآراء ومن ثم ليس من حقها أن تطلب إدخال تغييرات على اليهودية كمقابل للانعتاق والحقوق المدنية<sup>(٥٢)</sup>، وقد وضع هذا الموقف "مندلسون" والتنويريين فى معضلة مستحيلة. ذلك أن أوروبا، التى سيطرت الصور والأفكار التى جاء بها كل من "شاسيمو" و "كليمونت - تونير" و "بستيوارت ميل" و "بنسكر"، فرضت الاختيار بين الاندماج أو التهميش ولم يكن هناك ضمان لأى منهما بسبب العواصف المتكررة من معاداة السامية. وكانت هذه العواصف العامل المسهل لأية حالة تحاول تقويض الوضع الليبرالى القائم، وتعد قضية الضابط الفرنسى "دريفوس"، التى أثرت كثيرا فى تفكير هرتزل، المثال الشارح لتلك الحالة. ولذلك، وكما توقع الصهاينة، اندمج كثير من التنويريين اليهود فى المجتمعات الغربية وهجروا اليهودية فيما صار آخرون - وكانوا أقلية ضئيلة - صهاينة. عند هذه النقطة فهم الصهاينة بدقة منطق الدولة القومية ذات الثقافة واحدة الجانب.

لكن ذلك لا واقع أن الصهيونية ومنذ بدايتها تبنت موقفاً غامضاً من التنوير اليهودى/الهاسكalah، فقد أعجبت بالعلمنة وإحياء اللغة العبرية الذى اعتبر مقوما مهما لعملية إضفاء الطابع القومى على اليهودية، لكنها قللت من شأن التنويريين اليهود والذين نظرت إليهم كمن يتسم بالسذاجة والنزعة الكونية وهزيمة الذات. إذ انتقدت الصهيونية السياسية حركة التنوير أو الهاسكalah لأنها تنطوى على تناقض ومن ثم فهى مهمة مستحيلة، فمن ناحية سعت إلى انعتاق اليهود بما يعنى الاعتراف بهم كأفراد يهود يتمتعون بحقوق وواجبات أعطيت لكل فرد على مستوى كونى بفضل مبادئ فلسفة التنوير، ومن ناحية أخرى أقرت باستحالة حدوث مثل هذا الانعتاق بدون التخلي عن المشتركات الجماعية لليهود ومن أهمها الشعور بوجود جماعة متميزة ثقافة أقلية تنشد الاعتراف والحماية. وطبقا للتشخيص الصهيونى، انتهى التنويرى اليهودى عندما اندمج فى ثقافة الأغلبية ولكن ذلك الاندماج كان مستحيلا بسبب انبعاث معاداة

السامية وأن هذا الاندماج هو الذى استفزها. ومن منظور الصهيونية كانت الهاسكalah تتلهم على الاندماج وهذا ما يمكن اختباره فقط عبر الوباء الأوروبى المتمثل فى معاداة السامية. ولم يكن كان البديل المغرى الذى طرحته الصهيونية السياسية، والداعى إلى التركيز فى أرض معينة من أجل اعتناق جماعى بحيث يوجد شعب "طبيعى"، ممكناً إلا مع إقامة دولة قومية يهودية يتمتع فيها اليهود بوضعية الأغلبية العرقية. ولكن هذا الحل الصهيونى يعبر فعلاً عن الزيف المعاصر بعينه.

ولم تكن الدولة القومية الأوروبية معدة جيداً للاعتراف بالتنوع الثقافى عندما كانت الهاسكalah فى أوج قوتها فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والواقع أن العضلات الشديدة التى أدانتها الصهيونية السياسية كانت الحقيقة الوحيدة الماثلة بوضوح ليس فقط أمام اليهود ولكن أيضاً أمام الأقليات الأخرى المقتدة لإقليم خاص بها. لكن مثل هذه القيود أو المصاعب المأموسة لم تمنع تجمعات يهودية عديدة من الازدهار فى أوروبا الغربية وفى ألمانيا حتى مرحلة الهولوكوست. وبعد الحرب العالمية الثانية لم تتعرض التجمعات اليهودية الكبيرة فى العالم سواء فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا أو التجمعات الأصغر الأخرى فى الأمريكتين وأستراليا لمواجهة معاداة السامية بعكس ما تنبأ به الصهاينة، إذ ازدادت معدلات الاندماج وإن كان يهود غالبية هذه الأقطار من بين أكثر الأقليات العرقية نجاحاً من حيث الاندماج. فقد نظر اليهود إلى الدياسبورا باعتبارها وطنهم ورفضوا بإصرار المعادلة الصهيونية بين جالوت والدياسبورا وجاء هذا الرفض من قبل أكثر التجمعات اليهودية تنظيماً فى الليبراليات الديمقراطية<sup>(٥٢)</sup>.

ومن جانب آخر وبقدر ما انتقدت الصهيونية الهاسكalah بحسبانها حفرة من حفريات نموذج الدولة القومية فى القرن التاسع عشر، فقد نظر الكثير من اليهود المندمجين إلى معاداة السامية كحفرة أو من مخلفات الماضى ما جعل الصهيونية عاجزة عن وقف النظرة إلى إسرائيل كنزلة عرقية حيث كان من السهل حجة الصهيونية كان من السهل تقويضها عبر ما حدث من تحولات شهدتها الدولة القومية الأوروبية الغربية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، فقد صار الاتحاد الأوروبى مثلاً واقعياً لإطار سياسى متعدد الثقافات ومتعدد اللغات بحيث لم يعد مكان

لفكرة الدول القائمة على العرقية، فإذا كانت فكرة الدولة القائمة على إثنية واحدة اعتبرت رجعية وخارجة عن التاريخ فإن المنطق نفسه يمتد مباشرة إلى الدولة اليهودية، وهذا ما يعطى تبريراً قوياً لاتجاه ما بعد الصهيونية الذى يرى بأن إسرائيل يجب أن تكون دولة كل مواطنيها وتطرح التطورات الحديثة حول التعددية الثقافية كنقد للدولة القومية واحدية الثقافة بديلاً ونموذجاً أكثر حيوية للنبوءة الصهيونية المتشائمة حول الاغتراب اليهودى ولاستمرار معاداة السامية، ومن جانب ثالث فإن مقولة دولة قومية عرقية صهيونية تعبر عن هزيمة الذات من حيث أن التاريخ الطويل للصراع الإسرائيلى - الفلسطينى يثبت استحالة صناعة عزلة جراحية للتجمعات فى المناطق التى تعرضت للتطهير العرقى وفى حالة حدوث ذلك فإن المجتمع الدولى يعتبرها نوعاً من جريمة حرب تستحق العقاب فقد شهدت السنوات الأخيرة كشف المستور أو فتح الأبواب على مصراعيها أمام محاكم جرائم الحرب فى يوغسلافيا السابقة بتداعياتها الأساسية بالنسبة لإسرائيل.

ومن جانب رابع، بدت المطالب أو الدعوات الصهيونية حول التركيز الجغرافى أو التجمع فى منطقة معينة غير ذات جدوى وغير مقبولة من قبل اليهود الأوروبيين فى أوروبا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. فحينما أجبر اليهود الأوروبيون على الهجرة باستثناء أقلية صغيرة من المثاليين المخلصين، كانوا يفضلون إذا ما أتيحت الفرصة التوجه إلى الولايات المتحدة أو الديمقراطيات الليبرالية الغربية الأخرى بدلاً من مواجهة المخاطر الحادثة فى فلسطين تحت الانتداب، وفضلوا ذلك حتى على حساب المزايا التى قدمتها دولة إسرائيل. وينطبق نفس الأمر على يهود جنوب أفريقيا الذين تركوها. وفيما يتعلق باليهود السوفييت إبان الحرب الباردة، رفع الصهاينة وغير الصهاينة شعاراً واحداً ماثوراً وهو "دعوا شعبنا يذهب"، بيد أن الشعار الفرعى للصهاينة كان "دعوا شعبنا يذهب إلى إسرائيل فقط". وكان قانون القوميات السوفيتى غير الاعتيادى يمنح اليهود، حتى وإن عانوا من معاداة السامية وقيود أخرى وضعية القومية فى الاتحاد السوفيتى وهى ميزة لم تكن تقدمها الديمقراطيات الليبرالية نفسها. إذ كان يسمح لبعض اليهود والألمان، مع تباين الأرقام بحسب الظروف الدولية، بالهجرة فى

إطار ما كان يطلق عليه السوفييت مشروع لم شمل العائلة، إلى أوطانهم "إسرائيل وألمانيا على التوالي". ولكن وبعد إذلال شديد ومعاملة مهينة تعرض اليهود المسموح لهم بالمغادرة إلى مصادرة ممتلكاتهم ونزع الجنسية السوفيتية عنهم وتم إعطاؤهم تأشيرة خروج إلى إسرائيل. ونظرا لعدم وجود علاقات مباشرة بين الاتحاد السوفيتي وإسرائيل، كان يتم تجميع اليهود في فيينا في طريقهم إلى إسرائيل. بيد أن الغالبية العظمى منهم كانت تعبر أثناء وجودها في فيينا عبرت عن الرغبة في السفر إلى الولايات المتحدة بدلاً من إسرائيل حيث استقافوا من ميزة القوانين التي طبقت إبان عهد ريجان والتي كانت تقبل تلقائياً اللاجئين الهاربين من "الستار الحديدي" (توجد قوانين مماثلة تطبق الآن بالنسبة لكوبا). لقد فوجئ مسئولو المنظمة الصهيونية العالمية ومبعوثو إسرائيل بهذا الموقف كما اتخذت الصحافة الإسرائيلية موقفاً ضيق الأفق وينم عن الاحتقار لهؤلاء اللاجئين اليهود وأطلقت عليهم "المنسحبين" وتعنى بالعبرية Moshirm<sup>(٥٤)</sup>. وقامت إسرائيل بجهود عديدة لترحيل هؤلاء اليهود مباشرة إلى إسرائيل حيث أعطى لهم الجنسية الإسرائيلية بمجرد وصولهم ما يعنى أنهم لم يعودوا لاجئين من غير دولة ومن ثم لم يعودوا مؤهلين لطلب اللجوء إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت هناك أيضاً كراهية صهيونية رسمية شديدة للجنة اليهودية الأمريكية للتوزيع المشترك والتي أنشئت لمساعدة اليهود المهاجرين الموجودين في فيينا على السفر من فيينا إلى الولايات المتحدة بيد أن إسقاط الاتحاد السوفيتي جعل الولايات المتحدة تتخلى عن المعاملة التفضيلية للاجئين وتم وضع قيود على فرص هجرة يهود الاتحاد السوفيتي السابق إليها، وهذا ما أدى على سفرهم إلى إسرائيل منذ ذلك الوقت.

تطرح التطورات الحديثة في النظرية والممارسة الخاصة بالتعدد الثقافي للصهيونية السياسية الأمر الذي سمح بتقدير أكثر مرونة لقضية الانعتاق اليهودي الفردي والجماعي كما طرحتها الهاسكالا. والواقع أنه حتى قبل بزوغ فكرة التعدد الثقافي كان يوجد اعتراف جزئي وموسمى بالأقليات من قبل الدولة القومية الديمقراطية الليبرالية، من حين لآخر لكن هذه القضية قفزت إلى المقدمة مع الاهتمام الحالي الذي



أظهرته سياسة الاعتراف ومع مطالب منح الحقوق الجماعية للأقليات القومية والعرقية، ومن هنا يصبح موقف التنويريين اليهود الآن معقولاً ومتجانساً مع وجود دولة متعددة القوميات تمنح ضمانات مؤسسية للأقليات الاثنية والقومية، فقد صارت الدولة تعترف بالخصائص الفردية والجماعية للأقليات وتحميها بون الحاجة لإقامة دولة قومية لهذه الأقليات يشكلون فيها أغلبية. فإذا كان نموذج التنوير اليهودي تعرض لتقويض قاس عن طريق صرامة نموذج "الدولة القومية الأوروبية" فإن مشروع ما بعد التنوير اليهودي "الهاسكalah" يستمد صدقيته أساساً في عصر الدول متعددة الثقافات ومتعددة القوميات، كما يتجانس مع أسلوب حياة ورغبات اليهود العلمانيين في الديمقراطيات الليبرالية المعاصرة. وسوف نتناول باختصار كيف تعامل نموذج ما بعد الهاسكalah مع مصدرى القلق الرئيسيين على كيانية يهود الدياسبورا وهما الاستمرارية اليهودية ومعاداة السامية.

وقد تعرضنا بالتفصيل لقضية معاداة السامية فيما سبق وخلصنا إلى أن يهود الدياسبورا في النصف الثاني من القرن العشرين أظهروا تأييداً عملياً ضئيلاً لمزاعم الصهيونية السياسية وصناعة الهولوكوست من حيث اعتبار معاداة السامية مسألة لا تاريخية، إذ يشير التوجه المعاصر نحو العنصرية وعدم التسامح والذي وجه أساساً ضد مجموعات أخرى، إلا أن مثل هذه الظاهرة لم توجه مباشرة ضد اليهود بصفة خاصة وإنما جاءت نتاجاً لاتجاهات أكثر عمومية كان لديها القليل لتفعله مع اليهودية كهوية. ذلك أن الاعتراف بالحقوق الجماعية للأقليات فتح الباب على مصراعيه أمام اكتساب هذه الأقليات شخصية قانونية ادماجية، كما صدرت قوانين مناهضة الازدراء على غرار قانون مكافحة التشهير الفردي بما ساعد على خلق بيئة آمنة قد تقلل من مخاوف الاضطهاد.

وفي هذا الإطار تبنت الدياسبورا اليهودية مشروعاً مشتركاً مع أقليات قومية وعرقية أخرى وتجمعات يهودية تتبع التنوير اليهودي، وقد جاء هذا المشروع بشعور المسؤولية وكتأكيد لشخصيتهم الجماعية. إن الشعور بالمسؤولية أو بوجود رسالة معينة يتميز بالجاذبية والقدرة التعبوية لأنه يلبي مصلحة يهودية قائمة كما يمكن تطبيقه على

نطاق أوسع لصالح أقليات أخرى. إن تحقيق ذلك سوف يؤدي إلى مراجعة أو إعادة التفكير في الدولة القومية وإلى الاعتراف إلى الوجود المؤسسي للأقلية في دولة متعددة القوميات، وكل ذلك ينسجم مع نوافع وأهداف التوجه اليهودي ما بعد التنويري<sup>(٥٥)</sup>.

وتتميز مسألة الاندماج بأنها أكثر تعقيداً، ولليهود العلمانيين كل الحق في القلق بشأن استمرار المجتمع والثقافة اليهودية في الأجيال القادمة. فاليهود والأقليات الإثنية الأخرى في مجتمعات متعددة ثقافياً لهم الحق والإمكانية في الإبقاء على ثقافتهم وأسلوب حياتهم ونقلها إلى أجيال المستقبل<sup>(٥٦)</sup>. والواقع أن معدل الاندماج في ثقافة الأغلبية هو معدل مرتفع في الديمقراطيات الليبرالية ويحدث هذا أساساً عبر الزواج المختلط. إلى جانب أن الاندماج الطوعي غير ممنوع، بل يجب احترامه من حيث إن حق الفرد في الانفصال عن تجمع إثني لا مجال للنقاش فيه في أية ديمقراطية ليبرالية كانت أو غير ذلك. ومع ذلك وباستثناء مجتمعات قليلة السكان توجد دولة قومية تتميز بعدم التوازن في الفرص بسبب عدم توازن القوة بين الأغليات والأقليات، فثقافة الأغلبية بحكم الوزن العددي والموارد ومؤسسات الدولة المنحازة والآليات القوية للاستيعاب الاجتماعي، تتمتع بميزة أساسية على حساب ثقافات الأقلية في مجال استيعاب الأفراد. وفوق ذلك يعتبر الإطار المؤسسي والقانوني في معظم الدول القومية غير محايد، بل منحاز لأهداف وقيم ثقافات الأغلبية، ويجد اليهود والأقليات الأخرى أنفسهم مجبرين منذ الطفولة على إدراك وإدارة الاختلاف مع الأغلبية بطريقة تبدو غير ملائمة بالنسبة لأصحاب ثقافة الأغلبية. فالعطلات العامة منحازة لثقافة الأغلبية كما تتطلب والمشاركة في ثقافة الأقلية مجهوداً فردياً مستمراً، وغالباً ما يعتبر غير مقبول في حين أن مشاركة أعضاء ثقافة الأغلبية لا تحتاج إلى مجهود وتعتبر مسألة طبيعية في حياة الدولة. وهذا ما يفسر لماذا ينصح أفراد الأقليات الراغبين في حياة سهلة بالاندماج في ثقافة الأغلبية. ويمكن القول إن مثل هذه الظروف تجعل الاندماج شأنًا فردياً خالصاً وبما يسهل وبشكل غير منصف أن تكون مثل وقيم ثقافات الأغلبية المحدد الأساس لثقافات الأقلية.

وإذا ما كانت هناك صعوبة في اعتبار الاندماج مجرد شأن فردي خاص فقط يكون من العدل في دول متعددة الثقافات والقوميات أن تحصل ثقافات الأقلية على حقوق ثقافية جماعية ومميزة وكذلك على إمكانية التنظيم والتمثيل المؤسسي في جهاز الدولة بوسائل غير متاحة حالياً للآخرين<sup>(٥٧)</sup>. ويجب أن تكون التجمعات اليهودية قادرة على التمتع بالتمثيل والمشاركة الجماعية في مؤسسات الدولة والتسامح مع الأعضاء الذين يتزوجون من خارج الأقلية من دون فقدان استمرار التجمع نفسه. لقد فعلت تجمعات إصلاحية هذا الأمر بروح التنوير اليهودي، كما سوف تسهل الزيجات اليهودية العلمانية هذه المهمة بالتأكيد، ذلك أن هدف سياسة الاعتراف هو إقامة مؤسسات تمثيلية يهودية بقبول عام عال وخلق مناخ عام آمن تتحرك فيه ثقافات الأقلية، إن ذلك سوف يؤكد على أن الاندماج لا يعبر فقط عن شأن فردي أحادي الجانب. إذ تستطيع ثقافات الأغلبية في الديمقراطيات الليبرالية التسامح بسهولة مع أعضاء الأقلية الراغبين في الاندماج في الأقلية. وبالمعنى نفسه فإن ثقافات الأقلية بما فيها اليهود ينبغي أن تكون قادرة على التسامح مع أعضاء الأغلبية الراغبين في الاندماج مع الأقلية، وهذا ما يمكن أن يتحقق مع امتلاكهم الإطار المؤسسي وقبول الرأي العام. والواقع أن هذا الرأي ليس بجديد في التاريخ اليهودي، فقد سبق للحزب الاشتراكي اليهودي أو البوند أن طرح أفكاراً متقدمة مشابهة للأفكار السابقة، ومن أهم الرواد الذين قدموا هذه الأفكار المؤرخ "سيمون دوينو Dubnow" والمفكر الاشتراكي اليهودي "حاييم زيتلوفسكي" Zhitlowsky<sup>(٥٨)</sup>. وكان الثلاثة قد قدموا بوسائل مختلفة أفكار التنوير اليهودي، أما "باور" Bauer و "رينر" Renner فقد طرح كل منهما نموذج الحكم الذاتي القومي الثقافي ومنه نبعت هذه الأفكار<sup>(٥٩)</sup>. لكن الجديد هو أنه وفي ظل أزمة الدولة القومية وتخلي الديمقراطيات الليبرالية عن نموذج الدول المؤسسة على الاثنية، صارت الحجة أكثر جدوى الآن في ضوء التطورات المعاصرة التي طرأت على سياسات الاعتراف ونظرية التعدد الثقافي.

وبينما كان مشروع التنوير اليهودي يعاني من صعوبات عديدة في سبيل سعيه نحو نيل الحقوق الجماعية لليهود في ديمقراطيات الدولة القومية الليبرالية المتمحورة

حول العرق والوليدة فإن نموذج ما بعد التنوير اليهودي والذي يحاول تكييف أفكار التنوير اليهودي مع الظروف المعاصرة للدول متعددة القومية، يجد أن التعددية الثقافية وسياسات الاعتراف لم تحصل فقط على فرصة أكبر للنجاح بل صارت أيضاً أكثر ترابطاً وبشكل واقعي مع ملابس وأسلوب حياة يهود الدياسبورا. بعد كل ذلك أصبح النموذج اشد ملائمة لظروف يهود الدياسبورا من مسألة يهود الدياسبورا عبر دولة يهودية بعيدة عنهم. ولأن السجال ما بعد الصهيوني في إسرائيل ينشط كعامل مساعد على فصل هويات يهود الدياسبورا عن الدولة الإسرائيلية يمكن الحديث عن مصالحة أو تعاون ملموس بين الإسرائيليين من أصحاب اتجاه ما بعد الصهيونية والمشروع ما بعد التنويري مثل هذا الترابط سوف يكون تقدماً بارزاً لصالح كل من اليهودية العلمانية في الخارج وإسرائيل الأقل تمحوراً حول العرق اليهودي.

وتبقى حجة أخيرة لشرح سبل ربط الإسرائيليين بيهود الدياسبورا وهل يمكن أن يتم في صورة هوية يهودية علمانية إسرائيلية أو إسرائيلية بمعنى أن يكون يهودي علماني إسرائيلي أو إسرائيلي.

### دياسبورا إسرائيل، هل هم يهود أم إسرائيليون؟

تؤدي وضعية إسرائيل التي تتسم بسيطرة هوية عرقية يهودية محددة إلى تفويض مسلمات الصهيونية السياسية ذاتها، ذلك أن حركة تتميز بتناقضات تشبه الألفاظ مثل أيديولوجيتها التي هزمها نجاحها العملي الصاخب - والذي لم يكن متوقعا - في الاستيطان الصهيوني وإقامة دولة يهودية، تميزت بالتمركز الاثنى أو التمحور حول العرق بشكل فاضح، حيث قامت الحركة الصهيونية بنوع من الهندسة العرقية التي ينذر أن يوجد لها مثيل في عملية بناء الأمة المعاصرة. فبدلاً من أن يصبح المجتمع المجتمع العلماني الإسرائيلي وبدلاً من أن يصبح يهودياً صار إسرائيلياً باطراد ويمتلك سمات ثقافية ولغوية خاصة وعادات وتقاليده لا يتفق معها ولا يقبلها يهود الدياسبورا. ومن نافلة القول أن المجتمع الإسرائيلي غير متجانس، فحوالي ٢٠٪ من



المواطنين الإسرائيليين من العرب أو سكان البلاد الفلسطينيين الأصليين عاشوا في  
غربة وفرضت عليهم الدولة اليهودية تمييزاً مؤسسياً، في حين يشكل الـ ٨٠٪ الباقية  
يهوداً إسرائيليين بمجتمع متنوع ومتعدد الاثنيات ثقافياً يسيطر عليه المركز  
الإسرائيلي<sup>(٦٠)</sup>، وينبغي إخراج الأقلية صاحبة الصوت العالى من اليهود الأرثوذكس  
من المعادلة، فقد كشفت دراسات ميدانية في إسرائيل عن وجود علاقة غير متكافئة بين  
الدين والهوية اليهودية. وبنفس المعنى فإن النسبة الأكبر من اليهود الأكثر تديناً من  
السفارد إلى جانب العرب يعانون العزلة أو التهميش بعيداً عن التيار الرئيسى بعد  
أكثر من ثلاثة أجيال. يضاف إلى ذلك أكبر تجمع من القادمين الجدد أى اليهود  
الروس الذين أظهروا اهتماماً قليلاً بالاندماج الثقافى. وما زالت الشريحة الأشكنازية  
المتحدرة من المستوطنين الأوائل والتي تتكون الآن من عدة أجيال، مع إدخال عدد غير  
قليل من يهود السفارد واليهود العرب العلمانيين والذين يتحدثون العبرية الإسرائيلية،  
تجمعاً جديداً بثقافة وتوجه يمكن اعتبارها بمثابة اثنية جديدة. ولكن ذلك لا يعنى أن  
المجتمع الإسرائيلى متجانس كما لا يعنى أنه يجب أن يتجانس، وإنما يشير ببساطة  
إلى أن تشكل هذه الاثنية الجديدة داخل أطرها المحدودة يتخطى حيز الهندسة  
الصهيونية السياسية. ويمكن القول أن تآكل النخبة التي شاركت في هذا التشكل لا  
ينبئ بنهايتها كتجمع ثقافى.

وقد تغيرت العبرية الإسرائيلية كلغة تغييراً كبيراً تحت تأثير اللغة الإنجليزية  
لشمال أمريكا ولغات المهاجرين وخصوصاً العربية والأمازيغية أو لغة بربر شمال  
إفريقيا، وفوق كل ذلك تأثير العربية الفلسطينية الدارجة، بحيث اختلفت عن قواعد وبناء  
الجميل الخاصة بالعبرية التوراتية. إن ابتعاد الشقة بين اللغة المكتوبة واللغة الدارجة  
المنطوقة مؤشر مهم على حدوث عملية التمحور الاثنى وعلى بروز مجموعة اثنية جديدة،  
لكن يجب أن نبذى قدراً من الحذر بالنسبة لحالة التذبذب فيما تطلق عليه المؤسسة  
الإسرائيلية "تجمعات شرقية" edot hamizrach<sup>(٦١)</sup>.

ويبدو موقف اليهود الأشكناز من يهود فلسطين قبل الهجرات الصهيونية  
ومن اليهود المهاجرين من الدول العربية نوى الخلفيات السفاردية غاية فى التعقيد،

ولا يتسع المقام هنا لمناقشته بالتفصيل. ومن الناحية الإحصائية، يشكل هذا التنوع الاثنى أغلبية طفيفة من جملة السكان اليهود، فمعظم هذه الأغلبية جاء فى الأيام الأولى عقب قيام الدولة من بلاد لم تحظ باهتمام كبير من قبل المشروع الصهيونى الأوروبى، وكان وجودهم حيويًا لتأكيد التنوع الديموجرافى للدولة اليهودية، وكان تهجيرهم من بلادهم الأصلية نتاجاً لعملية التحرر من الاستعمار وكذلك، وإلى حد ما، بفعل نزعة الانتقام من اليهود المحليين (العرب) عقب هزيمة الفلسطينيين فى عام ١٩٤٨. غير أن هؤلاء لم يكن الترحيب بهم واسعاً أو حميماً، إذ كان هؤلاء الذين يطلق عليهم اليهود "الشرقيون" (مزارحى) مهاجرين غير مفضلين عند النخبة الأشكنازية الغربية والتي انتظرت بدون جدوى قدوم كتلة اليهود الغربيين. وكانت الاتجاهات المتعالية فيما يتعلق بدمجهم فى المجتمع الإسرائيلى صارخة إلى حد إرسالهم إلى مناطق نائية وتسكينهم فى منازل أقل مستوى، كما تم دمجهم فى إطار من مفاهيم المركزية العرقية والعنصرية التى تفرضها عملية التثاقف، وطلب منهم التخلّى عن "شرقيتهم المتخلفة" وقسماتهم الثقافية "العربية"، وقد حظى هذا الأمر بتوثيق كاف من جانب العلوم الاجتماعية الإسرائيلىة<sup>(٦٢)</sup>. ونتج عن ذلك ميراث من الاغتراب والقسوة والتهميش ما زال مستمراً حتى اليوم وعبر ثلاثة أجيال، وحتى إذا ما تمكن بعض أفراد هذه الطوائف فى تحقيق نجاح وترقى لأعلى، إلا أن هذه الطوائف ما تزال تشغل مكانة متدنية وهامشية فى المجتمع الإسرائيلى، وتعانى أيضاً من شعور فقدان الهوية بسبب عملية التثاقف المفروضة عليها. ورغم أن نسبة كبيرة منها متدنية وما تزال متمسكة بهويتها، فإن معظم العلمانيين منهم لديهم إدراك بهويتهم الإسرائيلىة وإن كان بصورة مترددة والشعور بسوء الحظ من جراء ذلك، وهم يحتجون على الضرر الواقع عليهم عن طريق الصعود فى مجتمع يزدري ثقافة آبائهم، وهم ساطخون على العار والإذلال الذى يحدث لأبائهم وأجدادهم وإن كانوا يقرون بفقدان الصلة مع ثقافة الآباء والأجداد وبعدم وجود سبيل سهل لإعادتها<sup>(٦٣)</sup>.

وهناك عامل ديموجرافى آخر يجعل هؤلاء سواء كانوا متدينين أو علمانيين أكثر تأثراً بإسرائيل، ففى حين يعد معظم يهود العالم من الأشكناز، فإن غالبية السفارد واليهود العرب تقيم فى إسرائيل حيث يشكلون أغلبية طفيفة من مجموع اليهود

المقيمين في إسرائيل. وهذا ما يضيف تناقضاً آخر مع الصهيونية من زاوية أن المستهدف الأساسي من عملية تجميع الشتات كانوا من اليهود الغربيين وحيث كان يهود السفارد أقلية صغيرة بالنسبة لهم. ونظراً للروابط القليلة التي كانت بين اليهود السفارد واليهود العرب وبين يهود الشتات فهم بالضرورة أكثر توجهها ناحية إسرائيل وأكثر اعتماداً على الدعم المؤسسي من الحكومة الإسرائيلية.

ومع الأخذ في الاعتبار أن العلاقة بين النخبة الإسرائيلية الأشكنازية والتجمعات السفاردية واليهودية العربية اتسمت بالتعقيد وتعدد الأبعاد، فإنه يمكن الحديث عن وجود مجموعة علمانية قوية أصبحت أكثر اندماجاً في الاثنية الإسرائيلية الجديدة كنتيجة لعملية التثاقف التي فرضت بعنف. ولكن هذه المجموعة لم تلتحق بالثقافة الإسرائيلية وهي خالية الوفاض، ومن هنا قدمت إسهاماً حاسماً وأصيلاً، في العقود الأخيرة، في الثقافة والوسط الفني الإسرائيلي رغم استمرار تقديم العروض السينمائية والموسيقى الشعبية والكوميديا والشعر وغيرها باللغة العبرية الإسرائيلية. ففي مواجهة الرعب الذي سببته العنجهية الأشكنازية وعلماء الاجتماع "التحديثيين"، تمكنت هذه المجموعة من وضع بصماتها "الشرقية/الشامية" على الثقافة الإسرائيلية المعاصرة بما يجعلها تتميز بوضوح عن ثقافة يهود الدياسبورا الغربيين.

والواقع أن فكرة الإثنية الإسرائيلية ليست جديدة في ذاتها وظلت ملاصقة للحركة الصهيونية منذ بداية الاستيطان في فلسطين (وأساساً عبر مفهوم إنهاء وضعية الدياسبورا shililat hagolah) كما وجدت مجموعة من المثقفين والكتاب الذين تصرفوا بصببانية قبل قيام الدولة وفي السنوات الأولى بعد قيامها، حيث تبنوا أفكاراً شبيهة بالفاشية كان يروجها الجناح اليميني المتطرف في الحركة الصهيونية وخصوصاً ما عرف باسم "عصبة الأشداء" أو الأقوياء "birt habyrionim" (\*) ولكن هؤلاء المثقفين

(\*) "عصبة الأشداء" هي مجموعة كانت تتبنى أفكار الصهيونية العمالية أصلاً، ثم انشقت عنها واستعارت أفكار النازية ورددتها عبر المجلة أصدرتها بعنوان "عصبة الأشداء" إلى حد أنها عبّرت عن إعجابها بهتلر واليهودية لأنهما أنقذا ألمانيا. وكانت المجموعة تبدي استعدادها لاتباع هتلر إذا ما تخطى عن معاداته لليهود. انظر : عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سبق ذكره، المجلد الثاني ص ٤٧٣ .

والكتاب تخلوا أخيراً عن روابطهم مع الحركة الصهيونية عندما سخرُوا من فكرة التفرد العبرى والتي تتلخص فى أن الإسرائيلىين ليسوا يهوداً بل أمة عبرانية جديدة تستهدف بعث كل الشعوب السامية فى الشرق الأوسط. وقد أطلق معارضوهم عليهم كلمة "الكنعانيين" دلالة على التهكم<sup>(٦٤)</sup>، وظلت هذه التسمية ملازمة لهذه الحركة فيما بعد، وكان من بين قادتها شعراء ورسامون وكتاب وأكاديميين، ولكنها لم تؤثر بالمرّة فى السياسات الإسرائيلية رغم تأثيرها الماحوظ فى الوسط الفنى هناك. ويعتقد جناح "معتدل" من الكنعانيين أن "العبرانيين" المعاصرين انحدرُوا من المستوطنين الصهاينة فقط، وأن الاستيطان الصهيونى فى فلسطين أنتج أمتين: الإسرائيلىين العبريين والفلسطينيين العرب، ودعوا الإسرائيلىين إلى تقاسم الأرض بين الحركتين القوميتين<sup>(٦٥)</sup>، وقد مارست هذه الأفكار تأثيراً ملموساً على حركة السلام الإسرائيلية.

وهناك بعد آخر لتكريس الروح الإسرائيلية سمح بخلق تماثل بين الثقافة الإسرائيلية وثقافة يهود الدياسبورا الغربيين وهو موقف المهاجرين الإسرائيلىين فى المدن التى اتسمت بتركز عال ليهود الدياسبورا، حيث كان هناك معدل عال من الهجرة المعاكسة، أو إلى خارج إسرائيل، منذ الأيام الأولى عقب قيام الدولة التى اتجهت أساساً إلى الديمقراطيات الليبرالية الغربية المتقدمة. وفى بعض الحالات قرر البعض منهم حديثاً العودة إلى إسرائيل والاندماج فيها من جديد، لكن عدداً غير قليل من الإسرائيلىين هاجر منها. ويطلق على هؤلاء المهاجرين فى الخطاب الصهيونى التقليدى اسم "يورديم" yordim أى من انحطوا أو سقطوا بالمعنى السلبي، وهو عكس مصطلح "عوليم" olim الذى يشير إلى من صعدوا أو ارتقوا بالمعنى الإيجابى، وذلك لإلقاء اللوم والعار عليهم. ومن الجدير بالذكر أن عدداً كبيراً من الإسرائيلىين يقيمون بالخارج حيث يقدر البعض نسبتهم بنحو ٢٠٪ من جملة السكان، فقد أثبتت دراسات ميدانية أجريت على المهاجرين الإسرائيلىين إلى الولايات المتحدة<sup>(٦٦)</sup> وكندا وكذلك من مشاهداتى فى لندن وسيدنى، أن المهاجرين الإسرائيلىين يتصرفون مثل معظم الأقليات المهاجرة الأخرى. إذ تتم تنشئتهم أساساً من داخلهم وتعد لغتهم حاجزاً حاسماً أمام التفاعل مع الآخرين ويحددون هويتهم بمصطلحات ترتبط ببلادهم الأصلية.



فقد أجرت "رينا كوهين"، من تورنتو، دراسة موسعة على الإسرائيليين بالخارج<sup>(٦٧)</sup>، وقد خلصت بعد فحص عدد كبير من دراسات الحالة إلى نتائج تؤكد أن الإسرائيليين المهاجرين يشكلون تجمعا عرقيا متمائزا، وفي ذلك تقول "كوهين" إن "هؤلاء الذين يشكلون جزءا صغيرا من التجمع اليهودي عموما طوروا من الأنشطة ذات السمة الجماعية الإسرائيلية بما يشمل السياسة والترفيه والثقافة والتنظيم في القطاع الاقتصادي"<sup>(٦٨)</sup>. ويرجع السبب في ذلك إلى وجود تباعد بين الهوية العرقية للتجمع اليهودي القديم والهوية العرقية للإسرائيليين الكنديين. بل لقد شيدوا تجمعات سكنية ضخمة لسكانهم الخاص وهو ما يعبر عنه المصطلح الإسرائيلي shikun وهو ما أدى إلى تفاعل مكثف فيما بينهم، ونظرا لعجزهم عن التعايش مع التجمع اليهودي القائم، قاموا بتطوير أنشطة ومؤسسات عرقية خاصة بهم بداية من عيادات الرعاية الصحية إلى الماهى الليلية كما تقول (كوهين). وفي حين يعرف التجمع اليهودي المحلي نفسه ويعرفه الآخرون أيضا بالانتماء الديني، يعرف الإسرائيليون أنفسهم بمصطلحات الجنسية واللغة<sup>(٦٩)</sup> وقد أخبر كوهين رجل إسرائيلي عاش في تورنتو لأكثر من عشرين عاماً بأنها لم تستطع التواصل جيداً مع اليهود، وقال في ذلك :

"إنه نوع آخر من الثقافة، فنحن لا يجب أن نتصل لمدة أسبوعين قبل أن نزور صديقاً، ونحن فقط ننظم أو نقيم حفلات بشكل فجائي أو وليد اللحظة، ومعظم الحفلات يحضرها إسرائيليون وعندما يحضر الكنديون يجب أن نتوقف عن الحديث بلغتنا ونتكلم الإنجليزية ثم نعود من جديد إلى العبرية وكثيراً ما يذكرنا بأن أصواتنا عالية أو بضرورة التحلي باللياقة"<sup>(٧٠)</sup>.

وحتى لو صح الحديث عن وجود خبرة مشتركة بين كثير من الشعوب اللاتينية التي تقطن اقليم البحر المتوسط وقيمون في مجتمع أنجلو - ساكسوني ومع الأخذ في الاعتبار ما سبق مناقشته، فإن ذلك يدل بوضوح على وجود هوية عرقية متميزة.

وخلاصة القول أن وجود قسمات ثقافية ولغوية واضحة يدل بقوة على أن الإسرائيليين العلمانيين يشكلون تجمعا قوميا وعرقيا منفصلاً أو مستقلاً يختلف من نواح عديدة كثيراً عن القسمات المشتركة بين يهود الدياسبورا العلمانيين. وبينما لا

يشارك الإسرائيليون المتدينون تماماً فى مثل هذه الهوية، حيث مازال بعض الوافدين حديثاً هامشيين أو بعيدين عنها، فإنهم يجدون أنفسهم مضطرين للتعايش مع النخبة الأشكنازية العلمانية وقطاعات كبيرة من نوى الأصول السفاردية واليهودية العربية. والواقع أن الموضوع ما زال غامضاً أو بمثابة التابو المقدس لأنه يقوض أو يضعف الأساطير الصهيونية التكوينية بخصوص وحدة الشعب اليهودى. وقد أزال السجل ما بعد الصهيونى هذه الحواجز حيث كشف عن الانقسام الصارخ وغير القابل للإنكار بين يهود الخارج والإسرائيليين.

وتلقى هذه الحجة بظلالها المهمة على الأقلية الفلسطينية فى إسرائيل، فحتى لو قامت دولة إسرائيلية ما بعد صهيونية بإلغاء المقومات اليهودية العرقية من رموز نظامها القانونى والسياسى، سوف تبقى العرقية الإسرائيلية كعرقية رسمية للدولة مثلما هى الحال فى الدول القومية الليبرالية الديمقراطية وحتى لو عانى المواطنون الفلسطينيون من مصاعب أخرى فى نظام مختلف فسوف يظلوا محتفظين بهويتهم كأقلية قومية فى دولة إسرائيلية. وهذا ما يعيدنا إلى رأى "مارتن بوبر" الذى نقلناه فيما سبق وردده فى عقد الأربعينات من القرن العشرين، ولكن فات الأوان، فبدون إحياء وثيقة الماجنا كارتا، أى بدون منح حقوق جماعية كاملة وتممايزة للأقلية القومية الفلسطينية، لن نستطيع ما بعد الصهيونية أن تقدم المواطنة بمساواة كاملة لهم.

### خاتمة : ما بعد الصهيونية ويهود الدياسبورا ما بعد الهاسكالا

يعتبر السجل ما بعد الصهيونى فى إسرائيل عاملاً مساعداً على حدوث عمليتين مختلفتين ولكن مترابطتين وهما: تغير النموذج العرفى الخاص بالدولة القومية القديمة إلى دولة ديمقراطية أكثر عصرية من جهة وتحول الدياسبورا اليهودية من التمرکز الإسرائيلى حول الذات إلى التمرکز حول ثقافة الدياسبورا من جهة أخرى. والواقع أن المشروع الصهيونى يتجاهل بقسوة صعود وحيوية الدياسبورا اليهودية وما زال يحتفظ بنموذج الدولة القومية للقرن التاسع عشر رغم أنه صار من مخلفات التاريخ،

مع أن الاتجاه في الغرب يصب ناحية نزع الرابطة بين الطوائف العرقية والدولة كتنظيم، وفي بعض الأحيان، وكما يفعل الاتحاد الأوربي يتم إضعاف فكرة الدولة القومية ذاتها. إن هذين الاتجاهين يكذبان فكرة الدول العرقية ولا يلقيان بالاً للنموذج الصهيوني. وقد أظهرت الحروب الحديثة في يوغسلافيا السابقة الثمن الباهظ الذي يُدفع إذا ما أرادت الأقليات المضارة إقامة دول عرقية. هذا فضلاً عن أن بروز عرقية إسرائيلية متميزة يقوض فكرة الدولة اليهودية ذاتها ويوسع من الفجوة بين الإسرائيليين ويهود الخارج. وسوف تكون دولة إسرائيل كدولة كل مواطنيها في وضع أفضل لحل المزمع مع الفلسطينيين وسوف تعبر بدقة عن تكوينها الإثنى. إن هذا التطور سوف يكون مفيداً أيضاً بالنسبة لليهود الخارج حيث يمكنهم من حرية التركيز على هويتهم ومواردهم لدعم المحافظة على ثقافة الدياسبورا الخاصة بهم وأسلوب حياتهم. عند ذلك، سوف ينتفى الانقسام أو التناقض بين إما اختيار الصهيونية أو الاندماج اليهودي والذي يتجاهل في الواقع خصوصية حياة يهود الخارج. إن استمرارية يهود الدياسبورا لن تتأكد فقط من خلال إسرائيل القوية ولكن أيضاً بتطور مؤسسات فعالة قائمة على التعددية الثقافية ورغد الديمقراطية الليبرالية في الدول متعددة القوميات بالحقوق الجماعية لكل الأقليات الاثنية. ومن شأن بروز خطاب انعتاقى لما بعد التنوير اليهودي والذي يطعم أفكار التنوير اليهودي بالتطورات المعاصرة في نظرية التعدد الثقافي، أن يمكن يهود الخارج من عمل توازن بين الجماعة وازدهار هويتهم العرقية والاعتراف المؤسسي واعتراف الرأي العام بالخصوصية اليهودية مع اندماجهم التام كمواطنين في الدول التي يقيمون وتعليم يهودي فعال تساندتهما دولة متعددة الثقافات بالأعمدة الرئيسية للاستمرار في اليهودية. ويمكن للتغيرات بالغة الأثر المترتبة على الوعود الغربية بإزالة العقبات التي واجهت الأفكار المبكرة للتنوير اليهودي وأن تجعل اليهود يتمتعون بكل من العيش كأدبيين واحترامهم كيهود. لقد جاءت الصهيونية كنتاج للفترات الصعبة والمؤلة من التاريخ اليهودي وانبثقت من الظروف المأساوية الحزينة ليهود أوروبا في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وأقحمت نفسها في مشكلات يهود الشرق الأوسط الذين لم يعانون مثلاً من الظروف القاسية.

هذه البيئة الأوروبية كانت تعسة وخطرة وغير متسامحة مع اليهود والأقليات الأخرى غير المرتبطة بأرض معينة في أوروبا. إن هذا ما دفع الكثيرين من اليهود لاختيار الإغراء المتمثل في إضفاء الطابع القومي والإقليمي للمسألة، أى الذى يشدد على ضرورة وجود وطن خاص لليهود. والواقع أن نجاح المشروع الاستعماري الصهيوني في فلسطين إبان الانتداب لا يرجع إلى تجميع يهود الخارج الغربيين، ولكنه يبدو في خلق فئة عرقية جديدة في اليهودية هي الإسرائيليون العبريون. ورغم أن ذلك لم يكن نتيجة مقصودة ولا متوقعة في أحيان كثيرة للمشروع الصهيوني، فقد أسفرت في أحيان أخرى عن تداعيات متعمدة وغير مثيرة للانتباه في نفس الوقت. فالمشروع الصهيوني الذى خلق يهودية جديدة عبر وسيلة اللغة التى لم تكن غالبية اليهود تتقنها وفي ظل ظروف الشرق الأوسط التى تختلف كثيراً عن ظروف الغرب، استقر على تكوين مجموعة عرقية جديدة فى المدى البعيد. لقد كان الآباء المؤسسون للصهيونية يتوقعون هجرة الغالبية الكاسحة من اليهود إلى فلسطين ثم إسرائيل فيما بعد، لكن ذلك لم يحدث، ومن ثم يعتبر التباعد أو التمايز بين يهود الخارج وإسرائيل أمراً محتماً الآن وبعد مرور ستة أجيال.



## هوامش الفصل الخامس

(١) "أنت لا تحب أفكارى على الإطلاق، تلك الأفكار الغربية التى ترسخت فى رؤوس الصغار من البشر، فلست أنت ولا الأقارب بقادرين على تخيل هذه الأفكار التى تفصلك عن الانتماء القبلى القديم والمتخلف والتى تجعلك تندمج مع آخرين بشكل أو بآخر. فبالنسبة للآخرين وطبقاً لك وللأعمام والعمات يجب أن تبقى بعيداً عنهم، لكن كثيرين من هؤلاء الآخرين أنفسهم يعتقدون أننا يجب أن نباعد عنهم. من هذه الأفكار تلك التى تدفعك إلى الاعتقاد بأنه إذا ما دمرت إسرائيل مدرسة فى مصر أو قرية بأكملها فى لبنان فذلك يعبر عن شعب عدوانى، ولكنك لا تستطيع قول ذلك أثناء الأكل لأن العمة دائماً ما تخبرك بلطف وازدراء وبطريقة قاسية : أنت يهودى معاد للسامية". وقد قمت بترجمة الأصل عن الإسبانية.

(٢) Herbert C. Kelman (1998) Israel in Transition from Zionism to Post-Zionism, Annals, AAPSS. January P. 49.

(٣) يشير مصطلح "اليهود المنظمون" إلى هؤلاء المنتسبين إلى منظمات يهودية تميزها لهم عن نوى الخلفية اليهودية ممن يؤكّدون على هويتهم اليهودية ولكنهم لا ينخرطون فى منظمات يهودية.

(٤) Yoram Hazony (2000) The Jewish State, The Struggle for Israel's soul, New York : Basic Books, P. xxvii.

يتحدث هذا الكتاب عن الحجة غير المنطقية والتى تزعم أن ما بعد الصهيونية جاءت من أفكار حفنة قليلة من الأكاديميين فى عقد الخمسينات من القرن العشرين ممن عملوا مبكراً فى الجامعة العبرية فى القدس، وقد طور "توماس كولسكى" مقولة غياب التأييد اليهودى للقضية الصهيونية ولكن من منظور مختلف فى كتابه

Thomas A. Kolsky (1990) Jews Against Zionism, The American Council for Judaism, 1942-84, Philadelphia, Temple University Press, p. 16.

(٥) لا ينطبق ذلك على اليهود المتدينين الأرثوذكس الذين تشكلت هويتهم عبر الطقوس الدينية السابقة على الأمور الدنيوية، ومع ذلك فاليهود الأرثوذكس يشكلون أقلية صغيرة وسط يهود الغرب.

(٦) يفند الوزير الإسرائيلى السابق والسياسى العمالى البارز يوسى بيلين مقولة أن المساهمات التى قدمتها الكتلة الرئيسية من المنظمات الصهيونية ليهود الشتات كانت ذات تأثير حاسم على ازدهار دولة إسرائيل، حيث يعتقد بيلين أن إجمالى المساهمات اليهودية شكل نسبة أقل من ١٪ من الميزانية الإسرائيلىة الكلية. انظر فى ذلك كتابه بالعبرية والذى صدر عام ١٩٩٩ تحت عنوان :

Moto shel hadod me'amerika, iehudim bameah ha-21 (The Death of The American Uncle, Jews in The 21<sup>st</sup> Century, Tel Aviv, Miscal, Yedioth Aharonot and Chemed Books).

وأيضا

- Yossi Beilin (2000) His Brother's keeper, New York, Schocken Books.

(٧) فيما يتعلق بالآثار المهمة ولكن المبالغ فيها إلى حد ما للتغيرات العملية التي أحدثتها القيادة الصهيونية تحت ضغوط يهود الولايات المتحدة انظر :

Charles Liebman (1997) Pressure without sanctions, New Jersey, Associated University Presses.

وبخصوص الاختلافات بين مصطلحات يهود المنفى الاختياري والمنفى القسري انظر ما يلي من مراجع .  
(٨) طرحت منظمة البوند الاشتراكية اليهودية المناهضة للصهيونية في روسيا و بولندا وليتوانيا برنامجاً مبنياً على ما قدمه كتاب "باور" و "رينر" حول نموذج حكم ذاتي قومي ثقافي، انظر أيضاً :

Otto Bauer (2000) The Question of Nationalities and Social Democracy with an Introduction by Ephraim Nimni, Minneapolis, University of Minnesota Press.

وحول التاريخ المثير لمنظمة البوند، انظر :

Henry J. Tobias (1998) Jewish Bund in Russia from Its Origins to 1905, Stanford, Stanford University Press; Jack L. Jacobs (ed) (2001) Jewish Politics in Eastern Europe: The Bund at 100, New York, New York University Press.

ومن منظور غير اشتراكي قدم المؤرخ اليهودي البارز "سيمون دنبو" برنامجاً مشابهاً للحكم الذاتي القومي لليهود الذين لا يمتلكون أرضاً خاصة بهم، وقد تجاهل هذا البرنامج المقولات الاشتراكية لمنظمة البوند، انظر :

Simon Dunbow (1970) Nationalism and History: essays on old and new Judaism, New York: Atheneum.

Martin Buber (1947) 'The Bi-National Approach to Zionism' in M. Buber, J.L. (٩) Magnes and E. Simon (eds) Towards a Union in Palestine, Jerusalem, Union Association, P. 10 (Emphasis added).

Judah Magnes, 'A Solution Through Forces? In Buber, Magnes and Simon (eds) (١٠) Towards a Union, P.20.

(١١) Hazoni, The Jewish State, part III, pp. 157-264.

Ahad Ha'am (2000) Truth from the Land of Israel (1891) trans. Alan Dowry, In (١٢) Israel Studies, vol. 5 no. 2 Autumn, PP.161-2.

وقد كتب يقول : "ونحن في الخارج تعودنا على الاعتقاد بأن أرض إسرائيل تكاد تكون خالية من السكان تماماً في الفترة الحالية، وأنها مجرد صحراء جرداء، وأن أي شخص يرغب في شراء الأرض هناك يستطيع الذهاب وشراء كل ما يريده. ولكن الحقيقة ليست كذلك، ففي أي أرض من الصعب أن تجد أرضاً واعدة وهي ليست واعدة بالفعل ... كما اعتدنا ونحن في الخارج أيضاً على الاعتقاد بأن العرب

كلهم بدو متوحشون مثل الحمير الذين لا ينظرون ولا يفهمون ما يجري حولهم ولكن هذه غلطة كبرى، فالعرب مثل كل الساميين من أبناء سام يمتلكون عقلية ثاقبة ويتميزن بالذكاء الحاد. وكانت مدن سوريا وأرض إسرائيل مليئة بالتجار العرب الذين كانوا أيضاً قادرين على استغلال العامة والعمل بشكل خفي مع كل من يتعاملون معهم وهذا ما حدث بالضبط في أوروبا. إن العرب وخصوصاً من يقيمون في المدن يفهمون أفعالنا ورغباتنا في أرض إسرائيل، لكنهم يلتزمون الصمت ويتظاهرون بعدم الفهم لأنهم لا يعتبرون أنشطتنا الحالية تهديداً لمستقبلهم ... ومع ذلك ومع مرور الوقت وعندما تتطور حياة شعبنا في أرض إسرائيل إلى حد التغول على السكان الأصليين، فهؤلاء ليس من السهل أن يغادروا مكانهم وقد وجه هاعام انتقاداته للقيادة الصهيونية أيضاً في كتاب له بعنوان ( ليس هذا هو الطريق).

(١٢) للحصول على مقارنة مفيدة بين الصهيونية السياسية والقومية الصربية، أنظر :

David MacDonald (1998) 'Political Zionism and the "Nebeski Narodniks": Towards an Understanding of The Serbian National self ', in Slovo, vol.10, pp. 91-113.

هناك جوانب تشابه ضمنية بين الصورة الصربية عن كوسوفا والصورة الصهيونية عن الضفة الغربية.

(١٤) D. Howarth, A. Norval and Y. Stavrakakis (2000) Discourse Theory and Political Analysis, Manchester, Manchester University Press p.8.

(١٥) Ernesto Laclau and Chantal Mouffe (1985) Hegemony and Socialist Strategy, London, Verso, p.69.

(١٦) Ernest Gellner (1983) Nations and Nationalism, London, Blackwell, p. 1.

(١٧) John Stuart Mill (1995) 'Of Nationality as Connected with Representative Government' chapter 16 of Considerations on Representative Government, in Omar Dahbur and Micheline Ishay, The Nationalist Reader, Atlantic Highlands, NJ, Humanities Press, p. 99.

(١٨) انظر :

A. von. Chamisso, Peter Schlemihl's Remarkable Story.

ويحكى عن قصة رجل يبيع ظله للشيطان من أجل حافظة نقود معلومة. ورغم أن بيتر شيلميل حصل على ثروة فإن غياب ظله أدى إلى طرده من المجتمع. وهي استعارة أو صورة مجازية عن اليهود والأقليات الأخرى من الدياسبورا.

(١٩) Gellner, Nations and Nationalism, p.6.

(٢٠) Leon Pinsker, Auto-Emancipation (1882).

وهو يرى أن كراهية اليهودية ورموزهم وخرافاتهم وعاداتهم الشاذة الأخرى اكتسبت شرعية العداوة ضدها بين كل شعوب الأرض الذين تعاملوا مع اليهود، وأن كراهية اليهود عبارة عن مجموعة من التصورات الشيطانية الشائعة أو معروفة برغم اختلافها من جنس لآخر. كما يرى لدى كل البشر وأن

الشبح ليس متجسداً مثل الأشباح الأخرى ولكنه يسكن اللحم والدم بما يسبب الألم للجماهير المذعورة التي تتخيل نفسها موضع خطر. إن كراهية الأجانب عبارة عن انحراف نفسى وهى بهذا المعنى شىء موروث أو راسخ فى الجينات كما تبدو مثل مرض نقل عبر ألقى عام ولا مجال للشفاء منه".

Source : <http://www.us/Israel.org/jsource/Zionism/Pinsker.html>, Accessed at January 2002.

وقد أصبح هذا الرأى بعد عام ١٩٦٧ أحد أركان ما يسميه "فينكلشتاين" "صناعة الهولوكوست"، انظر المرجع رقم ٤١ فيما يلى :

(٢١) تخلى "ناتان برنباوم" عن أهداف الصهيونية السياسية ودعا بدلا من ذلك إلى حكم ذاتى يهودى، ويعتبر "فلهم مار" أول من صك مصطلح معاداة السامية فى عام ١٨٧٩ فى ألمانيا، وكان قد أسس عصابة معاداة السامية. انظر فى ذلك المداخل ذات الصلة فى الموسوعة اليهودية باللغة الانجليزية.

Ha'aretz, 22 June 2000. (٢٢)

ويجب التعامل مع الأرقام الواردة بحرص لأنها تقدم إجابة من طرف واحد عن سؤال من هو اليهودى أو غير اليهودى، فهذه الأرقام لا تكشف عن شىء مهم فى رأينا.

Ibid. (٢٣)

Charles Taylor (1994) "The Politics in Recognition" in Amy Guttmann (ed.) (٢٤) Multi-culturalism, Examining the Politics of Recognition, Princeton, Princeton University Press, pp. 60-61.

(٢٥) لمناقشة هذه الأمور انظر الكتاب المثير للتفكير :

Bhikhu Parekh (2000) Rethinking Multiculturalism, Culture Diversity and Political Theory, London, Macmillan, p.262.

(٢٦) يعبر هذا عن جدل معقد ومتشابك ولا يمكن التعرض له هنا، انظر :

Taylor, 'The Politics of Recognition'; E. Nimni (1990) 'Nationalist Multiculturalism in Late Imperial Austria as Critique of Contemporary Liberalism, The Case of Bauer and Renner', In the Journal of Political Ideologies, vol. 4 no. 3; Parekh, Rethinking Multiculturalism; Will Kymlicka (1995) Multicultural Citizenship, Oxford, Oxford University Press; Sasja Templeman (1999) 'Constructions of Cultural Identity: Multiculturalism and Exclusion' " in Political Studies vol.48 pp. 17 - 31.

Beilin, Moto shel hadod, p. 12. (٢٧)

Ibid, p. 43. (٢٨)

ومما يثير الدهشة والغضب فى كتاب بيلين تجاهله للعرب و اليهود السفارد الذين هم آباء وأجداد غالبية الإسرائيليين.

Ibid, p. 51 English translation, p. 23. (٢٩)



(٢٠) انظر الرسائل المتبادلة بين "بلاو شتاين" Blaustein وبين جوربون والتي أخير فيها يعقوب بلاوشتاين رئيس اللجنة الأمريكية اليهودية في خمسينات القرن الماضي رئيس وزراء إسرائيل ديفيد بن جوربون عبر السفير الإسرائيلي في الولايات المتحدة "إياهو إيلات" أن إسرائيل لا يجب أن تعمل على تهجير اليهود الأمريكيين من أجل فلسفة قومية يهودية عالمية.

Liebman, Pressure Without Sanctions, p. 121.

وقد اضطر بن جوربون للرد بمقولة شاذة صادرة عن قائد صهيونى متطرف وهى: "أن يهود الولايات المتحدة سواء كتجمع أو كأفراد لديهم رسالة سياسية واحدة فقط تنحصر فى الولايات المتحدة ولا يملكون وصاية سياسية على إسرائيل".

Belein, Moto shel hadod, p. 229 ; English translation , p.172.

ويرى بيلين ان هذه الرسائل المتبادلة لا يتصور حدوثها الآن نظراً لأن الهيمنة الصهيونية على يهود الولايات المتحدة المنظمين صارت شبه تامة.

Will Kymlicka and Christine Straehle (1999) "Cosmopolitanism, Nation-States (٢١) and Minority Nationalism: A Critical Review of Recent Literature" in the European Journal of the Philosophy, vol. 7 no. 1, April , p. 76.; Tamir Yael (1995) Liberal Nationalism, Princeton, Princeton University Press.

(٢٢) لا يمكن هنا أن نناقش الأحداث والتصورات الصهيونية حول حرب عام ١٩٦٧ بالتفصيل.

(٢٣) رفعت هذا الشعار منظمة "بيتار، وهى الجناح الشبابى لحزب حيروت، أول حزب قائد فى تكتل الليكود المعاصر، وكذلك المنظمات الإرهابية المتبثقة عن حيروت مثل "أرجون تزفاى ليومى" والتي قادها مناحم بيجين و "لوخامى حيروت إسرائيل" التى قادها اسحاق شامير، رئيسا الوزراء السابقين وقد انبثق الشعار من عقيدة "اتحاد المتدينين" الذى كان أول حركة إرهابية فى فلسطين. وكان قائدها "أبا أحيمير" Ahimeir قد سخر من الديمقراطية والفكرة البرلمانية ودافع عن سياسة الدمج الشمولية. وكانت هذه الحركة تحارب الحكم البريطانى والشيوعيين والعرب واليسار الصهيونى والى حد ما النازيين، وذكرت فى أحد منشوراتها م أن النازى لديه "أفكار جيدة" بغض النظر عن عدائه للسامية. وقد اتهمت المجموعة باغتيال د. حاييم أورلوزوف زعيم الوكالة اليهودية وحزب العمل، وكان د. بن صهيون نتنياهو والد رئيس الوزراء السابق بنيامين نتنياهو عضواً ناشطاً فى اتحاد المتدينين أو المخلصين، أما كلمة المخلصين biryonim فتعنى بالعبرية المعاصرة السفاحين أو القتلة، انظر فى ذلك :

Mitchell Cohen (1987) Zion and State, Oxford, Blackwell, pp. 154,172; Tom Segev (2000) The Seventh million, New York, Holt & Company, p.23.

Albert Einstein, quoted by Mordechai Richler (1996) This Year in Jerusalem, (٢٤) London, Vintage books p. 1.

Israel Shahak (1994) Jewish History, Jewish Religion, the Weight of the Three (٢٥) Thousand Years, London, Pluto Press.

Benjamin Beit-Hallahmi (1992) Original Sins, Reflections on the History of (٢٦) Zionism and Israel, London, Pluto Press, p. 22.

(٢٧) تلخص "إيديت زترال" رؤيتها المعارضة للروايات الإسرائيلية عن الهولوكوست إبان السنوات الأولى عقب قيام الدولة على النحو التالي: "يبدو المفهوم والأيدولوجيا الصهيونية المسيطرة لعدة أجيال من الكفاءة والتجاح بخصوص مسألة "إنهاء الدياسبورا" من حيث إن القليل من المبعوثين الصهاينة الأوائل إلى القليلين الباقين على قيد الحياة بعد الهولوكوست تمكنوا من التعبير بشكل عاطفي مؤثر وأصيل يدل على الامتنان لمن عاشوا من ضحايا النازية...".

Idit Zetral (1998) 'The Bearers and The Burdens Holocaust Survivors in the discourse of Zionism' in Constellations vol. 5 no. 2 p.284.

(٢٨) يمكن الاطلاع على تحليل قوى لهذا الرأي في :

Hanna Ardent (1965) Eichmann in Jerusalem, New York Viking; Segev, The seventh Million, p.385.

ويعلق "سيجيف" على رأى حنا أرندت بقوله : "هى ترى أن جريمة إِيخمان بحق اليهود كان ينبغي تحويلها إلى جريمة ضد الإنسانية... لقد كانت المحاكمة معتدلة وتم ببساطة غض الطرف عن دور إِيخمان بعيون مغمضة، إذ كان الغرض الحقيقي من المحاكمة توجيه رسالة إلى الشعب اليهودي بخصوص ما تزعمه إسرائيل بأنها تتكلم نيابة عن الروح الأيديولوجية للصهيونية، فلم تكن الدولة تتطلع إلى الحديث باسم الإنسانية، حيث رفضت إسرائيل فى الواقع الجهود المبذولة لتصنيف الهولوكوست كجريمة عالمية واعتبرتها محاولة لتقليل دلالة الحل النهائي وإنكار الحق المنفرد للشعب اليهودي فى طلب مساندة دول أخرى. وهذا هو ما رفضته "أرندت". وفى الصفحات التالية من كتابه يتحدث "سيجيف" عما يسميه ردود الفعل "الهستيرية" فى إسرائيل ضد الموقف النقدي "لأرندت".

Michael Warschawski (1995) 'Misappropriating the Mantle of the Slain' in News (٢٩) from Within, vol. 10 no. 6 June.

(٤٠) انظر مقدمة "يوسى ساريد" لكتاب :

Marcel Zohar (1990) Let my People go to Hell, Treachery in Blue and White, English translation of the Hebrew, with an introduction by Yossy Sarid, Tel Aviv, Citrin,(1990).

وقد قام زوهار بعمل توثيق مفرق فى التفاصيل لحالات من يهود الأرجنتين الذين رفضوا حماية إسرائيل ونجوا من التعذيب والموت على يد الجنرالات الديكتاتوريين ممن أطلق عليهم ساريد "أتباع النمط النازي". ومما يثير الاستغراب أن هذا الكتاب المهم لم يترجم إلى الإنجليزية أو الإسبانية.

Norman G. Finkelstein (2000) The Holocaust Industry: Reflection on the (٤١) Exploitation of the Jewish Suffering, London and New York, Verso, p. 3.

رغم ما قدمه فينكلشتاين من حجة مهمة وجادة، فإن الأسلوب السجالي المسيطر على الكتاب وخصوصاً رأيه حول إساءة استخدام التعويض أضعف صدقيته للأسف، وكان ينبغي على فينكلشتاين التركيز على ما قامت به الصهيونية السياسية بالتلاعب بالهولوكوست فمن المفارقات بخصوص صناعة الهولوكوست

الجديدة أن الصهاينة في فلسطين تحت الانتداب وخلال السنوات الأولى من عمر الدولة وعن طريق أيديولوجية "إنهاء/نفي الدياسبورا"، طرحوا آراء هجومية و انقسامية حول من تبقىوا من الهولوكوست، انظر :

Zertal, 'The Bearers and The Burdens', pp.283-95.

(٤٢) ليس الهدف هو نسيان الهولوكوست بل على العكس يجب تذكره و اعتباره رمزاً قوياً على غياب البعد الإنساني على المستوى العالمي، والحجة هنا ببساطة هي ضرورة التخلي عن استخدامه لبث الرعب من مستقبل الدياسبورا وأيضاً توجيه النقد للمعاملة غير الإنسانية للفلسطينيين من قبل إسرائيل. والواقع أن الموقف الأمريكي ممن ينكرون الهولوكوست يوضح عدم حساسية الديمقراطيات الليبرالية تجاه الأقليات، ومع ذلك فهم يتمتعون بالإثنية ذلك أن من ينكرون الهولوكوست اليهودي يشبهون ويضرون باليهود كتجمع ويسخرون منهم.

Beilin, Moto shel haded, chapter 3. See also the detailed roundtable on Yossi (٤٣) Beilin's The Death of The American Uncle in Israel Studies, vol. 5 no. 1. 2000.

Shahak, Jewish History, p. 32. (٤٤)

(٤٥) استخدم المصطلح من الناحية التقليدية للإشارة إلى الأقليات الكلاسيكية التي تفتقد إلى أرض في أوروبا "الأرمن، اليهود، روما وإلى حد ما اليونانيين". ومنذ عقد الستينات من القرن الماضي، وكان هناك توسع مثير للانتباه في استخدام فكرة الدياسبورا لوصف سلسلة من الأقليات العرقية والقومية التي تعارض هيمنة الدولة القومية، انظر :

Kachig Toloyan (1991) ' The Nation-State and Its others' in Diaspora, no.1, p. 4.

(٤٦) يذكر قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية أن المصطلح جاء من كلمة ذات أصل إغريقي أو الترجمة اليونانية للإنجيل والذي تحدث عن التيه أو الانتشار في كل ممالك الأرض ولكن الترجمة العبرية تعني ما يلي "إنكم سوف تتشتتون بين الأمم من أقصاها إلى أقصاها" أما المصطلح الأصلي فهو يرتبط مباشرة بالنفي الطوعي أو الانتشار والمصطلح العبري الحديث للدياسبورا أكثر ارتباطاً بهذا المعنى وأقل ارتباطاً بجالات أو النفي القسري ولكن المفردات الصهيونية فضلت المصطلح الأخير لأنه ويعكس النفي الطوعي يدعم من فكرة النفي واغتراب اليهود في الدياسبورا، انظر :

Michael Galchinsky (1998) 'Scattered seeds', in D. Biale, M. Galchinsky S. heshel, Insider/Outsider, American Jews and Multiculturalism, Berkeley, University of California Press, p.194.

(٤٧) انظر، تحليلاً مهماً للمصطلح في :

John Stratton (1997) '(Dis)plaining The Jews Historicizing the Idea of Diaspora' In Diaspora ,vol.6,no.3,pp.310-15.

Arnold M. Eisen (1986) Galut, Bloomington, Indiana University Press. (٤٨)

(٤٩) يمكن أن نجد مثلاً معاصراً لهذا الرفض التنويرى اليهودى لمصطلح المنفى Golah فى الرسائل المتبادلة بين "بلاوشتين" و "بن جوريون" حيث يرى بلاوشتين أن "الأمريكيين اليهود يرفضون كلياً وجود المنفى القصرى بمعنى Golah فاليهود الامريكيون يرتبطون بشدة بأمريكا... حيث تمكنوا فى ظل مؤسسات أمريكا الحرة هم وأطفالهم من الإحساس بالأمان الذى ظل مفقوداً لقرون طويلة. انظر : بيلين، الطبعة العبرية، ص٢٦ والترجمة الإنجليزية ص٥٩ .

(٥٠) من الجدير بالذكر أن المتحدثين بالعبرية الإسرائيلية لا يدركون دائماً الفارق المفهومى الكبير بين المنفى القصرى والمنفى الطوعى.

(٥١) Joseph De Maistre (1974) "Of the Divine Influence in Political Constitution" chapter 6 of Considerations on France, trans. Richard A. Leun, Montreal, McGill-Queen's University Press.

(٥٢) David Sorkin (1999) "Emancipation, Hakasalah and Reform: The Contributions of Amos Funkestein" in Jewish Social Studies, vol. 6, no. 1, p. 101.

(٥٣) The Blaustein-Ben-Gurion exchange is ample evidence of this. For an extensive discussion of this debat see Liebman, Pressure without Sanction, pp. 118-31: Charles Liebman (1974) "Diaspora Influence on Israel: the Ben-Gurion Blaustein Exchange" in Jewish Studies, vol. 36, nos. 3-4, pp. 271-80 Beilin, Moto shel haded, Appendix A.

(٥٤) تناول الدكتور "دانييل إلازار" Elazar هذه النقطة بشرح طريف عندما قال "ذهب الموقف الإسرائيلى المدعوم تماماً من قبل الحركة الصهيونية إلى أن اليهود الذين سمح لهم بمغادرة الاتحاد السوفيتى طلبوا الهجرة إلى إسرائيل كجزء من عملية تجميع العائلات (وهو السبب الرسمى الذى جعل السوفييت يسمحون لهم بالمغادرة) كشرط لإكمال الرحلة. وعلى أية حال كان رفضهم يعنى أنهم لن يستحقوا مساعدة المصادر اليهودية الأخرى، وقد تمثل موقف الدياسبورا ومعظمهم من قادة اليهود الأمريكيين فى أن الموضوع عبارة عن إنقاذ لليهود، وأنه يجسد المسئولية اليهودية تحت أى ظرف وأن الاتجاه الذى يسلكه أى يهودى تم إنقاذه أمر من اختياره الشخصى"، انظر :

Daniel J. Elazar, Reinventing world Jewry : How to Design the World Jewish polity, The Jerusalem Center for Public Affairs(<http://www.jcpa.org/dja/articles3/rwj6.htm>).

(٥٥) من أجل مناقشة مدققة للمطالبة بالحقوق الجماعية للأقليات انظر :

Parekh, Rethinking Multiculturalism.

ibid., p. 197. (٥٦)

ibid., p. 262. (٥٧)



(٥٨) البوند هو: الاتحاد العام للعمال اليهود في ليتوانيا وبولندا وروسيا وكان حزباً اشتراكياً معادياً للصهيونية ودافع عن إعطاء اليهود استقلالية قومية ثقافية في البلاد المشار إليها وكان "سيمون دونيو" المؤرخ اليهودي المشهور والذي أيد منح يهود الدياسبورا استقلالية قومية ثقافية لكنه تجاهل الشعارات الاشتراكية للبوند. وقد دافع حاييم زيتوفيسكى المتظر الثوري الاجتماعي الروسي، ولكن بمنطق مناقض للتنوير اليهودي، بقوة عن اللغة اليديشية كلغة يهودية.

See Nimni, 'Nationalist Multiculturalism in Late Imperial Austria', pp.289-314. (٥٩)

(٦٠) في كتابه الحديث الذي يحفز على أعمال العقل يرى باروخ كيمرلينج أن مجموعة التحالفات التي سيطر عليها الأشكناز والتي حافظت على بقاء النخبة في السلطة قد استنفدت أغراضها أو انتفى وجودها السياسي وأن Ahuselim أى مرادف الأشكنازي الاشتراكي العلماني الذي يسعى لتشكيل قومية خاصة باليهود لم تعد لديهم السيطرة في النخبة السياسية الإسرائيلية Uerudit. يناقش "كيمرلينج" المجتمع الإسرائيلي بعمق ويرى أنه يتكون من مشاهد كثيرة تبعث على التفكير وأن البناء العلماني المتمحور حول العرق "Israeliut" يستخدم بوسائل عديدة ولا يمكن الإحاطة به، أنظر :

Baruch Kimmerling (2001) Ketz Shilton ha-Ahuselim, ('The end of Ashkenazi Hegemony') Jerusalem, Keter.

Uri Avnery (1968) Milchement Hayom, ('The Seventh Day War'), translated as Israel without Zionism, Macmillan.

Steven Gold (1997) 'Transnationalism and Vocabularies of Motives in International Migration: The case of Israelis in the United States, in Sociological Perspective , No.,40,pp.408-37.

(٦١) استخدم الاتجاه السائد في علم الاجتماع الإسرائيلي مصطلح "Edot Hamizrach" للإشارة إلى اليهود السفارد والعرب ولكن المصطلح غير كاف أو غير ذي دلالة لأنه يعبر عن تعميم غير دقيق بخصوص تجمعات متنوعة كما أنه يتضمن دلالة جغرافية مشوهة مثلما توحى المعادلة التالية:غرب يساوى طيب أوجيد، شرق يساوى: سيئ أو رديء. وأنا أفضل استخدام مصطلح "يهود السفارد" واليهود ذوي الخلفية العربية.

Samy Smoocha (1992) Arabs and Jews in Israel, Boulder, Colo.: Westview (٦٢) Press;(1978) Israel , Pluralism and conflict, London,Routledge and Kegan Paul; Shlomo Swirski(1989) Lonne Halim ele menuchshalim, translated as Israel, the Oriental Majority, London and New York ,Zed books;Ella Shohat (1988) 'Sephardim in Israel : Zionism from the standpoint of its Jewish Victims',in Social Text,nos.19/20.

See the moving accounts of this dilemma in Yosefa Loshintzky (1996) (٦٣) 'Authenticity in Crisis: Shur and new Israeli forms of Ethniscity', in Media, Culture and Society,Vol.18,pp.87-103;and Henriette Dahan-Kalev,chapter8.

(٦٤) الكتابات باللغة الإنجليزية عن هذه الحركة قليلة، وهناك وجهة نظر موالية للصهيونية وغير متعاطفة معها في :

Yaacov Shavit (1987) *The New Hebrew Nation, A Study in Israeli Heresy and Fantasy*, London: Frank Cass.

ويلاحظ أنه يمتنع في الخاتمة عن الاعتراف بآثر الحجة الخاصة بظاهرة ما بعد الكنعانية، ص ١٥٣، ويمكن الاطلاع على مناقشة أكثر توازناً في :

James Diamond (1986) *Homeland or Holyland : The Caananite Critique Of Israel*, Bloomington, Indiana University Pres; L. Silberstein (1999) *The Post Zionist Debates* , London, Routledge, pp67-88, Dan Laor (2000) 'American Literature and Israeli Culture: The Case of the Canaanites', in *Israel Studies*, vol.5,no.1,pp.287-98.

Uri Avnery (1968) *Milchament Hayom Hashvii*, ('The Seventh War'), translated (٦٥) as *Israel without Zionism*, London, Macmillan.

Steven Gold (1997) 'Transnationalism and Vocabularies of Motives in (٦٦) International Migration: The Case of Israelis in the United States', in *Sociological Perspectives*, no. 40, pp.408-37.

Rinna Cohen (1999) 'From Ethnonational Enclave to Diaspora Community : The (٦٧) main-streaming of Israeli Jewish Migrants in Toronto', in *Diaspora*, vol.8, no.2, pp121-36; Rina Cohen and Gerald Gold (1997) 'Constructing Ethnicity: Myth of Return and Modes of Exclusion among Israelis in Toronto', in *International Migration*, vol.35, no.3, pp.373-92.

Cohen, 'From Ethnonational Enclave', p.121. (٦٨)

*Ibid.*, p. 123. (٦٩)

*Ibid.*, p. 128. (٧٠)

## الفصل السادس

### خطاب ما بعد الصهيونية بأصوات بديلة

#### منظور نسوي

هنا هرتزوج Hanna Herzor

شغل مفهوم ما بعد الصهيونية مكانة بارزة في الخطاب العام والأكاديمي في إسرائيل، حيث تماس مع الخطاب ما بعد الحداثي وامتزج به، ويستخدم مصطلح ما بعد الصهيونية، شأنه في ذلك شأن مفهوم ما بعد الحداثة، بطرق متعددة. وقد وتعرض المفهوم لجدل كبير حول المعنى المقصود بكل منهما، ومن هنا يجب النظر إلى المفاهيم من حيث أصولها التي تشير إليه تأويلات مختلفة. وفضلاً عن ذلك، يجب أن نعترف بأن هذه المفاهيم تتعرض للتغير والتطور<sup>(١)</sup>.

ويرى رواد النظريات المتعددة الخاصة بـ "ما بعد " أو المابعديات (ما بعد الحداثة، ما بعد البنيوية وغيرهما) أن أبرز التعريفات التي شغلت اهتمام الرأي العام الإسرائيلي والخطاب الأكاديمي لما بعد الصهيونية هو ذلك الذي يعرف ما بعد الصهيونية على أنها مناهضة الصهيونية. وسوف يوضح هذا الفصل أن ذلك هو مجرد جانب واحد من مواقف عديدة في الخطاب، وإن كان لا يشكل أفضل التعريفات لفهم الواقع الإسرائيلي. وأنا أفترض هنا أنه بقدر أن ما بعد الحداثة لا تعني إنهاء الحداثة ولكن تصوغ تشخيصاً مغايراً للتطورات التي أدخلتها الحداثة بما يشمل الانتقادات الجذرية لها كذلك يجب فهم مصطلح ما بعد الصهيونية بطريقة مشابهة. وإذا كانت ما بعد الحداثة هي دعوة لإدخال تعديلات واسعة النطاق على الحداثة، فإن ما بعد الصهيونية تُعد

بالمثل بحثاً عن مجتمع أفضل داخل إسرائيل. ومن الناحية التحليلية من المهم جداً التمييز بين ما بعد الصهيونية كظرف اجتماعي وما بعد الصهيونية كدعوة سياسية. فما بعد الصهيونية أولاً وقبل كل شيء هي ظرف اجتماعي نبع من تكريس الأفكار الرئيسية للصهيونية مثل إقامة دولة يهودية وأكثر من ذلك تعميق الوعي بين كل شعوب المنطقة بأن إسرائيل هي حقيقة حياتية وليست ظاهرة عابرة كما يأمل بعض معارضيها وكما يخشى بعض مؤيديها. والواقع أن المجموعات المختلفة قد اعتبرت الدولة بمثابة حالة تمكين أو تدعيم بينما صارت الدولة بالنسبة لآخرين مثل المتدينين الشرقيين "مزراحي والنساء" بمثابة خبرة تهميشية ومسيطرة. ويمكن القول أن التطورات اللاحقة لإقامة الدولة ومؤسسة الصهيونية هي التي شكلت الخطأ الذي تعدده ما بعد الصهيونية "جزءاً منه" ومن وجهة نظر بسوسيولوجية أو مجتمعية لابد أن نأخذ في الحسبان أن الصهيونية ازدهرت بفعل الجدل والصراع على التعريف الاجتماعي للحدود التي تنتهي عندها الدولة وبخصوص دلالة التشكيل الجماعي والدولة وقد استقر الصراع داخل الخطاب الأكاديمي بفروعه المختلفة وفي الخطاب العام وما يقع بينهما. ويمكن القول إن هناك ضرورة لاعتبار الأفكار النسوية الإسرائيلية المعاصرة تتبنى رؤية معارضة لخلفية الخطاب ما بعد الصهيوني وفي نفس الوقت كجزء من هذا الخطاب.

ويستعير اتجاه ما بعد الصهيونية كدعوة سياسية مفاهيم رئيسيين من الخطاب ما بعد الحداثي، يتعلق الأول بنهاية الروايات التاريخية الشمولية، ومن ناحية أخرى نهاية منطق التدمير. وقد تسبب هذان المفهومان في خلق مناخ عام ارتفعت فيه أصوات ناقدة مختلفة ومنها أصوات النساء وحتى لو كانت هذه الأصوات تشتمل على أصوات معادية للصهيونية يوجد أيضاً البعض الذين يدعون إلى تفسير مغاير للصهيونية ومن هذه الأصوات الخطاب النسوي الذي أضافته المرأة أو بالتحديد الخطابات النسوية.

وتتمثل المقولة الرئيسية في هذه الورقة في أن الرؤى المتعددة للنساء في إطار مواجهة الخطاب الصهيوني السائد جعلت صوتهن مسموعاً. والواقع أنه لا يوجد صوت نسوي واحد كما لا يوجد بالتأكيد هيكل منظم واحد يمثل كل النساء، فقد نبعت



الاصوات من الوسط الأكاديمي ومن الخطاب العام فى الوقت نفسه، مع ما بينهما من فوارق. وتتحدى هذه الأصوات النظام السائد ولكنها وفى الوقت نفسه تتنافس فيما بينها وتنتقد بعضها البعض. ومن منظور "تحديثي" يوجد تأثير عكسي لغياب الاندماج السياسى أو التعبئة حول هوية توحيدية بما يضعف القدرة على إحداث تغيير اجتماعى. ولكننى أعتقد أن تعدد الاصوات نو أثر تراكمى من حيث يهاجم الأجندة السائدة من زوايا مختلفة ويؤدى إلى أساساً صياغة أجندة جديدة ومتنوعة. ويوجه الخطاب الجديد نقداً للمكانة غير اللائقة للنساء فى المجتمع الصهيونى المؤسسى وإذا كان الخطاب الصهيونى الخاص بالنوع يعتبر أن الولاء للنوع صار تابعاً للولاء القومى فإن الخطاب ما بعد الصهيونى يأتى بأفكار حول أجندات وسياسات بديلة، وفى حين يركز الخطاب الذكورى على الحيز العام وشئون الدولة والحدود والهوية فإن الخطاب النسوى ما بعد الصهيونى يضيف نقاشاً حول الحياة اليومية ذاتها، وبينما لا يتحدث الخطاب ما بعد الصهيونى عن تغير فى موضع الفرد فى علاقته بالمجموع فإن الخطاب النسوى ما بعد الصهيونى هو فقط الذى يدخل هذا المطلب فى لغة دقيقة.

### **الصهيونية وما بعد الصهيونية والحادثة : تعليقات من مرجعيات متعددة**

لا يمكن فهم "ما بعد الصهيونية" كظاهرة اجتماعية وكموقف اجتماعى بدون الأخذ فى الاعتبار، بصفة عامة ومجردة على الأقل، التطورات الاجتماعية والسياسية والثقافية التى أفضت إلى بروز وتحقيق الصهيونية والمشكلات التى سببها ذلك الأمر. وكما سلف القول ينبغى النظر لما بعد الصهيونية كظاهرة متنامية ومتغيرة كما يجب الأخذ فى الاعتبار خلفية بروزها. وأنا أود القول بأن الحلول التى قدمتها الصهيونية لمشكلات التجمع اليهودى فى أوروبا فى عصر الحداثة خلقت موقفاً تحول آنذاك إلى مشكلة خاصة بالتجمع الذى يعيش فى إسرائيل ومن ثم صارت أساساً للظرف والفكر ما بعد الصهيونى. وإذا كانت جزءاً من ظاهرة حديثة وخطاب حديث فإن ما بعد الصهيونية تعبر عن الواقع ما بعد الحداثى حتى لو لم يعتبر كل المفكرين ممن يتحدثون باسمها أنفسهم مشاركين ناشطين فى الخطاب ما بعد الحداثى. فقد كانت الصهيونية واحدة

من حلول عديدة برزت إبان النصف الثانى من القرن التاسع عشر للمشكلات المرتبطة بوجود التجمعات اليهودية فى أوروبا خصوصاً شرق ووسط أوروبا، وقد أدت عمليات الإعتاق وانتشار الديمقراطية والتطور المتسارع للرأسمالية إلى جانب عمليات العلمنة داخل المجتمع اليهودى والمجتمع المحيط به، إلى فتح الأبواب أمام خيارات جديدة وضعتهم أمام معضلات فردية وجماعية. وكانت حلول عديدة لهذه المشكلة قد طرحت ومن بينها الاشتراكية والشيوعية أو كمواطنين فى مجتمع فسييفسائى أو الاندماج أو القومية أو التحصن بعالم الدين "الأرثوذكسية المتطرفة"، وكان لكل من هذه الحلول فئة اجتماعية تستطيع تحقيقه، وكل منها رسم حدود الانتماء ومعناه كما عرف من ينتمون إليه وهويتهم بينما استبعد الآخرين. ومن الجدير بالذكر أن الهجرة إلى فلسطين أو أرض إسرائيل مع نهاية القرن التاسع عشر قد تمت بوسائل مختلفة. فمع بداية ثمانينات القرن التاسع عشر كان عدد من هاجروا إلى إسرائيل وحددوا أنفسهم كصهاينة من الصغر بما لا يقارن بالعدد المتوقع تبعاً لدوافع دينية وقد عمقت الأرثوذكسية المتطرفة جذورها فى أرض إسرائيل منذ البدايات الأولى للمشروع الصهيونى وكان ذلك بمثابة رد فعل على مشكلات الوجود المرتبطة بالعصر الحديث.

وكانت الصهيونية - بغض النظر عما إذا كان البعض يفسرها بأنها حركة قومية تستند إلى روح الخطاب الصهيونى أو كحركة استعمارية - جزءاً لا يتجزأ من خبرة وخطاب العالم الحديث، فالعصور الحديثة تميزت بمشروعات الدولة والقومية، وتم اعتبار الدولة بمثابة تقدم على طريق حل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية وتلك الخاصة بالجماعات والتي عانت منها جماعات قومية. وهى المشكلة نفسها التى تواجه الدولة اليهودية وتوضح ضرورة تفهم أن النضال الفلسطينى ومطالبته بالاعتراف بالحقوق الفلسطينية وتقرير المصير وإنشاء دولة مستقلة.

وتحتل الدولة القومية قلب النشاط الصهيونى إذ كانت كما لاحظنا، أحد الخيارات المستقرة فى حل مشكلات وجود اليهود الأوروبيين وإن هذا كان ومن دون شك نفس الوضع نفسه بعد الهولوكوست ومع إقامة الدولة، حيث صارت هذه الدولة نفسها مشكلة وجودية لمجموعات أخرى عديدة بنفس القدر سواء فى داخلها أو حولها ومن هنا تمثل

الدولة الاهتمام المركزى للخطاب ما بعد الصهيونى وكذلك هويتها وعلاقاتها مع مواطنيها وعلاقاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية مع تجمعات ودول أخرى أدركت ظاهرة العولة.

وينبغى ملاحظة أن الحركة العمالية الصهيونية حددت طبيعة الدولة حتى نهاية ستينات القرن العشرين، فعندما نتحدث عن الهيمنة الصهيونية يقفز إلى الذهن المعنى الخاص بهيمنة التيارات الاشتراكية فى الصهيونية. وهذه الحقيقة على قدر عال من الأهمية فمنذ بداية عملية بناء الهيمنة الصهيونية بصورتها العملية الاشتراكية، كانت هناك مجموعات صهيونية متنوعة ذات توجه قومى متناثرة على جوانب فرعية بجانب مجموعات غير صهيونية، وتم التأكيد على الأهداف الجماعية والولاء الجماعى وإعطاءهم الأولوية على حقوق ورفاهية الفرد. ومن بين المجموعات البارزة التى صنعت الدولة لها ظروفًا تتميز بالاستبعاد والتهميش للوجود، الفلسطينيين أولاً وقبل كل شىء. لكن جماعات أخرى وضعت أيضاً على هوامش أو تخوم مؤسسة الهيمنة الصهيونية، وهذا كان مصير اليهود النازحين من الدول العربية الذين ازدادت أعدادهم بشكل ملموس إبان العقد الأول بعد قيام الدولة، إلى جانب مجموعات من اليهود اليمينيين والمتدينين وخصوصاً الأرثوذكس المتطرفين. كذلك حدد موقع النساء من خلال قواعد الخطاب المسيطر، ومن ثم فإن الخطاب ما بعد الصهيونى برز من المواجهة مع هذه الهيمنة، فقد أثار السؤال عن الطريقة التى تعطل فيها تاريخ مجموعات متنوعة ولكنها دفعت إلى تصديق أو الإخبار عن رواية جديدة أو قصة "الآخر" وفيما يلى سنحاول كشف التوجه النسوى فى الخطاب الصهيونى بضرب عدد من الأمثلة توضح سبب الصدام مع هذا الخطاب وفى نفس الوقت تضع أسس خطابات بديلة.

### نحن أيضاً شاركنا فى قصة الصهيونية :

شهدت نهاية ثمانينات القرن العشرين بداية عملية مراجعة التاريخ الصهيونى فى محاولة لإدخال النساء كمشاركات فى قصة بناء الدولة، وفى حين أسس الخطاب المسيطر هوية كلية من أفعال الرجال وعملية بناء الأمة، وجهت البحوث النسوية

اهتمامها للجزء الذى أبدته المرأة فى هذه العملية. ومن أبرز الأمثلة التى تستحق التقدير قصة كفاح المرأة من أجل نيل حق التصويت<sup>(٢)</sup>، فقد اعتبرت الكتابة الجديدة حول رواية التاريخ أن النساء شاركن كشركاء فاعلين فى وضع أسس الديمقراطية الإسرائيلية، لكن الأكثر أهمية من ذلك هو الكشف عن الآليات التى تم بها استبعاد النساء من الرواية التاريخية المسيطرة والأساليب التى تم بها إسكات أصواتهن.

ويعتبر كتاب الرواد وصانعو الوطن الذى حرره "برنشتاين"<sup>(٣)</sup> مثالا لإدخال النساء فى تاريخ بناء الأمة، فقد تضمن دراسات تعيد الاعتبار لأدوار النساء فى البلدات الصغيرة والكيبوتزات والتجمعات الحضرية كما فى الأدب والإبداع الثقافى وفى المبادرات الاجتماعية والسياسية وفى ميادين الرفاه والصحة والتعليم، فالمرء يتعلم من هذا العمل الروائى التاريخى كيف إن المرأة لم تكن موجودة فحسب فى المواقع نفسها التى وجد فيها الرجل، ولكنها صنعت أيضاً إنجازات متفردة وكانت لديها مسالك أخرى تعاملت من خلالها مع عملية بناء الأمة.

عمدت الحركة النسوية فى عصر "اليشوف" إلى إحداث قطيعة مع التوجه الجماعى الموحد الذى خلقته الحركة الصهيونية، فقد جمعت الكتابة والشعر النسوى بين المنحى الفردى والشخصى من جهة والهوية الجمعية والعمومية من جهة أخرى. وكشفت خبرات النساء - كما ظهرت على السطح عبر البحوث والدراسات وشتى أشكال التغيير - عن الصعوبات التى تجاهلها ما قدمه الرجال من روايات للتاريخ، ومن ذلك الكشف عن خدعة المساواة بين النوعين التى جسدتها الهيمنة الصهيونية العمالية.

## الأمهات المؤسسة للأمة :

ظهر عدد كبير ومتزايد من الدراسات التى تبنت منظوراً نقدياً للرواية الصهيونية للتاريخ مستعيرة فى ذلك منهج النقد الخاص بميشيل فوكو [الفيلسوف الفرنسى المعروف وأحد مؤسسى البنيوية]. وتعتقد هذه الدراسات أن الصهيونية شيدت نسقاً معرفياً يتحيز بشدة لمسألة التماهى مع المجموع أو الذوبان فيه، وأن هذا النسق رسم



مكانة للمرأة الصهيونية تعتبر النساء أمهات مؤسسة للأمة ولكن فى الوقت نفسه تُلقى بها إلى الخطوط الخلفية أو الهوامش ولم تسمح لهن بأى منفذ إلى مواقع القوة المتعددة. والواقع أن كاتبة مثل "نيرا يوفال - دافيز" Nira Yuval-Davis سبقت عصر ما بعد الصهيونية فى إسرائيل عندما وضعت أسس هذه الدراسات عبر سلسلة من الكتابات التى يتصاعد نفوذها ويتوسع هذه الأيام. وقد ترعرعت "يوفال - دافيز" فى صفوف حزب "الماتسبن" (الفهود السود) ذى التوجهات الماركسية والمعادى للصهيونية، وأثبتت كيف كانت وضعية النساء فى إسرائيل نتاجاً لتشريع دينى يجعل المرأة مجرد كائن يضطلع بعبء التجمع اليهودى ويعيد إنتاج هذه الوضعية<sup>(٥)</sup>.

وطوال عقد التسعينات من القرن العشرين انتقدت دراسات عدة أسلوب تضمين أو إحلال النساء فى الأمة، إذ كشف تصوير الأمة باعتبارها أمة - امرأة إبان عملية تأسيس أمة متخيلة عن واقع يتميز بكونه مجرد ترتيبات أو تعاملات بين الرجال فقط وكأنه تاريخ ذكورى بالكامل حسب رأى "أورلى لوبن" Orly Lubin ، إذ تعتقد أن الخطاب القومى لم يسمح سوى بحيز ضئيل للنساء، وهو ما أيدته "حنان هيفر" Hever من خلال تحليلها للتطور السياسى المتضمن فى عملية إحياء الأدب العبرى<sup>(٧)</sup>، حيث خلق الأدب العبرى الإحيائى ثقافة وهوية وذاتاً ترسخت فى الخطاب الصهيونى من خلال تهميش "الآخرين" وإسكاتهم، حيث تأسس هذا الخطاب على فرضيات خاصة بالثنائية والتراتبية والهيراركية وعلاقات القوة بشأن الاختلافات فى النوع بين الرجال والنساء.

ومن الجدير بالذكر أنه حتى القانونين الأولين اللذين استهدفا إعطاء النساء وضعية المواطنة على قدم المساواة وهما "قانون الخدمة العسكرية" لعام ١٩٤٩ و "قانون الحقوق المتساوية للنساء" لعام ١٩٥١ تم تقييدهما بتصوير مفاده أن النساء هن فقط أمهات الأمة. وقد أوضحت "بركوفيتش" Berkovitch فى تحليلها للقانونين كيف أن المرأة اليهودية الإسرائيلية أعتبرت أولاً وقبل كل شىء مجرد أم وزوجة لا كفرد أو مواطن<sup>(٩)</sup>، إذ تم تعريف الأمومة كدور عام يتولى تجسيد الأمة وإعطاءها دلالتها، وأن هذا المفهوم - الأمومة كرسالة قومية - هو الذى تم عن طريقه إحلال النساء فى المجموع.

لقد أدت عملية الكشف عن العلاقات بين الهوية القومية والنوع إلى ظهور دراسات تتعرض لتأثير الصراع الإسرائيلي - العربي على مكانة المرأة اليهودية والفلسطينية في إسرائيل، إذ أجبرت كل من النساء اليهوديات والفلسطينيات، باسم الصراع، على إعادة التأكيد على التمايز بين الخاص والعام وعلى التقسيم التقليدي للأدوار بين الرجال والنساء<sup>(١٠)</sup>، ولقد واجهت الدراسات سאלفة الذكر عالم الرجال عبر إثارة الانتباه إلى تشابه خبرات النسوة اليهوديات والفلسطينيات، وبعبارة أخرى أثارت المشكلات المتعلقة بالوجود ذاته أو بكيونة النساء والتي تسببت فيها التجربة الصهيونية والتي تخطت الحدود القومية ذاتها، ففي حين وضع الخطاب الصهيوني المسيطر النساء اليهوديات والنساء الفلسطينيات على النقيض من بعضهن البعض، فإن التحليل ما بعد الصهيوني جعلهن يعانين من نفس الوضعية في مواجهة الرجال، وهذا ما دفع ذلك الخطاب إلى طرح أجندة سياسية مغايرة.

### رسم أوضاع المرأة بمنطق تدميري :

أدى الكشف عن الآليات التي رسخها الخطاب الصهيوني حول المرأة إلى تمهيد الطريق أمام بزوغ أصوات أخرى حيث شكلت الدعوة إلى خطاب سياسي نسوي المحفز المشترك لهذه الأصوات.

كان هناك استخدام متزايد لخطاب الأمومة منذ عقد الثمانينات من القرن العشرين من قبل النساء من أجنحة اليمين واليسار، كاستراتيجيات للمشاركة السياسية<sup>(١١)</sup> ومن أبرز الأمثلة هنا حركات : "أمهات ضد الصمت"، و"الأمهات الداعيات للانسحاب من لبنان" و "الأمهات الأربع" وهذه الحركات تنتمي للجناح اليساري، ومن الجناح اليميني هناك حركتا "النساء الخضر" و "النساء اليعقوبيات" Rachelim .

وعلى الرغم من التعارض بين وجهتي نظرهما السياسية، فقد تحدى الخطاب المدني المسيطر والذي تأسس على الخطاب الذكوري العقلاني كما ترسخ في الفضاء العام.

وقد استخدمت النساء المستبعدة من الفضاء السياسى، سواء كن من اليمين أو من اليسار، الوضع المركزى للأسرة فى الخطاب الصهيونى القومى بأسلوب يكشف عن الجانب التدميرى فى هذا الخطاب. فقد استثنى صوت المرأة كمسألة مشروعة فى الحيز الخاص لبث رسائل سياسية معينة. مثل اعتراض النساء على سيطرة الرجال على الممارسة السياسية عن طريق استخدام أصوات الأمهات وممارسات الأمومة فى الفضاء العام. كما لجأ إلى لفت الأنظار إلى الاضطراب الذى سببه التمييز الحادث بين الحيزين العام والخاص عبر رفض حصر الأمومة فى مجرد كونها مسألة خاصة فقط.

وهكذا صارت النساء فى كلتا الحالتين - يميناً أو يساراً - والمستبعدات من الساحة السياسية فاعلات سياسيات مستقلات ومتنفذات، تتحدى القواعد العامة للعبة وخصوصاً تلك المتعلقة بتجمعاتهن.

وإلى جانب الأمومة كمنطق تدميرى بفعل تأثير الخطاب الصهيونى، يظهر الآن منطق نسوى بديل يرفض النظر إلى المرأة كمجرد أم، سواء أكان ذلك حقيقياً أم ممكناً، ومثال ذلك ما كشف عنه كل من "هلمان" Hellman و "رابابورت" Rappaport فى الدراسة التى أجريها على احتجاج النساء المتطوعات فى خدمة تنظيم المجتمع بعنوان "نساء فى الظلام" Women in Black من أن النساء أكدن على أنهن كن يُصَوَّرن كنساء لا حتى كأُمهات<sup>(١٢)</sup>. وقد شهد أسلوب احتجاجهن نمطاً رمزياً جديداً للمرأة السياسية، حيث تركز كفاحهن فى اكتساب مكانة ملائمة فى الساحة السياسية لا يستند تعريفه على المصطلحات الخاصة بهويتهن المحلية ولا إلى تلك المرتبطة بالتعريف السياسى المعيارى الذى قدمه الرجال للممارسة السياسية، ولكنه يتأسس انطلاقاً من الحالة الاجتماعية ذاتها، وهكذا طرح هؤلاء النسوة أساليب جديدة لتعريف النساء والسياسة عبر تحدى وتقويض الترتيبات السياسية والاجتماعية التى همشت النساء.

## كيف تأخذ أجهزة الدولة مسألة النوع / فى الاعتبار؟

ربما كان النقد الذى وجهه اتجاه ما بعد الصهيونية إلى الجيش [الإسرائيلى] والعسكرة واحداً من أخطر ملاحظات هذا الاتجاه حيث ظل الجيش أداة رئيسية للتعبير عن التماهى مع التجمع اليهودى والدولة من وجهة نظر الخطاب الصهيونى، كما أن الأخلاقيات الصهيونية تعتبر الخدمة العسكرية بمثابة دليل على اكتساب حق المشاركة المدنية، كما تعد أحد الأسس المهمة لمنطق تجنيد النساء اليهوديات فى قوات الدفاع الإسرائيلىة ومن ثم صيغت الخدمة العسكرية بمصطلح التجمع الذى يشكل ويرسخ "الوجود الإسرائيلى" كما اعتبرت الوسيط بين الفرد والمجتمع القومى. وقد شيد هذا "الوجود الإسرائيلى" أساساً على أنماط السلوك الذكورى بحسبان أن الذكورية مسألة طبيعية أو معتادة، ومن هنا لا يعتبر الجيش مؤسسة صارخة فى تحيزها للرجال فحسب، ولكنه يعتبر أيضاً واحداً من أقوى الأجهزة فى ترسيخ الذكورية فى النسق الاجتماعى. وهناك جهاز آخر من أجهزة الدولة حظى باهتمام واضح وهو اللجان الداعية إلى إنهاء الحمل، حتى إن هذه اللجان تحولت إلى مؤسسات تعليمية، وصارت قوة بارزة مكونة من النساء الإسرائيليات المهمشات بفضل دعوتها للنساء إلى قبول الإجهاض، تلك النساء التى تتماشى وضعيتهن غير العادية مع سلوكها غير العادى فى مجالات الممارسة الجنسية وحمل الأطفال والعلاقات الأسرية. وقد تمكنت هذه اللجان من المساهمة بقوة فى تشكيل المرأة الإسرائيلىة العادية، وبحيث تصبح على النقيض متزوجة ومسئولة (وتستعمل حبوب منع الحمل ولا تعتمد الحمل) وملتزمة (أى أنها تقبل بالحمل من لحظة حدوثه حتى لو جاء بصورة غير متعمدة) وقادرة على التصرف (أى قادرة على تحمل التبعات والمخاطر، ولا تستسلم للحمل كنتيجة لعلاقة تنطوى على مشاكل سواء كان ذلك خارج الزواج الرسمى أو فى سن غير مناسب).

وهناك دراسات أخرى تناولت دولة الرفاه والمؤسسات التى تتعامل مع حالات الاغتصاب وغيرها. وعلى الرغم من أن هذه الدراسات تشارك فى صياغة الخطاب النسوى بصفه عامة، فإن ما تقوم به من إدارة حوار مع الدولة بوضعيتها الصهيونية المسيطرة يسهم فى تنويع الانتقادات التى يوجهها تيار ما بعد الصهيونية وخصوصاً ما يتعلق بدعوته للتركيز على النوع.



## حق المرأة فى حيز خاص بها وفى صوت مسموع

يوجه الاتجاه النسوى نقداً حاداً للخطاب الصهيونى الذكورى المسيطر كما يدعو لمراجعته التاريخ والتطلعات القومية من خلال التركيز على علاقات التحكم والقمع، وبهذا المعنى يشغل محور الخطاب ما بعد الصهيونى ويشكل جزءاً لا يتجزأ منه، ذلك أن تركيزه على البعد الخاص بالنوع فى إطار تحليلاته للنسق الاجتماعى أسهم فى تعميق النقد الموجه للنسق الاجتماعى المهيمن.

وهذا الخطاب النسوى لما بعد الصهيونية يتحدى المفهوم ذا النزعة الكونية التعميمية بشأن المرأة عموماً والمرأة الصهيونية خصوصاً، كما يعبر عن جهد كبير لكشف مختلف أوضاع المرأة و التفسيرات المطروحة حول هذا الواقع، وخصوصاً النساء من يهود المزاراحى ومن المتدينات المؤمنات بالقومية، ومن الأرثوذكس المتطرفات، ومن العلمانيات ومجهولة الأب ومن/السحاقيات، إلى جانب النساء الفقيرات والبرجوازيات وكذلك المرأة الفلسطينية وغيرهن. هذا فضلاً عن بحوث أخرى تعرضت لعمليات سيطرة واستتباع نساء لنساء أخريات مثل هيمنة النساء اليهوديات على نظيراتهم الفلسطينيات وسيطرة نساء الاشكناز على نساء المزاراحى وتلكم اللائى يهجرن إلى بيوت المسنين، إلى جانب استتباع البرجوازيات للفقيرات وغير ذلك<sup>(٢٣)</sup>.

ويلاحظ وجود قبول متزايد من جانب الخطاب العام والأكاديمى بأن ما يجرى فى المجتمع الإسرائيلى من حرمان وتهميش على أساس عرقى وقومى لا ينفصل فى الواقع عن بروز هوية متحيزة للنوع<sup>(٢٤)</sup>. ومن الجدير بالذكر أن المرأة تتصرف بشكل مختلف تجاه خبرة الحرب والاحتلال كما توضح دراسات أجريت على النساء المستوطنات<sup>(٢٥)</sup> والنساء الناشطات فى حركة السلام<sup>(٢٦)</sup>، لكن النساء العضوات فى منظمات السلام واللاتى جنن من خلفيات قومية وعرقية ودينية مختلفة يتصرفن مع معركة السلام ويفسرونها بطرق مختلفة فيما بينهن<sup>(٢٧)</sup>. ولا تشكل النساء المتدينات فئة مستقلة بذاتها، بل تتعاون بوسائل متنوعة مع نسوة نوى تعليم عال، كما بينت البحوث التى أجريت على نساء "الحريديم"<sup>(٢٨)</sup> والنساء الصهيونيات المتدينات<sup>(٢٩)</sup>.

وتكشف هذه الدراسة الميدانية القصيرة والمتواضعة عن تعدد المواقف داخل الخطاب النسوى النقدي، ويلاحظ أن النسوية فى مرحلتها الأولية التى تميزت بالليبرالية كانت جزءاً من الخطاب التحديثى عندما حاولت تشكيل فئة متفردة من النساء ورسم صورة متخيلة لتجمع نسوى ذى تاريخ مشترك ومستقبل مشترك. غير أن قبول فكر ما بعد الحداثة والدعوة إلى الاستجابية الآنية reflexivity بسرعان ما ولدت خطاباً متعدد الأصوات. أما فيما يتعلق بالبيئة الإسرائيلية فقد أدت المواجهة النسوية مع الخطاب الصهيونى المهيمن إلى إضعاف أو إزاحة "فئة النساء المؤمنات بالنسوية".

ذلك أن مثل هذه الأصوات المسموعة لم تقف عند تحدى النظام السائد فحسب، بل صارت تتنافس وتنتقد بعضها البعض، ومن ثم ومن منظور "ما بعد الحداثة" غابت القوة التعبوية والتوحيدية وغابت الهوية المشتركة القادرة على إعادة صياغة تاريخ مشترك من أجل بناء مستقبل مختلف. مثل هذه المعضلة لا تعبر عن مسألة نظرية فحسب، فهناك تبعاتها السياسية أيضاً، والسؤال هنا : هل توجد قاعدة مشتركة للنساء الفلسطينيات والمزراحي والاشكنازيات تمكهن من العمل ؟ وهل بإمكان النساء الفقيرات والثريات امتلاك أرضية مشتركة ؟ أى نوعية من السياسة يمكن بل يجب إتباعها بينما لا تشترك كل النسوة فى السمات نفسها وخبرة الحياة المشتركة وفى الأهداف نفسها؟ إن الممارسات النسوية للإجابة عن مثل هذه التساؤلات نظرياً وعملياً تسهم فى ازدهار الخطاب النسوى ما بعد الصهيونى ، وتطرح حداً أدنى من الحلول والتحديات لمثل هذا الخطاب.

### خطاب ما بعد الصهيونية وعلاقات النوع:

ينتمى معظم دعاة خطاب ما بعد الصهيونية من الرجال إلى مؤسسات أكاديمية تشكل مراكز قوة واضحة وتوجه العملية التعليمية. لكن هجوم هؤلاء على المؤسسة الأكاديمية الرسمية يستقيم مع عدم تخلى هؤلاء عن نقد أنفسهم ذاتياً وإلا ظهروا كأنهم يطبقون أيضاً الأساليب نفسها والآليات التى تستخدمها الجماعة الحاكمة ككل.

لقد شيد هؤلاء مدارس فكرية قابلة للتحويل إلى مؤسسة رياضية وكرسوا الوقت والجهد لمراجعة الذات، ويكفى هنا قراءة العدد الثامن من مجلة النظرية والنقد Theory and Criticism<sup>(٢٠)</sup> الذى ركز على خطاب المؤرخين الجدد، إلى جانب عدد من المقالات التى نشرها أكاديميون فى الصحف اليومية، من أجل اكتشاف الحدود التى يقف عندها خطاب ما بعد الصهيونية ولمعرفة من هم المتحدثين الرسميين باسمه. ورغم ذلك لا يزال ما يتعلق بالنساء فى هذا الخطاب قليلاً مثلما هو الحال فى الخطاب الصهيونى المسيطر، وهو ما يبدو من معالجة المسائل ذات النوعية الخاصة<sup>(٢١)</sup>. ويؤيد "سيلبرنشتاين"<sup>(٢٢)</sup> فى مؤلفه عن خطاب ما بعد الصهيونية هذا الاتجاه الداعى للمراجعة التاريخية للصهيونية عندما يعتبر مجلة النظرية والنقد الموقع الرئيسى لخطاب ما بعد الصهيونية الحالى، فى حين يتجاهل فى الغالب أية كتابات أخرى وخصوصاً تلك الخاصة بالنساء.

ويرى "سيلبرنشتاين" بحق أنه لا وجود فعلى لاتجاه ما بعد الصهيونية<sup>(٢٣)</sup>، فكل ما هناك هو عدد متزايد فقط من الأساتذة الجامعيين يكتبون فى إطار الروح النقدية ما بعد الصهيونية و/أو من موقف ما بعد الصهيونية، لكن هناك آخرين كثيرين كتبوا ولكن ليس بالضرورة تحت اسم مدرسة فكرية معينة<sup>(٢٤)</sup>، وكثيرون منهم ليسوا جزءاً من عملية المراجعة الوليدة. الواقع أن ما بعد الصهيونية تمثل ظاهرة مهجنة أسهمت فى ازدهارها مدارس نظرية مختلفة وفروع أكاديمية متباينة إلى جانب خطاب متنوع. وأود هنا أن أحذر من الميل إلى وصف اليمين الاستبعادي لبعض من ينتمون إلى هذا اليمين نفسه بأنهم "ما بعديون" و"نقديون" ويسارعون لإصدار أحكام معينة بناء على كتاباتهم. فإذا كانت الصراعات على تمثيل اتجاه ما بعد الصهيونية هى صراعات من أجل التحكم فى الساحة الثقافية وفى بنية الاستيعاب الاجتماعى، فإنه ينبغى على حاملى لواء الخطاب ما بعد الصهيونى أن يدركوا جيداً أنهم قد يقومون بعمل استبعادي فى المحيط الخاص بهم.

وعلى الخطاب ما بعد الصهيونى أن يتعلم الدرس من الخبرة النسوية، إذ بدأ الخطاب النسوى بتحدى الخطاب المسيطر المنحاز للرجال، كما أن الخطاب النسوى المسيطر الذى سعى لترسيخ نفسه قوياً بتحدى النساء له من مختلف الأصول العرقية والإثنية والقومية والطبقية عن طريق الدعوة إلى الاستجابية الآنية والتوجه الاستيعابى.

وقد سلك الخطاب النسوى الإسرائيلي الطريق نفسه ولا يزال معرضاً لنقد من ذلك النوع، إذ وجهت النساء المزارحى والنساء الفلسطينيات النقد للخطاب السائد بسبب نزعته النخبوية والاشكنازية. ومن هنا تولد إدراك متزايد فى السنوات الأخيرة بين المتحدثات باسم النساء بضرورة مراعاة النسوة "الأخريات" وهو ما نجده واضحاً فى المجلة النسائية المسماة "نوجا" Noga وفى الأعداد الخاصة المكرسة للنوع فى الدوريات العلمية مثل "زمانيم" Zmanim أو "الأزمة" Times (والتي نشرت عدداً خاصاً تحت اسم "أزمة المرأة" Zman- Nashim) إلى جانب عديدين أصدرتهما مجلة بحوث العلوم الاجتماعية فى إسرائيل والذين خصصوا للنساء فى إسرائيل، وكذلك الكتاب التعليمى "الجنس والنوع والسياسة"<sup>(٣٦)</sup>، الأكثر من ذلك أهمية هو ما يتعلق بالخطاب النسوى ما بعد الصهيونى، حيث تم تشويه الحد الفاصل بين الخطابين الأكاديمى والعام لأسباب أيديولوجية، مثال ذلك الكتاب الذى قامت بتحريره "باربرا سيفيرسكى" Barbara Swirski و "مارلين سافير" بعنوان "التفكير فى خدعة المساواة"<sup>(٣٧)</sup> Calling Equality's Bluff ، الذى يتضمن فصولاً من البحوث إلى جانب شهادات شخصية تمثل الطيف الواسع من أصوات النساء اليهوديات والفلسطينيات، كما برز هذا التنوع بين المنظمات النسائية وخصوصاً منظمات السلام النسوية. ومع نهاية عام ٢٠٠١ انعقد المؤتمر السنوى حول النساء ودراسات النوع والنظريات النسوية فى جامعة تل أبيب بالتعاون مع المنتدى الإسرائيلى للدراسات النسوية وبحوث النوع وكان الهدف منه التجمع تحت إطار واحد مع الاعتراف بوجود أصوات نسائية متنوعة. هذا فضلاً عن أن المؤتمر الذى حمل شعار "الحرب والسلام" منظورات نسوية اعتبر مثلاً يستحق التقدير على الجهود المبذولة لتجسير الفجوة بين الخطابين العام والأكاديمى، حيث قدم الباحثون أوراقهم جنباً إلى جنب مع الناشطين الحركيين الذين طرحوا خبراتهم التى اكتسبوها أثناء العمل الميدانى. لقد كانت محاولة ناجحة للجمع بين البحث والممارسة وبين نظرية التغير الاجتماعى وممارسة التغير الاجتماعى. ومع ذلك لا يزال الطريق طويلاً أمام الخطاب النسوى مثلما هى الحال بالنسبة للخطاب ما بعد الصهيونى، وينبغى على الخطاب ما بعد الصهيونى كتعبير عن ظاهرة مهجنة (أى مكونة من خليط من التوجهات والأجنحة) أن يتبع منهاجاً استيعابياً متعدد الثقافات ومتعدد الأصوات).



## مجتمع ما بعد الصهيونية من منظور نسوى

أدى تكاثر الأصوات النسوية إلى إحداث أثر تراكمى يوجه النقد بشدة إلى الأجندة المسيطرة من خلال عدة منظورات تدعو إلى ضرورة بزوغ أجندة جديدة ومتنوعة<sup>(٢٨)</sup>، وعلى الرغم من كونه غير موحد ولا ينطق بلسان واحد إلا أنه خلق محفزاً ومشتركاً. كما تضع هذه الأجندة علاقات الجنسين على رأس اهتماماتها، حيث تتضمن الشخصى والمحلى وما يقع بينهما.

ويحتوى المنظور النسوى على مجموعة بدائل معلنة تحاول تعريف نفسها كظاهرة ما بعد صهيونية، مبادرات كثيرة لا توجهها بالضرورة أيديولوجياً ما بعد صهيونية صريحة أو ذات طابع دولى. وتتمثل حجتى الرئيسية هنا فى أن إعادة تعريف فضاءات المضمون/المحتوى السياسى إلى جانب الأشكال المتغيرة من الفعل السياسى، كما تتجسد فى الخطاب النسوى، صارت نوافع رئيسية لعملية إضفاء الطابع المدنى على المجتمع الإسرائيلى ولرفض الانقياد وراء تصور الدولة القومية. فهذه الأصوات النسوية تتبوأ قمة المبادرات ما بعد الصهيونية عبر تفكيك الأبنية المؤسسة على التحيز للرجال عرقياً وقومياً وكذلك المطالبة بمواطنة تستوعب الجميع.

وتعد الحركة المسماة "مشهد جديد" New Profile مثالاً للوعى ما بعد الصهيونى الساعى إلى تطوير أجندة مدنية، وهى حركة نسوية أعضاؤها من النساء والرجال والشباب الذين يعملون معاً، وتهدف الحركة إلى نقل المجتمع الإسرائيلى من حالة العسكرية إلى الحالة المدنية. فهى تكافح من أجل تغيير العقلية العسكرية السائدة فى المجتمع الإسرائيلى والتي تنقله من حرب لأخرى، وتستهدف النظام التعليمى الداعى إلى بناء السلام بدلاً من النظام التعليمى الذى يكرس العسكرية وتعمل أيضاً من أجل اختصار مدة الخدمة العسكرية الإلزامية لعام واحد والإقرار بالحق فى الاعتراض على الخدمة العسكرية فى أماكن معينة. كما تدعو إلى إنهاء الاحتلال وتسهيل وضمان ظروف العيش فى مجتمع متساو وذى منحى إنسانى. بيد أن الأجندة المدنية فى إسرائيل تعاني من تعدد النظريات النسوية التى تشكك فى الخطاب الصهيونى السائد من مرجعيات مختلفة.

وهذه الأجندة تدعو إلى منظور جديد حول السياسة والصراع السياسى، وترى هذه الأجندة أن الصراع من أجل تغيير اجتماعى لا ينتهى عند دهايز الكنيسة فقط رغم كونه ساحة سياسية هامة. وتنهض السياسة بجهود يومية حسب هذا المنظور من خلال التشكيك فى التعريف المسيطر للقوة وبالتزامن التعريف المتواصلة لمبادئ السيطرة والتحيز للنوع. وهناك ساحات عديدة تستطيع النساء من خلالها مواجهة البنية المتحيزة للنوع والرد عليها، مثال ذلك خوض معارك ضد التفرقة فى الحقل التعليمى وفى أماكن العمل وضد العنف المحلى والتحرش الجنسى، وإثارة الشكوك فى أنماط التعبير المستخدمة تجاه النساء وعن النساء، ومواجهة الإعلانات غير اللائقة، والمساهمة فى الجدل حول الإجهاض والسياسة الصحية وإعادة تعريف الأمومة إلى جانب إضفاء الطابع النسوى على قضايا الفقر ونقد التعسف فى ممارسة الجنس، بالإضافة إلى القضايا المتعلقة بأجر المرأة وقانون الأسرة وطرح خيارات بديلة حول أنماط الأسرة والجنس. ويمكن للنساء أن يقمن بذلك دون وجود صوت واحد ولا عبر صوت موحد، وتهدف كل الجهود إلى توسيع حيز السياسة بما من شأنه صياغة معان عديدة للفعل السياسى إلى جانب المشاركة فى تشكيل الواقع الاجتماعى... مشاركة تصب مباشرة فى مركز العملية السياسية وفى تحديد قواعد اللعبة السياسية. ومن شأن هذا أن يجعل كلا من الخطاب النسوى والممارسة السياسية يلتقيان فى عملية أكثر اتساعاً تستهدف تشكيل مجتمع ما بعد حدائى وتعمل على تفكيك مركزية القوة حيث تتولد أنماط متنوعة من ممارسة القوة وتنشأ مبادرات سياسية جديدة. وينبغى على أشكال التنظيم التى تتضمنها هذه الأنماط أن تفضح الآليات الاستيعادية والقمعية للدولة والأمة والمجموعات العرقية. وإلى جانب التحليل النقدى يتضح لنا أن قبول الموقف الراهن من دون رد فعل هو مجرد ممارسة سياسية وليس إعمالاً لاستراتيجية بقاء تعد أمراً ضرورياً لما تتميز به من دافعية الوعى والمبادرة. إن تحليل القوة بناء على هذا الأساس يبين أن التعارض الحادث من المنظور الخاص فى الخطاب النسوى لا يدل فقط على الافتقار للنفوذ السياسى ولكن يدل أيضاً على حدوث تغييرات فى وسائل إعمال هذا النفوذ.

## هوامش الفصل السادس

Ilan Pappé (1995) 'The New History of Zionism: The Academic and Public (١) Confrontation', in Kivunim: A Journal of Zionism & Judaism, vol. 8, pp. 39-48 (Hebrew) Uri Ram (1996) 'The Historical Recognition in Israel : Between Neo-Zionism and Post-Zionism, A Sociological Viewpoint', in Gesher, vol. 42, pp. 93-7 (Hebrew); Eliezer Schweid (1995) 'Towards the Understanding of Essence and the Background of "Post-Zionism",', in Gesher, vol. 41, pp. 18-27 (Hebrew); Laurence J. Silberstein (1999), Post Zionism Debates: Knowledge and Power in Israeli Culture, New York and London, Routledge.

Sylvie Fogiel-Bijaoui (1992) 'The Struggle for Women's Suffrage in Israel : (٢) 1917-1926', in D. S. Bernstein (ed.) Pioneers and Homemakers: Jewish Women in Prestate Israeli Society, Albany, NY, State University of New York Press, pp. 275-302; Hanna Herzog (1992) 'The Fringes of the Margin: Women's Organizations in the Civic Sector at the Time of the Yishuv', in Bernstein (1992) Pioneers and Homemakers, pp. 283-304.

Bernstein, Pioneers and Homemakers. (٣)

For example, Silberstein, Post Zionism Debates, p. 192. (٤)

Dina Hecht and Nira Yuval-Davis (1978) 'Ideology Without Revolution: Jewish (٥) Women in Israel', in Khamsin, vol. 6, pp. 179-205.

Orly Lubin (1995) 'Trifles from Nehama's Kitchen: An Alternative Nationalism In (٦) Devora Baron's Novel The Exiles', in Theory and Criticism: An Israeli Forum, vol. 7, p. 164 [Hebrew].

Hannan Hever (1994) 'The struggle over the Canon in Hebrew Literature', in (٧) Theory and Criticism: An Israeli Forum, vol. 4, pp. 99-123 (Hebrew).

Silberstein, Postzionism Debates, pp. 191-206. (٨)

Nitza Berkovitch (1999) 'Women of Valor: Women and Citizenship in Israel', in (٩) Israeli Sociology, vol. 2, pp. 277-318 [Hebrew].

Hanna Herzog (1998) 'Homefront and Battlefield and the Status of Jewish and (١٠) Palestinian Women in Israel', in *Israeli Studies*, vol. 3, pp. 61-84; Ronit Lentin (1997) 'Women, War, and Peace in a Culture of Violence: The Middle East and Northern Ireland', in R. Boric and K. Biljana (eds), *Women and the Politics of Peace*, Zagreb; Simona Sharoni (1995) *Gender and the Israeli-Palestinian Conflict - The Politics of Women's Resistance*, Syracuse, NY, Syracuse University Press.

Yael Azmon (1997) 'War, Mothers, and Girls with Braids: Involvement of (١١) Mothers' Peace Movements in the National Discourse in Israel', in *Israel Social Science Review*, vol. 12, pp. 109-28; Tamar El-Or and Gideon Aran (1995) 'Giving Birth to Settlement: Maternal Thinking and Political Action of Jewish Women on the West Bank', in *Gender and Society*, vol. 9, pp. 60-78; Nurit Gilath (1991) 'Women against War: Parents against Silence', in Barbara Swirski and Marilyn P. Safir (eds) *Calling the Equality Bluff: Women in Israel*, New York, Pergamon Press, pp. 142-6.

Sara Helman and Tamar Rappaport (1997) 'Women in Black: Challenging (١٢) Israel's Gender and Socio-Political Orders', in *British Journal of Sociology*, vol. 48, pp. 682-700.

Sara Helman (1997) ' Militarism and the Construction of Community', in *Journal of (١٣) Political and Military Sociology*, vol. 25, pp. 305-32.

Dafna N. Izraeli (1997) 'Gendering Military Service in Israeli Defense Forces', in (١٤) *Israel Social Science Research*, vol. 12, pp. 129-66.

Delila Amir (1994) 'The Israeli Woman as Responsible, Accountable and (١٥) Sensible', in *Women Studies International Forum*; Delila Amir and Orly Benyamin (1992) 'The Abortion Committees: Educating and Controlling Women', in C. Feinman (ed.), *The Criminalization of a Woman's Body*, New York, Haworth Press, pp. 5-25.

Esther Hertzog (1996) 'Who Benefits from the Welfare State?' in *Theory and (١٦) Criticism-An Israeli Forum*, vol. 9, pp. 81-104 [Hebrew].

Esther Eillam (1994) *Rape Survivors, Rape Crimes and Authorities*, Jerusalem, (١٧) The Jerusalem Institute for Israel Studies [Hebrew].



Pnina Motzafi-Haller (1977) 'You have an Authentic Voice: Anthropology and the (18) Politics of Representation' in *Theory and Criticism - An Israeli Forum*, vol. 11, pp. 81-98 [Hebrew]; Vicki Shiran (1991) 'Feminist Identity vs. Oriental Identity', in Swirski and Safir (eds), *Calling the Equality Bluff*, pp. 303-11; Ella Shohat (1979) *Israeli Cinema East/West and the Politics of Representation*, Austin, University of Texas Press.

El-Or and Aran (1995) 'Giving Birth'; Tamar Rappaport, A. Penso and Y. Garb (19) (1994) 'Contribution to the Collective by Religious Zionist Adolescent Girls', in *British journal of Sociology of Education*, vol. 15, pp. 375-88.

Tamar El-Or (1994) *Educated and Ignorant: Ultraorthodox Jewish Women and (20) Their World*, Boulder, Colo. and London, Lynne Rienner Publishers.

Jo Oppenheimer (1991) 'The Pressure to Be Heterosexual', in Swirski and Safir (21) (eds) *Calling the Equality Bluff*, pp. 108-14.

Mañar Hasan (1994) 'Murder of Women for "Family Honour" in Palestinian (22) Society and the Factors Promoting its Continuation in the State of Israel', MA dissertation. Gender and Ethnic Studies, University of Greenwich, England; Hanna Herzog (1999) 'A Space of Their Own: Social-Civil Discourses among Palestinian Israeli women in Peace Organizations', in *Social Politics: International Studies of Gender, State and Society*, vol. 6, pp. 344-69; Nadera Shalhoub-Kevorkian (1997) 'Wife Abuse: A Method of Social Control', in *Israel Social Science Research*, vol. 12, pp. 59-72.

For example, Henriette Dahan-Kalev (1997) 'The Oppression of Women by (23) Other Women: Relations and Struggle between Mizrahi and Ashkenazi Women in Israel', in *Israel Social Science Research*, vol. 12, pp. 31-44; Ayala Emmett (1996) *Our Sisters' Promised Land: Women, Politics, and Israeli-Palestinian Coexistence*, Ann Arbor, University of Michigan Press.

Nabila Espanioly (1994) 'Palestinian Women in Israel: Identity in Light of (24) Occupation', in T. Mayor (ed.) *Women and the Israeli Occupation-The Politics of Change*, London and New York, Routledge, pp. 106-20; Vicki Shiran (1991) 'Feminist Identity'.

El-Or and Aran (1992) 'Giving Birth'. (25)

Helman and Rappaport (1997) 'Women in Black' (26)

Emmett (1996) *Our Sisters' Promised Land*. (27)

- El-Or (1994) *Educated and Ignorant*. (28)
- Tamar El-Or (1998) *New Pessach: Literary Identity of Young Religious Zionist Women*, Tel Aviv, Am Oved [Hebrew]. (29)
- Theory and Criticism - An Israeli Forum (1996) vol. 8 [Hebrew]. (30)
- See, for example, Theory and Society (1995) vol. 7 [Hebrew]. (31)
- Silberstein, *Post Zionism Debates*. (32)
- Ibid., p. 7. (32)
- For example, Ella Shohat (1988) 'Sephardim in Israel: Zionism from the Standpoint of Its Jewish Victims', in *Social Text*, vol. 19-20, pp. 1-34. (33)
- Israel Social Science Research (1997). (34)
- Dafna Izraeli, Ariela Friedman, Henriette Dahan-Kalev, Sylvie Fogiel-Bijoui, (35)
- Hanna Herzog, Manar Hasan and Hannah Naveh (1999) *Sex, Gender, Politics- Women in Israel*, Tel Aviv, Hakibbutz Hameuchad (Hebrew).
- Swirski and Safir (eds) (1991) *Calling the Equality Bluff*. (36)
- Hanna Herzog (ed.) (2000) 'Knowledge, Power and Feminist Politics', in *Fifty Years - Society in Reflection*, Tel Aviv, Ramot (Hebrew). (37)

## الفصل السابع

### "أنت لست مغربية لأنك جميلة جداً!!"

هنرييت دهان - كاليف Henriette Dahan-Kalev

أنت غير مغربية لأنك جميلة جداً(\*)، كبرت وأنا أسمع هذه الجملة منذ جئت مع والدي من المغرب إلى إسرائيل في عام ١٩٤٩ وأقمنا في معسكر المهاجرين "شعار أليا" Sha'ar Aliyah ثم إلى معسكر آخر للترحيل اسمه "بارديس شانا" Pardes Chana . فقد سمعت هذه الجملة من ممرضة بيضاء ترتدى زياً أبيض جاءت إلى خيمتنا في معسكر المهاجرين لتشرح لوالدتي طريقة تربيته أنا وشقيقي وشقيقي الصغير الذي ولد في هذه الخيمة، وكان حديث الممرضة عن تربية الأطفال وكأنه شيء من اختراع الصهاينة وحدهم، وكانت المعلمة اليهودية الألمانية ذات الشعر الفضي الطويل في روضة الأطفال قد استخدمت أيضاً الجملة نفسها، ثم قامت بتغيير اسمي - هنرييت - وأعطتني اسم "أوفا" Ahuva ذلك الاسم المرعب بالنسبة لي أو للأطفال الآخرين.

ظللت أسمع هذه الجملة من الجيران وأطفالهم طوال مرحلة المراهقة حيث كانت ملامحي تثير انتباه كل من ألتقي بهم لأول مرة، ولكن الأمر اختلف مع بلوغي مرحلة النضج وحيث أخذت التجاعيد تتسرب إلى وجهي حلت جملة أخرى محل السابقة وهي "إنك حقيقة لا تشبهينها" [أي صورتها عندما كنت طفلة] . والواقع أن مظهرى

(\*) هذه الورقة في الأصل عبارة عن محاضرة ألقيتها بالعبرية منذ وقت طويل، وترجمتها "راشيل جونز" إلى الإنجليزية وراجعها "حاييم مارانتز" Haim Marantz بعد أن أدخل ملاحظات عديدة قدمها "ناتان أريدان" Natan Arida وأتوجه بالشكر هنا إلى "حاييم مارانتز" على إقناعه لي بنشرها.

غير المغربي- حسب هذا الزعم - ساعدنى أكثر من مرة على أن أتحول إلى كائن غير مرئى يستطيع أن يرى الآخرين بينما هم لا يقدرّون على التعرف على. وما زلت أسمع آراء المغاربة تنور بين الآخرين ممن اختلطت بهم بحيث ساعد ذلك طوال سنوات حياتى على تعلم الكثير من القضايا الاستيعاب والاستبعاد والسادة ومن هم فى أدنى السلم فى المجتمع الإسرائيلى منذ عقد الخمسينات من القرن العشرين حتى اليوم.

ومنذ بلوغى العام الرابع، ولدت هذه الجملة لدى مشاعر غامضة ومشوشة ومنها الإحساس بوجود تناقض بين اللون الأزرق لعينى وتكوينى الجسدى النحيف نسبياً والأصول المغربية التى انحدرت منها، وأدركت مؤخراً فقط أن هذه المشاعر شكلت الجانب الواعى من دائرة اللاوعى وشعرت أننى محظوظة جداً بأننى لا أبداً مغربية. ولكنى أدركت كطفلة ومبكراً أن هناك صراعاً واضحاً بين القيم الجمالية وكونى مغربية، إذ تمثلت هذه الخبرة عندما شكت والدتى إلى المعلمة من عداوة الأطفال الآخرين تجاهى فى الفصل، ولكن المعلمة ردت مشبهة والدتى ببيائع مغربى متجول رث وأنه لا مكان فى المدرسة "لمثل هذه السوقية والتخلف"!!، لقد تجاهلت المعلمة فحوى الشكوى تماماً. وقام والدى بنقلى إلى مدرسة "أفضل" فى بلدة "حولون" Holon والتى سميت على اسم المفكر الصهيونى الكبير "موسى هيس" والذى كان يطمح إلى استيعاب أطفاله فى المجتمع بسرعة وكفاءة. وكانت هذه المدرسة أفضل لأن غالبية تلاميذها من أبناء المهاجرين القدامى (الذى يطلق عليهم "الرواد") ومعظمهم من الأشكناز (من أصل أوروبى). وقد شارك معظم التلاميذ فى برامج تنمية المهارات خارج المقررات الدراسية مثل البالية والعزف على البيانو والكمان، وكان من بينهم أبناء فنانيين وساسة، ومن جانب آخر قمت برحلة خاصة إلى منطقة الرمال الجافة المحيطة ببلدة "حولون". وقد استفدت كثيراً من هذه الجولة، لكن والدى نصحنى بأن قراءة كتاب أفضل كثيراً من إضاعة الوقت بين الرمال.

كنت قد أحسست فى هذه المرحلة من حياتى بشعور عميق بالاغتراب دار أساساً حول التناقض بين ما كنت أعرفه عن نفسى وما كان الناس يطلبون منى أن أفعله، فكونى لا أبداً مغربية جعلنى محظوظة، بل كنت محظوظة جداً لأننى أشبه اليهود



الأشكناز، ومن ثم وجدت نفسي أسيرة بين ما كنت عليه فعلاً كفتاة مغربية وما أراد الناس أن أكون عليه، مما جعلني أعانى من تمزق واضح بين الجيد والفاقد والذي جاء أساساً من التصورات التي تُفرض على الناس بناء على المكان الذي هاجروا منه.

وعندما بلغت العاشرة رحل والدي من جديد إلى القدس (بسبب ترقيته في العمل) وقد منحني ذلك الفرصة لفتح صفحة جديدة في حياتي، فقد أخبرت أصدقائي الجدد في القدس أنني ولدت في فرنسا، وحتى أكون مقنعة أقلعت عن استخدام الحروف المميزة في لغتي العربية مثل الخاء والعين ودربت نفسي على استيعاب النطق الأشكنازي لنفس الحرفين، ولم أقم بدعوة أصدقائي إلى المنزل لأنني لم أكن أستطيع تحمل المجازفة الناجمة عن اكتشافهم كذبي ولخوفي من أن يسمع هؤلاء إذا دعوتهم لزيارتي في المنزل - أُمي وهي تتحدث اللغة العربية، بل إنني أقنعتها تماماً بتشكيل وحماية هذه الطفلة التي أردت أن أكون هي - الطفلة الفرنسية وحيث آمنت بأنها هي التي يتصورها الآخرون. وبسرعة أخذت تصدق حكاياتي الخداعة وشيئاً فشيئاً شكلت الهوية التي أرغبها لنفسي، كما أعطيت والدي قليلاً من المعلومات عن التاريخ والثقافة واللغة الفرنسية، وكان أبواي قد اكتسبا بعض المعلومات عن بعض الأمور باللغة الفرنسية عندما تعلمنا هذه اللغة في مدرسة "الأليانس الفرنسية الإسرائيلية" Alliance عندما كنا في المغرب. وكنت قد سمعت منهما لأول مرة عن إميل زولا وهوجو وقصة البؤساء وعن روسو والثورة الفرنسية وناپليون ومعاركه وعن الجنرال ليوطي [الحاكم العسكري الفرنسي للمغرب إبان الاحتلال]، وكانت أُمي تحكي لي عن التاريخ الفرنسي قبل أن أبدأ دراستي بفترة طويلة لمقررات التاريخ العام في المدرسة. لقد رسخت كل ذلك في وعي عندما كنت أشكل ذاتي، بل أضفت مكانتي بين الأطفال في الفصل الدراسي، فعلى سبيل المثال كنت أزعم أنني التحقت بمقررات عن الفنون الجميلة بعد انتهاء الدراسة وفيما بعد أضفت على ذلك أنني أدرس الرقص، والواقع أن الناس صدقوا ما أقول لأنني كنت أمتلك بالفعل موهبة فطرية عن هذه المجالات حتى إنني اجتزت الاختبارات التي تعرضت لها عندما طلبوا مني إبان دروس تدريسية شبابية أن أؤدي نموذجاً على ذلك وهو ما قمت به فعلاً، واكتشفت فيما بعد أن ذلك كان يعتبر بمثابة اختبار لسرعة الأداء الفني وقد اجتزته بكفاءة.

وازدادت الفجوة التى عانيت منها كطفلة فى المنزل وفى المدرسة وتطورت خبراتى وصرت أكثر انخراطاً فى المجتمع، ولكن ذلك لم يكن سهلاً، كما زودت عالمى الخاص بأفكار خيالية ناعمة وحالة وسعيدة. وكنت راضية عن نفسى عندما تفاخرت أمام معلمتى فى المدرسة الثانوية باختيارى للمشاركة فى المسرح القومى الإسرائيلى The habima Youth ، ولم يكن ذلك صحيحاً بل أضفت أن ذلك المسرح كان يشجع الممثلين الشباب الموهوبين. ومن الملفت للنظر أن المعلمة صدقتنى وسمحت لى بمغادرة الفصل مبكراً كل ثلاثاء. وكان من الواضح أن الثقافة الأشكنازية والغربية وراء ما قمت به سواء كنت واعية بذلك أم لا، فما قمت به لم يمثل مشكلة لأصدقائى وكان مجرد انتفاع من تصويرى عن نفسى.

هل شكل ذلك منفعة فحسب؟ ولن؟ لنفسى؟ وماذا كانت عليه ذاتى؟ هل كانت البنت المتخيلة؟ فقد كرهت ما كنت عليه كمغربية وحاولت الخروج من هذه الشخصية المهاجرة غير الفرنسية التى لم تشترك فى برامج تنمية المهارات خارج المقرر الدراسى مثل الأطفال الآخرين والذين لم يفعلوا شيئاً بخلاف الواجب المدرسى. وفى المدرسة كان على أن أقرأ وأتذكر كتباً عديدة عنى وعن أجدادى فى "الشتت" [قرى سكنها اليهود فى بولندا] وعن "أسرة المقاتلين" الذين أبلوا بلاءً حسناً دفاعاً عن القدس المحاصرة، وعمن شاركوا فى بناء أسوار وأبراج الكيبوتز الجديد Choma U Migdal وقد بحثت ولكن من دون جدوى عن ذاتى الحقيقية وعن أبى فى مثل هذه الكتب، وكان أن توقفت عن الدراسة وصرت أكثر اهتماماً باكتساب شخصية تلك البنت الفرنسية المتخيلة، لأن الكتب المدرسية الإلزامية حول الأدب والتاريخ الإسرائيلى رسخت لدينا شخصية البنت الأوروبية الذكية ودعمت إيمانى بأن الفتاة الأخرى الحقيقية - المغربية - لا تستحق أن توجد.

أما الشئ الذى اكتشفته مؤخراً عن شخصيتى الحقيقية فكان يصفنى بأننى من يهود المزارحى [الشرقيين]، وهو تعبير يستخدم فى إسرائيل للإشارة إلى اليهود غير الغربيين من نوى الأصول الأفريقية أو الآسيوية كانت تصفنى هذه الكتب بأننى قدرة

وفقيرة وأعانى من أمراض معدية وغير مؤهلة من الناحية الروحية وأفتقر إلى الطاقة الأخلاقية، كما تصفنى بالجهل والعنف والكسل<sup>(١)</sup>.

وكان أبواي يوصمون، فى أفضل الأحوال، بأنهم أناس يسقطوا فى غيبوبة تاريخية<sup>(٢)</sup>، وتم وصمنا - فى أسوأ الحالات - بأننا حملنا معنا ثقافة "اليشوف البائدة" والتي تسبب عقدة الدونية بما يدفع أصحابها إلى الانتماء إلى قبائل وتجمعات اثنية مفككة Edot غير مرغوبة<sup>(٣)</sup> [فى المجتمع الإسرائيلى]، ومنذ ذلك الحين صرت أكثر اقتناعاً بتبرير حاجتى للخروج من شخصية تلك البنت المكروهة التى تصفها الكتب التاريخية بالسوء، ومن كان يرغب فى أن تظل بدائياً وقذراً فى كل مكان؟

وقعت عيناى على كتاب أطفال بعنوان "رومية، الخادمة الصغيرة"<sup>(٤)</sup> Rumlah, The little Nanny والذى نال مؤلفه "ليفين كيبنس Levin Kipnis" جائزة إسرائيل عن سيرته الذاتية ودوره الهام فى أدب الأطفال. يحكى الكتاب قصة فتاة يمنية عمرها ١٢ عاماً "مهاجرة تعاني القذارة والجوع"<sup>(٥)</sup> نقلها والدها إلى بيت للمستوطنين القدامى حيث كان يرغب فى أن تعمل خادمة ابن مستوطن. وفى منزل المستوطن تغيرت "الخادمة" كثيراً، فقد بدّلوا اسمها إلى آخر أكثر قرباً من اللغة العبرية ليصبح "موريا" Moriah ثم اعتنوا بنظافتها وتمشيط شعرها، ويخبرنا "كيبنس" أن أصحاب المنزل الجديد اعتقدوا بأنها سوف تصبح كائناتاً بشرياً حقيقياً فى وقت قصير، ومستعداً لتعلم بعض الأمور. وكان المستوطنون القدامى يعتبرون أن "رومية" تحظى بميزتين هامتين، إذ لم يطلب والدها مالاً كثيراً فى مقابل عمل ابنته، وأنها - من وجهة أخرى - تبلى أفضل من أية فتاة اشكنازية لأنها تأكل قليلاً وتعمل كثيراً، وقد أخبرت السيدة التى باعت الفتاة إلى أم الطفل أن كان كل ما تطلبه "رومية" هو عصا وحزام بحيث لا يستطيع الفرد أن يوجهها لمكان آخر<sup>(٦)</sup>.

عُثرت على هذا الكتاب عام ١٩٩١ إبان انعقاد معرض الكتاب القومى فى القدس وأنا أبحث عن كتب أدب الأطفال لنجلي، وعندما وضعت الكتاب بين يدي تملكنتى مشاعر الاغتراب والاستياء وكراهية الذات التى عانيت منها والتي تفاقت طوال طفولتى والتي تسببت فيها المعارف التى اكتسبتها من جانب البيئة الاجتماعية والتعليمية

المحيطة بي. وكانت قراءتي لهذا الأدب قد جعلتني أصدق كل كلمة أقرأها، مثال ذلك أن المزارحي قوم متخلفون وأغبياء وبدائيون ما اضطرني لاختيار البديل الاشكنازي، إذ كان ينبغي أن أضفي الطابع الاشكنازي على نفسي (أى أصبح "بيضاء")، وهذا ما فرض على أن أشيد شخصية أو هوية عصرية وتقدمية وذكية وتدمير الجذور أو الهوية التي اكتسبتها من والدي، بمعنى رفض أى شىء يتعلق بهما : التاريخ والقيم وأنواع الحب والكراهية والألعاب والآلام.

وقد نجحت عملية اكتسابي للطابع الأشكنازي، فقد عرفت الكثير عن موسيقى "ستوكهاوسن" Stockhausen الطليعية وكذلك الغناء الأشكنازي Cappela ، كما تعرفت كثيراً على موسيقى موتسارت وحياته قبل ظهور فيلم أماديوس Amadeus الذي يعرض سيرته بوقت طويل، واستطعت تمييز كثير من مقطوعاته بترتيب ظهورها، كما تعرفت على بطولات ويمبلدون للتنس وتمكنت من الإجابة على معظم الأسئلة التي كان تقدمها مسابقة إذاعة "شمويل روزين" Shmuel Rosen ، وتمكنت أيضاً من حل الكلمات المتقاطعة في جريدة هارتس بسهولة. وكان أبى فخوراً بي، وعرفت كذلك حكايات الفلكلور الشعبى الإسرائيلى Yalkut Hakazavim ، بل أصبحت خبيرة فى رواية إحدى هذه الحكايات وتسمى Chizbat وكأنتى سمعتها من جدتى لأمى. فمن كانوا يعرفون هذه الحكايات يفترض أنهم ينتمون إلى عائلات الرواد والمحاربين الذين عاشوا فى إسرائيل لسنوات عديدة. وقد بذلت الكثير من الجهد لاكتساب هذه المعرفة واستثمرت فيها كل طاقاتي، لكننى قمت بذلك وكأنتى لص فى الخفاء. وكنت أحملق بعمق فيما يأكله الأطفال الآخرون وكيف كانوا يلعبون ويلبسون، وأطلت السمع لمناقشاتهم حول دروس آلة التشيللو وحول الغرف القذرة والعقاب الذى تلقوه من أمهاتهم. وزرت بالفعل منازلهم وأوليت اهتماماً كبيراً لأثاث الغرف وشاهدت أجهزة المنياح الصغيرة عندهم وكيف يستمعون إلى المحطات التى تبث مسرحيات من المستوى الثقافى الرفيع Hamasach Oleh . كنت أطمح لأن أكون مثلهم، أتحدث مثلهم وأن يقبلونى كواحدة منهم، ولم يكن يوجد فى شخصيتى الحقيقية أى شىء مناسب للتعامل معهم، مما جعلنى أركز على تقليد المظهر والنظرة وعلى تهذيب الملبس. ولكننى أخفقت فيما نجحوا هم فيه بشأن اكتساب



"الشيء الحقيقي" [الثقافة الأشكنازية]، وأخبرت المعلمة والدتي "أنها يمكن أن تنجز وتنجح إذا ما صممت على ذلك" وحرصت أُمي على تكرار ذلك على مسامعي. كنت أرغب فعلاً في النجاح بالبيئة المحيطة بي. وعندما فشلت في إنجاز الشهادة المطلوبة ألحقني والدي بالمدرسة الفنية حتى أصبح طبّاخة ماهرة، لكنني طردت منها هي الأخرى. لقد كنت فاشلة بالنسبة لي شخصياً وبالنسبة لهم، وعندما التحقت بعد ذلك بالجيش كواحد من أجهزة بوتقة الصهر/الاندماج في إسرائيل، فشلت أيضاً في الدراسة. لقد وجدت نفسي محبوسة في عالم ضيق مليء بشذرات متناثرة وشخصيات متعددة في نفسي مثل غرفة مملوءة بالمرايا، وكان منها شخصية الإسرائيلية الأسطورية والمغربية المنبوذة والفتاة الفرنسية المتخيلة. أجهدت نفسي في متابعة هذا النوع من المعرفة ولكن من دون حماس روي، واكتشفت أن كلا من "كيبنس" و"شمويلى" Shmuley كانا "مجرد" معلمين وأن الأسس التي اعتمدا عليها في كتابهما استعاراهما من القادة الثقافيين لجيلهما لم يكن فشلي سوى نتاج لمقررات دراسية تنظر إلى كمتخلفة، وهذه المقررات ترسخت داخل الأبراج العاجية للجامعة العبرية بالقدس، حيث كانت النخبة الثقافية هي التي صممت نظم البحث في المجتمع الإسرائيلي وهذه النخبة أيضاً هي التي رسمت صورة للإسرائيلي المرغوب فيه، تلك الصورة التي تتماشى مع الملامح التي وضعتها أيديولوجيا الحركة الصهيونية العمالية. وأدركت مؤخراً أن تصوراتي عن المرغوب والمكروه تأسست على تلك القواعد "العلمية".

لقد فحصني هؤلاء الفلاسفة وديقوا في كموضوع علمي - كفأ تجارب - واعتبروا ما يلي بمثابة أمر مسلم به :

"لقد وصلنا إلى نتائج عن هؤلاء الشباب عبر فحص منتظم دلت على تخلف في التنمية الثقافية، فقد برهنت الاختبارات المكتوبة المتعددة على مثل هذا التخلف والتي أجريت بين عام إلى عامين، وكان ذلك واضحاً عند المقارنة مع شباب من السن نفسه في أوروبا. هل نفسر ذلك كنوع من الدونية الطبيعية/البيولوجية ونعتبرها مثلاً على نقص القدرات الثقافية وموانع ممارسة نشاط نفسي فسيولوجي؟"

هذا هو ما كتبه عنى بالفعل كل من "كارل فيورشتاين" Feurstein و"م. ريشيل" Richel في كتابهما بعنوان "أطفال اللة : التخلف الثقافى بين الأطفال المغاربة ودلالاته التعليمية" (٧) The children and its meaning in education وحاول هؤلاء الفلاسفة تقديم نصيحة عملية للمدرسين الذين يضطلعون بمهمة إعاقة تعليمى أنا وشقيقى وشقيقتى، وتعهدوا بالتخلص من الخصائص الاجتماعية والثقافية التى تسببت فى "تشوه نموى" (٨).

اكتشفت أيضاً أن المؤلفين لم يصمما على أننى متخلفة فقط، بل وأضافا أننى أفقّد لحب الاستطلاع، والأدهى من ذلك أنه لا يوجد أحد حولى بقادر على تنمية حب الاستطلاع عندى : فأنا لا أهتم بالملاحظة وغير قادرة على التمييز بين الحقيقة والخيال والشئ الطبيعى وذلك الذى يتجاوز الطبيعة (٩). ولم يملوا من سؤالى عما إذا كنت أعيش فى عالم خيالى من اختياري الخاص، لقد قرروا ببساطة أننى لم أستطع عمل شئ آخر. لقد تسالوا إلى تلافيف وعيى.

صمم "فيورشتاين" و"ريشيل" على توجيه نصائح محددة إلى أساتذتى بدون استشارتى، وكان مفادها ضرورة أن يقلعوا عن ازدياء معتقداتى حتى لو كانت خرافية، ولكن أساتذتى رفضوا ذلك بحجة عدم قدرتى على فهم الأفكار المجردة (١٠). هذا فضلاً عن وجود "مشكلة دينية" مضمرة تسببت فى سوء علاقتى بشخصية والدى (١١). بل إن أساتذتى حذرونا بشدة من مغبة تواجدى وسط الأطفال بسبب صرامة أخلاقياتى بشأن ممارسة الجنس والتى تعود إلى نمط تربيته شمال الأفريقى، وأصروا على عرضى على طبيب نفسى متخصص.

على النقيض من "فيورشتاين"، انشغل "كارل فرانكنشتاين" Frankenstein بما ينبغى عمله لتغيير الشخصية العرقية لوالدى (١٢)، ولأن الشخصية العرقية كانت متأصلة فى اللاوعى عند والدى ووالدتى، أكد "فرانكنشتاين" على استحالة تغييرها عن طريق التوجيه المتعمد (١٣)، ذلك أن التوجيه غير المتعمد هو وحده فقط الكفيل "بتغيير شخصيتهما العرقية" (١٤) ومن ثم كان على أنا ووالدتى أن نواجه بقوة طبيعتنا العرقية (١٥). وقد صدقنا جميعاً ما قاله "فرانكنشتاين"، وتصديت فعلاً وأنا بعد فى السادسة لهويته العرقية سواء على المستوى الفردى أو على المستوى الجمعى كما أشار علينا (١٦)،

وهكذا قمت بابتداء شخصية البنت الفرنسية من خلال شذرات المعلومات التي حصلت عليها من أمي لأن فرص هذه الفتاة في نيل قبول وطني الجديد لي - كما نصح "فرانكنشتاين" - كانت أكبر. وقد تشكل عالمي الخاص تبعاً لمعاييره ولكن دون جدوى، لأن فرانكنشتاين نفسه تناقض مع توصياته عندما تشكك في قدرتي على التغيير، وكان يؤمن مثل "فيورشتاين" و"ريشيل" بنقص كفايتي في الذكاء والقدرة على التفكير المجرد. وهكذا كنت فاقدة القدرة على التفكير السببي [أي الذي يربط بين الأحداث ويضع لها سبباً]، وعلى إدراك ما يحدث في العالم وعلى التمييز بين الأساسى وغير الأساسى، وعلى ربط المواقف التي تقتضى أسباباً وقواعد شاملة وافتقادي لمعرفة أصل الأشياء والقدرة على استيعاب الظروف المستجدة التي تتطلب ملاحظة سريعة لما هو عام مشترك وما هو مختلف<sup>(١٧)</sup>. وفي دراسته بعنوان "مفهوم البدائية /التخلف" قام "فرانكنشتاين" بتحليل الأنواع المختلفة من التخلف كما يفسرها هو، سواء عند الطفل أو ما يتعلق بضعف الإدراك الذاتى<sup>(١٨)</sup>. وكانت كل تلك الأمور "تشكل مجرد مقدمة عن موضوعنا الرئيسى ألا وهو تحليل العقلية المتخلفة ليهود المزارحى الذين جاءوا إلينا من مناطق متأخرة ثقافياً<sup>(١٩)</sup>" وقد ذكرنا أن الشخص المتخلف يفتقد إلى الذات نفسها وأن عالمه يقع خارج دائرته الشخصية وأضاف قائلاً إن هذا العالم يدل على تخلف واضح يتجلى في "ذات ضخمة (نرجسية).. وأنا ضيقة الأفق تعجز عن إدراك القيم التي تتجاوز الفرد"<sup>(٢٠)</sup>. وقد علمت من أساتذتى الذين تشربوا كتاباته بشراهة أنني أفتقد أى محتوى وظيفى (أياً كان معنى ذلك)، وقد زعم أيضاً أنني عاجزة عن التمييز التجريدى "للاخر" باعتباره يمتلك ذاتاً خاصة به أو بها<sup>(٢١)</sup>!! كان كل ما يتعلق بى كإنسان لا يثير اهتمام "فرانكنشتاين" أو زملائه الذين ركزوا فقط على المشهد الأكبر أو "مصير شعب إسرائيل"، وقد أثارت آراء "فرانكنشتاين" غيرة "عكيفا أرنست" أحد أعضاء هذه المجموعة من علماء النفس والذي نحت مصطلح "التخلف أو البدائية" فى كتاب له<sup>(٢٢)</sup>، ومنذ ذلك الحين ابتعد الجدل عن الواقع وصار مدرسياً بالكامل. وقد تحولنا أنا ووالداي إلى كائنات مجردة فى مثل هذا الخطاب النفسى حيث نظر إلينا كقطيع من سلالة الخنازير يجب اختبار صحة الرأى السائد عليها. وقد تسابق أعضاء هذه المجموعة على إطلاق

كل الصفات الدونية علينا، وهو ما يعلق عليه "عكيفا" بقوله "يدعو التحليل المتمركز حول الأنثروبولوجيا [الذى يعتبر البشر مجرد أعراق وسلالات ورثت صفات معينة] (والذى يتعارض مع الوضعيات الدينية والاجتماعية والقومية) إلى الحذر الشديد والتروى عند التعامل مع التغيرات التى تحدث بالفعل فى أنماط حياة هؤلاء المهاجرين (أى نمط حياتى أنا ووالدى)"<sup>(٢٣)</sup>. ويضيف "لقد اكتشفنا نوعين من البشر المستوعبون والمستوعبون، الموجهون والموجهين والبشر المتقدمون ثقافيا والآخرين الأكثر تخلفاً"<sup>(٢٤)</sup>. لقد أثار هذا غضب "ناتان روتنشترايخ" Rotenstreich - أحد أعضاء النادي النفسى، بحيث ذكر أن ثمة مشكلة منهجية أساسية تتعلق بهذه القضية، فإلى أى حد يمكن أن نسمح لأنفسنا برسم خط فاصل بين هذين النوعين المتعارضين [أى المصطلحين المستخدمين فى الجملة السابقة]<sup>(٢٥)</sup>. والواقع أن كلمات "روتنشترايخ" لم تذهب بسدى، فقد تركت تأثيراً فى شخصيات قيادية مثل دافيد بن جوريون الذى اهتدى إلى ضرورة تأسيس وحدة المجتمع الإسرائيلى على مفاهيم مشتركة عامة بشأن الأهداف الجماعية ووسائل عامة لتحقيقها، وقد طرح روتنشترايخ "سؤالاً بليغاً :

"هل يوجد أمل فى إنجاز تلك الوحدة فى ضوء خلفية الواقع الحالى للمستوطنين القدامى؟ الحقيقة أن هناك ضرورة للعودة إلى الأسس الأصلية [أى التى وضعتها الصهيونية] من أجل الاندماج فى أسلوب الحياة الذى قام عليه المجتمع الإسرائيلى"<sup>(٢٦)</sup>.

من أكون أنا حتى أشكك فى مثل هذه الحقائق؟ فالواقع أننى كمغربية غير موجودة، فى حين ترسخت مثل هذه الأفكار الخرافية التى روجها أعضاء النخبة الثقافية للمجتمع. كيف يمكن لى أن أكذب مثل هؤلاء الفلاسفة الذين يعرفون ما يتحدثون عنه؟ لقد تكيفت مع الوضع. ومع مرور السنين أدركت أن مثل هذا الخطاب كرس كنظام شامل للاستبعاد بحيث يلفظ أمثالنا ممن أخفقوا فى اجتياز اختبار تشرب الثقافة والحياة الأشكنازية، وكان قد تدعم من مساندة السلطات الفلسفية والأدبية والعرقية والتعليمية له. ومن الملاحظ أن هذا الخطاب استهوى المفكرين اللاجقين الذين أغنوا أسطورة التخلف فى مواجهة الحداثة، لقد كنت أراقبهم وأنا مذهولة وهم ينفخون النار فى مثل هذا الخطاب وحاولت بكل ما أستطيع تدوين الأفكار المعادية للمنطق التى يعدونها لى.



لقد تأسست قاعدة صلبة مكنت بن جوريون من ترسيخ وصفه لى بأننى غير لائقة أخلاقياً بناء على الجهود التى بذلها جيل المفكرين من الرواد لتكريس مواقفهم وتكوينها بسواء فى محاضرات عامة أو مؤتمرات أو فى كتب أو فى نورتات، كما أن النظام التعليمى الذى التحقت به وشقيقتى وشقيقى تأسس بالكامل على مثل هذه الأحكام، ولم يختلف فى ذلك كثيراً عن الوضع المسيطر لعلم الاجتماع الإسرائيلى الذى كان يخدم منذ بدايته السلطات الإسرائيلىة بغرض استيعاب الأعداد الغفيرة من اليهود "الشرقيين" (٢٧). ومن هنا فقد أسهم التقارب الإيديولوجى والعاطفى بين مؤسسى علم الاجتماع الإسرائيلى والمشروع الصهيونى فى زيادة غموض التمييز الواجب بين الأكاديمى والسياسى (٢٨) حيث خلق الإيمان الصهيونى المتعجرف توافقاً عاطفياً ومفاهيمياً عاماً فى بنية الدولة وما لحقها من تدعيم بين الساسة وعلماء الاجتماع، حتى فى حالات الاختلاف الأيديولوجى.

لقد كرس "إيزنشتاد" Eisenstadt التمييز بين الرواد والمهاجرين Olim فى كل بحوثه. فعلى سبيل المثال لم يكن لوالدى اللذين وصلا بعد إقامة الدولة أن يعتبرا من الرواد حسب تعريف "أيزنشتاد" لأنهما يفتقران إلى هوية قوية من وجهة نظره لأنهم ليسا علمانيين أو عصريين بما فيه الكفاية، إنهما مناقضان للرواد بل إنهما يشكلان خطراً على المشروع الصهيونى بسبب كونهما متدينين تقليديين (٢٩). وعلى حد زعمه كان والدى غير قادرين على تغيير نوع العمل الخاص بهما أو تغيير أساليب حياتهما الاجتماعية والثقافية (٣٠)، وقد قام أبى الذى عمل كمصرفى بارز فى المغرب بتغيير "نمط عمله" وذهب للعمل فى مصنع أسمنت وفى قطف الليمون لعدة سنوات، ومع ذلك ظل غير لائق تماماً للاندماج تبعاً لأفكار "إيزنشتاد". لقد كان على والدى أن يجتاز شيئاً ما "ميتافيزيقياً" أطلق عليه "أيزنشتاد" "التخلص من التنشئة الأولى" التى جاء بها لإسرائيل وأن يتعرض لعملية "إعادة التنشئة من جديد" (٣١). ومثل هذه العملية ترتبط عند "إيزنشتاد" بقدرة جماعات المهاجرين على اكتساب قيم واتجاهات اجتماعية جديدة كى يتغيروا تدريجياً (٣٢). وهكذا تحمل والدى مسؤولية الفشل على عاتقه.

كان والدى غير متعلم حسب زعم "إيزنشتاد" رغم خبرته المهنية فى العمل المصرفى ورغم أن أمى تعلمت فى مدرسة "الأيانس" الإسرائيلية فى المغرب، فقد اعتُبرت "مثالاً على الجهل المتفشى وسط المهاجرين المزراحي". مع أن الحقيقة أنهما تشربا الثقافة الغربية فى مدينة الدار البيضاء إبان الاحتلال الفرنسى اللذين تلقياه من نون قيمة لديه. لقد عزا إيزنشتاد فشل أبى وأمى فى الاندماج إلى عدم النضج الذى يتمثل فى استعدادهما للتمتع بمزايا المواطنة الإسرائيلية واستخدامها لأسلوب "ترقية الحراك فى العمل" (٣٢). وترتب على ذلك أن عملت والدتى خادمة فى منزل الأشكنازى "إسحاق بن زفى" (ثانى رئيس لإسرائيل)، ولكنها طردت بعد يومين فقط لأنها مغربية وليست يمنية! وفى منزل آخر اكتشفت أن أصحابه لا يحافظون على تقاليد الطعام اليهودية نفسها Kashrut . وعبرت عن صدمتها قائلة "إن هؤلاء ليسوا يهودا" !، وهذا ما جعلها تدرك ذلك الصدع العميق الذى يفصلها عن أرض إسرائيل، فلم يكن ذلك هو المجتمع الذى رغبت أن تندمج فيه. وعلى العكس من والدى، اختارت أمى أن تفشل فى مسألة الاندماج الاجتماعى، أما أنا فقد عانيت من هذا الصدع حينما اخترت الجانب الناجح والثرى والقوى أو الفائز أى أن أتشرب الاشكنازية، وكان الثمن أن شعرت بالاغتراب عن نفسى وعن هويتى ناهيك عن الشعور بالمرارة لعجز والدى عن الانخراط فى هذه العملية.

لم تخرج قصة استيعابنا فى المجتمع عن كونها مجرد تحليل عام ينطبق على غيرنا فى إطار الثنائية التى صاغها "إيزنشتاد" بين الرواد والمهاجرين، فهناك مجموعتان وهناك عالمان أولهما إيجابى والثانى خطر على الأول. وكان "إيزنشتاد" يرى، وهو يقيم سياسة الاستيعاب، أن الأخطاء المرتكبة فى حقنا هى ثمن معقول لابد أن يدفعه المجتمع الإسرائيلى كله ليتعلم الدرس (٣٤)، وصوّر الأمر وكأن المجتمع الإسرائيلى دفع ثمن هذا الدرس بالفعل، لكننى أنا التى دفعت الثمن فى الواقع وما زلت أدفعه، فلا هو ولا بن جوريون ولا عائلتهما ولا إسحاق رايبين "محرر القدس" ولا أعضاء الكنيست أمثال "ناعومى كازان" و "يائيل دايان" و "عامون روبنشتين" و "دان ميريدور".

وتعد أحداث الشغب فى وادى صليب لعام ١٩٥٩ نتيجة طبيعية لذلك التداخل المتنامى باطراد بين الوضعية الاجتماعية والاقتصادية والأصل شرق الأوسطى، حيث بلغ القمع ذروته بما لم تتمكن النخبة الأشكنازية المسيطرة من مواجهته. من هو يا ترى ذلك الشخص الذى عين على رأس اللجنة الحكومية التى شكلت لتقصى أسباب الشغب؟ إنه "شموئيل نوح إيزنشتاد" الذى لا يمثلنى ولا يمثل أبى ولا أمى على ما أعتقد.

ولم يشكل التفسير والتوصيف العلمى لكل نقائصنا - طبقاً للنظرية البنيوية الوظيفية - قاعدة السياسة الرسمية فحسب بل صاغ أيضاً محاور علم الاجتماع الإسرائيلى. وكانت أقسام التربية والخدمة الاجتماعية فى الجامعات الإسرائيلىة قد أجرت كافة البحوث والتعريفات للتخلف واللفجوات الاجتماعية وللتجمعات المحرومة. وتم تقديم البرامج التعليمية التى تصوّرنا أنا ووالدى على هذا الأساس وتقدمنا بهذه الصفة إلى أصدقائى الأشكناز، ذلك أن الطفل الرائد، الذى أثار حسدى، وصف بأنه "العبرانى القديم الذى تخلى فعلاً عن مقومات حياة الشتات وجدد نفسه فى أرضه" (٣٦). تستمر الرواية بعد وصولنا أنا وأبى وأمى فى نعتنا بالأوصاف السلبية : فنحن نكره العمل اليدوى ونحن محافظون ونميل للعنف وكل ذلك يشكل تهديداً للصهيونية، وهذا يعنى مجدداً أن أسلوب حياتنا العربى اعتبر خطراً على المشروع الصهيونى وينبغى التخلص من هذا الأسلوب بكل الوسائل الممكنة. وصار من الواضح أن خبراتى الخاصة لن تعنى شيئاً لما أفعله أو لا أفعله، فأصدقائى من الأشكناز قرروا رفضى منذ البداية، وإذن فقد كان على أن أتشرب الاشكنازية التى ظلت تنخر فى عظمى حتى هذه اللحظة إلى درجة أن أكون أشكنازية فى تكوينى البدنى نفسه.

ومع بداية الألفية الجديدة سمعت الناس يتحدثون عن انتهاء التوتر بين الأشكناز والمزراحي ليحل محله الجينز والكوكاكولا وبقية الأمراض الثقافية التى جعلت حياتنا متأركة. أخذت أناجى نفسى كطالبة من أصل يهودى عربى : "ها أنذا وصلت إلى الجامعة ولم أعد أعانى من التمييز، من هو ذلك الذى يستطيع ممارسة التمييز. إننى لم أعد أتعامل مع مشاكل ومشاكل أهلى وحتى مشاكل أبى وأمى نفسيهما. كل ذلك لم يعد ملائماً لى" لقد صرت فى قرارة نفسى أقول إننى أنا، وربما واحد أو اثنان غيرى، هو الذى يعكر

مزاج هذه الطالبة ويشكك في التراضى الإسرائيلى رغم أنه، ومع قدوم قرن جديد، يتعاضم مع مرور الوقت الإحساس بوجود مشكلة عرقية فى إسرائيل ("بغض النظر عن تزايد الزواج المختلط"). ومنذ عدة سنوات كانت هناك فتاة من الجيل الثانى من اليهود الإيرانيين الإسرائيلىين تصف نفسها بأنها "فرانك الجديد" *Nouveau Frank* (وفرانك هو اسم سبى السمة استخدم لوصف اليهود المغاربة)، فقد كتبت تقول :

"أى فتى أشكنازى طيب يعرف أنه من الأفضل الزواج "من واحدة منا" (أى الأشكنازية).. (وبعكس الفتى المزراحى المتحول للأشكنازية الذى يخطط الهزل بالجد)، ليس لدى سلسلة ذهبية (كعلامة مغربية مميزة) ولا أتحدث العربية لأنها دليل الحديث الفج، كما أن الملابس التى تحمل علامة بنيتون لدى تعنى الطريق إلى الرقى، لكن هذا الفتى إذا ما دقق للحظة فى الجانب الآخر لأية واحدة منا كان وجهه أصيب بالشحوب" (٢٧).

ما هو المفترض أن يقوم به المزراحى المتحولون للأشكنازية؟ هل يرجعون للماضى؟ هل يحنون إلى ثقافتهم؟ وأية ثقافة؟ هل هى ثقافة الأكراد والمغرب؟ وهل هى ثقافة اليوم أم الأمس؟ إننى أتحدث اليديشية العبرية وأفكر تبعاً للأنماط الثقافية الأوروبية، وأستنشق الأيديولوجيا الصهيونية فى الشهيق، وأزفر [من الزفير] بنشيد شبه قومى من المدح الإلهى *the rent song* بحركات مرتبكة، كما أننى أعانى من مصطلحات الاندماج (أى إصلاح التعليم بهدف تحقيق مبادئ "بوتقة الصهر"). ومن هنا لا يزال كل ذلك ملائماً لأن الغالبية العظمى من أدب الأطفال المتاح كتبه أناس من أصل أوروبى، فكما لاحظ "أدير كوهين" *Adir Cohen* - الباحث فى الأدب - أن هؤلاء هم المسئولون عن الصور النمطية التى تعبر عن الطفل العربى كوضيع ومتوحش وما يزال ملائماً أيضاً لأن التلاميذ ما زالوا يدرسون النصوص المدرسية التى أنقل عنها هنا (٢٨). بل إننى أتعجب الآن مما إذا كان "فرانكنشتاين" نفسه لم يصل إلى حد التخلف وهو يقبل بى باعتبارى "آخر" ليس فقط بالمعنى السلبي بل ويكونى صاحبة ذات متخلفة. فلو قمت بإرسال "فيورشتاين" نفسه إلى تلال "تودرا" *Tudra Dunes* (قرية تقع فى جبال



الأطلس بالمغرب تتميز بصعوبة التضاريس والمناخ بما يجعل الحياة فى منتهى الصعوبة بدون معرفة باللغة وبدون أية مهارة للتكيف مع نمط العيش هناك، هل سيظل متمسكا باختباراتة الذهنية والبدنية فى موقف مثل ذلك؟ ماذا يعرف هؤلاء الباحثون عنى باعتبارى "آخر"؟ لماذا يشترطون إجراء اختبارات علىّ بمثل هذا النوع من الأيديولوجيا النفسية؟ إننى أتساءل الآن كإنسانة صارت باحثة بعد أن كانت موضوعا للبحث.

تقترح "جاياترى شاكرافورتي سبيفاك" Gayatri Chakravorty Spivak<sup>(٢٩)</sup> فى كتابها "نقد منطق ما بعد الاستعمار A Critique of Postcolonial Reason أن أقوم أنا بإعادة اختبار الخيال الفرويدى المبني على عقدة أديب والتي تشكلت شخصيتى تبعاً لها، وهو الخيال الذى سار على خطاه المعلمون والمدرسون الذين درسوا لى، إذ تذهب "سبيفاك" إلى أن النساء فى عصر ما بعد الاستعمار لا يجب بالضرورة أن يملكن خلفية أوروبية فى مواجهة الخلفية التقليدية. إنها تصوّرنى بأننى أسيرة بين عالمين، بينما أشعر أنا بأن قصتى هى قصة القهر أساساً : قهر أوروبى تقليدى، وقهر استعمارى وقهر غربى إلى جانب قهر صهيونى، ففى داخل كل هؤلاء تقبع شخصية ممزقة ومضطربة تكافح على طريقة سيزيف وصخرته من أجل التحكم فى إدراكى وقيمى ومشاعرى وإرادتى، إننى مسجونة فى عالم من المرايا.

هى حالة ما زلت غير قادرة على فهم كنهها وقوتها، فلا هى حالة عودة للجنود ولا إعادة تأهيل أو إعادة تشكيل للشخصية أو الهوية، إنها كلمات تنطوى على شكوك ومخاطر عندما أسمعها، ومع ذلك هناك شىء واحد فقط واضح عندى بسواء كنت واعية به أم لا وهو أننى ابنة طاحونة تعليمية وثقافية واقتصادية سحقّت كل شىء ولم تترك لى هامشاً لأى نوع من التطوير الذاتى خارج تلك الهيمنة الأشكنازية والصهيونية والإسرائيلية والأوروبية المدمرة.

## هوامش الفصل السابع

See Ruth Firer (1986) 'The Image of the Mizrahi Eliot,' Iyyunim be Khinuch, no. (١) 45, pp. 23-33, especially p. 28 (Hebrew).

Eliezer Shmueli (1970) Toldot Amenu BaZman HaChadash [The History of Our (٢) People in the Modern Era], vol. 7, Tel Aviv, p. 268 (Hebrew).

Ibid., p. 414. (٣)

Levin Kipnis (1981) Rumiah, The Little Nanny, Tel Aviv, p. 12 (Hebrew) (٤)

Ibid. (٥)

Ibid. (٦)

Karl Fuerstein and M. Richel (1953) The Children of the Melah - The Cultural (٧) Retardation among Moroccan Children and Its Meaning in Education, published by the Henrietta Szold Institute and the Jewish Agency, Jerusalem, p. 17 (Hebrew).

Ibid. (٨)

Ibid., pp. 17, 101, 185. (٩)

Ibid., p. 194. (١٠)

Ibid., p. 195. (١١)

Karl Frankenstein (1951) 'On Ethnic Differences,' Megamot, B3, pp. 261-76 (١٢) (Hebrew).

Ibid., p. 270. (١٣)

Ibid. (١٤)

Ibid., p. 272. (١٥)

Ibid., p. 292. (١٦)

Ibid. (١٧)

Karl Frankenstein (1951) 'On the Concept of Primitivity,' Megamot, B4, pp. 342, (١٨) 344, 347 (Hebrew).

- Ibid., p. 352. (١٩)
- Ibid., p. 353. (٢٠)
- Ibid., p. 352. (٢١)
- Akiva Ernest Simon (1951) "On the Meaning of the Concept Primitivity" (٢٢)  
Megamot, B3, p.227 [Hebrew].
- Ibid. (٢٣)
- Ibid. (٢٤)
- Ibid., p. 335. (٢٥)
- Ibid., p. 338. (٢٦)
- Henriette Dahan-Kalev (1992) 'Self Organizing Systems: Wadi Salib and The (٢٧)  
Black Panthers - Implications for Israeli Society', Ph.D. thesis, Department of  
Political Science, The Hebrew University of Jerusalem, pp. 37-42 [Hebrew]; see  
also Uri Ram (1995) The Changing Agenda of Israeli Sociology, New York,  
especially chapter 3, pp. 23-46.
- Shmuel Noah Eisenstadt (1951) 'Immigration Absorption', MA thesis, (٢٨)  
Department of Sociology, The Hebrew University of Jerusalem (Hebrew).
- Shmuel Noah Eisenstadt (1967) Israel, A Society in the Making, Jerusalem (٢٩)  
(Hebrew).
- Ibid. (٣٠)
- For further discussion, see Dahan-Kalev, 'Self Organizing Systems', especially, (٣١)  
pp. 37-40, 73-96.
- Shmuel Noah Eisenstadt (1953) 'Leadership Problems among the "Olim",' (٣٢)  
Megamot, no. 32, pp. 182-91 [Hebrew].
- Ibid., p. 44. (٣٣)
- Ibid., p. 152. (٣٤)
- Ibid., p. 263. (٣٥)
- وليزيد من التفاصيل حول أحداث الشغب في وادي صليب وريود الفعل عليها، انظر :  
Dahan-Kalev, 'Self Organizing Systems,
- Firer, 'The Image of the Mizrahi Edof, pp. 25, 28-9. (٣٦)
- Dorit Rabinian (1993) 'Nuvo Frenkit', Ha'h, 29 September, p. 43. (٣٧)

(٢٨) لا تزال هذه الأفكار مطروحة حتى الآن حيث يرددها خبراء التعليم الإسرائيليون، انظر كمثال :

Shoshana Keiny (1999) 'Response to "Human Rights in History and Civic Text Books: The Case of Israel",' in Curriculum Inquiry, vol. 29, no. 4, pp. 513-21, especially pp. 518-19. See also Ruth Firer (1998) 'Human Rights in History and Civic Text Books: The Case of Israel', in Curriculum Inquiry, vol. 28, no. 2, pp. 195-208.

Gayatri Chakravorty Spivak (1990) A Critique of Postcolonial Reason, New (٢٩) Haven, Yale University Press.



## خاتمة

### "تأملات فى ما بعد الصهيونية وتشكل المشروع الصهيونى"

نيرا يوفال – دافيز Nira Yuval-Davis

تتطلب كتابة خاتمة لكتاب عن ظاهرة ما بعد الصهيونية فى يونيه ٢٠٠٢ الاستعانة بأحد المعايير المهمة التى جاء بها "جرامشى" بخصوص "التشاؤم بشأن الفكر والتفاؤل فيما يتعلق بالإرادة"، وهذا يمثل الجزء الثانى من المهمة الذى يفرض صعوبات جمة من أجل إنجازه (\*).

وما لم نفعله حتى الآن هو تتبع خطوات الظهور المفاجئ والعارض والباعث على الأمل لليساريين الإسرائيليين وحتى الفلسطينيين والذين لم يعودوا موضع سخرية أو تجاهل ولكننا نخاف عليهم، ناهيك عن مشاعر اليأس. فما زالوا يكافحون من أجل الديمقراطية وحقوق الإنسان ويحتجون على الاحتلال والإذلال والقمع المتزايد وجرائم الحرب التى تتخلله، وهم يصرون فى الوقت نفسه على إجراء حوار عبر الحدود سعياً وراء تسوية إيجابية تتجاوز الانقسامات العرقية، وإذا كانت هذه الانقسامات وجدت من قبل، فقد اتسعت بعد الإحباط المترتب على "عملية أوسلو" حتى صارت تشبه بئراً بلا قرار. وعندما اكتملت فصول الكتاب وحينما وافقت على كتابة خاتمته، كان اتجاه "ما بعد الصهيونية"

(\*) أتوجه بالشكر هنا إلى "أورين يفتاشل" و "أفيشاي إرلخ" و "إفرايم نيمنى" على ما قدموه من ملاحظات قيمة على المسودة الأولى لهذه الورقة .

قد تحول إلى محور رئيسى للجدل إن لم يكن قد صار بمثابة الخطاب الأكاديمى المسيطر فى إسرائيل، حيث وصف بالخطاب القائد والأكثر إثارة والذي يستوحى أحدث التطورات فى العلوم الاجتماعية الغربية. لقد حارب مثل هذا الخطاب إن لم يكن قضى فعلاً على بعض البقرات المقدسة للصهيونية ومن ثم أتاح إلقاء الضوء على بعض الفصول المظلمة (على الأقل بالنسبة للإسرائيليين) فى قصة المجتمع الصهيونى الاشكنازى.

ولكن يلاحظ أن كتابة هذه الخاتمة تأتى فى وقت فقد فيه الخطاب ما بعد الصهيونى بريقه بعد أن كان رد الفعل عنيفاً ومركزاً، إذ تعرض حوالى ٢٥٠ من أساتذة الجامعات ممن وقعوا على إعلان يؤيد حق طلابهم فى رفض الخدمة العسكرية فى الأراضي المحتلة للاتهام بالتحريض والتهديد بعقاب قانونى. بل إن الدكتور "إيلان بابيه" (انظر الفصل الثانى) كواحد من أبرز المدافعين عن رسالة ما بعد الصهيونية، هدد بفقدان وظيفته، فيما وضعت معوقات عديدة فى طريق الآخرين ممن لم يحصلوا على عقد عمل ثابت. وتم التشكيك بأسلوب سقيم فى جوهر رسالة اتجاه ما بعد الصهيونية، وإذا أخذنا فى الاعتبار المشروع السياسى لشارون والتأييد الطاغى له من جانب الجمهور الإسرائيلى، يجب أن ندقق جيداً فى المشروع الصهيونى نفسه إذا ما أردنا أن نصف ما يجرى الآن بحسبانه "عصر ما بعد الصهيونية".

وكما أشار إفرام نيمنى فى مقدمته وأكد عليه الكتاب الآخرون فى دراساتهم المنشورة هنا وكذلك ما كتبه أناس آخرون<sup>(١)</sup>، فقد استخدم مفهوم ما بعد الصهيونية، فى الأدب وفى الخطاب العام على السواء بأشكال مختلفة ومضطربة أحياناً. كما أضيف هنا أننى أعتقد بإمكانية التفرقة بين ثلاثة استعمالات رئيسية لمصطلح "ما بعد الصهيونية"، فهناك ما يرتبط بمناهج نظرية وتحليلية ومعيارية معينة فى العلوم الاجتماعية الإسرائيلية وخصوصاً التاريخ والاجتماع، والاستعمال الثانى يتمثل فى اتجاهات وقوى سياسية معينة فى إسرائيل المعاصرة، فى حين يشير الاستعمال الثالث إلى حقبة أو فترة محددة من حياة المجتمع / النخبة السياسية الإسرائيلية باعتبارها فترة ما بعد الصهيونية عموماً. ويمكن ملاحظة وجود تداخل وتشابك بين هذه الاستخدامات الثلاثة المختلفة، وهذا ما يزيد من الاضطراب العام.

وسوف أركز هنا على الاستخدام الثالث وعلى محاولة توصيف إسرائيل في عقد التسعينات من القرن الماضي باعتبارها قد تحولت تدريجياً وبطريقة كانت مثار خلاف إلى مجتمع ما بعد صهيوني. وفي هذا الإطار يوجد ترابط وثيق بين اتجاه ما بعد الصهيونية والتطورات العالمية لتحقيقه في حقبة ما بعد الحرب الباردة وخصوصاً ظاهرتي العولمة وما بعد الحداثة، وفي إطار الشرق الأوسطى ذاته توجد علاقة وثيقة بين هذا الاتجاه وما يمكن تسميته "عملية أوسلو". إن حجتى الرئيسية هنا هى أن مثل هذا الاستخدام للمصطلح يمكن أن يكون مضللاً لدى محاولة فهم المجتمع الإسرائيلى وخصوصاً الصراع الإسرائيلى - الفلسطينى، ذلك أن أية محاولة لتعريف الدولة والمجتمع الإسرائيليين كتعبير عما بعد الصهيونية يرتبط بشدة بأساليب تحليل الصهيونية ذاتها، وسوف أطرح فى الصفحات التالية إطاراً لمثل هذا التحليل.

تعتبر الحركة الصهيونية - كما أوضح الكثيرون فى تعليقاتهم فى هذا الكتاب وفى كتب أخرى - عن وجهى الإله جانوس (أى الازبواجية) بما جعلها تفوق فى ذلك أية دولة قومية أخرى<sup>(٢)</sup>، فمن جهة تصوّر نفسها كحركة تحرير قومية لليهود المقهورين والمضطهدين على مستوى العالم أجمع من جانب، ومن جانب آخر، فقد تميز نمط التنظيم والتطور لديها بالدولة الاستيطانية الاستعمارية التى تقمع وتستغل وتطرده السكان الأصليين من فلسطين.

لا يتسع المقام هنا للدخول فى تفاصيل التاريخ الصهيونى<sup>(٣)</sup>، ويمكن القول إن الحركة الصهيونية هى مجرد رد فعل واحد - ظل لفترة طويلة- يمثل الأقلية، على أزمة الوجود اليهودى "الكلاسيكية"<sup>(٤)</sup> فى أوروبا، حيث لم يعد يوجد مجال لبقاء نمط الحياة اليهودى مع بزوغ الحداثة والرأسمالية والحركة القومية، إذ شكلت "الحسيدية" Hasidism (\*) فى القرن الثامن عشر فى جنوب والأرثوذكسية اليهودية من جهة واليهودية الإصلاحية

(\*) الحسيدية : حركة صوفية يهودية ظهرت فى القرن الثامن عشر فى جنسوب بولندا وقرى أوكرانيا وسط الفلاحين الفقراء انظر : عبد الوهاب المسيرى ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المجلد الخامس ص ص ٢٥٢ - ٢٥٣ . (المترجم)

من جهة أخرى أكبر الحركات الدينية التى برزت كرد فعل على دعوات الاندماج. وكان هناك اتجاهات شعبيان وهما العلمنة والاندماج ابستنادا إلى كل من الفكر الاشتراكي والليبرالى وتمثلا جزئياً فى هجرات فردية وجماعية لدول عدة إلى العالم الجديد أو المجتمعات الاستيطانية التى طورتها الإمبراطوريات الأوروبية.

وكانت الحركة الصهيونية واحدة من حركتين يهوديتين سياسيتين حاولتا حل "المسألة اليهودية" كمسألة قومية، فهناك حزب البوند كحركة قومية يهودية مسيطرة فى أوروبا الشرقية قبل نشوب الحرب العالمية الثانية<sup>(٥)</sup>، والتى اعتبرت أن اليهود يمثلون تجمعاً قومياً مستقلاً له لغة (اليديشية) وتقالييد ثقافية خاصة به، وقد طمح أعضاء الحركة إلى إقامة دولة متعددة القوميات فى شرق أوروبا يستطيع فيها اليهود والأقليات القومية الأخرى اكتساب وضع مستقل قومياً وثقافياً.

على أن الحركة الصهيونية طمحت إلى إضفاء الطابع القومى على الشعب اليهودى عبر إنشاء مجتمع ودولة يهوديين على إقليم مستقل، يمكن لكل اليهود أن يعيشوا فيه. وعلى النقيض من حركة البوند زعمت الحركة الصهيونية أن حدود التجمع اليهودى لا تقتصر فقط على شرق أوروبا بل كل أوروبا (رغم أن معظم الذين جاءوا بسيطروا على الحركة الصهيونية والدولة الإسرائيلية عبر تاريخهما ينجدرن من شرق أوروبا)، وقد شملت الحدود التى رسمتها الصهيونية للشعب اليهودى يهود العالم أجمع، مع أن مسألة "من هو اليهودى" لاتزال تثير الجدل والانقسام فى إسرائيل منذ قيامها. وتبعاً لذلك لم تكن اليديشية هى اللغة اليهودية التى دفع بها الصهاينة رغم أن العبرية كانت سائدة أساساً كلفة دينية ولممارسة طقوس معينة فى المجتمعات اليهودية المختلفة. وبعد سجلات طويلة واقتراحات لأماكن بديلة متعددة تقرر اختيار فلسطين التى تعد فى التقليد اليهودى "أرض الآباء" و "أرض الميعاد" كقاعدة إقليمية للدولة.

جاءت الاتهامات ضد الحركة الصهيونية منذ بدايتها<sup>(٦)</sup> على يد اليسار أساساً بسبب طابعها الطوباوى الذى اعتبرها بمثابة إبعاد الجماهير اليهودية عن مواجهة معاداة السامية فى أى مكان يعيشون فيه. كما اتُهمت بالتوجه الانقسامى، حيث ركزت على القليلين ممن فضلوا الهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها بفعل وضعهم الطبقي



وأعمارهم ونوعهم (كان الرواد الصهاينة الأوائل من الرجال الشباب العزاب أساساً الذين ينتمون إلى البرجوازية الصغيرة)، وكذلك بأنها لم تطرح لم حلاً لكل التجمعات اليهودية.

وقد انصببت الاتهامات على قيادة الحركة الصهيونية من جانب فاعلين اجتماعيين عديدين إبان الفترة الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، عندما اتهمت بإعطاء "اليشوف" [التجمع الاستيطاني] الأولوية على حساب مهمة إنقاذ العدد الأكبر من اليهود من النازي. وفقط بعد إنشاء إسرائيل كنولة، وخصوصاً عقب تنامي القوة السياسية والشرعية للحركات الدولية المناهضة للاستعمار وحركات التحرر في العالم الثالث، فقد برزت الانتقادات للصهيونية وإسرائيل وركزت أساساً على طبيعتها الاستيطانية الاستعمارية<sup>(٧)</sup>.

ومع ذلك فإن الهولوكوست [إبادة اليهود] إبان الحرب العالمية الثانية يعد أحد المصادر الرئيسية لإعطاء الشرعية لإقامة الدولة الإسرائيلية في المجتمع الدولي، ومن جانب آخر كان إنشاؤها يتوافق مع مصالح القوى الإمبريالية البازغة في الشرق الأوسط آنذاك وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك الاتحاد السوفيتي ولو لفترة قصيرة، فقد استغلت هذه القوى قيام إسرائيل كأداة في مواجهة النفوذ المتداعي للقوى الإمبريالية القديمة في المنطقة وهي بريطانيا وفرنسا. ومن هنا كان تأييد الولايات المتحدة ودول غربية لضحايا النازية من اليهود، بدون تحمل التكلفة الباهظة لاستيعاب عدد كبير جداً من اللاجئين اليهود، أحد عوامل دعم قيام إسرائيل، كما غطى هذا التأييد على الموقف السلبي لهذه الدول تجاه يهود أوروبا قبل وأثناء الحرب. وقد اعتبر كثير من اليهود أن الهولوكوست كان عاملاً رئيسياً وراء اتجاههم لمساندة الصهيونية وإسرائيل، حيث صار نوعاً من "السياسة التأمينية" إذ أصبحت إسرائيل ملجأً يهودياً يمكن لليهود أن يهربوا إليه من نون عقبات على الهجرة في حالة حدوث هولوكوست جديد.

بيد أن يهوداً آخرين ممن ظلوا على عدائهم للصهيونية وفضلوا العيش في خارج إسرائيل<sup>(٨)</sup>، كان لديهم شعور مختلف، أنهم ظلوا على مر السنين وخصوصاً

منذ عام ١٩٦٧ فى موقع الأقلية. فقد رأى هؤلاء أن الصهيونية لم تنقذ اليهود فى تجمع "اليشوف" فى فلسطين قبل قيام "إسرائيل" من مصير مشابه لما حدث لتجمعات يهودية أخرى. فالصدفة التاريخية وحدها، أى الانتصار البريطانى على النازيين فى شمال إفريقيا كانت وراء ذلك، كما أعتقد بعض اليهود أن الفكرة الصهيونية عن "تجميع المنافى" وتركيز اليهود فى مكان واحد من شأنها أن تجعل قتل كل اليهود مسألة أسهل لا أصعب. ذلك أن المكان الذى يواجه فيه اليهود أكبر خطر مادى على وجودهم على مستوى العالم عبر السنوات الخمسين الماضية هو إسرائيل. ويرى هؤلاء، ثالثاً، ومع الأخذ فى الاعتبار اعتماد إسرائيل مالياً وسياسياً على التجمعات اليهودية فى الدياسبورا واللوبيات السياسية لها، فإنه لا يوجد ما يضمن قدرة إسرائيل على إنقاذ هؤلاء فعلاً إذا ما احتاجوا لها. يضاف إلى ذلك أن نسبة اليهود الإسرائيليين التى وصلت فلسطين لم تكن بفعل كفاءة الإقناع الصهيونى لأحد أفراد الأسرة، ولكن كان ذلك بسبب تأثير المشروع الصهيونى نفسه. فعلى سبيل المثال، كانت الهجرة الواسعة من التجمعات اليهودية فى الوطن العربى إلى إسرائيل فى عقد الخمسينات من القرن العشرين كان بسبب تدهور وضع يهود البلاد العربية من جراء الصراع الإسرائيلى - العربى<sup>(٩)</sup>.

ولكن ما هى دلالة ذلك بالنسبة لإسرائيل عندما تصبح ما بعد صهيونية حسب هذا رأى؟ يمكن القول أن انحصار مهمة الصهيونية فى إقامة دولة يهودية يمكن لكل اليهود الهجرة إليها واكتساب مواطنة مستقلة، سوف يترتب عليه تحول إسرائيل إلى مجتمع ودولة لعصر ما بعد الصهيونية لأول مرة منذ إنشاء الدولة الإسرائيلىية وصدر قانون العودة كواحد من أبرز القوانين المؤسسة لها.

فقد تركزت مهمة الصهيونية فى "تجميع" كل يهود العالم فى إسرائيل بغض النظر عن الوسائل، وهذا يعبر فى ذاته عن نجاح جزئى، لكن المسألة الأساسية أن الأقلية من يهود العالم هى التى تعيش فى إسرائيل رغم تزايدها كنسبة مئوية، ويرجع ذلك إلى أن النسبة الأكبر من الهجرة اليهودية الواسعة فى السنوات الأخيرة جاءت من الاتحاد السوفيتى السابق ودول شرق أوروبا، وهذا ما لاحظته "نيمنى" فى دراسته وهو ينقل عن

"برجولا" أن يهود إسرائيل قد يصبحون أغلبية يهود العالم فى غضون الثلاثين عاماً المقبلة حتى من دون تدفق كبير من المهاجرين اليهود<sup>(١٠)</sup>. ويمكن القول بأن ذلك لن يتحقق إلا عندما تبدأ إسرائيل الدخول فى مرحلة ما بعد الصهيونية. لكن غالبية الجدل حول ما بعد الصهيونية - فى هذا الكتاب وغيره - لا تشير إلى ما بعد الصهيونية بحسبانها العصر التالى لتحقيق الأهداف الأكثر أهمية أو الأهداف الرئيسية للحركة الصهيونية (مع أن "يورى أفنيرى" وإسرائيليين آخرين راديكاليين اعتادوا على وصف أنفسهم بأنهم يمثلون ما بعد الصهيونية فى عقد الستينات من القرن العشرين بمصطلحات مشابهة. ذلك أن النقاش حول إسرائيل ما بعد الصهيونية فى عقد التسعينات من ذلك القرن وبداية القرن الحادى والعشرين يتعلق بظاهرة مناقضة هى الانهيار الجزئى للطابع الصهيونى للدولة وتصاعد هيمنة إسرائيل كدولة يهودية كانت تأسست كتعبير عن "الصهيونية الكلاسيكية" كما يرى "يورى رام" وكما يسميها "باروخ كمرلنج" Ahuselim<sup>(١١)</sup>، أو المقابل الإسرائيلى لثقافة الرجل الأبيض البروتستانتى فى الولايات المتحدة WASP .

ولعل ذلك ما يدعونا للقول بأن ما بعد الصهيونية حسب الاعتقاد سالف الذكر ليست لها أساساً علاقة "المسألة اليهودية" التى شكلت جوهر الإشكالية السياسية الداخلية للخطاب الصهيونى بل تكونت ما بعد الصهيونية، من جراء ارتباطها بالواقع السياسى والاجتماعى للدولة والمجتمع الإسرائيليين، اللذين يضمن أيضاً مواطنين غير يهود و/أو غير صهاينة، ويشمل ذلك أيضاً حوالى ١,٢ مليون فلسطينى تتحكم فيهم وتسيطر عليهم الدولة الإسرائيلىة بدون تمتعهم بحقوق المواطنة الكاملة. بعبارة أخرى، يلفت الخطاب ما بعد الصهيونى الانتباه إلى الوجه الآخر للإله جانوس للصهيونية وهو المجتمع الاستيطانى الاستعمارى لا حركة تحرير قومية.

ويمكن وصف إسرائيل كمجتمع وكدولة استيطانيين عبر مستوى تحليلى واحد واضح وهو أنه لا يوجد أولاً تاريخ وصفى لتجمع "اليشوف"<sup>(١٢)</sup> ولا للدولة إسرائيلى يستطيع تجاهل الحقيقة المتمثلة فى أن إسرائيل هى مجتمع من المهاجرين استوطنوا البلاد فى ظل حركة سياسية زعمت السيادة السياسية على البلاد، وكما حدث فى أية

دولة استيطانية أخرى، فقد طرد الشعب الأصلي صاحب البلد جزئياً أو كلياً من المجتمع والدولة الجديدين اللذين تأسسا في الأرض المستوطنة.

ورغم وضوح هذه العملية..عملية طرد أهل البلاد الأصليين كأمر مرتبط بشدة بالحركة الصهيونية، فإنها لا تثار بهذا المعنى في داخل إسرائيل، فالخطاب السياسي المسيطر في إسرائيل - بما فيه الجانب السوسيولوجي- ينظر لعملية الاستيطان من منظور الدأب أو الإصرار القومي كجهد من أجل "تجميع الشتات" و "العودة إلى الأرض الموعودة تقليدياً للشعب اليهودي" بعد ألفى عام. ولم ينظر إلى المهاجرين اليهود على أنهم انتقلوا من بلد للاستيطان في بلد آخر ولكن باعتبارهم نزحوا من ظروف معيشية شبه إنسانية في الدياسبورا إلى حياة مستقلة كاملة وكريمة في أرض الأجداد<sup>(١٣)</sup>، والواقع أن الدراسات المقارنة منذ سنوات عديدة اقتضت على مقارنة إسرائيل بالدول القومية على النمط الغربي لا بالمجتمعات الاستيطانية الأخرى، ومن الطريف أن هذا التحليل يمكن ملاحظته حتى في هذا الكتاب وخصوصاً في المقدمة وفصول أخرى.

إن تحليل إسرائيل من خلال المنظورات القومية الخالصة لا يمكن أن يفسر بعض ممارسات الطرد والتمييز العنصري المتشابكة مع بعضها البعض والتي مورست في المجتمع الإسرائيلي، ولا يمكن لها أن تفسر أيضاً بعض جوانب الصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

وفي مقدمة كتابنا تفكيك المجتمعات الاستيطانية<sup>(١٤)</sup> **Unsettling Settler Societies** الذي شاركت في تأليفه مع وديفا ستاسيوليز **Daiva Stasiulis** ، وصفنا المجتمعات الاستيطانية (ص٣) بأنها "مجتمعات استوطنتها الأوروبيون وظل السكان المتحدرون منهم مسيطرين لمعظم فترات تاريخ هذه المجتمعات سياسياً واقتصادياً على السكان الأصليين، وأنشأ هؤلاء مجتمعات متنافرة على المستويات الطبقية والعرقية والعنصرية". ويمكن اعتبار مثل هذه المجتمعات الاستيطانية ويمكن اعتبارها تجسيدا لعملية مستمرة وممتدة لا تتوقف عند حدود واضحة وثابتة. كما أنها تشترك في عدة خصائص مع مجتمعات أخرى استعمارية وما بعد الاستعمار أو المتروبول [البلد الأصلي]، وخصوصاً



إذا أخذنا في الاعتبار تعقد بوائر وعلاقات القوة سواء على المستوى العالمى أو فى مناطق معينة وهذا ما لا يتحقق مع التحليل الذى يرى أن المجتمع الاستيطانى ينقسم إلى جزأين. بل إن المجتمع الموصوف بأنه "مجتمع استيطانى" هو الذى تتصارع معه الحركات المعادية للاستعمار من مختلف الجماعات الإثنية - القومية.

وهناك مجموعة آليات للاستبعاد أو الاستيعاب سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وقانونياً تعمل فى المجتمعات الاستيطانية على بناء وتفكيك الروابط بين التجمعات المختلفة، وتتمثل الآليات الحاسمة للاستيعاب/الاستبعاد فى السيطرة على الهجرة وسياسات المواطنة تجاه المجموعات الأصلية والمهاجرة. وعلى الرغم من تباين المجتمعات الاستيطانية عبر فترات تاريخية مختلفة بناء على سياساتها بخصوص الهجرة، توجد ملامح مشتركة بينها تتجلى فى الحاجة لخلق توازن بين الضغوط الأيديولوجية لتشجيع المهاجرين "المرغوبين" - ممن ينتمون إلى الإثنية المهيمنة على الاستيطان فى البلاد وبين إغلاق الأبواب أمام المهاجرين "غير المرغوبين" وخصوصاً ممن يأتون من تجمعات إثنية، ونظراً للأهمية القصوى للبعد الديموجرافى فى مشروعات المجتمع الاستيطانى (مثال ذلك تلك الصيحة الصاخبة للمشروع الاستيطانى الأسترالى "إما أن تكون جزءاً من السكان أو تتعرض للدمار") فإنه ينبغى تحليل سياسات الهجرة والعلاقات مع السكان الأصليين باعتبارها عملية معتمدة على بعضها البعض ومتداخلة فيما بينها، ذلك أن الكثير من هذه السياسات والعلاقات يتوقف على الأوزان النسبية للسكان من المستوطنين والسكان الأصليين، كما يتوقف على الملامح الخاصة والأطر التاريخية للسياسات المختلفة للمجتمع الاستيطانى.

ويرى نظر "هربرت آدم"، إن "المجتمعات الاستيطانية" قد شوهت أو زادت غموض التمييز الواضح بين أوروبا وبقيّة دول العالم ما دامت هذه المجتمعات تختلف عن "الاستعمار الاستغلالي" (١٥).

ويعتقد المستوطنون فى أى مشروع لمجتمع استيطانى أن البلاد التى سكنوها تعبر إلى حد ما عن عالم جديد "لا يجب أن يفتح الباب أمام الهجرة فحسب بل وأيضاً

لإقامة مجتمع جديد أفضل" (كان اللاجئون المسيحيون المتدينون خصوصاً يطلقون عليه "القدس الجديدة"). ويعتبر المشروع الصهيوني في صميمه أن المجتمع الجديد هو إعادة تأهيل للمجتمع القديم أو الدولة اليهودية التوراتية، كما زعم أن "القدس الجديدة" بنيت على أرض "القدس القديمة"<sup>(١٦)</sup>. وقد ألف تيودور هرتزل الأب الروحي للحركة الصهيونية كتاباً رومانسياً كرس أساساً لوصف الدولة اليهودية المرغوبة وأطلق عليها البلد القديم/ الجديد "Altneuland".

وهكذا زعم المشروع الصهيوني حتى قبل إنشاء الدولة أن اليهود هم سكان البلاد الأصليون في فلسطين وأن فلسطين جرى بناؤها باعتبارها "أرض إسرائيل".

لقد توقف التاريخ في أرض إسرائيل بحسب الرؤية الصهيونية المسيطرة منذ ألفى عام، وهكذا لا يمكن النظر إلى السكان الأصليين على أنهم فقط جزء من البيئة المحلية "الطبيعية" ذات العبق التاريخي - كما هي الحال مع سكان المجتمعات الاستعمارية الأخرى - بل هم أيضاً جزء من التصوير الشرقي للمراحل التوراتية<sup>(١٧)</sup>. إذ خلقت الصهيونية أسطورة فلسطين الخالية من السكان "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" والتي أطلقها "إسرائيل زانجويل" - ذلك الصهيوني الذي عاصر هيرتزل - في عام ١٩٠١، وتحولت هذه الأسطورة إلى أيديولوجيا مهيمنة للحركة الاستيطانية الصهيونية واخترقت معظم بضاعتها الثقافية<sup>(١٨)</sup>.

لكن الفارق بين الرؤية التي شيدت في أوروبا وما جرى على الأرض كان كبيراً. فرغم تفرد بنية المشروع الاستيطاني الصهيوني ورغم تفرد بنيته وأهدافه وغاياته، فإنه لا يقل من الناحية الاستعمارية عن المشاريع الاستيطانية الأخرى. ولم تكن فلسطين خالية من السكان، كما كان الفلسطينيون أصحاب الأرض غاضبين من الاستيطان الصهيوني، وقد ازدهرت القومية العربية في المشرق وخاصة في سوريا الكبرى مع أفول الإمبراطورية العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر، وكانت سوريا الكبرى تضم سوريا وفلسطين ولبنان حيث كان الصهاينة في أوروبا منشغلين بصياغة أيديولوجيتهم عن العالم القديم/الجديد، كان الفلسطينيون أصحاب البلاد يناضلون من أجل

استقلالهم الوطنى، وكانت مقاومة المشروع الاستيطانى الصهيونى فى صدارة أجندتهم الوطنية بعد صدور إعلان بلفور عام ١٩١٧<sup>(١٩)</sup>.

ولم تكن الحركة الصهيونية متجانسة شأنها فى ذلك شأن جميع الحركات الاجتماعية والسياسية الكبرى، وقد طرح "إيرلخ" فى الفصل الثالث من هذا الكتاب وصفاً لمراحل التطور المختلفة من الصهيونية، وتتجلى كل ملامح التنافر فى الاندفاع الكاسح للمشروع الاستيطانى الصهيونى طوال معظم فترات تاريخه نحو تفريغ فلسطين من أهلها ثم طردهم كلما كان ذلك ممكناً وإبعادهم عن أية سيطرة على مختلف موارد البلاد والدولة. وهناك محطات رئيسية فى التاريخ الصهيونى تمت فيها هذه العملية، ومن أهمها مرحلتان أكثر حسماً هما نكبة ١٩٤٨ حينما صار الفلسطينيون لاجئين فى المنطقة التى صارت تحت سيطرة دولة إسرائيل أو أقلية فى بلادهم تحت هيمنة حكم عسكرى. وجاءت المرحلة الثانية مع حرب ١٩٦٧ عندما غزت إسرائيل بقية فلسطين التاريخية واحتلتها ما جعل أهلها بدون دولة خاصة بهم. لقد تحولت طبيعة وشخصية الصهيونية من حركة سياسية تمثل أقلية على دولة قوية فى المنطقة، كما اتبعت الحركة الصهيونية أهداف غزو الأرض Kibbush Ha'aretz وغزو السوق Totzert Ha'artez قبل قيام إسرائيل وحتى الآن.

ومن الضرورى للغاية ومن أجل فهم طبيعة المجتمع الاستيطانى للمشروع الصهيونى أن نحلل العلاقات المتشابكة بين المستوطنين أنفسهم وألا نقتصر على علاقاتهم مع السكان الأصليين. ففى حين قام بعض الأساتذة من غير الصهاينة وما بعد الصهيونية بتحليل الطبيعة والتاريخ الخاصين للمشروع الاستيطانى الصهيونى فى علاقتهما بالفلسطينيين، وكيفية تأثر هذا المشروع بالحركات الاستيطانية الأخرى وخاصة الألمانية منها<sup>(٢٠)</sup>، فقد ركز آخرون على الوسائل التى انتفع بها المستوطنون والاشكناز القدامى من الأساليب التى استوعب بها يهود المزارحى فى سوق العمل والبنية السياسية كجزء من عملية الاستيطان وخصوصاً عقب قيام الدولة<sup>(٢١)</sup>، كذلك يجب أن نتذكر أن نسبة كبيرة من اليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل لم يفعلوا ذلك جزئياً أو كلياً انطلاقاً من دوافع صهيونية بل لأنهم لم يتمكنوا من الهجرة إلى أى بلد آخر،

ومع ذلك فقد سهّلوا ودعموا المشروع الاستيطاني الصهيوني. ويمكن القول أن الترابط بين الهجرة ووضعية السكان الأصليين لم يتقيد فقط بالهجرة اليهودية، فمنذ أواخر الثمانينات من القرن العشرين شكلت قضية طرد العمالة الفلسطينية بأكبر قدر ممكن من الأراضي المحتلة مصلحة قومية أساسية، وتم تشغيل عمال مهاجرين غير يهود بدلاً منهم، على الرغم أن الهدف الأساسي كان تقليل فرصة تحول هؤلاء إلى تجمع استيطاني دائم داخل المجتمع الإسرائيلي<sup>(٢٢)</sup>.

وهناك بعد تحليلي آخر في مجال دراسة "اليشوف" والمجتمع الإسرائيلي قدمه أستاذة التحليل النسوي، إذ تناولوا أثر المشروع الاستيطاني على علاقات النوع في "اليشوف" والمجتمع الإسرائيلي وقطاعات سوق العمل وفي المؤسسة العسكرية وعلى السياسات الديموجرافية وإعادة الإنتاج القومي<sup>(٢٣)</sup>.

وبدأت حقبة ما بعد الصهيونية في إسرائيل، كما يؤكد كل من "رام" و"بابيه" و"هرتزوج" في هذا الكتاب، مع ترنح أو تهاوى الأثر التطبيقي والخالق للتجانس للخطاب الصهيوني السائد، وحدث ذلك بتأثير ضغوط العلاقات الديموجرافية المتغيرة والهجرات الحديثة والأطر الإقليمية والعالمية المعاصرة إلى جانب التغيرات في ساحة السجال الداخلي سياسياً ودينياً. لقد عرفت إسرائيل دائماً التنوع السياسي والاجتماعي وكانت هناك مقاومة مستمرة إلى حد ما لهيمنة الطبيعة الصهيونية للدولة، ولكن هذه الهيمنة لم تتعرض للاهتزاز إلا في عقد التسعينات من القرن العشرين، ويصف "إفرايم نيمنى" هذا التغير باعتباره تحولاً للمجتمع الإسرائيلي إلى مجتمع متعدد الثقافات.

والواقع أن التعددية الثقافية هي أيديولوجيا وسياسة مثيرة للجدل حيث تحداها كل من اليمين واليسار، ولا يوجد متسع هنا لمناقشة معظم جوانب الظاهرة سواء بصفة عامة أو في إسرائيل<sup>(٢٤)</sup>. ومع ذلك يمكن القول أن التعددية الثقافية غالباً ما توصف كاتجاه خاص لإصلاح دولة الرفاه **the Welfare State** وإخضاعها لتسوية شاملة لمشكلات المهاجرين واللاجئين من الدول التي كانت مستعمرات<sup>(٢٥)</sup>. ومن شأن تطبيق مفهوم التعددية الثقافية على إسرائيل في عقد التسعينات من القرن العشرين جعل إسرائيل مجتمعاً تعددياً متشابهاً مع دولة ديمقراطية - اجتماعية تقدمية.



ومما يلفت النظر أن السكان الوطنيين عادة ما يعارضون التعددية الثقافية حيث يعتقدون أن مثل هذه السياسة سوف تعتبرهم مجرد أقلية عرقية أخرى ولن يتمتعوا بمزايا أكبر من التجمعات الإثنية الأخرى من المستوطنين الذين يمثلون لديهم "المجتمع المفروض عليهم"، هذا إذا ما استخدمنا مفهوم السكان الأصليين في استراليا. في حين يرى المستوطنون أن السكان الأصليين ليس لهم الحق في المطالبة بحقوق ومطالب أكبر مما لدى التجمعات الإثنية الأخرى من السكان (ذلك أن مجرد قبول المستوطنين بهؤلاء السكان كمواطنين مؤهلين يمثل كل شيء وأن هذا المكسب لم يكن بمقدورهم الحصول عليه في المراحل الأولى من الاستيطان)، ومع ذلك يمكن القول أن قدرة الشعب الأصلي على مقاومة هذه الوضعية الشاذة ضمن مثل هذا النظام الاجتماعي متعدد الثقافة تتوقف على الطابع الديموجرافي والسياسي الخاص بالمجتمع الاستيطاني.

وهناك أربع خصائص على الأقل للمشروع الاستيطاني الصهيوني تميزه عن مشروعات التجمع الاستيطاني الأخرى وقد تؤثر على التسوية بعيدة المدى بين المستوطنين والسكان الأصليين.

فمن ناحية أولى وكما سلفت الإشارة، لم يتأسس المجتمع الاستيطاني والأرض المستوطنة، في النموذج الصهيوني، على مفاهيم الوطن الجديد وبناء أمة جديدة، إذ تم الربط بينهما من خلال أسطورة المصير المشترك، وتم ترسيخ مقولات "صهيون" و "أرض إسرائيل" و "الشعب اليهودي" ككيانات مترابطة عضويًا تتحلق معًا حول أسطورة الأصل والانتماء المشتركين بينما تم تدمير الروابط القوية مع الموطن الأصلي. فكما يشير "نيمنى" في الفصل الخامس، كانت هناك عوامل عدة مثل التداعيات المترتبة على المحرقة النازية وهيمنة الصهيونية على معظم تجمعات يهود الخارج، وراء إظهار إسرائيل على أنها "الوطن" المولود من جديد ليس فقط ليهود إسرائيل وإنما لكثير من اليهود الذين لا يعيشوا في إسرائيل وليست لديهم أية روابط عائلية مع أي إسرائيل. وفي نفس الوقت أقيمت إسرائيل على أساس الانقسامات بين اليهود العلمانيين والمتدينين والاشكناز والمزراحي، وبين المستوطنين القدامى والوافدين الجدد وكذلك بين المواطنين اليهود وغير اليهود (من الفلسطينيين والمهاجرين بغرض الاستيطان)،

وهذا ما توضحه المساهمات العديدة التي قدمت في هذا الكتاب، وقد أدت مثل هذه الانقسامات إلى تصدع ولو جزئي والتشكيك في التجمع العبرى القومى المسيطر الذى شيد فى إسرائيل.

ومن ناحية ثانية، وكما يشير "إيرلخ"، فقد حظى المشروع الاستيطانى الصهيونى بالدعم طوال معظم تاريخه من قبل القوى الإمبريالية المهيمنة فى المنطقة والتي اعتبرت المستوطنين حلفاء طبيعيين لها فى مثل هذا الإقليم ذى الأهمية الاستراتيجية العالمية. وفى نفس الوقت لم تكن الحركة الصهيونية مستعمرة تابعة رسمياً لأية إمبراطورية وكانت حركة دولية مستقلة ثم تحولت إلى دولة وحليف فتى أكثر من كونها صنيدة أية قوة عظمى ثم تحولت إلى دمية فى يدها. وعلى العكس من حالة الجزائر (بل كما فى حالة جنوب أفريقيا) لم تكن توجد دولة أخرى بل تجمع استيطانى توصل إلى اتفاق مؤثر وتسوية للصراع مع الشعب صاحب الأرض.

ومن ناحية ثالثة، وعلى النقيض من معظم المجتمعات الاستيطانية الأخرى، لا توجد أغلبية واضحة سواء من الشعب الأصلي أو من أعضاء المجتمع الاستيطانى، ولعل هذا ما فرض صعوبة على التنبؤ بنوع التسوية للصراع بين المستوطنين والشعب الأصلي وعلى تحديد ماهية هذه التسوية، وهذا ما يطيل أمد التسوية وما يزيد من معاناة الشعب قبل إنجاز تسوية مستقرة، كما أنه يعطى أهمية قصوى للسياسات الديموجرافية المتعلقة بالهجرة والاستيطان والحركات السكانية الأخرى و "الترانسفير" [الإبعاد] وكذلك ولادة الأطفال، فمثل هذا الصراع وبما يفوق الصراعات الأخرى.

ومن ناحية رابعة فإن الصراع الإسرائيلى - الفلسطينى لا يتميز فقط بأبعاده القومية والاستراتيجية والديموجرافية، ولكنه ينطوى أيضاً على بعد دينى شديد الخطورة. فالمقولة اليهودية عن "الأرض الموعودة" هى أيضاً المقولة المسيحية عن الأرض المقدسة وكانت مطروحة فى قلب صدام الحضارات فى العصور الوسطى بين العالمين المسيحى والإسلامى إبان الحروب الصليبية، وكانت فلسطين دائماً جوهر حركة الوحدة العربية، ولكن مع إضفاء الطابع الإسلامى على حركات المقاومة السياسية فى الوطن

العربى وخارجه، اكتسبت فلسطين (وخصوصاً المواقع المقدسة للمسلمين فى القدس) مكانة رمزية إلى حد كبير. وفى نفس الوقت أدى صعود النفوذ السياسى للمسيحيين المعمدانيين فى الولايات المتحدة الأمريكية والذين يؤمنون بملكية اليهود للأرض المقدسة وسيادتهم عليها إلى ازدهار دعوة "عودة السيد المسيح" والتي تؤثر تأثيراً مدمراً على السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية حيث يساند الكثير من هؤلاء اليمين الإسرائيلى وخصوصاً المتدينين العنصريين المتعصبين منهم ممن تولوا قيادة حركة الاستيطان فى الأراضى المحتلة بعد حرب ١٩٦٧، وبصفة خاصة فى الضفة الغربية حيث شيدت معظم المواقع اليهودية المقدسة.

إن وصف المجتمع الإسرائيلى فى عقد التسعينات من القرن العشرين كمجتمع ما بعد الصهيونية أو مجتمع متعدد ثقافياً لا يترك مجالاً للنظر فى مثل هذه العوامل، ويتبين من الكتاب، وخصوصاً من دراستى "يورى رام" و"إيلان بابيه" أن هناك ميلاً للانتقال من وصف المجتمع الإسرائيلى كمجتمع ما بعد الصهيونية إلى وصف تيارات سياسية إسرائيلية معينة بأنها ما بعد الصهيونية، ومن هنا أضاف هذان الكاتبان تيار "الصهيونية الجديدة" كمنافس لما بعد الصهيونية حيث يتصارع التياران مع "الصهيونية الكلاسيكية" كقوة سياسية مهيمنة فى إسرائيل الآن إن لم يكونا حلاً محلها بالفعل.

بيد أن التحليلات التى قدمها "إيرلخ" و"غانم" فى الفصلين الثالث والرابع إلى جانب كتاب "أورين يفتاشل" (٢٦) Oren Yiftachel والذى طور مفهوم إسرائيل ككيان متمحور حول العرق /الإثنية، أوضحت عدم حدوث قطيعة تامة مع الماضى "الصهيونى الكلاسيكى"، فقد تميزت التغيرات بأنها تدريجية وجزئية أساساً، واستمر المشروع الصهيونى فى فعاليته طوال تاريخه وخصوصاً رسالته لتهويد فلسطين. وكان هذا ذا أثر عميق فى طبيعة المواطنة والديمقراطية الإسرائيلية، كما يعبر عن ذلك "يفتاشل" فى دراسة حديثة له بقوله :

"لقد مزقت إسرائيل بأفعالها جغرافية الدولة وأبقت على نظام طائفى يقوم على التصنيف العرقى - الدينى - الطبقي، وبدون استيعاب جغرافى ومواطنة شاملة فإن

إسرائيل تخلق كياناً استعمارياً يقوم على التحكم العنيف وخدعة وجود دولة قومية ومواطنة ديمقراطية<sup>(٢٧)</sup>.

وتقدم هذه الفكرة تحذيراً من تواجد حالة الرضا عن الذات التي تظهر أحياناً لدى التحليل الذي يعتبر إسرائيل مجتمعاً ما بعد صهيونى وليبرالى ومتعدد الثقافات و/أو حتى تعبيراً عن ديمقراطية عرقية<sup>(٢٨)</sup>، حيث توضح هذه الفكرة أن السيطرة العرقية للتجمع اليهودى فى الدولة الإسرائيلية تعتبر ظاهرة طبيعية ومنسجمة مع بناء إسرائيل كدولة ديمقراطية.

وتساعد حالة الرضا عن الذات هذه على تغذية الوهم الذى ساد إبان "عملية أوسلو" بأن الصراع الإسرائيلى - الفلسطينى هو صراع يدور أساساً على الحدود بين أمتين متجاورتين تمتلك كل منهما وطناً خاصاً بها وليس صراعاً بين مشروع استيطانى عرقى وشعب أصيل مقاوم، أو أن الفارق بين هذين النموذجين التحليليين غير حاسم<sup>(٢٩)</sup>. إننى أعتقد أن تجاهل أو التقليل من شأن هذه مسألة تشكّل إسرائيل كمجتمع استيطانى بخصائصه المميزة أو التقليل من شأن هذه المسألة يمنع الإسرائيليين سواء بشكل عاطفى أو تحليلى من فهم الجوانب المعرفية والوجودية للصراع الإسرائيلى - الفلسطينى. ويتضح مثل هذا التجاهل فى المقدمة التى كتبها "نيمنى" لهذا الكتاب والتى يتفق فيها من جوانب كثيرة وبامتياز مع انتقادات "إلوارد سعيد" و "بيري أندرسون" لسياسات دعاة ما بعد الصهيونية. هذا فضلاً عن أننى أعتقد أن مثل هذا الفهم حيوى للغاية لأى حوار ممكن وقادر على تخطى الحواجز<sup>(٣٠)</sup> بين أطراف الصراع التى شغلت حيزاً رئيسياً من مفاوضات "أوسلو" بطريقة "ما بعد حدثية" صارخة. بيد أن ذلك لا يجعل الصراع يسيراً بالضرورة خصوصاً فى ضوء التطورات الإقليمية والمحلية والعالمية، ولكنه يرسخ الوضوح السياسى والأخلاقى الذى يمكن استعماله كخطوة أولى رصينة فى المسار الطويل لأية تسوية سياسية للصراع وأية عملية مصالحة تتضمن بعض معايير الكرامة والعدل، كما يساعد على بقاء التمايز بين معاداة السامية ومناهضة الصهيونية ذلك التمييز الذى تبذل إسرائيل قصارى جهدها لطمسه،



وقد ييسر، على المدى البعيد مواجهة النتائج المدمرة المحتملة للثمن الفادح الذى يدفعه الفلسطينيون والإسرائيليون من جراء حصارهم بين الكتل المتحاربة فى إطار صراع الحضارات.

يمكننى تأمل ذلك بالعودة إلى "جرامشى" بمعنى محاولة الحفاظ على "تفاؤل الإرادة" إلى جانب "تشاؤم الفكر" الذى يتملكنى بشدة وربما يكون من الأفضل أن أعود إلى كلمات ناعوم تشومسكى "أنت إذا افترضت عدم وجود أمل، فإنك متأكد إذن من غياب الأمل، وإذا افترضت وجود نزعة إلى الحرية، فإن هناك إمكانيات لتغيير الأشياء، وهناك فرص قد تسهم فى جعل العالم أفضل"<sup>(٢١)</sup> آمين.

## هوامش الخاتمة

E.g. Lawrence J. Silberstein (1999) Post-Zionism debates: Knowledge & Power in (١) Israeli Culture, New York and London, Routledge; Ner Livne, 'The rise and fall of post-Zionism', in Ha'aretz, 21 September 2001.

Tom Nairn (1977) The Breakup of Britain, London, Verso. His observation is (٢) about nationalism in general.

E.g. Arie Bober (ed. for Matzpen) (1972) The Other Israel: The Radical Case (٣) Against Zionism, New York, Doubleday; Simha Flapan (1987) The Birth of Israel : Myths and Realities, New York, Pantheon Books; Baruch Kimmerling (1983) Zionism and Territory, Berkeley, University of California Press; Zeev Sternhell (1995) Nation-Building or Reform of Society, Tel-Aviv, Am-Oved (Hebrew).

Israel Shahak (1981) 'The Jewish religion and its attitude to non-Jews', Khamsin (٤) 9, London, Ithaca Press, pp. 3-49.

E.g. N. Levin (1977) While Messiah tarried: Jewish socialist movements (٥) 1871-1917, New York, Schocken Books; Y. Peled (1989) Class and ethnicity in 'the pale: the political economy of Jewish workers' nationalism in late Imperial Russia, New York, St Martin's Press; see also Nira Yuval-Davis (1987) 'Marxism and Jewish nationalism', History Workshop Journal, no. 24, pp. 82-110; A.K. Wildman (1973) Russian and Jewish social democracy, Bloomington, Indiana University Press.

E.g. V.I. Lenin (1976) Critical Remarks on the National Question, Moscow, (٦) Progressive Publishers; S. Eisendstadt (1929) History of the Jewish Workers Movement, Tel Aviv, Hakibutz Ha'aretz (Hebrew); Leon Trotsky (1967) History of the Russian Revolution, vol. 2, p. 42.

(٧) لقد استخدم "دوف بير بوروخوف" Dov Ber Borochof ، زعيم الماركسيين الصهاينة، فكرة العداء للاستعمار لمعارضة الاستيطان الصهيوني في أوغندا لكنه لم يطبقها بالنسبة للاستيطان في فلسطين بسبب ما زعمه من وجود ظروف اجتماعية واقتصادية خاصة في فلسطين، حيث زعم أن هذا الاستيطان الصهيوني سوف يؤدي إلى دمج الفلسطينيين في المجتمع الاستيطاني، انظر :

Don Ber Borochov (1972) *Nationalism and Class Struggle*, American Zionist Youth Foundation Booklet, pp. 7-38.

E.g. Elmer Berger (1942) *Why I am a Non-Zionist*, New York; Jonathan Boyarin (٨) and Daniel Boyarin (2002) *The Power of Diaspora*, University of Minnesota Press; R. Teldner, Abed Rabbo and Norton Mezvinsky (eds), *Anti-Zionist Analytical Reflections*, Rattleboro, Vermont, Amana.

See, for example, Shlomo Swirsky (1989) *Israel: The Oriental Majority*, London, (٩) Zed Books; Ella Shohat (1988) 'Sephardim in Israel: Zionism from the standpoint of its Jewish victims', *Social Text* 19-20, pp. 1-34.

(١٠) رغم أن "نيمنى" لم يأخذ بعين الاعتبار إمكانية حدوث هجرة إسرائيلية كبيرة في ظل استمرار تفاقم الوضع الحالي للصراع.

(١١) يشير هذا المصطلح the Ahuselim إلى المرادف الإسرائيلي لثقافة "الواسب" WASP أو ثقافة البيض البروتستانت في الولايات المتحدة، وهي تعني المستوطنين الأشكناز (الغربيين) العلمانيين المحاربين وكذلك اليهود الإسرائيليين الاشتراكيين الصهاينة/نوى النزعة القومية.

(١٢) يعنى "اليشوف" الاستيطان من الناحية الفعلية وهو الاسم العبرى للمجتمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين قبل إقامة دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ .

(١٣) الكلمة المستخدمة للدلالة على فعل الهجرة إلى فلسطين / إسرائيل هي "aliya" أى "الصعود" وتستخدم أيضا للإشارة إلى مرتبة يصل إليها الرجال اليهود في المعابد تمكنهم من القراءة من التوراة، بعبارة أخرى تحول فعل الهجرة إلى عمل مقدس إن لم يكن دينيا في الواقع.

(١٤) Daiva Stasiulis and Nira Yuval-Davis (eds) (1995) *Unsettling Settler Societies*, articulations of gender, race, ethnicity and class, London, Sage.

(١٥) Heribert Adam (1972) *Modernizing Racial Domination*, Berkeley, University of California Press, p. 17.

(١٦) See Nahla Abdo and Nira Yuval-Davis (1995) 'Palestine, Israel and the Zionist Settler Project', in Stasiulis and Yuval-Davis, *Unsettling Settler Societies*, pp. 291-322.

(١٧) Ella Shohat (1991) 'Making the silences speak in the Israeli cinema', in Barbara Swirski and Marilyn P. Safir (eds) *Calling the Equality Bluff: Women in Israel*, New York, Pergamon Press, pp. 31-40.

(١٨) Shlomo Finkel and Shimshon Bichler (1984) *The Desperate: The Money Aristocracy in Israel*, Tel Aviv, Kadima (Hebrew).

(١٩) See, for example, George Antonius (1939) *The Arab Awakening: The Story of the Arab National Movement*, Philadelphia, Lippincott; Gerard Chaliand (1972) *The Palestinian Resistance*, Harmondsworth, Penguin Books; Albert Hourani (1946) *Syria and Lebanon: A Political Essay*, London.

See, for example, Gershon Sahfir (1989) *Land, Labour and the Origins of the Israeli-Palestinian Conflict 1882-1914*, Cambridge, Cambridge University Press; Benny Morris (1991) *The Birth of the Palestinian Refugee Problem 1947-1949*, Tel Aviv, Am Oved (Hebrew).

See endnote 10 and Dahan-Kalev's chapter in this volume. (٢١)

(٢٢) ورد في العدد الصادر في يوليو ٢٠٠٢ من نشرة "الخط الساخن للعمال" *The Workers' Hot-Line* والتي تصدر بالعبرية باسم Kav Laoved وهي منظمة غير حكومية تعمل في مجال الدفاع عن حقوق العمال، أن هناك نحو ٢٠٠ ألف عامل مهاجر في إسرائيل جاءوا من نول عديدة مثل الصين والصومال، يعمل معظمهم تحت شروط بالغة القسوة والسخرة أو العبودية، وذكر وزير العمل الإسرائيلي، تعد التجارة في العمالة المهاجرة تعد "أكثر أنواع النشاط الخاص ربحية في إسرائيل إذ تدر ما لا يقل عن ثلاثة مليارات دولار".

See, for example, Debra Bernstein (1987) *A Woman in the Land of Israel*, Tel Aviv, Hotza'at Hapoalim; Hanna Herzog (1998) 'Homefront and Battlefront and the Status of Jewish and Palestinian Women in Israel', in *Israeli Studies*, 3, pp. 61-84, and chapter 7 in this volume; Nira Yuval-Davis (1982) *Israeli Women and Men: Divisions Behind The Unity*, London, Change Publications.

For my position on multiculturalism, see the introductory chapter of Nira (٢٤) Yuval-Davis and G. Sahgal (1992) *Refusing Holy Orders*, London, Virago; also chapter 3 of Nira Yuval-Davis (1997) *Gender and Nation*, London, Sage.

Karl-Ulrik Scheirup (1995) 'Multiculturalism and universalism in the USA and EU', paper for the workshop *Nationalism and Ethnicity*, Berne, March; John Rex (1995) 'Ethnic identity and the nation-state: the political sociology of multicultural societies', *Social Identities*, 1 (1).

E.g. O. Yiftachel (1997) 'Israeli Society and Jewish-Palestinian Reconciliation: Ethnocracy and Its Territorial Contradictions', *Middle East Journal*, vol. 51, no. 4, pp. 505-19; A. Ghanem, N. Rouhana and O. Yiftachel (1998) 'Questioning Ethnic Democracy', in *Israel Studies*, vol. 3, no. 2, pp. 253-68; O. Yiftachel (1999) 'Ethnocracy' : the Politics of Judaizing Israel/Palestine', *Constellations: International Journal of Critical and Democratic Theory*, vol. 6, no. 3, pp. 364-90.

Yiftachel (2002) 'The shrinking space of citizenship: Ethnocratic politics in Israel', (٢٧) in *Middle East Report*, no. 223, summer.

E.g. Shafir Gershon and Yoav Peled (eds) (2000) *The New Israel: Peacemaking and Liberalization*, Boulder, Colo., Westview; Sammy Smooha (1997) 'Ethnic Democracy: Israel as an archetype', in *Israel Studies*, vol. 2, no. 2, pp. 198-241.



(٢٩) حتى لو استخدمنا مفهوم نظام الحكم القائم على الإثنية والذي لا يعد صفة مميزة للمجتمعات الاستيطانية وحدها وإنما يشير إلى نموذج الدول المقسمة اثنيا مع هيمنة تجمع اثني معين والذي ينتشر في دول ما بعد الاستعمار وخصوصا الدول التي نشأت عقب زوال الاتحاد السوفييتي، فإن هذا المفهوم يمكن أن يشوه هذا التمايز إذا لم ننظر إليه كشئ مكمل وليس بديلا لنموذج المجتمع الاستيطاني.

See, for example, 'Soundings' (1999) Transversal Politics (Special Issue), no. (٣٠) 12; Nira Yuval-Davis (1994) 'Women, Ethnicity and Empowerment', in Feminism and Psychology, vol. 4 ,no. 1, pp. 179-98; and the final chapter of Yuval-Davis (1997) Gender and Nation.

(٣١) لقد رأيت بنفسى هذه العبارة في رسالة صابرة في ٤ سبتمبر ٢٠٠٢ دون الإحالة لأى من كتابات شومسكى ووردت في قائمة بريد إلكترونى خاص بشبكة البحوث الدولية حول النساء في مناطق الصراع the international research network on Women in Conflict Zones .

## ملحق

المقالة التالية عبارة عن رؤية قدمها إيوارد سعيد [ ذلك المفكر العملاق الذي رحل عن دنيانا في أواخر سبتمبر ٢٠٠٣ ليطرك في القلب وجيعة وفي الوجدان جرحاً لن يندمل أبداً وخسارة فادحة من الصعب تعويضها (المترجم) ] عن لقاء مفتوح عقد في باريس بين ثلاثة مفكرين فلسطينيين (هو واحد منهم) وثلاثة مفكرين إسرائيليين في عام ١٩٩٨ (تمت الإشارة إليه في مقدمة هذا الكتاب) . وتكتسب تأملات سعيد عن المؤرخين الجدد أهميتها لما تنطوي عليه من أفكار بخصوص لما قدمه هؤلاء من مناقشة لما بعد الصهيونية ، حيث إن الجدل لم ينصب على الأحداث التاريخية (والتي يوجد اتفاق واسع عليها بين معظم المشاركين) ولكن على الخلاصات المعاصرة التي يجب الخروج بها من هذه الأحداث التاريخية .

## تاريخ جديد وأفكار قديمة(\*)

إوارد سعيد

نظمت الجريدة الفرنسية الشهيرة "لوموند دبلوماتيك" ومجلة الدراسات الفلسطينية *Revue d'Etudes palestniennes* ، وهي دورية ربع سنوية تصدر في باريس عن معهد الدراسات الفلسطينية، مؤتمراً الأسبوع الماضى حضرته وشاركت فيه، ورغم الإعلان عن أنها المرة الأولى التى يتحاور فيها ما يطلق عليهم المؤرخون الإسرائيليون "الجدد" مع نظرائهم الفلسطينيين، فإنها المرة الثالثة أو الرابعة فى الواقع، وإن كان هذا المؤتمر الباريسى قدم الجديد بما يجعله المرة الأولى التى تشهد حواراً مطولاً بينهم. شاركت فى الجانب الفلسطينى "إيلى سامبار" *Sambar* و "نور مصالحة" وأنا، ومن الجانب الإسرائيلى "بنى موريس" و "إيلان بابيه" و "إيتامار رايبينوفتش" (وهو ليس من المؤرخين الجدد فى الحقيقة ولكنه المستشار السابق لحزب العمل والسفير الإسرائيلى السابق فى الولايات المتحدة، وأستاذ التاريخ فى جامعة تل أبيب، والخبير فى الشئون السورية، ويبدو أن آراءه تغيرت)، وأخيراً "زئيف شتيرنهل" *Sternhell* ، المؤرخ الإسرائيلى للحركات الجماهيرية اليمينية فى أوروبا والأستاذ بالجامعة العبرية ومؤلف كتاب جديد مهم للغاية حول أساطير المجتمع الإسرائيلى (مثل أسطورة الدولة الديمقراطية الليبرالية الاشتراكية)، وقد نحضها تماماً بتحليل مفصل ممتاز لطبيعتها غير الليبرالية والشبيهة بالفاشية والمعادية للاشتراكية بامتياز والتى حاول حزب العمل عموماً والهستدروت خصوصاً التدليل عليها) أن المشاركين الإسرائيليين وأدى ضعف الدعاية

(\*) نشرت فى جريدة "الأهرام ويكلى" الصادرة باللغة الإنجليزية عن مؤسسة الأهرام القاهرية ، العدد ٢٧٨ ، ٢٨ مايو ١٩٩٨ .

للمؤتمر إلى حضور قليل، بيد أن نوعية المادة والحقائق التي طرحت في الجلسات لعدة ساعات أكسبته قيمة عالية رغم عدم معقولية بعض المساهمات. وقد تولد انطباع قوى لدى مفاده أن المشاركين الإسرائيليين الذين ينتمون بلاشك لنفس التوجه السياسى قد عبروا عن الحاجة إلى التواصل فى دراسة التاريخ وإلى التأمل العميق والابتعاد عن التحيزات قدر الإمكان، بينما كان الجانب الفلسطينى أكثر استعجالاً وقسوة وحتى عاطفياً أكثر من اللازم فى إصراره على الحاجة لتاريخ جديد. والسبب وراء ذلك هو أن إسرائيل، وبالتبعية معظم الإسرائيليين، هم بالطبع الطرف المسيطر فى الصراع : إذ استولوا على كل الأراضى ولديهم القوة العسكرية المفرطة ومن ثم لديهم الوقت والرفاهية للجلوس وترك الجدل يجرى بون جدوى. وكان "إيلان بابيه" ذلك المؤرخ الاشتراكى الملتزم والمعادى للصهيونية بجامعة حيفا هو الوحيد الصريح فى تبنيه لوجهة النظر الفلسطينية، وأنا أعتقد أن مداخلاته كانت الأكثر صدامية وتوهجاً بين الإسرائيليين الحاضرين. بينما كانت الصهيونية بالنسبة للآخرين، وإن بدرجات متفاوتة، ضرورة لليهود، فعلى سبيل المثال أصابتنى الدهشة مما اعترف به "شتيرنهل" فى الجلسة الأخيرة من حدوث ظلم مروع ارتكب بحق الفلسطينيين وأن جوهر الصهيونية هو حركة غزو، ومع ذلك مضى للقول بأن ذلك كان غزواً "ضرورياً".

وكان من أهم الأمور الملفتة للنظر بخصوص الإسرائيليين، فيما عدا "بابيه"، هو ذلك التناقض العميق الذى يصل إلى حد الفصام (الشيزوفرانيا) كما يبدو من كتاباتهم، مثل ذلك كتاب "بنى موريس" الصادر منذ عشر سنوات والذى يعد من أفضل الكتابات الإسرائيلية حول مشكلة اللاجئين الفلسطينيين. فمن خلال أرشيف منظمة الهاجاناه الإرهابية والأرشيف الصهيونى أثبت "موريس" بما لا يدع مجالاً للشك حدوث إبعاد قسرى للفلسطينيين بفعل سياسة محددة للترحيل (الترانسفير) تبناها "بن جوريون" ووافق عليها، ووافق عليها، حيث كشف هذا العمل المتميز "لموريس" عن صدور أوامر لقوات الكوماندوز الصهيونية بمطاردة الفلسطينيين من حى لآخر وإحراق القرى والتدمير المنظم لمنازلهم وممتلكاتهم. ولكن ما يثير الاستغراق أن موريس أحجم فى نهاية كتابه عن إظهار النتائج الحتمية المترتبة بالضرورة على الدلائل التى أوردها، فبدلاً من الإقرار بوضوح أن الفلسطينيين تعرضوا فى الواقع للطرد يقول إنهم طردوا



بشكل جزئى على أيدى القوات الصهيونية، وأن جزءاً منهم تركوا فلسطين نتيجة للحرب، إن الأمر يبدو وكأن موريس لا يزال صهيونياً يؤمن بالرؤية الأيديولوجية التي تزعم أن الفلسطينيين خرجوا بإرادتهم دون ضغوط إسرائيلية، لا أن يتقبل بشكل كامل الدليل الذى ساقه هو على أن السياسة الصهيونية هى التى أجبرت الفلسطينيين على الخروج. وبنفس القدر يقر "شتيرنهل" فى كتابه فى الصهاينة لم يكونوا ليعتبروا أبداً أن العرب يمثلون مشكلة إذا كانوا قد اعترفوا صراحة بأن الخطة الصهيونية بإنشاء دولة يهودية يمكن لها أن تتحقق من دون التخلص من الفلسطينيين، ولكنه ظل مصراً طوال المؤتمر فى باريس على أنه رغم حدوث خطأ أخلاقى فى طرد الفلسطينيين، فإن ذلك كان ضرورياً من وجهة نظره. وعلى الرغم من هذه الاختلافات فإن ما أثار الانتباه حقاً أن بابيه والفلسطينيين تميزوا بالحماس بينما بدا كل من "موريس" و "شتيرنهل" مترددين، وأنا أخذ وجهات نظرهم المتغيرة كعلامة على حدوث تغير أعمق يأخذ مكانه فى إسرائيل. والجدير بالذكر هنا أن ذلك التغير الملموس فى الخطوط الأساسية للأيديولوجيا الصهيونية لا يمكن أن يتم فعلاً فى ظل هيمنة السياسة الرسمية سواء لحزب العمل أو لحزب الليكود الصهيونية، ولكنه يجب أن يتم خارج ذلك الإطار الخاص وحيث يمكن للمثقفين أن يفكروا ويتأملوا بحرية فى الحقائق غير القابلة للحل فى إسرائيل اليوم. وتبدو مشكلة المحاولات الأخرى التى بذلها المثقفون على الجانبين للتأثير فى سياسات نيتنياهو، على سبيل المثال فيما تفعله جماعة "كوبنهاجن" التى تصر على الاقترب من الحكومات التى تتبع رؤية ضيقة الأفق وقصيرة الأجل. وإذا ما كانت السنوات منذ عام ١٩٩٣ تفصح عن شىء فهو أن وجهة النظر الصهيونية الرسمية بخصوص الصراع مع الفلسطينيين لا يمكن أن تكون ليبرالية أو مستتيرة (وهو ما يعترف به اليسار والصهاينة مثل حزب ميرتيز أو يسار الوسط مثل شيمون بيريز، فقد أعدت وجهة النظر هذه بحيث تتعايش مع حالة الشيزوفرانيا التى أشرت إليها سابقاً. نعم نحن نريد السلام مع الفلسطينيين ولكنه لم يكن هناك خطأ أقدمنا عليه فى عام ١٩٤٨، هكذا حال المؤرخين الجدد، وإذا ظل السلام الحقيقى مرتبطاً بهذا التناقض الرئيسى فسوف يبقى سلاماً بعيد المنال لأنه يقر بمفهوم أن الفلسطينيين فى أرضهم من مرتبة ثانية بالنسبة لليهود. بل إن هؤلاء يقبلون بوجود تناقض بين الصهيونية

والديمقراطية (هل يمكن أن يقر أحد بوجود دولة ديمقراطية في ظل تواجد مليون من غير اليهود يفتقدون المساواة في الحقوق وملكية الأرض أو العمل مع اليهود؟). إن الحسنة الوحيدة للمؤرخين الجدد هي أن كتاباتهم قفزت بالتناقضات داخل الصهيونية بعيداً عن القيود التي كانت مفروضة على تفكير معظم الإسرائيليين وحتى على كثير من العرب .

إن الشيء الحقيقي الذي يمثل الأهمية الكبرى الآن للمؤرخين الإسرائيليين الجدد هو أن هؤلاء أكدوا على ما كانت تردده أجيال من الفلسطينيين، من مؤرخين وغيرهم، بشأن ما حدث لنا كشعب على أيدي الإسرائيليين، وأنهم فعلوا مثل الإسرائيليين الذين يتحدثون عن وعى شعبهم ومجتمعهم. بيد أنني أتكلم هنا وبصورة من النقد الذاتى عن شعورى وشعور العرب بصورة عامة والفلسطينيين بصورة خاصة بضرورة أن نبدأ فى الكشف من جديد عن تاريخنا وأساطيرنا وأفكارنا الأبوية حلو الأمة وهذا ما لم نفعله حتى الآن لأسباب واضحة. لقد كان الفلسطينيون الحاضرون لملتقى باريس - بما فيهم أنا - نتحدث تحت ضغط إلحاح الحاضر لأن النكبة الفلسطينية لا تزال مستمرة فى هذا الحاضر، إذا يستمر الضياع ويتم التناكر لحقوقنا بوسائل جديدة وأشد شراسة فى العقاب. ومع ذلك، هناك واجب علينا كمثقفين وكمؤرخين لأن ننظر إلى تاريخنا وتاريخ قياداتنا ومؤسساتنا بعين ناقدة جديدة. هل يوجد ثمة شيء يمكن أن نقدمه لبيان الصعوبات التى نعانى منها كشعب؟ ماذا عن الصراع بين العائلات الكبيرة، وعن أن قادتنا لم ينتخبوا بصورة ديمقراطية، وماذا عن الحقيقة المتمثلة فى أننا نبذو وكأنا نعيد إنتاج الفساد والتلاعب فى كل جيل جديد؟ إن هذه أمور جادة وحاسمة ولا يمكن تركها دون إجابة أو تأجيلها بذريعة الأمن أو الوحدة الوطنية، وقد يمثل الكتاب الجديد الذى أصدره "يزيد صايغ" عن تاريخ الكفاح الفلسطينى المسلح بداية لوعى ذاتى نقدي، ولكننا نحتاج بالفعل إلى أعمال سياسية ونقدية عديدة من هذا النوع، أعمال تضع يدها على تعقيدات وتناقضات تاريخنا التى ما زلنا نخجل منها.

حتى الآن لا أدري ما إذا كانت كتابات "موريس" و "بابيه" و "شتيرنهل" قد ترجمت إلى العربية أم لا، ويجب علاج هذا الغياب مستقبلاً. فمن المهم - فى اعتقادى - أن يتفاعل المثقفون العرب مباشرة مع هؤلاء المؤرخين بدعوتهم إلى مناقشات فى

الجامعات والمراكز الثقافية والعربية والمنتديات العامة. وينفس القدر أعتقد أن من واجبنا كمتقنين فلسطينيين وحتى كعرب أن ننخرط في المحافل الأكاديمية والثقافية الإسرائيلية عبر إلقاء المحاضرات في المراكز الإسرائيلية بصرحة وشجاعة ودون تردد. ماذا فعلت سنوات رفض التعامل مع إسرائيل لسنوات عديدة بنا؟ لا شيء سوى إضعاف أنفسنا وتراجع تصورنا عن الرفض ذاته. لقد استنفدت السياسات المتبعة منذ عام ١٩٤٨ أغراضها الآن ودفنت بالفعل مع أوجه الفشل العديدة لعملية أوصلو التي استهدفت تسوية منفصلة /منفردة مع اليهود الإسرائيليين والفلسطينيين. ومن أهم السياسات الجديدة التي أتحدث عنها في هذه المقالات تلك الفرصة السائحة التي تطرح نفسها بنفسها عن طريق التفاعل المباشر مع المؤرخين الإسرائيليين الجدد الذين يعبرون عن ظاهرة هامة جداً رغم أنهم ما زالوا يمثلون أقلية صغيرة، مثال ذلك تأثير كتاباتهم الملموس على سلسلة الأفلام الاثني والعشرين "تكوما" Tekuma والتي عرضت على التليفزيون وهناك طلب متزايد على هؤلاء المؤرخين لإلقاء محاضرات في المدارس، كما جذبت كتاباتهم انتباه المؤرخين وغيرهم في كل من أوروبا والولايات المتحدة. ومن غير الملائم وغير المعقول أن المنطقة الوحيدة في العالم التي لم تسمع بهم هي الوطن العربي، ونحن نحتاج للتخلي عن تعصبنا العنصري وعن منطق النعامة ونبذل الجهد لتغيير هذه الحالة والحصول على الوقت الكافي لذلك(\*).

(\*) كتب المفكر الكبير إدوارد سعيد هذا التعليق قبل اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية، والتي أظهرت بوضوح عمق حالة "الفصام"، التي رصدها سعيد عن حق، في مواقف المؤرخين الجدد ودعاة ما بعد الصهيونية، حيث تراجع بعضهم، مثل بني موريس، عن آرائهم السابقة وراحوا يؤيدون بلا تحفظ مسلك إسرائيل في مواجهة الانتفاضة، بما في ذلك أعمال القتل والتدمير والتفكيك، بينما لزم البعض الآخر الصمت إزاء هذه الأعمال التي وصفتها هيئات دولية عدة، مثل منظمة العفو الدولية، بأنها تشكل "جرائم ضد الإنسانية". ورغم التقدير العميق لفكر إدوارد سعيد والاتفاق مع دعوته إلى التعرف على آراء أولئك الكتاب الإسرائيليين، فإن دعوته إلى إقدام المثقفين العرب على الحوار المباشر مع نظرائهم الإسرائيليين، وعلى الانخراط في المحافل الأكاديمية والثقافية الإسرائيلية والتخلي عن مقاطعة إسرائيل، تبدو دعوة مفرطة في التفاؤل وغير ذات جدوى مع استمرار حالة "الفصام" التي يرى أصحابها أن على العرب أن يتخلوا عن حقوقهم وأن يتقبلوا جرائم الماضي والحاضر باعتبارها قدراً لا مفر منه، وهو الأمر الذي ينسف أي أساس للحوار. (المترجم - المراجع)





## المؤلفون في سطور :

١ - هنرييت دهان - كاليق Henriette Dahan - Kalev : تعمل بمعهد الإدارة، جامعة بن جوريون بالنقب. من مؤلفاتها الحديثة "قهر النساء على يد نساء آخرين : العلاقات والصراع بين نساء المزارحي والأشكناز في إسرائيل"، ضمن سلسلة بحوث العلوم الاجتماعية في إسرائيل (1977) Israel Social Science Research ، "خطاب الصورة النمطية في إسرائيل"، في كتاب : الميراث الأوروبي (1996) The European Legacy ، و "المخضرمون والمهاجرون في إطار الهجرة الكبيرة إلى إسرائيل" في كتاب بالعنوان نفسه .

٢ - أفيشاي إيرلخ Avishai Ehrlich : يدرس الاجتماع السياسي بجامعة تل أبيب والكلية الأكاديمية في تل أبيب وحيفا، وسبق له التدريس بجامعة "ميدلسكس" - Middles- ex University بالملكة المتحدة وجامعة يورك تورونتو بكندا، وأصدر حديثاً دراسة مع م. يوهانسن Johanssen بعنوان "هل التعذيب يخدم الأمن؟ الإرهاب وحقوق الإنسان في إسرائيل، في : "ج. هاسا" J.Hassa وإي مولر Muller وبى. شنيدر (محررون) ، حقوق الإنسان : التوازن والمنظور المهني (بالألمانية عن دار نشر Nomos, Baden Baden ، ٢٠٠١، وأيضاً "اليهودية الإسرائيلية وعملية السلام" في: ج. بونزل Bunzel (محرر)، الغضب المقدس : الإسلام واليهودية والدور السياسي للدين في الشرق الأوسط (مطبوعة جامعة فلوريدا، ٢٠٠٢) و "اليهودية الإسرائيلية ومستقبل فلسطين"، في : ل. بانيتش Panitch وسى. لايز Leys (محرران) "الهويات المتصارعة : العرق والدين والقومية الإثنية"، دورية السجل الاشتراكي Socialist Register ، ٢٠٠٢، Merkin Books ، لندن.

٣ - أسعد غانم As'ad Ghanem : يدرس العلوم السياسية بجامعة حيفا، ينشر باستمرار في ميادين العلاقات الإثنية والسياسات الفلسطينية والعلاقات الإثنية الداخلية في إسرائيل، وقد نشر بالاشتراك مع "تديم ن. روحانا" Rouhana دراسة

بعنوان "المواطنة والسياسات البرلمانية للأقليات فى الدول الإثنية : المواطنون الفلسطينيون فى إسرائيل"، فى دورية القومية والسياسات الإثنية **Nationalism and Ethnic politics** ، المجلد ٧ ، رقم ٤ ، ٢٠٠١ ، ودراسة أخرى بعنوان الدولة والأقلية فى إسرائيل : حالة الدولة الإثنية ومحنة الأقلية بها" فى دورية "دراسات إثنية وعرقية **Ethnic and Racial studies** ، المجلد ٢١ ، العدد رقم ٣ ، ١٩٩٨ . ومن أحدث كتبه : الأقلية الفلسطينية العربية فى إسرائيل : دراسة سياسية، مطبعة سننى **Sunny press** ، ٢٠٠١ . كما قام بتأليف كتاب النظام الفلسطينى : الديمقراطية الجزئية، **Sussex Aca-demic Press** ، ٢٠٠١ .

٤ - هنا هرتزوج **Hana Herzog** : رئيسة سابقة لقسم الاجتماع بجامعة تل أبيب، نشرت الكتب والدراسات التالية : الإثنية السياسية، تل أبيب، ١٩٨٦ ، نساء واقعيات، القدس ، ١٩٨٤ ، (بالعبرية) ، وشملت كتاباتها باللغة الإنجليزية : سياسات الفروق بين الجنسين : النساء فى إسرائيل، مطبعة جامعة ميتشجان، ١٩٩٩ ، نحو حيز خاص بهن : الخطابات الاجتماعية المدنية للنساء الفلسطينيات الإسرائيليات فى منظمات السلام فى دورية "سياسات اجتماعية : دراسات دولية حول الفروق بين الجنسين والدولة والمجتمع **Social Politics : International Studies, State and society** .

المجلد السادس، ١٩٩٩ ، و "علم الاجتماع والهوية : اتجاهات تطور علم الاجتماع فى إسرائيل" فى دورية علم الاجتماع **Soziologia** ، المجلد الثانى ، ٢٠٠٠ ، و "إعادة تعريف الفضاءات السياسية : منظور نسوى للرواية التاريخية عن اليشوف"، فى دورية التاريخ الإسرائيلى **Journal of Israeli History** ، المجلد ٢١ ، ٢٠٠٢ .

٥ - افرايم نيمنى **Ephraim Nimni** : يدرس السياسة والعلاقات الدولية بجامعة ويلز الجديدة **University of New South Wales** ، من مؤلفاته : الماركسية والقومية، مطبعة بلوتو **Pluto Press** ، لندن، ط٢ ، ١٩٩٤ . "التعددية الثقافية القومية فى أواخر عهد الإمبراطورية النمساوية كنقد لليبرالية المعاصرة".

**Nationalist Multiculturalism in Late Imperial Austria as A critique of contemporary Liberalism : The Case of Baver and Renner".**

فى دورىة الأيدىولوجىات السىناسىة *The Journal of Political Ideologies* ،  
المجلد الرابع، ١٩٩٩، و "ماركس وأنجلز والمسألة القومية"، فى : ويل كىمىلكا *Kymlica*  
(محرر) ، حقوق ثقافات الأقلىة، مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٩٥، وهو محرر الترجمة  
الإنجلىزىة لكتاب "أوتو باور" *Otto Power* ، قضية الجنسىات والدىمقراطىة الاجتماعىة،  
*The Question of Nationalities and social democracy* ، مطبعة جامعة مىنسوتا،  
٢٠٠٠ .

٦ - إىلان بابىه *Ilan Pappé* : ىدرس فى قسم العلقات الدولىة بىجامعة حىفا وله  
منشورات عدىة عن الصراع الإسرائىلى - الفلستىنى مثل كتاب برىطانىا والصراع  
العربى الإسرائىلى ١٩٤٨ - ١٩٥١ (ماكملان، لىدن ونىوىورك، ١٩٩٨) وصناعة  
الصراع العربى - الإسرائىلى ١٩٤٧ - ١٩٥١، *I.B.Touris* ، لىدن ونىوىورك، ١٩٩٢،  
وهو محرر كتاب إسرائىل/فلستىن، *Routledge* ، لىدن ونىوىورك، ١٩٩٩، وسوف  
ىنشر له كتاب عن مطبعة جامعة كمبرىج، فى عام ٢٠٠٣ عن التارىخ الحدىث  
لإسرائىل وفلستىن.

٧ - ىورى رام *Uri Ram* : ىدرس فى قسم العلوم السلوكىة والثقافىة بىجامعة بن  
جورىون، ىقوم منذ فترة بدراسة أثر العولمة على الاقتصاد والسىاسة فى إسرائىل،  
وله كتابات عدىة فى مجال ما بعد الصهىونىة والصهىونىة الجدىة، فهو مؤلف  
"الأجندة المتغىرة لىلم الاجتماع الإسرائىلى : النظرىة والأىدىولوجىا والهوىة" (١٩٩٥)،  
فى كتاب المجتمع الإسرائىلى : منظورات نقدىة، ١٩٩٢، و "تارىخ ما بعد القومىة :  
حالة إسرائىل" فى دورىة تارىخ العلم الاجتماعى *Social Science History* المجلد ٢٢،  
رقم ٤، ١٩٩٨ ،

و "حالة الأمة : التحدىات المعاصرة للصهىونىة فى إسرائىل" فى دورىة مجرات  
*Constellations* ، المجلد ٦، العدد ٣، ١٩٩٩، وأسس الرواية التارىخىة للصراع التارىخى  
فى إسرائىل، فى دورىة التارىخ الإسرائىلى، المجلد ٢٠، العددان ٣/٢، ٢٠٠١ .

٨ - إىوارد سعىد [الراحل الكبىر] : الرئىس السابق لبرنامىج رسائل الدكتوراه  
فى الأدب المقارن بىجامعة كولومبىا وواحد من أبز المفكرىن فى جىله، ألقى محاضرات  
عدىة فى أكثر من مائة جامعة وكان زمىل الأكادىمىة الأمريكىة للفنون والعلوم وعضو

مجلس العلاقات الخارجية، ظهرت كتاباته بـ ١٩ لغة، له كتابات بارزة عن فلسطين والصراع الإسرائيلي - الفلسطيني، من بين كتبه العديدة : الثقافة والإمبريالية، دار نشر Alfred A.knopf وسياسة النهب : التدخلات : The political of Dispossession Interventions بين عامي ١٩٦٨، ١٩٩١، مطبعة بانثيون، ١٩٩٣، وكتاب آخر بالاشتراك مع لوان والتر Luan Walter بعنوان تغطية الإسلام ، بانثيون Pantheon ، ١٩٨١(\*)، وبعد آخر السماوات After the last Sky ، دار نشر بانثيون، ١٩٦٨، ومحرر مشترك مع كريستوفر هيتشنس Hitchens لكتاب إلقاء اللوم على الضحايا Blaming the victim ، دار نشر فرسو Verso ١٩٨٨ .

٩ - نايرا يوفال. دافيز Nira Yuval - Davis : مدير برنامج الفروق بين الجنسين والدراسات الاثنية بجامعة جرينووتش Greenwich ببريطانيا، نشرت كثيراً في حقل الفروق بين الجنسين والقومية والمجتمعات الاستيطانية ، من بين كتبها : الفروق بين الجنسين والأمة، Sage ، لندن، ١٩٧٧، وبالاشتراك مع فلويا أنثياس Floya Anthias : المرأة والأمة والدولة، ماكملان Macmilan ، لندن ، ١٩٨٩، ولهما أيضاً : الحدود المشبعة بالسياسة العرقية Racialised Boundaries ، Routledge ، لندن ، ١٩٩٤، ولهما بالاشتراك مع ستاسيوليس Stasiulis كتاب : تفكيك المجتمعات الاستيطانية، Sage ، لندن، ١٩٩٥ .

(\*) وكتاب الاستشراق (دار نشر Pantheon ، ١٩٧٨) ، وكتاب قضية فلسطين (دار نشر Routledge ، ١٩٧٩) .



## المترجم فى سطور :

### أحمد ثابت

- أستاذ العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة .
- مدير مركز ابن رشد للتنمية .
- من مواليد ١٩٥٧
- دكتوراه الفلسفة فى العلوم السياسى - ١٩٩٠

### من أهم مؤلفاته :

- العرب والنزعة الإمبراطورية الأمريكية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤ .
- الحصاد المر للتفاوض .. اختزال فلسطين ، عمان ، الأردن : وائل للنشر ، ٢٠٠٢ .
- العرب بين الحوار الثقافى والانعزال ، دمشق : الدار الوطنية للنشر ، ٢٠٠٤ .
- الدور السياسى الثقافى للقطاع الأهلى ، القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٩٩ .

## المراجع فى سطور :

محمد هشام

- باحث ومترجم ، حاصل على الدكتوراه فى الآداب الإنجليزية (٢٠٠١)  
ويدرس بكلية الآداب - جامعة حلوان .
- شارك فى موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، إشراف د. عبد الوهاب  
المسرى (١٩٩٩) .
- صدر له كتابان مترجمان هما : ألكسندر شولش وآخرون : الفلسطينيون  
عبر الخط الأخضر (١٩٨٦) ، روجيه جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة  
الإسرائيلية (١٩٩٦) بالإضافة إلى ترجمات متنوعة من الأدب الإنجليزى  
والأمريكى .

## المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .





## المشروع القومى للترجمة

١- اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢- الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو باتنيكار	أحمد فؤاد بليغ
٣- التراث المسروق	چورچ جيمس	شوقى جلال
٤- كيف تتم كتابة السيناريو	إنجا كارييتيكوفا	أحمد الحضري
٥- ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦- اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إقيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧- العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨- مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩- التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠- خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتمد وعبد الجليل الأزدي وعمر حلى
١١- مختارات شعرية	قيسواقا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢- طريق الحرير	ديفيد براونستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣- ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤- التحليل النفسى للأدب	چان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥- الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفي
١٦- أثينة السوداء (ج١)	مارتن برنال	باشراف: أحمد عثمان
١٧- مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى يدوى
١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩- الأعمال الشعرية الكاملة	چورچ سفيريس	نعيم عطية
٢٠- قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى وبنوى عبد الفتاح
٢١- خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين	چون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣- تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سميد توفيق
٢٤- ظلال المستقبل	باتريك بارنر	بكر عباس
٢٥- مثنوى (٦ أجزاء)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦- دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧- التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	باشراف: جابر عصفور
٢٨- رسالة فى التسامح	چون لوك	منى أبو سنة
٢٩- الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو باتنيكار	أحمد فؤاد بليغ
٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	چان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الطوجى وعبد الوهاب علوب ;
٣٢- الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣- التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بليغ
٣٤- الرواية العربية	روچر آلن	حصه إبراهيم المنيف
٣٥- الأسطورة والحداثه	پول ب. ديكسون	خايل كلفت
٣٦- نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

جمال عبد الرحيم	بريجيت شيفر	راحة سيوة وموسيقاها	٢٧-
أنور مقيث	آلن تورين	نقد الحداثة	٢٨-
منيرة كروان	بيتر والكوت	الحسد والإغريق	٢٩-
محمد عيد إبراهيم	آن سكستون	قصائد حب	٤٠-
عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد	بيتر جران	ما بعد المركزية الأوروبية	٤١-
أحمد محمود	بنجامين بارير	عالم ماك	٤٢-
المهدي أخريف	أوكتايفيو پاث	الذهب المزدوج	٤٣-
مارلين تادرس	ألدوس هكسلي	بعد عدة أصياف	٤٤-
أحمد محمود	روبرت دينا وچون فاين	التراث المغفور	٤٥-
محمود السيد على	بابلو نيرودا	عشرون قصيدة حب	٤٦-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج١)	٤٧-
ماهر جويجاتي	فرانسوا دوما	حضارة مصر الفرعونية	٤٨-
عبد الوهاب علوب	هـ . ت . نوريس	الإسلام في البلقان	٤٩-
محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكي	جمال الدين بن الشيخ	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	٥٠-
محمد أبو العطا	داريو بيانوييا ورخ، م. بينياليستي	مسار الرواية الإسبانية أمريكية	٥١-
لطفي فطيم وعادل دمرداش	ب. فوثايس وس. روجسيفيتز وروجر بيل	العلاج النفسي التدعيمي	٥٢-
مرسى سعد الدين	أ . ف . ألنجنون	الدراما والتعليم	٥٣-
محسن مصيلحي	ج . مايكل والتون	المفهوم الإغريقي للمسرح	٥٤-
على يوسف على	جون بولكنجهوم	ما وراء العلم	٥٥-
محمود على مكى	فديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (ج١)	٥٦-
محمود السيد و ماهر البطوطى	فديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (ج٢)	٥٧-
محمد أبو العطا	فديريكو غرسية لوركا	مسرحيتان	٥٨-
السيد السيد سهيم	كارلوس مونيت	المحبرة (مسرحية)	٥٩-
صبرى محمد عبد الفنى	جوهانز إيتين	التصميم والشكل	٦٠-
بإشراف : محمد الجوهري	شارلوت سيمور - سميث	موسوعة علم الإنسان	٦١-
محمد خير البقاعى	رولان بارت	لذة النص	٦٢-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	٦٣-
رمسيس عوض	آلان وود	برتراند راسل (سيرة حياة)	٦٤-
رمسيس عوض	برتراند راسل	في مدح الكسل ومقالات أخرى	٦٥-
عبد اللطيف عبد الحليم	أنطونيو جالا	خمس مسرحيات أندلسية	٦٦-
المهدي أخريف	فرناندو بيسوا	مختارات شعرية	٦٧-
أشرف الصباغ	فالنتين راسبوتين	نتاشا العجوز وقصص أخرى	٦٨-
أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى	عبد الرشيد إبراهيم	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	٦٩-
عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد	أوخينيو تشانج روبريخت	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	٧٠-
حسين محمود	داريو فو	السيدة لا تصلح إلا للرمى	٧١-
فؤاد مجلى	ت . س . إليوت	السياسى العجوز	٧٢-
حسن ناظم وعلى حاكم	جين ب . تومبكنز	نقد استجابة القارئ	٧٣-
حسن بيومى	ل . ا . سيمينوفا	صلاح الدين والمماليك فى مصر	٧٤-

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندرية موروا	أحمد درويش
٧٦-	چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	يوريس أوسپنسكى	سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمرى
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (ج١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شبيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنطوان جينز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باريرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانيامريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥-	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويزو بايخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعى
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روينسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائى: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه آباء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجنى (مسرحية)	برتول بريشت	عبد الغفار مكوى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	عبد العزيز شبيب
١٠٦-	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعدود
١٠٧-	سريرة الفدائى فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩-	حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنه بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسيس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

- ١١٢- راية التمرد سادى پلانت  
١١٤- مسرحيتا حصاد كوتجى وسكان المستقع وول شوينكا  
١١٥- غرفة تخص المرء وحده فرجينيا وولف  
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون  
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام ليلى أحمد  
١١٨- النهضة النسائية فى مصر بى بارون  
١١٩- النساء والأسوة وقرائن الطلاق فى التاريخ الإسلامى أميرة الأزهرى سنبل  
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط ليلى أبو لغد  
١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية فاطمة موسى  
١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان جوزيف فوجت  
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية أنيلى ألكسندرو فنادولينا  
١٢٤- الفجر الكاتب: أوهمم الراسمالية العالمية جون جرائ  
١٢٥- التحليل الموسيقى سيدرك ثورپ ديفى  
١٢٦- فعل القراءة قولفانج إيسر  
١٢٧- إرهاب (مسرحية) صفاء فتحى  
١٢٨- الأدب المقارن سوزان باسنيت  
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا دولورس أسيس جاروته  
١٣٠- الشرق يصعد ثانية أندريه جوندز فرانك  
١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى مجموعة من المؤلفين  
١٣٢- ثقافة العولمة مايك فيذرستون  
١٣٣- الخوف من المرايا (رواية) طارق على  
١٣٤- تشريح حضارة بارى ج. كيمب  
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت ت. س. إليوت  
١٣٦- فلاحو الباشا كينيث كوني  
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر جوزيف مارى مواريه  
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف أندريه جلوكسمان  
١٣٩- باريسقال (مسرحية) ريتشارد فاچنر  
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار هيربرت ميسن  
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين  
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر  
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى ديرك لايدر  
١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية) كارلو جولونى  
١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية) كارلوس فوينتس  
١٤٦- الورقة الحمراء (رواية) ميچيل دى ليبس  
١٤٧- مسرحيتان تانكريد نورست  
١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية إنريكى أندرسون إمبرت  
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس عاطف فضول  
١٥٠- التجربة الإغريقية روبرت ج. ليتمان
- أحمد حسان  
تسيم مجلى  
سمية رمضان  
نهاد أحمد سالم  
منى إبراهيم وهالة كمال  
لميس النقاش  
ياشراف: روف عباس  
مجموعة من المترجمين  
محمد الجندى وإيزابيل كمال  
منيرة كروان  
أنور محمد إبراهيم  
أحمد فؤاد بليغ  
سمحة الخولى  
عبد الوهاب علوب  
بشير السباعى  
أميرة حسن تويره  
محمد أبو العطا وآخرون  
شوقى جلال  
لويس بقطر  
عبد الوهاب علوب  
طلعت الشايب  
أحمد محمود  
ماهر شفيق فريد  
سحر توفيق  
كاميليا صبحى  
وجيه سمعان عبد المسيح  
مصطفى ماهر  
أمل الجبورى  
نعيم عطية  
حسن بيومى  
عدلى السمرى  
سلامة محمد سليمان  
أحمد حسان  
على عبدالرؤف البعبى  
عبدالغفار مكوى  
على إبراهيم منوفى  
أسامة إسبر  
منيرة كروان



١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابي
١٥٣-	غرام الفراغة	فيولين فانويك	قاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥-	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	مى التمساني
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامي الكنجوي	عبدالعزیز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	بشير السباعي
١٥٩-	الأيدولوجية	ديفيد هوكس	إبراهيم فتحي
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومي
١٦١-	مسرحيتان من المسرح الإسباني	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسبوي	صلاح عبدالعزیز محبوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع (ج ١)	جوردون مارشال	باشراف: محمد الجوهري
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	جان لاکوتير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسييفا	سهير المصادفة
١٦٦-	العلاقات بين المتنبيين واللمانين في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧-	في عالم طاغور	رابندرناث طاغور	شكري محمد عياد
١٦٨-	دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكري محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكري محمد عياد
١٧٠-	الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	يسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابي
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التلفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنري تروايا	حصه إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدي إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الستينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوءة (شعر)	وب. بيتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحي العشري
١٨٤-	القاهرة: حالة لا تتام	هانز إيندورفر	دسوقي سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم في التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إينوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرضة (رواية)	بُردج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

- ١٨٩- المعنى والبصيرة مقالات في بلاغة النقد المعاصر      پول دى مان      سعيد الغانمى
- ١٩٠- محاورات كونفوشيوس      كونفوشيوس      محسن سيد فرجانى
- ١٩١- الكلام رأسمال وقصص أخرى      الحاج أبو بكر إمام وآخرون      مصطفى حجازى السيد
- ١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (ج١)      زين العابدين المراهى      محمود علاوى
- ١٩٣- عامل المنجم (رواية)      بيتر أبراهامز      محمد عبد الواحد محمد
- ١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث      مجموعة من النقاد      ماهر شفيق فريد
- ١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية)      إسماعيل فصيح      محمد علاء الدين منصور
- ١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية)      قالتين راسبوتين      أشرف الصباغ
- ١٩٧- سيرة القاروق      شمس العلماء شبلى النعمانى      جلال السعيد الحفناوى
- ١٩٨- الاتصال الجماهيرى      إدوين إمري وآخرون      إبراهيم سلامة إبراهيم
- ١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية      يعقوب لاندان      جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
- ٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل      جيرمى سيبروك      فخرى لبيب
- ٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة      جوزايا رويس      أحمد الأنصارى
- ٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٤)      رينيه ويليك      مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ٢٠٣- الشعر والشاعرية      أطاف حسين حالى      جلال السعيد الحفناوى
- ٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم      زلمان شازار      أحمد هويدى
- ٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات      لويجى لوقا كافاللى- سفورزا      أحمد مستجير
- ٢٠٦- الهيلولية تصنع علماء جديداً      جيمس جلايك      على يوسف على
- ٢٠٧- ليل أفريقى (رواية)      رامون خوتاسنديز      محمد أبو العطا
- ٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى      دان أوريان      محمد أحمد صالح
- ٢٠٩- السرد والمسرح      مجموعة من المؤلفين      أشرف الصباغ
- ٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر)      سنائى الغزنوى      يوسف عبد الفتاح فرج
- ٢١١- فردينان دوسوسير      جوناثان كلر      محمود حمدي عبد الفنى
- ٢١٢- قصص الأمير مرزيان على لسان الحيوان      مرزيان بن رستم بن شروين      يوسف عبدالفتاح فرج
- ٢١٣- مصر منذ قدم نابليون حتى رحيل عبدالناصر      ريمون فلور      سيد أحمد على الناصرى
- ٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع      أنتونى جينز      محمد محيى الدين
- ٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)      زين العابدين المراهى      محمود علاوى
- ٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم      مجموعة من المؤلفين      أشرف الصباغ
- ٢١٧- مسرحيتان طليعتان      سمويل بيكيت وهارولد بينتر      نادية البنهاوى
- ٢١٨- لعبة الحجلة (رواية)      خوليو كورتاثان      على إبراهيم منوفى
- ٢١٩- بقايا اليوم (رواية)      كازو إيشجورو      طلعت الشايب
- ٢٢٠- الهيلولية فى الكون      بارى پاركر      على يوسف على
- ٢٢١- شعرية كفافى      جريجورى جوزدائيس      رفعت سلام
- ٢٢٢- فرانز كافكا      رونالد جراى      نسيم مجلى
- ٢٢٣- العلم فى مجتمع حر      ياول فيرابند      السيد محمد نقادى
- ٢٢٤- دمار يوغسلافيا      برانكا ماجاس      منى عبدالظاهر إبراهيم
- ٢٢٥- حكاية غريق (رواية)      جابريل جارشيا ماركيث      السيد عبدالظاهر السيد
- ٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى      ديفيد هربت لورانس      طاهر محمد على البربرى

السيد عبدالظاهر عبدالله	المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركي	٢٢٧-
ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت رواف	٢٢٨-
أمير إبراهيم العمري	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	٢٢٩-
مصطفى إبراهيم فهمي	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز چاكوب	٢٣٠-
جمال عبدالرحمن	الرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمي سالوم بيدال	٢٣١-
مصطفى إبراهيم فهمي	ما بعد المعلومات	توم ستونير	٢٣٢-
طلعت الشايب	فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي	أرثر هيرمان	٢٣٣-
فؤاد محمد عكود	الإسلام في السودان	ج. سبنسر تريمينجهام	٢٣٤-
إبراهيم الدسوقي شتا	ديوان شمس تبريزي (ج١)	مولانا جلال الدين الرومي	٢٣٥-
أحمد الطيب	الولاية	ميشيل شوبكفيتش	٢٣٦-
عنايات حسين طلعت	مصر أرض الوادي	روين فيدين	٢٣٧-
ياسر محمد جادالله وعربي مدبولي أحمد	العولة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكاد	٢٣٨-
نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق	العربي في الأدب الإسرائيلي	جيلا رامراز - رايوخ	٢٣٩-
صلاح محجوب إدريس	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاي حافظ	٢٤٠-
ايتسام عبدالله	في انتظار البرابرة (رواية)	ج. م. كوتزي	٢٤١-
صبري محمد حسن	سبعة أنماط من القموض	وليام إميسون	٢٤٢-
بإشراف: صلاح فضل	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفي برونفسال	٢٤٣-
نادية جمال الدين محمد	الغليان (رواية)	لاورا إسكييل	٢٤٤-
توفيق علي منصور	نساء مقالات	إليزابيتا أديس وآخرون	٢٤٥-
علي إبراهيم منوفي	مختارات قصصية	جابريل جارتيا ماركيت	٢٤٦-
محمد طارق الشرقاوي	الثقافة الجماهيرية والحدائق في مصر	والتر أرمبرست	٢٤٧-
عبداللطيف عبدالحليم	حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	٢٤٨-
رفعت سلام	لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	٢٤٩-
ماجدة محسن أباطة	علم اجتماع العلوم	لومنيك فينك	٢٥٠-
بإشراف: محمد الجوهري	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	جوردون مارشال	٢٥١-
علي بدران	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	٢٥٢-
حسن بيومي	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	٢٥٣-
إمام عبد الفتاح إمام	أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودي جروفز	٢٥٤-
إمام عبد الفتاح إمام	أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودي جروفز	٢٥٥-
إمام عبد الفتاح إمام	أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	٢٥٦-
محمود سيد أحمد	تاريخ الفلسفة الحديثة	وايم كلي رايت	٢٥٧-
عبادة كُحيلة	الفجر	سير أنجوس فريزر	٢٥٨-
فاروجان كازانجيان	مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور	نخبة	٢٥٩-
بإشراف: محمد الجوهري	موسوعة علم الاجتماع (ج٣)	جوردون مارشال	٢٦٠-
إمام عبد الفتاح إمام	رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكي نجيب محمود	٢٦١-
محمد أبو العطا	مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوتا	٢٦٢-
علي يوسف علي	الكشف عن حافة الزمن	چون جرين	٢٦٣-
لويس عوض	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلي	٢٦٤-

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عروكي
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزي (ج٢)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١)	وليم جيفور بالجريف	صبري محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج٢)	وليم جيفور بالجريف	صبري محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سي. باترسون	شوقي جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية في مصر	سي. سي. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأمم الاجتماعية والثقافية لحركة عرابي في مصر	جوان كول	عنان الشهاوي
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود على مكي
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعرًا وناقدًا وكاتبًا مسرحيًا	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمساني
٢٧٧-	الچينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزي
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف. س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوي
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرزاق اليمبي
٢٨٤-	هرقل مجنونًا (مسرحية)	يوربيديس	أحمد عثمان
٢٨٥-	رحلة خواجه حسن نظامي الدهلوي	حسن نظامي الدهلوي	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (ج٣)	زين العابدين المراغي	محمود علاوي
٢٨٧-	الثقافة والعولة والنظام العالمي	أنتوني كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائي	ديفيد لودج	ماهر البطوطي
٢٨٩-	ديوان منوچهری الدامغانی	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونات	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (ج١)	فرانشيسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (ج٢)	فرانشيسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للآداب العربي	روجر آلن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وويل موريز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوي
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ليونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازي	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازي السيد
٢٩٩-	ثورة في التكنولوجيا الحيوية	چين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة برومئوس في الأدب الإنجليزي والفرنسي (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيري وبهاء جاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة برومئوس في الأدب الإنجليزي والفرنسي (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيري و محمد الجندي
٣٠٢-	أقدم لك: فنجنشتين	جون هيتون وجودي جروفز	إمام عبد الفتاح إمام



٢٠٣-	أقدم لك: بوذا	جين هوب ويورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٤-	أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٥-	الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٢٠٦-	الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٢٠٧-	أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكي
٢٠٨-	أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز ويورين فان لو	ممنوح عبد المنعم
٢٠٩-	أقدم لك: الذهن والملح	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	جمال الجزيري
٢١٠-	أقدم لك: يونج	ماجي هايد ومايكل ماكجنس	محيي الدين مزيد
٢١١-	مقال في المنهج الفلسفي	روج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٢١٢-	روح الشعب الأسود	وليم ديويوس	أسعد حليم
٢١٣-	أمثال فلسطينية (شعر)	خاير بيان	محمد عبدالله الجعدي
٢١٤-	مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعي
٢١٥-	جرامشي في العالم العربي	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحي
٢١٦-	محاكمة سقراط	أي. ف. ستون	نسيم مجلي
٢١٧-	بلا غد	س. شير لايموفا - س. زنيكين	أشرف الصباغ
٢١٨-	الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٩-	صور دريدا	جايتري سيفاك وكريستوفر نوريس	حسام نايل
٢٢٠-	لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٢٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ١)	ليفي برو فنسال	ياشراف: صلاح فضل
٢٢٢-	وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن الغربي	دبليو يوجين كلينپاور	خالد مفلح حمزة
٢٢٣-	فن الساتورا	تراث يوناني قديم	هانم محمد فوزي
٢٢٤-	اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدي	محمود علاوي
٢٢٥-	عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٢٢٦-	المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٢٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (ج ١)	نخبة	توفيق علي منصور
٢٢٨-	يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامي	عبد العزيز يقوش
٢٢٩-	رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٢٣٠-	كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامي صلاح
٢٣١-	عندما جاء السريدين وقصص أخرى	ستيفن جراي	سامية دياب
٢٣٢-	شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	علي إبراهيم منوفي
٢٣٣-	الإسلام في بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٢٣٤-	لقطات من المستقبل	أرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣٥-	عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالي ساروت	فتحي العشري
٢٣٦-	متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٢٣٧-	فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٢٣٨-	نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوي
٢٣٩-	تاريخ الأدب في إيران (ج ٢)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٤٠-	اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٢٤١-	قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا ريلكه	حسن حلمي
٢٤٢-	سلامان وأيسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامي	عبد العزيز بقوش
٢٤٣-	العالم البرجوازي الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤-	الموت في الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٢٤٥-	الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٢٤٧-	الصبيبة الطائشون (رواية)	چان كوكتو	بكر الحلو
٢٤٨-	المتصورة الأولى في الأدب التركى (ج١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٢٥٠-	بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٢٥١-	مبادئ المنطق	چوزايا رويس	أحمد الانصارى
٢٥٢-	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٢٥٣-	الفن الإسلامى في الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٤-	الفن الإسلامى في الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٥-	التيارات السياسية في إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٢٥٦-	الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٢٥٧-	متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٢٥٨-	أمثال الهوسا العامة	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٥٩-	محاوره بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٢٦٠-	أنثروبولوجيا اللغة	أندريه چاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٢٦١-	التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٢٦٢-	تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شيبورل	سيد أحمد فتح الله
٢٦٣-	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد چيبسون	صبرى محمد حسن
٢٦٤-	حادثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٢٦٥-	سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٢٦٦-	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٢٦٧-	القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البراق عبدالهادى رضا
٢٦٨-	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد پرنس	عابد خزندار
٢٦٩-	المرأة في أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٢٧٠-	الفن والحياة في مصر الفرعونية	كليلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٢٧١-	المتصورة الأولى في الأدب التركى (ج٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢-	عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣-	كيف تعد رسالة دكتوراه	أوميرتو إيکو	على إبراهيم منوفى
٢٧٤-	اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٢٧٥-	الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٢٧٦-	الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	چان أنوى وآخرون	إنوار الخراط
٢٧٧-	تاريخ الأدب في إيران (ج٤)	إنوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٧٨-	المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

جمال عبدالرحمن	ستيل باث	٣٧٩- ملك في الحديقة (رواية)
شيرين عبدالسلام	جوتتر جراس	٣٨٠- حديث عن الخسارة
رانيا إبراهيم يوسف	ر. ل. تراسك	٣٨١- أساسيات اللغة
أحمد محمد نادى	بهاء الدين محمد اسفنديار	٣٨٢- تاريخ طبرستان
سمير عبدالحميد إبراهيم	محمد إقبال	٣٨٣- هدية الحجاز (شعر)
إيزابيل كمال	سوزان إنجيل	٣٨٤- القصص التي يحكيها الأطفال
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد على بهزادراد	٣٨٥- مشترى العشق (رواية)
ريهام حسين إبراهيم	جانيت تود	٣٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبي النسوي
بهاء جاهين	جون دن	٣٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازى	٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى
عثمان مصطفى عثمان	إم. فى. روبرتس	٣٩٠- الأرشيقات والمدن الكبرى
منى الدروبي	مايف بينشى	٣٩١- الحافلة اليلكية (رواية)
عبداللطيف عبدالحليم	فرناندو دى لاجرانجا	٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية
زينب محمود الخضيرى	ندوة لويس ماسينيون	٣٩٣- فى قلب الشرق
هاشم أحمد محمد	بول ديفيز	٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	٣٩٥- ألام سياوش (رواية)
محمود علاوى	تقى تجارى راد	٣٩٦- السافاك
إمام عبدالفتاح إمام	لورانس جين وكيتى شين	٣٩٧- أقدم لك: نيتشه
إمام عبدالفتاح إمام	فيليب تودى وهوارد ريد	٣٩٨- أقدم لك: سارتر
إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد ميروفيتش وألن كوركس	٣٩٩- أقدم لك: كامى
باهر الجوهري	ميشائيل إنده	٤٠٠- مومو (رواية)
ممدوح عبد المنعم	زياودن ساردر وآخرون	٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات
ممدوح عبدالمنعم	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	٤٠٢- أقدم لك. ستيفن هوكنج
عماد حسن بكر	تودور شتورم وجوتفرد كولر	٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)
ظبية خميس	ديفيد إبرام	٤٠٤- تعريضة الحسى
حمادة إبراهيم	أندريه جيد	٤٠٥- إيزابيل (رواية)
جمال عبد الرحمن	مانويلا مانتاناريس	٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩
طلعت شاهين	مجموعة من المؤلفين	٤٠٧- الأدب الإسباني المعاصر بقلم كتابه
عنان الشهارى	چوان فوشركنج	٤٠٨- معجم تاريخ مصر
إلهامى عمارة	برتراند راسل	٤٠٩- انتصار السعادة
الزواوى بغورة	كارل بوير	٤١٠- خلاصة القرن
أحمد مستجير	چينيفر أكرمان	٤١١- همس من الماضى
ياشرف: صلاح فضل	ليفى بروفنسال	٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ٢)
محمد البخارى	ناظم حكمت	٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)
أمل الصبان	باسكال كازانوفا	٤١٤- الجمهورية العالمية للأدب
أحمد كامل عبدالرحيم	فريدريش دورينمات	٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)
محمد مصطفى بدوى	أ. أ. رتشاردز	٤١٦- مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد.
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية	جين هاثواي	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبي للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكياقللى	پاتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل قلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زيرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندي في بلاد الشرق العربي	شبللى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروسناد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستينغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز نائل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	ملحمة السيد	تراث شعبى إسبانى	الطاهر أحمد مكي
٤٤٨-	الفلاحون (ميراث الترجمة)	الأب عيروط	مضى الدين اللبان ووليم داوود مرقس
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا ورببيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن ويورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل



٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فريدريك كويلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان مولر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتز جاستنز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك: لكأن	داريان ليدر وجوى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوريين	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصه إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب ويطولات فرعونية	قبولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧-	التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلى	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد الننة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سايدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سايدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرچينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسي	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى لونغ	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساي ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير چاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبييرت ياكس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبداللطيم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسُرل: الفلسفة علماً دقيقاً	إدموند هُسُرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسعار البقاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفرقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى قارچيت	محمد رفعت عواد

خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع	٤٩٣-
كتاب الموتى: الخروج في النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفي	٤٩٤-
اللوبي	إيوارد تيفان	حسن عبد ربه المصري	٤٩٥-
الحكم والسياسة في أفريقيا (ج١)	إكوانو بانولي	مجموعة من المترجمين	٤٩٦-
العلمانية والنوع والدولة في الشرق الأوسط. نادية العلى		مصطفى رياض	٤٩٧-
النساء والنوع في الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوي	٤٩٨-
تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء	٤٩٩-
في ملفتي: دراسة في السيرة الذاتية العربية	تيتز روكي	طلعت الشايب	٥٠٠-
تاريخ النساء في الغرب (ج١)	آرثر جولد هامر	سحر فراج	٥٠١-
أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال	٥٠٢-
مختارات من الشعر الفارسي الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم	٥٠٣-
كتابات أساسية (ج١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق	٥٠٤-
كتابات أساسية (ج٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق	٥٠٥-
ربما كان قديساً (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمي الجمال	٥٠٦-
سيدة الماضي الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقي فهمي	٥٠٧-
المولوية بعد جلال الدين الرومي	عبدالباقي جلبنارلي	عبدالله أحمد إبراهيم	٥٠٨-
الفقر والإحسان في عصر سلاطين المماليك	أدم صبرة	قاسم عبده قاسم	٥٠٩-
الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولونوي	عبدالرازق عيد	٥١٠-
كوكب مرقع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمي الجمال	٥١١-
كتابة النقد السينمائي	تيموثي كوريغان	جمال عبد الناصر	٥١٢-
العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمي	٥١٣-
مدخل إلى النظرية الأدبية	جوثان كولر	مصطفى بيومي عبد السلام	٥١٤-
من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطي دوجلاس	فدوى مالطي دوجلاس	٥١٥-
إرادة الإنسان في علاج الإيمان	آرنولد واشنطن ودونا باوندي	صبري محمد حسن	٥١٦-
نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم	٥١٧-
استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد	٥١٨-
محاضرات في المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري	٥١٩-
الربع الفرنسي بمصر من الطم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان	٥٢٠-
قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر	٥٢١-
إسبانيا في تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفي	٥٢٢-
الفن الطليطلي الإسلامي والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفي	٥٢٣-
الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوي	٥٢٤-
موسم صيد في بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت	٥٢٥-
أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيي الدين مزيد	٥٢٦-
أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيري	٥٢٧-
أقدم لك: تروتسكي والماركسية	طارق على وفيل إيفانز	جمال الجزيري	٥٢٨-
بدائع العلامة إقبال في شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ	٥٢٩-
مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر	٥٣٠-

٥٣١-	ما الذي حَدَّثَ في «حَدَّث» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	صفاء فتحي
٥٣٢-	المغامرُ والمستشرق	هتري لورتس	بشير السباعي
٥٣٣-	تعلّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوي
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيفرين لايا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامي الكنجوي	عبدالعزیز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	معمول منتجتون واورانس هاريزون	شوقي جلال
٥٣٧-	للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبد الغفار مكاوي
٥٣٨-	النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانييل	محمد الحيدوي
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحي
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	عرف عباس
٥٤١-	هي تتخيل وهلاس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الألب اليوناني الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	أقدم لك: ميلاني كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدي الجابري
٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودي وأن كورس	جمال الجزيري
٥٤٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزيرين ويورن فان لون	حمدي الجابري
٥٤٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلي وليتاجانز	جمال الجزيري
٥٥٠-	أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وييرد	حمدي الجابري
٥٥١-	الموسيقى والعولة	سايمون ماندي	سمحة الخولي
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دي ثريانتس	على عبد العوف البعبي
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر في عهد محمد علي	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبد السميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن العادي والعشرين	أناتولي أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصر الدين الجبالي
٥٥٦-	أقدم لك: جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدي الجابري
٥٥٧-	أقدم لك: الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين فان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجي	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٤-	عش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	دييورا ج. جيرنر	أحمد عبد الحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧-	الوطن المقتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصول في الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة	هومي بابا	ثائر نيب
٥٧٠- دول الخليج الفارسي	سير رويرت هاي	يوسف الشاروني
٥٧١- تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دي ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب في زمن القراعة	بيرونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتي	جمال الجزيري
٥٧٤- مصر القديمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعي
٥٧٥- الاقتصاد السياسي للعرة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثريانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشري محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولودي	محمد قدرى عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومي ميزوكوشي	محمد إبراهيم وعصام عبد الرعوف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكي	جون ماهر وجودي جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج ١)	جون فيز وپول سيجرز	باشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١- الحقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاج (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزيث مالمكوس وروى أرمن	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزیز حمدى
٥٨٨- أمخوتپ الثالث	أنيس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩- تمبكت العجبية	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدي عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالقواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (ج ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	پول فاليرى	بكر الطو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥- الحكم والسياسة فى أفريقيا (ج ٢)	إكوانو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية فى العالم	روبرت بيجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠- الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان ثوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلي
٦٠٢- ليونار: نحو فلسفة ما بعد حداثة	جيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافى	أرثر أيزابجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج ١)	پاتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦- قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى
٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (ج ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (ج ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن



الانتخاب الثقافي	٦٠٩-	أجنر فوج	شوقي جلال
العمارة المدججة	٦١٠-	رفائيل لويث جوثمان	على إبراهيم منوفى
النقد والأيدولوجية	٦١١-	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
رسالة النفسية	٦١٢-	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
السياحة والسياسة	٦١٣-	كوان مايكل هول	محمد فريد حجاب
بيت الأقصر الكبير (رواية)	٦١٤-	فوزية أسعد	منى قطان
عروض الأحداث التي وقعت في بغداد من ١٩١٧ إلى ١٩١٩	٦١٥-	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
أساطير بيضاء	٦١٦-	روبرت يانج	أحمد محمود
الفولكلور والبحر	٦١٧-	هوراس بيك	أحمد محمود
نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	٦١٨-	تشارلز فيلبس	جلال البنا
مفاتيح أورشليم القدس	٦١٩-	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
السلام الصليبي	٦٢٠-	توماش ماستناك	بشير السباعى
رباعيات الخيام (ميراث الترجمة)	٦٢١-	عمر الخيام	محمد السباعى
أشعار من عالم اسمه الصين	٦٢٢-	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
نوارى جحا الإيرانية	٦٢٣-	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
شعر المرأة الأفريقية	٦٢٤-	نخبة	غادة الحلوانى
الجرح السرى	٦٢٥-	جان چينيه	محمد برادة
مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	٦٢٦-	نخبة	توفيق على منصور
حكايات إيرانية	٦٢٧-	نخبة	عبدالوهاب علوب
أصل الأنواع	٦٢٨-	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	٦٢٩-	نيقولا جويات	عزة الخميسى
سيرتى الذاتية	٦٣٠-	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	٦٣١-	نخبة	باشراف: حسن طلب
المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	٦٣٢-	بولورس برامون	رانيا محمد
الحب وفنونه (شعر)	٦٣٣-	نخبة	حمادة إبراهيم
مكتبة الإسكندرية	٦٣٤-	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
التثبيت والتكيف فى مصر	٦٣٥-	جودة عبد الخالق	سمير كريم
حج بولندة	٦٣٦-	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
مصر الخديوية	٦٣٧-	ف. روبرت هنتز	يدر الرفاعى
الديمقراطية والشعر	٦٣٨-	روبرت بن وارين	قواد عبد المطلب
فندق الأرق (شعر)	٦٣٩-	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
أكسياد	٦٤٠-	الأميرة أناكومنينا	حسن حبشى
برتراند رسل (مختارات)	٦٤١-	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
أقدم لك: داروين والتطور	٦٤٢-	جوناثان ميلر ويورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
سفرنامه حجاز (شعر)	٦٤٣-	عبد الماجد الدرايادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
العلوم عند المسلمين	٦٤٤-	هوارد د. تيرنر	فتح الله الشيخ
السياسة الخارجية الأمريكية وممارستها الداخلية	٦٤٥-	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
قصة الثورة الإيرانية	٦٤٦-	سپهر نبيج	عبد الوهاب علوب

رسائل من مصر	جون نيفيه	فتحي العشري
بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
الخوف وقصص خرافية أخرى	جى دى موباسان	سحر يوسف
الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
ديليسيبى الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنى	سمير جريس
أساطير شعبية من أوزبكستان (ج ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبد اللطيف عبد الحليم
نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
رحلة إلى الجنور	دامو سالديار	صبرى التهامى
امراة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راي هارك	عصام زكريا
عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج انتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
الأزمة القائمة لعلم الاجتماع الغربى	ألغن جولدنر	على ليلة
ثقافات العرلة	فريدريك چيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بىكر	ماهر البطوطى
قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	چيمس بولدين	على عبد الأمير صالح
مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
أثينا السوداء (ج ٢، ج ١)	مارتن برنال	باشراف: محمود إبراهيم السعدنى
أثينا السوداء (ج ٢، ج ١)	مارتن برنال	باشراف: محمود إبراهيم السعدنى
تاريخ الأدب فى إيران (ج ١، ج ٢)	إنوارد جرانتيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
تاريخ الأدب فى إيران (ج ١، ج ٢)	إنوارد جرانتيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
مختارات شعرية مترجمة (ج ٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
المدينة الفاضلة (ميراث الترجمة)	كارل ل. بيكر	محمد شفيق غريال
هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
نجوم حطر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن
سكين واحد لكل رجل (رواية)	تى. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
الاعمال القصصية الكاملة (أنا كننا) (ج ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى

٦٨٥-	الأعمال القصصية الكاملة (المصحراء) (ج٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦-	امرأة محارية (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العناني
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر ورينشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحي
٦٨٩-	الملف (مسرحية)	تادوش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتاين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢-	أقدم لك: الوجودية	رينشارد أيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣-	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حائيم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤-	أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل ماييلين	حمدى الجابرى
٦٩٥-	أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦-	أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧-	أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨-	أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندريجي كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩-	أقدم لك: التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٧٠٠-	الكاتب وواقعه	ماريو بارجاس يوسا	بسمة عبدالرحمن
٧٠١-	الذاكرة والحدائق	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢-	مدونة جوستيان فى الفن الرومانى (ميراث الترجمة)	جوستينيان	عبد العزيز فهمى
٧٠٣-	تاريخ الأدب فى إيران (ج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤-	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥-	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مذكور
٧٠٦-	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧-	أقدم لك: فالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨-	فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رؤف عباس
٧٠٩-	معنى الحياة	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠-	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	إيان هاتشبائ وجوموران - إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١-	درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢-	الإلياذة (ج١) (ميراث الترجمة)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٣-	الإلياذة (ج٢) (ميراث الترجمة)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٤-	حديث القلوب (ميراث الترجمة)	لامنيه	حناء صاوه
٧١٥-	سر تقدم الإنكليز السكسونيين (ميراث الترجمة)	إدمون ديمولان	أحمد فتحى زغلول
٧١٦-	جامعة كل المعارف (ج٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧-	جامعة كل المعارف (ج٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨-	جامعة كل المعارف (ج٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩-	مسرح الأطفال: فلسفة وطريقة	م. جولديرج	جميلة كامل
٧٢٠-	مداخل إلى البحث فى تعلم اللغة الثانية	دونام جونسون	على شعبان وأحمد الخطيب
٧٢١-	فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	ه. أ. ولفسون	مصطفى ليبي عبد الغنى
٧٢٢-	الصفحة وقصص أخرى	يشار كمال	الصفصافى أحمد القطورى
٧٢٣-	تحديات ما بعد الصهيونية	إقرايم نيمنى	أحمد ثابت





طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

---

رقم الإيداع ٢٣٢٧٩ / ٢٠٠٥







هذا الكتاب يهتم القارئ العربي وصانع القرار والمفاوض العربي والفلسطيني مثلما يهتم أيضاً المقاومة المسلحة المشروعة ضد الاحتلال الصهيوني لأننا ينبغي أن نعرض الكثير عما يدور داخل إسرائيل ومخاطره ، وخصوصاً منذ عام ١٩٧٧ ، ومع صعود اليمين الديني الأصولي المتطرف الذي يستند إلى أساطير ومزاعم دينية تستتر خلف رداء أيديولوجيا عنصرية تقوم على سمو العرق اليهودي وتنادى علناً بالتطهير العرقي والتهجير القسري للشعب الفلسطيني سواء داخل فلسطين ١٩٤٨ أو من الضفة الغربية إلى غزة أو التهجير القسري (الترانسفير) خارج فلسطين ، ولأن العالم المتحضر المناهض للنظم العنصرية العرقية تمكن من إلغاء هذه النظم في جنوب أفريقيا ويوجوسلافيا السابقة ورواندا وبورندي ، علينا نحن العرب والفلسطينيين أن نخاطب هذا العالم وهو عالم واسع وكبير وموجود بقوة في وسائل الإعلام والمنظمات غير الحكومية ومؤتمرات الأمم المتحدة وفي الرأي العام الأوروبي الذي أظهر آخر استطلاع أجراه الاتحاد الأوروبي في أكتوبر / تشرين الأول ٢٠٠٣ أن ٩٪ من الأوروبيين يعتبرون أن إسرائيل تشكل أكبر تهديد للسلام والأمن في العالم .. علينا أن نخاطب هذا العالم باللغة التي يفهمها ، وهي لغة الحقوق ومناهضة العنصرية والتطهير والجرائم ضد الإنسانية .